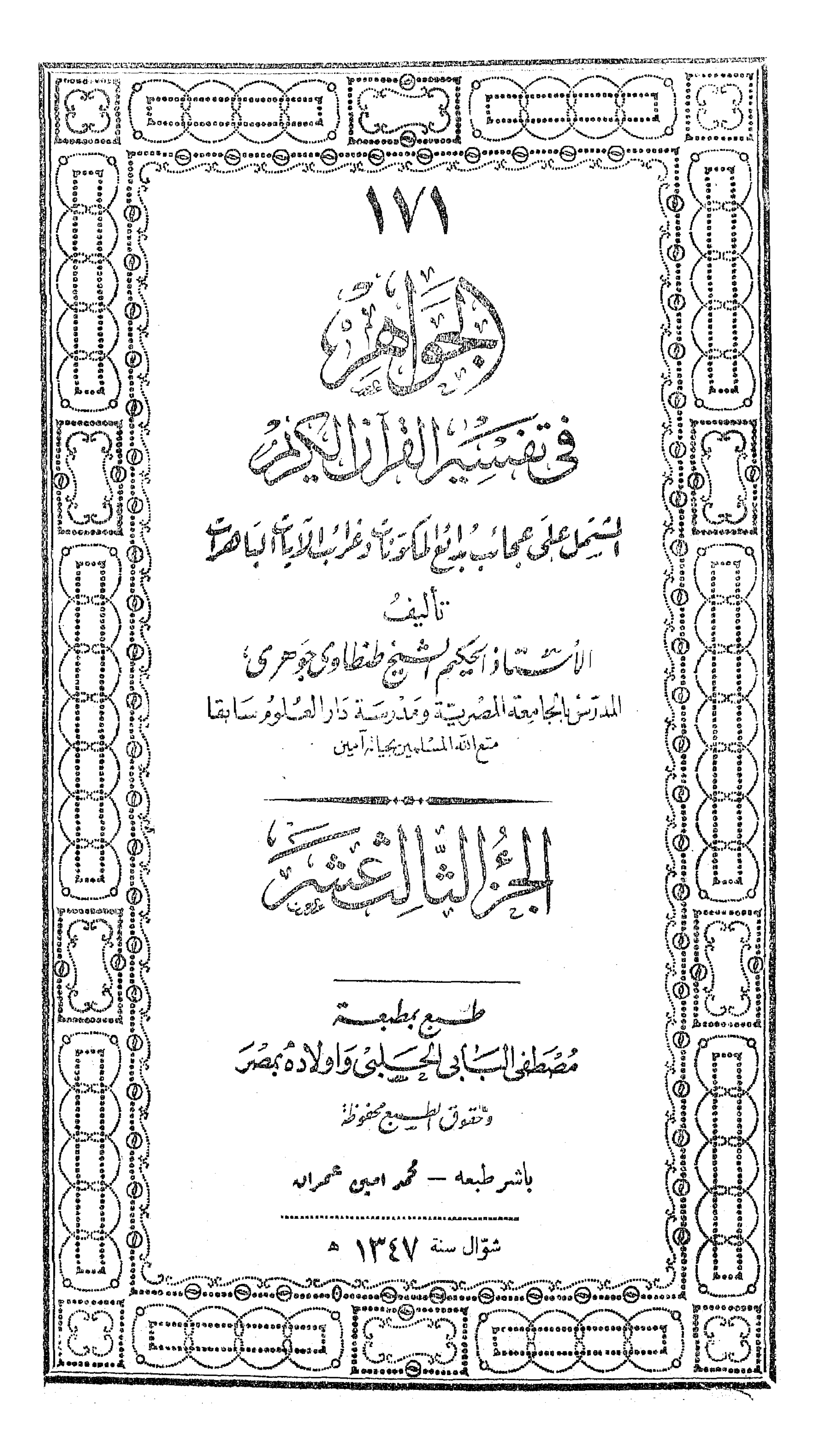


١٧١

الجواهر

في تفسير القرآن الكريم

المشتمل على عجائب بدائع المكونات وغرائب الآيات الباهرات

تأليف

الأستاذ الحكيم الشيخ طنطاوي جوهري

المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقا

متع الله المسلمين بحياته آمين

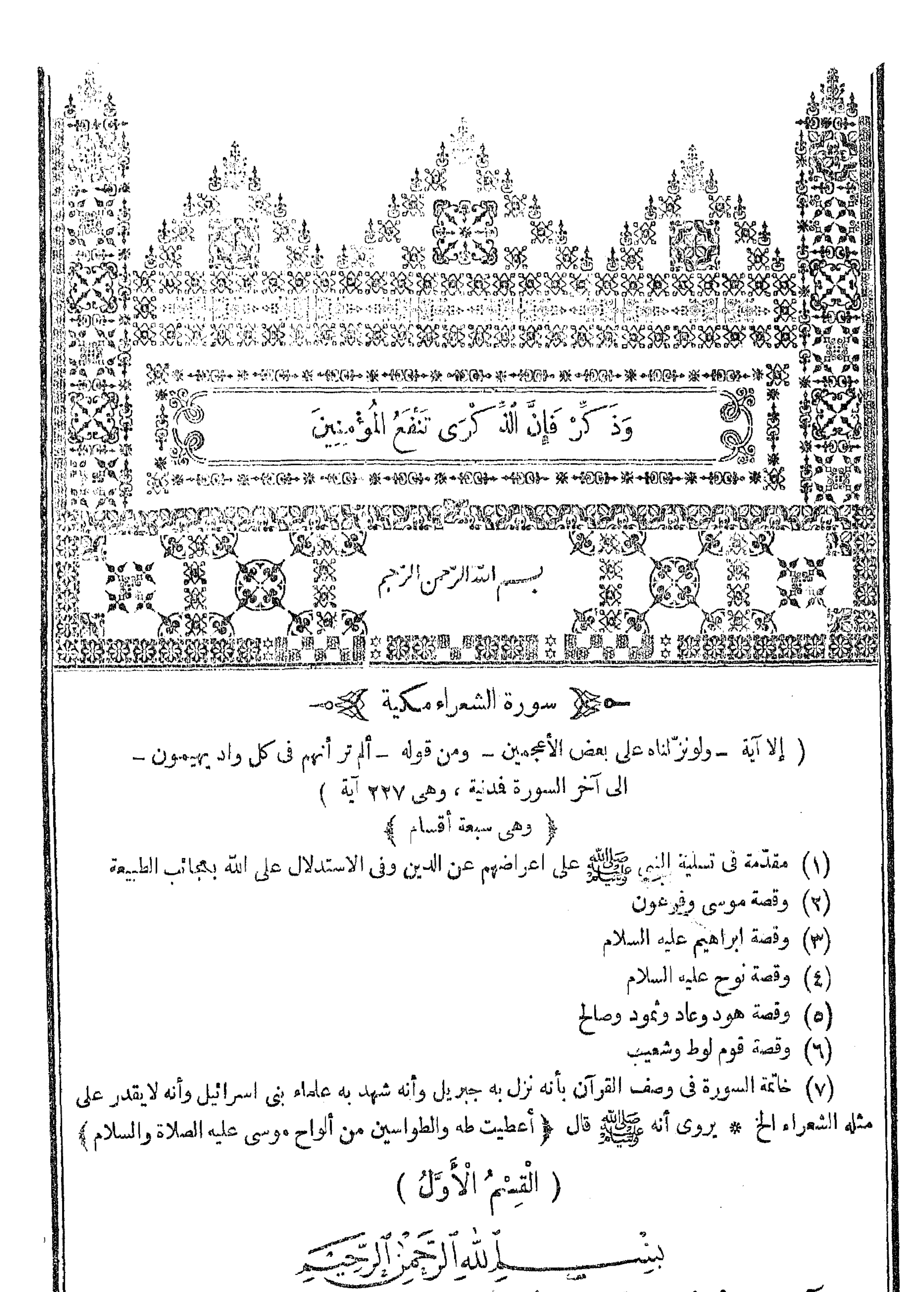
الجزء الثالث عشر

طبع بمطبعة

مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

باشر طبعه — محمد أمين عمران

شوال سنة ١٣٤٧ هـ



سورة الشعراء مكية

(إلا آية – ولو نزّلناه على بعض الأعجمين – ومن قوله – ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون –
الى آخر السورة فمدنية ، وهى ٢٢٧ آية)

﴿ وهى سبعة أقسام ﴾

(١) مقدّمة فى تسلية النبى ﷺ على اعراضهم عن الدين وفى الاستدلال على الله بعجائب الطبيعة
(٢) وقصة موسى وفرعون
(٣) وقصة ابراهيم عليه السلام
(٤) وقصة نوح عليه السلام
(٥) وقصة هود وعاد وثمود وصالح
(٦) وقصة قوم لوط وشعيب
(٧) خاتمة السورة فى وصف القرآن بأنه نزل به جبريل وأنه شهد به علماء بنى اسرائيل وأنه لايقدر على مثله الشعراء الخ * يروى أنه ﷺ قال ﴿ أعطيت طه والطواسين من ألواح موسى عليه الصلاة والسلام ﴾

(الْقِسْمُ الْأَوَّلُ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طسم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ * إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ * وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ

من

مِنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ * فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَٰؤُا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ * أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ *

(بسم الله الرحمن الرحيم)

التفسير اللفظى

(طسم) تقدم تفسير البسملة فى الفاتحة و ــ طسم ــ فى أوّل آل عمران وسيأتى هنا (تلك آيات الكتاب المبين) أى هذه الآيات التى فى هذه السورة آيات القرآن الظاهر إعجازه المبين بالحلال والحرام والأمر والنهى (لعلك باخع نفسك) قاتلها ولفظ لعلّ للاشفاق أى اشفق على نفسك أن تقتلها حسرة وحزنا على مافاتك من اسلام قومك وقوله (ألا يكونوا مؤمنين) أى خيفة امتناع كونهم مؤمنين والمراد بهم قريش وكان حريصا على ايمانهم محبة له ، فلاتجزع يامحمد (إن نشأ) إيمانهم (ننزّل عليهم من السماء آية) دلالة ملجئة الى الايمان (فظلت أعناقهم لها خاضعين) منقادين لما وصفت الأعناق بصفة العقلاء أجريت مجراهم وظلّ الماضى فى معنى المضارع كما تقول ان زرتنى أكرمتك أى أكرمك كما قال الزجاج (ومايأتيهم من ذكر) طائفة من القرآن (من الرحمن) يوحيه الى نبيه (محدث إلا كانوا عنه معرضين) إلاجدّدوا اعراضا عنه واصرارا على الكفر (فقد كذّبوا) أى بالذكر بعد اعراضهم وأمعنوا فى التكذيب حتى استهزؤا (فسيأتيهم) اذا مسهم العذاب يوم بدر أويوم القيامة (أنبؤا ما كانوا به يستهزؤن) فيعرفون أحق كان فيصدق أم باطل فيكذب ويستهزأ به (أولم يروا الى الأرض) أولم ينظروا الى عجائبها (كم أنبتنا فيها من كل زوج) صنف (كريم) محمود كثير المنفعة فان النباتات بلغت أنواعها ٣٢٠ ألف نوع ولكل منها منافع ومناظر وخواص وطبائع وعجائب تخالف الثانى ، والانسان الذى هو أرقى المخلوقات فى الأرض له فى كل نبات منفعة ، فمنه الدواء ومنه الغذاء ومنه الروائح العطرية ومنه خشب السقف ومنه شبابيك المنزل و بعض السفن فى البحر والزيت والفاكهة الزيتى منها والعطرى والمائى والحمضى والسكرى والمز (إنّ فى ذلك) أى فى انبات تلك الأصناف وفى كل واحد منها (لآية) على ان الخالق تام الحكمة عليم سابغ النعمة واسع القدرة وقد علم الله أن أكثرهم قد طبع على قلوبهم فلايرجى ايمانهم (وما كان أكثرهم مؤمنين * وان ربك لهو العزيز) فى انتقامه ممن كفر (الرحيم) لمن آمن منهم وتاب • انتهى التفسير اللفظى للقسم الأوّل • وههنا لطيفتان

اللطيفة الأولى فى معنى ــ طسم ــ ومعنى ــ كهيعص ــ

هذا مافتح الله به فى فجر يوم الأحد ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٢٨ فى معنى ــ طسم ــ وفى معنى ــ كهيعص ــ ومعنى ــ كهيعص ــ لم يخطر لى إلا فى هذا الصباح ، وذلك أن المقصد من هذه الحروف توجيه النفوس الى المعانى المهمة فى السورة من تعليم وتهذيب ، فترى أن الكاف تشير الى أن تذكر قصة زكريا فى أوّل السورة وأنه دعا الله أن يجعل له وليا يكون نافعا لبنى اسرائيل بعد وفاته فأجيب دعاؤه ، والسبب فى الاجابة أن هذا الدعاء قصد به العموم لا الخصوص ، فليعلم المسلمون أن الانسان لاتتمّ انسانيته إلا بأن يوجه همته للمنافع العامّة كما فى أمر زكريا ، وهذه المعانى استنتجت من هذه القصة لمكان الكاف فى زكريا وفى اذكر ، وأما الكاف فى ربك فكأنه يقول سبحانه ان ربهم هو ربك أيها المسلم فلتفعل مافعلوا فان الله يعينك كما أعانهم وهذا هو المقصد من القصص فان القصص انما يراد للتذكار والقدوة

ومن المحزن والمؤلم أن يمرّ المسلم على هذه الآية وهو غافل عن النبات ، فيا أيها الذكى المطلع على هذا التفسير سألتك بالله الذى أنزل الكتاب وخلق النبات أن تكون مرشدا للساهين لهذا العلم ، فخذ أصدقاءك وأصحابك وادرسه دراسة هذه صورتها « اذهب الى الحقل واقرأ هذه الآية ثم تقدّم الى أنواع النبات وانظر الى تنوّعها واختلافها ، واياك أن تكتفى بالظواهر ، إياك ان تقول أنا آمنت بالله وكفى فهذا قول العامّة بل الايمان بالله يقتضى التغلغل فى النظر الى عجيب اتقان صنعه » فاذا ذهبت الى الحقل رأيت آيات

﴿ الآية الأولى . تنفس النبات ﴾

إن الانسان والحيوان يتنفسان وهكذا النبات يتنفس . إن الانسان يخرج بتنفسه من غاز حامض الكربونيك كل يوم (٢٥٠) جراما من الكربون الصرف ، وعلى ذلك لودام الانسان والحيوان يتنفسان على طول الزمان للزم أن الهواء الجوّى ينفد ويموت الانسان والحيوان بعد زمن وان كان طويلا لأن الاكسوجين الذى يمتصه الجنس البشرى فى السنة الواحدة (١٦٠٫٠٠٠) مليون مترا مكعبا . ويقال ان الحيوانات الباقية تتنفس أربعة أضعافه ، فاذا كان هذا هو الذى يمتصه الحيوان وكان مايخرجه من الفحم بالمقدار المتقدّم بحيث يكون سكان القطر المصرى وحدهم يخرجون من أفواههم فى السنة (٤٠٠٫٠٠٠) طن من الفحم فى السنة ، فاذا تصوّرنا عموم ذلك فى كل حيوان وانسان تصوّرنا كيف يمكن فناء هذه الاحياء بعد حين ولكن انظر الى عجائب الصنعة الإلهية . انظر الى حكمة بديعة وآية غريبة . ذلك أن النبات يحتاج فى تركيبه الى الفحم وذلك الفحم انما يأخذه مما لفظه الحيوان وهو حامض الكربونيك وفيه اكسوجين وكربون أى فحم ، فانظر كيف سار ذلك الحامض الكربونيك من الحيوان الى النبات ودخل فى جسمه وحلل هناك بعملية تحت تأثير الشمس ولفظه النبات الى الجوّ . ألا تتعجب معى كيف تركب الاكسوجين والكربون فى جسم الانسان والحيوان وكيف لفظه الحيوان فدخل فى جسم النبات فتحلل هناك بتأثير الشمس ومتى تحلل خرج الاكسوجين الى الهواء فدخل فى أجسام الناس والحيوان بصفة عملية التنفس . أليست هذه آية من آيات الله وعجائبه . يارب ان الناس غافلون بل ربما يمرّ عالم النبات على هذا وهو غافل عن تركيب هذه الدنيا نعيش ونحن لاندرى أن هناك معامل تحلل لنا حامض الكربونيك وتلك المعامل فى النبات ولاندرى أن لطف الهواء بالاكسوجين والاكسوجين يأتى من النبات ونعيش ولا نعلم أن أنفاسنا تخرج فى الهواء فحما وذلك الفحم يصير فى النبات الذى نلبسه ونوقد به النار ونتغذى به ونتداوى وغير ذلك

﴿ الآية الثانية ﴾

اعلم أن النبات لايتنفس إلا الاكسوجين النافع لنا إلا تحت تأثير الشمس ، ألاترى أنك لو وضعت عشبا ناميا تحت إناء زجاجى يسمونه فى علم الطبيعة (قابلة وضعية) وهذا الاناء بشكل اسطوانى فاذا وضعته مقلوبا وهو مملوء ماء فى إناء فيه ماء بحيث يبقى الماء غامرا العشب فى القابلة وعرضته للشمس فلاتلبث أن ترى فقاقيع غاز صغيرة تظهر على سطوح الأوراق ثم تصعد الى أعلى القابلة وتدفع الماء تحتها ولايزال الغاز يجتمع هناك حتى تمتلئ القابلة منه وهذا هو غاز الاكسوجين الصرف فلوأدخلت فيه شمعة مشتعلة لزادت نورا شديدا وهذا دليل على أن هذا هو الاكسوجين . أما اذا كان ذلك بالليل فان النبات لايتنفس الاكسوجين بل يخرج بالليل حامض الكربون كما يفعل الحيوان لأنه لايستخرج الاكسوجين إلا بتأثير الشمس فاذا نام الناس فى غرفة مقفلة فيها عشرة أعشاب حية فان هواء الغرفة يفسد بتنفسها كما يفسد بتنفس عشرة أشخاص ، واعلم أن تنفس النبات بالليل ليس كثيرا كتنفسه بالنهار فلايلزم من ذلك فساد التناسب بينه و بين الحيوان فى التبادل فافهم

﴿ الآية الثالثة ﴾

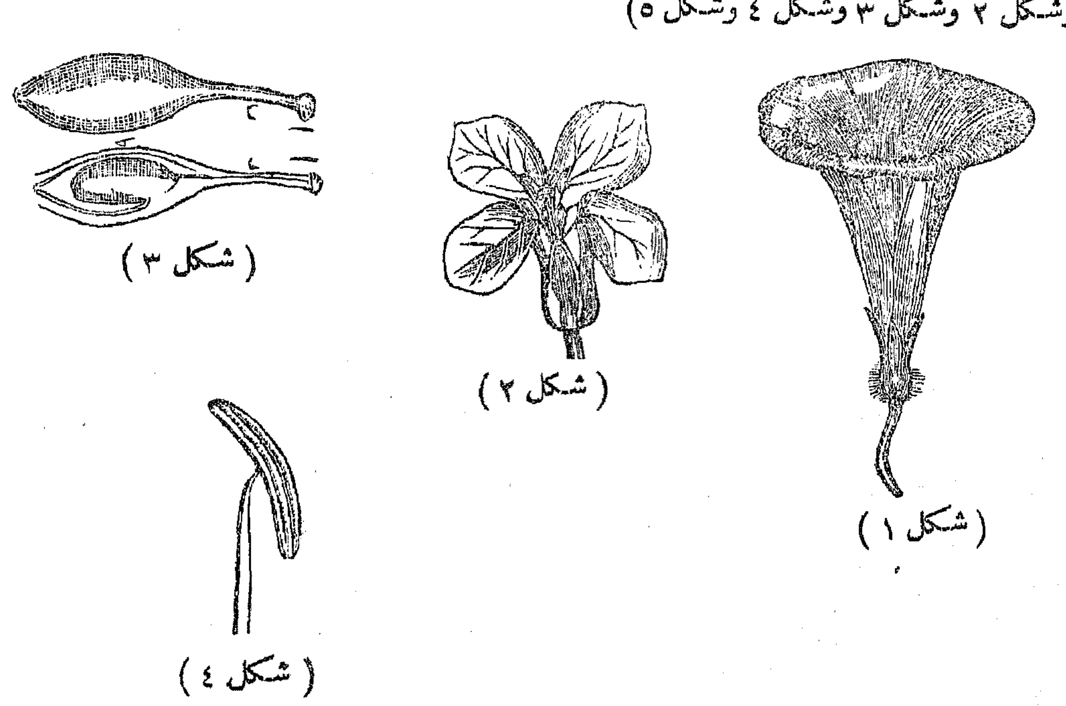
اعلم أن النبات يتصاعد منه بخار كما يتصاعد من البحار والبحيرات ولذلك يقول العلماء انه كلما كثر الشجر

فى

فى بلد زاد المطر لأن البخار يذهب الى الجوّ كما يذهب من البحار ويكون سحابا ، وقد جرّب ذلك الاستاذ (موشتبروك) فى (ليدن) فانه غطى العشب بقابلة من الزجاج باحتراس فرأى على سطوح الأوراق قطرات من الماء وهى المسماة بالندى ، وعلى ذلك استنتج العلماء أن أكثر مايراه الناس على النبات من الندى ليس من السماء وانما هو من البخار المتصاعد من النبات ولذلك وجدوا انه يتصاعد من بعض النبات مضاعف وزنه ماء فى اليوم والليلة ، وهناك نباتات تقدم ذكرها فى هذا التفسير تسمى (نبات الأباريق) تنتهى بأقداح اسطوانية تمتلئ ماء به يسقى الناس و يفاؤن من الهلاك فتعجب من صنع الله تعالى . انظر كيف كانت الشمس مرسلة أشعتها على البحر وعلى النبات فماذا فعلت ؟ أطارت من البحر بخارا فصار سحابا وحللت من النبات اكسوجينا فلطف الجوّ فتنفسنا . فانظر كيف أثارت الشمس البخار من البحر والاكسوجين من النبات فكان المطر لحياتنا والاكسوجين وهو الأهم لتنفسنا ، فياليت شعرى هل للانسان دخل فى تحليل الاكسوجين أو فى صعود الماء بخارا ان الانسان فى الحالين يقول مايقوله المسلم فى الصلاة عند الرفع ﴿ اللهم لامانع لما اعطيت ولامعطى لما منعت ولاراد لما قضيت ولاينفع ذا الجد منك الجد ﴾ . يعيش الانسان ويموت وهو فى جوّ من الاكسوجين حللته الشمس من النبات وفى نعمة النبات والحيوان والماء بسبب خروج البخار من البحر بحرارة الشمس وبخروج البخار من النبات فيرتفع الى أعلى فيصير سحابا وقد تطاير بخاره من النبات الذى هو المخزن البرّى للماء كالبحر

﴿ الآية الرابعة . الزهرة ﴾

قلت لك فى أوّل هذا المقام خذ أصحابك واذهب الى الحقول والزهر والبساتين . قلت لك ذلك ولكن لم أشرح لك شيأ فى الحقل انما ذكرت لك أشياء عامّة ، فهاك ماتدرسه وأنت فى الحقل وبهذه الدراسة درست سورة الشعراء ومقصودها ودرست علوم القرآن ودرست علوم حب الله تعالى ودرست الدين ودرست التوحيد وكنت فى نفس الوقت عابدا . كلا . كلا . فأنت أفضل من ألف عابد لأنك بعد هذا الدرس الآتى ستكون عالما حقيقة مطلعا على آثار جمال الله الظاهر البديع المدهش . انظر معى ألهمك الله العلم وعشقك فى الحكمة وحببك فى لقائه والنظر الى وجهه الذى من مقدّماته دراسة المخلوقات بشوق ولهف وحب (انظر شكل ١ وشكل ٢ وشكل ٣ وشكل ٤ وشكل ٥)



(شكل ٣) (شكل ٢) (شكل ١) (شكل ٤)



(شكل ٥)

انظر الى الشكل الأوّل فان الزهرة قطعة واحدة وتراه فى حقولنا المصرية كثيرا وشكل ٢ ترى فيه الزهرة مفصلة أوراقها ، وفى شكل ٣ ترى عضو الاناث مكوّنا من خيط ينتهى من أعلاه بجسم مفرطح يسمونه السمة وأسفله يسمونه المبيض وهذا المبيض فيه بو يضات صغيرة وهى أصول البذور يتكوّن منها بعد التلقيح الثمر وشكل ٣ عضو الذكور وأعضاء الذكور تكون حول عضو الاناث وهى خيوط صغيرة يعلوها جسم صغير منتفخ يسمى بالانثير أوفيه مسحوق وهو الطلع ووظيفته كوظيفة المنى وقد تتعدّد أعضاء الذكور فى الزهرة حتى اذا فسد بعدها قام الباقى مقامه والذكور حول الأنثى كأنها تحفظها وهذه الذكور تحيط بها أوراق التويج للحفظ وللزينة وأوراق التويج تحيط بها أوراق الكاس لحفظهامن حوادث الجوّ والشكل الخامس هو الشكل الذى رسمناه فى سورة الأنعام ونعيده هنا لزيادة الفائدة ، فالزهرة الكاملة مؤلفة من حافظ لشكلها محيط به ووسط داخل فى ذلك المحيط والمحيط بها مؤلف من طبقتين والأوراق الخضر المسماة بالكاس ، والأوراق الملونة التى فى داخلها المسماة بالتويج وهى ملونة بألوان بهجة تسرّ الناظرين وتسمى أوراق الكأسى بسلا وأوراق التويج بتلا ، والذى هو فى الوسط ﴿قسمان﴾ أعضاء التذكير وهى المسماة بالاسدية جمع سداة والسداة كما رأيت فى الشكل مركبة من خيوط تنتهى بجزء منتفخ فيه طلع وهذا الانتفاخ يسميه النباتيون (الانثير) والذى عليه هو الغبار أوالطلع أوالپلن ، والقسم الثانى أعضاء التأنيث وهى المسماة بالمدقات جمع مدقة كما رأيت فى الرسم وهذه المدقات تنشأ من قاعدة الزهرة وهى المسماة (التخت) وأسفل المدقة يقال له مبيض وأعلاها يسمى السمة ومابينهما يسمى (القلم) ، وقد تقدّم ايضاح هذا فى سورة الأنعام وفى سورة طه

فاذا ذهبت الى الحدائق والحقول فاتقن هذه الأربعة واعرفها فان الكاس والتويج هما الحافظان والأسدية والمدقات هنّ المقصودات بالذات ، فانظر وتعجب ترى المدقات تقوم مقام الاناث فى الحيوان والاسدية تقوم مقام الذكور ولذلك تجد كل أنثى قد عطفت على الذى بجانبها وهو قد انعطف نحوها كما رأيت فى الرسم وكيف يكون التزاوج بينهما ، كيف يكون ذلك وأكثر الناس لا يعلمون ، يقول الله تعالى ــ ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت ــ تناقض واختلال . انظر تجد أن الطلع وهو الغبار المسمى (الپلن) يقع من الانثير على السمة فى أعلى المدقة فيلقح بذورها فى المبيض بأسفل المدقة • إن الپلن المذكور غبار دقيق اذا بحثناه بالآلة المعظمة وجدنا أشكاله هندسية منها الكروى والهرمى والبيضى والمستطيل والمثلث ومنها الأملس والمخطط والشائك واذا أمكنك بحث دقيقة من ذلك الغبار وجعلتها تحت المنظار المعظم وجدتها عبارة عن حويصلة لها غلاف مزدوج وفى جوفها سائل تسبح فيه كريات تعدّ بالملايين سموها (الأحياء الأنثيرية) فالاسدية والمدقات

تجتمع فى زهرة واحدة كما رأيت ويقع الغبار على السمة فيتعلق بأهداب لها هناك ثم ينزل الغبار المذكور وله نتوء يستطيل ويخترق القلم حتى يصل الى أسفل المدقة وهو المبيض وفى هذا المبيض جراثيم البذور فاذا لامسها ذلك النتوء النازل من الطالع تلقحت ونمت وصارت بذرا اذا بلغ وغرس فى الأرض نبت وأثمر . هذا اذا كان فى زهرة واحدة وهى القاعدة العامة وذلك كالورد والبنفسج والآس والرمان والشقيق والدفلة وقد تكون سلاة واحدة ومدقة واحدة فى الزهرة كما فى نبات مائى يسمى (ذنب الفرس) وقد تكون الاسدية على زهرة والمدقة على زهرة أخرى فى النباتة الواحدة وذلك كالخيار واليقطين والكستنه والكوسا والقرع وقثاء الحمار وقد تكون الاسدية على شجرة والمدقة على أخرى كما فى الصنوبر والصفصاف والبطم والتين

﴿ الزهرة الكاملة ﴾

الزهرة الكاملة هى التى لها كأس وتويج وسداة ومدقة كما رأيت وان فقد منها واحد فأكثر فهى غير مستوفية

﴿ الزهرة القانونية ﴾

هى الزهرة التى تشابهت فيها أقسام الكأس والتويج كالخوخ والكرز والاوز وان اختلفت سميت الزهرة غير قانونية مثل (البسلة) و (رأس السمك)

﴿ الزهرة المنتظمة ﴾

هى التى أوراق الكأس والتويج والاسدية فيها على عدد واحد أومضروب عدد واحد . اذا فقدت الزهرة الاسدية والمدقات فهى عقيمة لا يكون لها بزور كبعض الزهور البستانية الزاهرة النمو وكالورد البستانى

اذا فهمت ماذكرته لك عرفت كيف قسموا النبات الى أجناس وأنواع ورتب وفصائل الخ ذلك التقسيم على حسب الزهرة منتظمة وغير منتظمة ، قانونية وغير قانونية ، كاملة وغير كاملة ، وأجزاء التويج وأجزاء الكاس أهى متصلة أم منفصلة ، وهل اتصلت بالصف الذى يليها أم انفصلت عنه ، وماعدد أوراق كل من الكاس والتويج والاسديات والمدقات وما أشبه ذلك ، فبهذا الاختلاف أمكن تقسيم النبات الى أنواع بلغت آلافا وآلافا فتعجب من العلم والحكمة

﴿ زهر العليق ﴾

الزهرة قانونية الكاس خمس قطع متصلة عند قواعدها ، التويج خمس كذلك لكنها متبادلة الوضع مع القطع التى فى الكاس ، الاسدية كثيرة ولكنها موضوعة على التويج والمدقة مؤلفة من عدة جويفات

﴿ الخبازى ﴾

الزهرة قانونية ذات خمس فلوس ، الكاس خمس قطع متصلة ، التويج خمس قطع منفصلة متبادلة مع قطع الكاس الاسدية كثيرة ، المدقة عدة جويفات متصلة وعدة أقلام وعدة سمات مختلفة

﴿ جمال العلم والحكمة ﴾

اعلم أنه قد يقع على السمة الواحدة التى فى أعلى المدقة ألوف الالوف من الغبار الدقيق المنتشر عليها من السداة ، ومعلوم أن الواحدة منها فيها ملايين من مخلوقات سابحة كما قدمنا ومع ذلك هى لا تحتاج إلا الى واحد من ذلك كله ، فهذه كلها أشبه بخطاب جاؤا الى عروس واحدة فتقبل واحدا وترفض الباقين

﴿ الآية الخامسة . اهتزاز النبات عند التلقيح ﴾

قد لاحظ الاستاذ الفسيولوجى (بورداخ) أن النبات يهتز فى أثناء التلقيح اهتزازا خاصا فتنعطف السداة نحو السمة وقد تشاركها هذه فتنعطف نحوها كأنهما تتعانقان ، ثم ان الحرارة تعظم فى أثناء التلقيح وبعض النبات لا تعرف اشتداد حرارته عند التلقيح إلا بمقياس دقيق وبعضها تظهر بالترمومتر المعتاد وبعضها ترتفع وتشتد الحرارة حتى اذا لمست الزهرة شعرت بحرارتها وعجبت كيف لا تحترق الزهرة بهذه الحرارة وذلك كزهرة

النبات المسمى (ارام) بلدان الفرنجة ومنه نوع فى ايطاليا تبلغ حرارته (٦٢) بميزان سنتىكراد وهذا النبات أسديته فى زهرة ومدقته فى زهرة أخرى وكلاهما على شجرة واحدة كالخيار ، ثم ان تلقيح النباتات التى هى مفردة الجنس يكون بالهواء أو بالحشرات كما هو واضح فى هذا التفسير فيما تقدم

﴿ الآية السادسة . النبات يحس ويتحرك ﴾

قد ظهر لك مما تقدم أن فى الحيوان مبدأ الحس ومبدأ الحركة . قال (بيشا) العالم الفيسيولوجى الفرنساوى المتوفى سنة ١٨٠٢ م « إن فى النبات حسا بالسموم فهى تشله والكهربائية تميته ، و بعض النبات اذا سقى الأفيون نام نوما عميقا » وهكذا العلامة (جوبرت) و (مقار) « إن الحامض البروسيك يسم النبات بسرعة كسرعة سم الحيوان به » وايضا يلاحظ الناس أن النبات الحساس ينكمش اذا لمسته مادة مهيجة . وقال (كارودورى) « إنك اذا هيجت أطراف ورق الخس درت بعض عصاراتها ، إن بعض النباتات التى يستنبتها الناس فى القاعات تكون يانعة أثناء النهار ولكنها فى الليل تطبق أزهارها وترخى أغصانها وتنام ، هكذا الستط الحساس متى لامست بعض أوراقه انطبق بعضه على بعض وذبل » فالحس فى هذا النبات تبعته الحركة كما علمت ، وهناك نبات هندى اسمه (دسموديا) اذا أشرقت الشمس عليه تحركت ورقتان فيه بالتقارب والتباعد على الدوام كعقرب الدقائق فى الساعات ، واذا قطعت غصنا منه ظلت أوراقه تتحرك بعد القطع مدة طويلة وربما كان ذلك بضعة أيام ، ومنها (مصيدة الفأر) وهو نبات له غدد اذا وقعت فيها ذبابة انطبقت أهدابها عليها ولسعتها بأشواكها ، فاذا حاولت الذبابة الفرار انقضت الكأس عليها حتى تخمد أنفاسها ، واذا اردت فتح الكأس بيدك عنوة تمزقت ولم تنفتح وانما تنفتح من تلقاء نفسها متى ماتت فريستها

﴿ الآية السابعة ﴾

يشاهد فى كثير من الأزهار أن السداة عضو التذكير والمدقة عضو التأنيث كما فهمت فى زمن اللقاح يهتزان اهتزازا ظاهرا أحدهما نحو الآخر لاتمام اللقاح وقد تنعطف احداهما دون الأخرى و بعض الأزهار المائية تطفو نهارا على سطح الماء فاذا جاء الليل غاصت فى قاع البحر

﴿ الآية الثامنة ﴾

إن العلماء رأوا أن الطلع وهو المسمى (البكن) الذى عرفته فيما تقدم قد يكون له فى بعض النبات أجنحة أو أهداب يسبح بها على الماء أو يطير فى الهواء لاتمام العمل الذى خلق له

﴿ الآية التاسعة . شجر المسافرين ﴾

فى (مداغشكر) شجرة تسمى (شجرة المسافرين) وهذا النوع تحمل كل واحدة منه ٢٤ ورقة وطولها يختلف مابين متر و٨٠ سنتيمترا وقد يكون مترين وخمسين سنتيمترا ، وعرضها من متر الى متر و ٨ سنتيمترات وهى أشبه بمظلات وتحت كل ورقة منه مايشبه القارورة وفيه نحو لتر من الماء الصافى . ويكثر هذا الشجر فى الصحارى وينفع المسافرين أيام القيظ حيث لايوجد ماء فيشق تلك القارورة فينسكب منها الماء الصافى فيروى عطشه ثم يتركها فتعود كما كانت أى يلتحم مكان الشق

﴿ الآية العاشرة وهى الأخيرة . شجرة اللبن ﴾

هذه الشجرة توجد فى بلاد امريكا وأهل المكسيك يستخرجون لبنها . وقد كشف هذه الشجرة (اسكندر همبولت) وقد حلل العلماء لبنها فوجدوه كاللبن الحيوانى وهو أكثر شبها بالقشدة وفيه أيضا مقدار كبير من شمع يشبه شمع العسل وأشاروا بتربية هذا الشجر للانتفاع بشمعه وهذه الشجرة من الفصيلة الدفلية تنبت فى أواسط أمريكا وتبلغ فى الارتفاع ثلاثين مترا وتنمو فى (فنزويلا) حيث تقل الأمطار وقد تمر على الشجرة أشهر لاتصيبها قطرة ماء حتى ترى كأنها ميتة فاذا جرحتها بمدية انسكب منها سائل أبيض كبير الشبه

باللبن رائحته بلسمية خفيفة وطعمه يشبه القشدة المحلاة وهو مغذ يمكن تناوله بكميات كثيرة صباحا ومساء ولا يحصل منه ضرر مطلقا وهو لزج القوام اذا عرّض للهواء غشيته مادّة صفراء متجمدة كالجبن . ثم ان بعض النبات يفرز مادة مثل (سنّ الفيل) . فانظر كيف أخرج النبات سنّ فيل ولبنا وشمعا وهو أيضا يفيء كما تقدم فى سور قبل هذه ويسقى الناس ماء فى الصحراء

أيها الذكى . هذا هو المقصود من قوله تعالى ــ أولم يروا الى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم ــ يقول الله لجميع الناس ومنهم المسلمون لأن هذا القرآن تذكرة لنا معاشر المسلمين أعميتم أيها الناس فلم تنظروا عجائب النبات المذكورة وذلك بعد أن أنذر بقوله ــ إن نشأ ننزّل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين ــ فكأن الله بهذا الكلام يقول للعقلاء إن لم تفكروا فى آياتى وتعقلوها كالآيات التى فى النبات فانى أهلككم كما أهلكت أهل أمريكا الأصليين وكما أهلكت أهل استراليا . فأنا لا أبقى فى ارضى إلا الذين يبحثون فيها عن عجائب صنعى إن نشأ ننزّل عليهم من السماء بلية ولكنا أبقيناهم عسى أن يفكروا فيما خلقنا فيصلحوا لعمارة أرضنا فلانهلكهم . هذا هو مقصود القرآن على مايقتضيه الزمن . ومن العجب أن القسم الثانى من السورة ينحو هذا النحو . ألم تر الى نبأ موسى المذكور فيه كيف كانت محاجة موسى لفرعون على هذا النمط فانه لما سأله مارب العالمين لم يجبه بالعصا ولا باليد وانه قادر على ذلك بل ابتدأ بما ابتدأ به فى أول السورة فقال ــ ربّ السموات والأرض وما بينهما ــ فلما راجعه ــ قال ربكم ورب آبائكم الأوّلين ــ فلما راجعه ــ قال رب المشرق والمغرب ومابينهما ــ فجعل عماد الدعوة راجعا لخلق السموات والأرض وخلق الانسان والمشارق والمغارب التى كانت من نتائج النور ومابينهما من نبات وحيوان وانسان فرجع الأمر الى النظر فى هذا العالم ، فتبين من هذه الأساليب القرآنية أن هذا الدين جهله أهله وسيظهر أمرهم ويعلو شأنهم ويرتقى المسلمون بالعلوم والمعارف والكمال

فمن هذا فليفهم المسلمون قوله تعالى فى (سورة ق) ــ والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج * تبصرة وذكرى لكل عبد منيب * ونزّلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد * والنخل باسقات لها طلع نضيد * رزقا للعباد ــ

فانظر أيها المسلم الذكى كيف قال ــ تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ــ وقال ــ رزقا للعباد ــ فاذا كان المسلمون لايقرؤن هذه العلوم فقد أعرضوا عن التبصرة والذكرى وأعرضوا عن الرزق لأنه قال ــ رزقا للعباد ــ فهما «أمران» علم وغنى ــ ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ــ فههنا اعراض عن الذكر وعن الذكرى فتكون المعيشة ضنكا

أيها الذكى قل للمسلمين هذا كلام ربكم يقول ــ ومن أعرض عن ذكرى فانّ له معيشة ضنكا ــ أى فى الدنيا ــ ونحشره يوم القيامة أعمى قال ربّ لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ــ وآيات الله منها ماذكر هنا وهو اخراج النبات ومافيه من كل زوج كريم والله يقول انه جعله ــ تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ــ وجعله ــ رزقا للعباد ــ فالمعرضون عن هذه العلوم والتحريض عليها أعرضوا عن ذكر ربهم وتكون لهم عيشة ضنكا ، فالعقول خاوية والدور خالية من الثروة وهذا هو الذى حصل للمسلمين اليوم ، فالبصائر نائمة والأمم تريد اقتناصهم لجهلهم وتأخذ أموالهم وهم غافلون لأنهم ليسوا مستبصرين كما أمر ربهم ولم يحافظوا ولم يبحثوا عما خلقه ربهم لهم من الرزق فخلت العقول من العلوم والجيوب والدور من النقود ، فعليك أيها الذكى أن تعلن هذه الآراء للمسلمين بما وهبك الله من قوّة بيان . وكيف يتسنى للمسلم أن يدرك قوله تعالى ــ ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون * ففرّوا الى الله ــ وكيف يتسنى له ذلك إلا اذا درس أمثال ما كتبناه هنا وتفكر فيه فيحسّ بأن دافعا يدفعه

الى ربه مشتاقا الى لقائه أومعرفته كما أحسست فى نفسك وأنت تقرأ هذه الآيات العظم وقد دهشت مما رأيت من عجائب ربك . فمن هنا فليفهم لم قال الله ــ ففرّوا الى الله ــ بعد قوله ــ ومن كل شئ خلقنا زوجين ــ ومن هذا تفهم بعض أسرار القرآن التى عجز عنها كثير من الناس . أوليس من هذا السرّ أن التعبير بالزوجين يرجع الى حال الذكورة والانوثة فى النبات . أوليس هذا هو الذى عليه المعوّل عند علماء النبات فى تقسيمه انظر الى ما كتبه العلامة (لينيو) إذ شاهد أن الزهر فى النبات تميز وفى أقله اما غير متميز بتاتا أومتميز لكن على غير الهيئة التى يميز بها فى أكثر النبات ثم أمعن النظر فى المتميز فترى انه إما خنثى واما ذكر واما أنثى وأن الزهر الخنثى يختلف فى العدد والوضع واجتماع أعضاء التذكير والتأنيث . وأن الزهر سواء أكان ذكرا او انثى إما أن يكون ذا مسكن واحد أومسكنين أوكثير المساكن وعلى ذلك قسم النبات الى (٢٤) رتبة

الأول أحادى أعضاء التذكير . ثنائى أعضاء التذكير . ثلاثى أعضاء التذكير والرباعى والخماسى والسداسى والسباعى والثمانى والتساعى والعشارى وذو أحد عشر عضو تذكير . الثانى عشر أعضاء التذكير فيه زائدة عن (١٩) مندغمة فى التويج . الثالث عشر أعضاء التذكير الزائدة عن (١٩) مندغمة فى أسفل المبيض . الرابع عشر له أربعة أعضاء ذكور اثنان أطول من اثنين . الخامس عشر له ستة أعضاء ذكور أربعة أطول من اثنين السادس عشر أعضاء التذكير المجتمعة حزمة بواسطة خيوط الحشفة . السابع عشر فيه أعضاء الذكور اجتمعت حزمتين بواسطة خيوط الحشفة . الثامن عشر فيه أعضاء الذكور اجتمعت حزما كثيرة بواسطة خيوطها . التاسع عشر فيه أعضاء الذكور اجتمعت حزما بواسطة (الانثيرا) وقد عرفتها فيما تقدّم . العشرون فيه أعضاء التذكير التصقت بعضو التأنيث . الواحد والعشرون فيه أعضاء تذكير وتأنيث وخناثى فى نبات واحد . الثانى والعشرون فيه أعضاء ذكور وأناث فى نباتين . الثالث والعشرون فيه أعضاء ذكور وأناث فى نبات واحد أوأكثر . الرابع والعشرون نباتات خفية أعضاء التناسل

هذه هى الرتب والرتب تنقسم الى أجناس عالية والجنس العالى يشتمل على أجناس والجنس على أنواع

﴿ الحروف الهجائية والزهرة ﴾

أفلست ترى أن الزهرة بما فيها من كاس وتويج وعضو تذكير وعضو تأنيث واتحادها عددا واختلافها وافتراقها واجتماعها وما أشبه ذلك كوّنت رتبا وأجناسا وأنواعا عدها العلماء فبلغت (٣٢٠) ألفا . أليس هذا العدد كله نتج من اختلاف هذه الأعضاء وجودا وعدما وكثرة وقلة واجتماعا وافتراقا على آراء بعض العلماء فأشبهت الزهرة فم الانسان فانه جمع (٢٨) حرفا أو (٢٥) أوأقل وأكثر وبهذه الحروف كوّن لغات فالحروف المعدودة كوّنت لغات والأعضاء المعدودة فى الزهر باختلافها كوّنت رتبا وأجناسا وأنواعا وأصنافا فى النبات ــ فتبارك الله أحسن الخالقين ــ انتهى الكلام على القسم الأوّل من السورة

(الْقِسْمُ الثَّانِى)

وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ * وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ * وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ * قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ * فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ * قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ

الكافرين * قال فعلتها إذا وأنا من الضالين * ففررت منكم لما خفتكم فوهب
لي ربي حكما وجعلني من المرسلين * وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل *
قال فرعون وما رب العالمين * قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين
* قال لمن حوله ألا تستمعون * قال ربكم ورب آبائكم الأولين * قال إن رسولكم
الذي أرسل إليكم لمجنون * قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون *
قال لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين * قال أولو جئتك بشيء مبين *
قال فأت به إن كنت من الصادقين * فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين * ونزع يده
فإذا هي بيضاء للناظرين * قال للملإ حوله إن هذا لساحر عليم * يريد أن يخرجكم
من أرضكم بسحره فماذا تأمرون * قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين *
يأتوك بكل سحار عليم * فجمع السحرة لميقات يوم معلوم * وقيل للناس هل أنتم
مجتمعون * لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين * فلما جاء السحرة قالوا لفرعون
أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين * قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين * قال لهم
موسى ألقوا ما أنتم ملقون * فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن
الغالبون * فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون * فألقي السحرة ساجدين *
قالوا آمنا برب العالمين * رب موسى وهارون * قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه
لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من
خلاف ولأصلبنكم أجمعين * قالوا لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون * إنا نطمع أن يغفر
لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين * وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي إنكم
متبعون * فأرسل فرعون في المدائن حاشرين * إن هؤلاء لشرذمة قليلون * وإنهم
لنا لغائظون * وإنا لجميع حاذرون * فأخرجناهم من جنات وعيون * وكنوز ومقام
كريم * كذلك وأورثناها بني إسرائيل * فأتبعوهم مشرقين * فلما تراءا الجمعان
قال أصحاب موسى إنا لمدركون * قال كلا إن معي ربي سيهدين * فأوحينا إلى موسى
أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم * وأزلفنا ثم الآخرين

* وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

قال تعالى (واذ نادى ربك موسى) أى واذكر وقت ذلك (أن ائت) أى ائت (القوم الظالمين) بكفرهم واستعبادهم بنى اسرائيل واذلالهم ثم أبدل منهم (قوم فرعون) أى فرعون وقومه (ألايتقون) أى ائتهم زاجرا لهم فقد آن لهم أن يتقوا وهذه الجملة مستأنفة للحث والاغراء (قال رب إنى أخاف أن يكذبون) الخوف غم يلحق الانسان لأمر سيقع (ويضيق صدرى) بتكذيبهم إياى معطوف على ـ أخاف ـ (ولا ينطلق لسانى) وذلك للعقدة التى كانت على لسانه (فأرسل الى هرون) ليوازرنى ويعيننى (ولهم علىّ ذنب) أى دعوى ذنب وهو قتله القبطى (فأخاف أن يقتلون) به (قال) تعالى (كلا) أى لن يقتلوك (فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون) سامعون ماتقولون وما يقال لكم (فأتيا فرعون فقولا إنا رسول ربّ العالمين) الرسول يكون بمعنى المرسل فيثنى ويجمع ويكون بمعنى الرسالة كما هنا وهى مصدر يستوى فيه المفرد والمثنى والجمع فهو مصدر وصف به ، ومن هذا المعنى قول الشاعر

لقد كذب الواشون مافهت عندهم * بسرّ ولا أرسلتهم برسول

أى برسالة ، وقوله (أن أرسل معنا بنى اسرائيل) بمعنى أى أرسل لأن معنى الرسول يتضمن الارسال والارسال فيه معنى القول فتكون ـ أن ـ مفسرة ، يقول خل بنى اسرائيل يذهبوا معنا الى فلسطين فأتيا فرعون فقالا أرسل معنا بنى اسرائيل (قال) فرعون جوابا لموسى كيف تنكر نعمتنا عليك ونحن غذيناك وربيناك وعلمناك (ألم نربك فينا وليدا) أى ألم تكن صغيرا فربيناك (ولبثت فينا من عمرك سنين) قيل ثلاثين سنة ثم خرج الى مدين عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله ثلاثين سنة ثم بقى بعد الغرق خمسين (وفعلت فعلتك التى فعلت) يعنى قتل القبطى ، قال ذلك توبيخا له بعد تعداد النعم عليه (وأنت من الكافرين) بنعمتى إذ قتلت أحد خواصى ، وهذا القول من فرعون يتضمن ﴿ أمرين * الأوّل ﴾ المنّ على موسى بالتربية وهو طفل ﴿ الثانى ﴾ توبيخه بأنه كفر نعمته بقتل القبطى فأجاب عن الثانى لأنه أهمّ (قال فعلتها إذن وأنا من الضالين) من الجاهلين أو من المخطئين لأنه لم يتعمد قتله أو من الذاهلين عما يؤول اليه الوكز لأنه أراد به التأديب فجاء القتل خطأ (ففررت منكم) الى مدين (لما خفتكم فوهب لى ربى حكما) حكمة (وجعلنى من المرسلين) فليس ذلك قدحا فى نبوّتى كما يظهر من كلامك . وأجاب عن الأوّل بقوله (وتلك نعمة) أى أوتلك نعمة (تمنها علىّ) وهى (أن عبدت بنى اسرائيل) وتركتنى وحذف همزة الاستفهام هنا كحذفها فى قول عمر بن عبد الله بن ربيعة

لم أنس يوم الرحيل وقفتها * وطرفها من دموعها غرق

وقولها والركاب واقفة * تتركنى هكذا وتنطلق * يقول وهل تلك نعمة تمنها علىّ وهى انك استعبدت بنى اسرائيل وتركتنى فلم تستعبدنى . وكيف تمنّ علىّ بالتربية وقد استعبدت قومى ومن أهين قومه فقد ذلّ فاستعبادك بنى اسرائيل أحبط احسانك الىّ ولولم تستعبدهم ولم تقتل أولادهم لم أرفع اليك حتى تربينى وتكفلنى ولكان لى من أهلى من يربينى ولم يلقونى فى اليم . وهذه الأجوبة الشريفة السديدة يجب أن تكون أجوبة الشرقيين لأهل أوروبا فقد استعبدوا أمراءهم والأمراء يخوّفون الأمم ويذلونهم بما نالوا من المال والجاه على أيدى أهل أوروبا . فليقل كل مسلم للأوروبى الذى له عليه يد كيف تمنّ علىّ وأنت أذللت أممنا ولولا اذلالك لها لم تعطنى تلك النعم . فتلك الخيرات من بلادى ولافضل لك إلا كما تفضل فرعون على

موسى

موسى . إن الله ماقص هذا القصص إلا للاعتبار والاذكار وتفهيم الأمم الاسلامية كيف تكون المحافظة على العشيرة وعلى الأهل . وكيف يقاوم الغاصبون الظالمون . وكيف يجب أن يقلب الناس لهم ظهر المجن اذا أساؤا معاملة الأمم المظلومة وأن ينكروا انعامهم فانما انعام الأمم الغاصبة كانعام المومس ببناء مسجد كما قال الشاعر

بنى مسجدا لله من غير حله * فكان بحمد الله غير موفق

كمطعمة الأيتام من كد فرجها * فويلك لاتزنى ولاتتصدق

ولما سمع فرعون الجواب ورأى أن موسى لم يرعو بما خاطبه به شرع فى الاعتراض على دعواه (قال فرعون ومارب العالمين) أى انك تدعى انك رسول رب العالمين فما هو؟ (قال) موسى مجيبا له (رب السموات والأرض ومابينهما) طلب فرعون الحقيقة والحقيقة ان كانت للأنواع فبالتعريف وان كانت للأفراد فانها بالتحليل والمسؤل عنه هنا لا أجزاء له لأنه غير مركب فلذلك أجاب بأظهر الخواص وهو انه ربى السموات والأرض ومابينهما (إن كنتم موقنين) أى ان كنتم تعرفون الأشياء بالدليل فكفى خلق هذه الأشياء دليلا والايقان هو العلم الذى يستفاد بالاستدلال (قال) فرعون (لمن حوله) من أشراف قومه (ألا تستمعون) معجبا قومه من جوابه يقول ياقوم تعجبوا من موسى سألته عن الحقيقة فأجاب بذكر الأفعال فأجاب موسى مستدلا بما هو أقرب الى أنفسهم وهو التناسل المستمر فى النبات والحيوان والانسان والعجائب التى تقدمت فى القسم الأول وشرحناها بما تقر به أعين أهل العلم وذكرنا ماهو أهمها وما كان القصد الأكبر منها وهو الانسان وأجياله (قال ربكم ورب آبائكم الأولين) ومن نظر فى علم الأجنة وعلوم الأمم وعلوم التشريح وعلوم الطب أدرك نظاما بديعا يدهش العقول . فبقى فرعون فى موقفه يريد الاجابة بالحقيقة لا بالأفعال (قال إن رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون) أسأله عن شئ ويجيبنى عن آخر فأجاب موسى بعجائب الشمس وشروقها وغروبها وانتظام مداراتها وتنوع المشارق والمغارب كل يوم بحيث لايختل لحظة يشير بذلك الى علوم الفلك وجميع العلوم الرياضية كما أشار قبله الى العلوم الطبيعية وبالأول الى العلوم العامة وهى علوم ماوراء الطبيعة ولذلك قال (إن كنتم تعقلون) أى ان كان لكم عقل علمتم أن لاجواب لكم فوق ذلك لأن دراسة العلوم الطبيعية التى كان من أشرف نتائجها خلقكم وخلق آبائكم الأولين ودراسة العلوم الرياضية ومنها الفلكية لمعرفة شروق الشمس وغروبها واستكمال سائر العلوم ونظامها اجمالا بعلم ما وراء المادة . كل ذلك دلالة على أن هنالك إلها صور هذه العوالم كلها وأبدعها وزينها ورتبها وحسبها ونظمها . فلما رأى فرعون ذلك عدل عن البراهين الى استعمال القوة كما فعل الذئب مع الحمل إذ شرب الذئب من ماء النهر والحمل المسكين واقف فى أسفل المجرى فقال له أيها الحمل قد كدرت الماء فقال الحمل أنا فى أسفل المجرى فليس من المعقول أن يجرى الماء اليك بل هو يجرى نحوى من عندك فقال أنت كنت شتمتنى فى العام السابق فقال لم أخلق إذ ذاك فقال لعل أباك أو أخاك هو الذى شتمنى وانقض عليه وأكله

هذه هى الحجج التى يحتج بها الأقوياء فاذا ماضعفت الحجج استعملوا القوة . هكذا هنا فى محاجة فرعون لموسى فانه لما لم تفد الحجج لبس جلد النمر و (قال لئن اتخذت إلها غيرى لأجعلنك من المسجونين) وهذه أيضا عينها ماتفعله الأمم القوية مع الأمم الضعيفة كأهل أوروبا مع المسلمين الذين يريدون الانقضاض عليهم ونهب بلادهم وملكهم وتسخيرهم وقوله — من المسجونين — أل فيها للعهد أى الذين تعهدهم وهم فى أشد حالات الضنك فهذا أشد من قوله لأجعلنك مسجونا فاضطر موسى أن يترك الأدلة العقلية ويذكره بالمعجزات وخوارق العادات (قال أولوجئتك بشئ مبين) أى أتفعل ذلك ولوجئتك بحجة بينة لأحوالكم وزمانكم لأنكم قوم مغرمون بالسحر والمغرم بالسحر منصرف عما عداه من العلوم العقلية لأن السحر صرف النفوس عن الحقائق الى أمور اخترعها الوهم وأبرزها الخيال . فأما الحقائق فانها مستورة محجوبة عن هذه الطائفة

فحجتی من جنس علومکم . واذا کان الله ماأرسل رسولا إلا بلسان قومه هکذا ماأرسل رسولا إلا بحجج من جنس مایزاوله قومه . فتری أمة العرب مغرمة بالبلاغة فجاء القرآن معجزا لهم وکانت الأمم المصریة مغرمة بالسحر فأرسل موسی لهم لیعجزهم فیما هم فیه . ولیست الفصاحة ولا السحر هما الأمران الجوهریان بل هما عرضیان لفضل النبوّات اقتضتهما حال الأقوام الذین أرسل الیهم الرسل والا فالحقائق أولی بالبحث وأجدر بالتنقیب . یقول موسی ألان أهمّتم أمور العلوم العقلیة والنظر الصحیح فی هذه العوالم المشاهدة فدونكم ما اعتدتموه من السحر ونظیره فی سورة البقرة قوله تعالی ـ یا أیها الناس اعبدوا ربکم الذی خلقکم والذین من قبلکم لعلکم تتقون * الذی جعل لکم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لکم فلاتجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون * وان کنتم فی ریب مما نزّلنا علی عبدنا فائتوا بسورة من مثله ـ

فانظر وتعجب من المحاورتین محاورة موسی مع فرعون ومحاورة سیدنا محمد ﷺ مع قومه . فأنت تری موسی یقول الله علی لسانه لما لم یفکر فرعون فی العوالم المحیطة بنا کما تقدم فی هذه الآیات ولم یتذکر السموات والأرض والشروق والغروب وخلقه وخالق الآباء الأوّلین الذین لایعیشون إلا بعالم الطبیعة قال له هنا ـ أولو جئتك بشیء مبین ـ یقول له یافرعون أنت أعرضت عن التفکر بعقلك والرجوع للحقائق بفکرك أفتنصرف عن الحقیقة ولو أتیتك بشیء مقبول عندك لما انصرفت عما یقول سائر العقلاء ألا وهو العالق علیك فی السحر هکذا فی سورة البقرة ذکر الله القوم . ذکرهم الله بخلقهم وخلق آبائهم الأوّلین مثل ماهنا تماما وذکر السماء والأرض کما ذکرا هنا وذکر انزال الماء من السماء وهذا لا یکون إلا بحرارة الشمس التی تغرب وتشرق ولما لم یفدهم ذلك قال لهم ـ فائتوا بسورة من مثله ـ . ألا تتعجب أیها الذکی . ألاتری الی مایرمی الیه القرآن ومایقصد به . ألاتری أن المقامین متشابهان مقام موسی مع فرعون ومقام محمد ﷺ مع قومه . ألاتری أن العلوم الکونیة هی مقصود القرآن وأن البلاغة والسحر لیسا مقصودین . أفلاتری بعد هذا أن الله لما أنزل القرآن جعل المقامین متشابهین . أتدری لماذا ؟ لأنه علم أن المسلمین سیغرمون بقولهم من عرف البلاغة عرف سرّ القرآن وهو المعجزة الوحیدة . نقول نعم معجزة وحیدة عند من هم أهل البلاغة من العرب أومن نحا نحوهم ولکن هذه البلاغة جعلها الله حجة عند طائفة مخصوصة . أما الأمم کلها وأرباب العقول فقد جعل الله الحجة القائمة علیهم هذا النظام البدیع والخلق العجیب . ومن عرف اللغة العربیة وبلاغتها ووقف عند هذا الحدّ فهو مغرور مغفل لأنه قصر القرآن علی مایعرفه العرب الجاهلیون وهذا جهل فاضح فان القرآن باب لفتح العقول وفهم العلوم وادراك أسرار الکون . فاذا وقف البلیغ عند هذا الحدّ فهو نائم ساه بل علیه أن یدخل العلوم من أبوابها وأن یأمر الأمم الاسلامیة بمعرفة سائر العلوم لأن القرآن هو بابها . ولعمری ما البلاغة إلا حلیة الکلام فأین حلیة العقول إذن ؟ حلیة العقول هی العلوم ، إن فی مثل هذا المقام یظهر اعجاز القرآن . یذکر السحر وابطاله بعد الیأس من فهم العوالم المحیطة بنا ، ویذکر البلاغة بعد الیأس من التعقل إذ یقول ـ وان کنتم فی ریب مما نزّلنا علی عبدنا فائتوا بسورة من مثله ـ

بمثل هذا فلیدرس القرآن ، وبمثل هذا فلیستیقظ المسلمون والا فانی أنذرهم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فلیقرؤا العلوم فقد أوضح القرآن مناهجها وأبان طرقها وأظهر مسالکها وبین أن الکلام علی البلاغة وعلی السحر بعد الیأس من فهم المعقولات الکونیة فقال الله هنا (قال) فرعون مجیبا لموسی (فأت به إن کنت من الصادقین) فی أن لك بینة فان من یدعی النبوّة لابد له من حجة (فألقی عصاه فاذا هی ثعبان مبین) أی ظاهر ثعبانیته * یقال انها لما صارت حیة ارتفعت فی السماء قدر میل ثم انحطت مقبلة الی فرعون فقال بالذی أرسلك الا أخذتها فأخذها موسی فعادت عصا کما کانت فقال وهل غیرها قال نعم وأراه یده ثم أدخلها فی جیبه ثم أخرجها فاذا هی بیضاء من غیر برص لها شعاع کشعاع الشمس (ونزع یده فاذا هی بیضاء للناظرین)

حينئذ (قال) فرعون (للملإ) حال كونهم مستقرين (حوله) ومقول القول (إن هذا لساحر عليم) فائق فى علم السحر (يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون ؟) وهـذا التعبير الذى أفاد أن فرعون مع ادّعائه الربوبية قد تشاورمع قومه ، يقصد منه فى القرآن أن الشورى يجب أن تكون فى الاسلام لأنه اذا قال الله لنبيه ﷺ - وشاورهم فى الأمر - وزاد على ذلك أن فرعون مع ادّعائه الالوهيـة تشاورمع قومه فان ذلك دلالة واضحة أن الشورى أمرها جليـل عظيم وأن الأمم الكافرة لما جعلت الشورى فى أعمالها دام ملكها أمدا طويلا كما نرى من الآثار المدهشة لقدماء المصريين الدالة على ملك عظيم دام آلافا وآلافا من السنين . فالشورى إذن أمرها عظيم فلما شاورهم (قالوا أرجه وأخاه) أى أخر أمرهما ولاتباغتهما بالقتل خيفة الفتنة (وابعث فى المدائن حاشرين) شرطا يحشرون السحرة (يأتوك بكل سحار عليم) والتعبير بالسحار ليبينوا له انهم أقوى من موسى فى سحرهم (فجمع السحرة لميقات يوم معلوم) لما وقت به من ساعات يوم معين وهو وقت الضحى من يوم الزينة (وقيـل للناس هل أنتم مجتمعون) هذه الجملة تفيد الاستبطاء والحثّ على الاسراع كما قال تأبط شرا

هل أنت باعث دينار لحاجتنا * أوعبد رب أخا عون بن مخراق

أى ابعث أحدهما الينا سريعا . ثم قال (لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين) لعلنا نتبعهم فى دينهم ان غلبوا . ومعلوم انهم على دينهم فذكروا اتباعهم على سبيل الكناية يقصد بها انهم لايتبعون موسى والا فهم فى ذلك الوقت على دين المصريين ومنهم السحرة فكيف يتبعونهم من جديد (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئنّ لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين * قال نعم وانكم إذن لمن المقرّبين * قل لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون) وذلك بعد أن قالوا له إما أن تلقى واما أن نكون نحن الملقين (فألقوا حبالهـم وعصيهم) المدهونة بالزئبق الذى تفرّقه حرارة الشمس فيتطاير . ويقال ان الحبال كانت فوق سبعين ألفا وكذا العصى (وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون) وهذا القسم مبنى على اعتقادهم فى انفسهم ولأنهم أتوا بأقصى مالديهم من السحر (فألقى موسى عصاه فاذا هى تلقف) تبتلع (مايأفكون) مايقلبونه عن وجهه بالتمويه والتزوير حتى انهم جعلوا الناس يتخيلون العصى والحبال حيات تسعى (فألقى السحرة ساجدين) لأنهم علموا أن هذا منتهى التخييل السحرى . ولما ابتلعت الحية مازوّروه ايقنوا ان هـذا فوق العلوم فآمنوا وخروا ساجدين لأنهم علموا أن هذه قوّة فوق قوّة الناس وليس فوق الناس إلا الله وهوالذى ارسل موسى ومقتضى اللغة ان يقال خروا ساجدين ولكن عبر بالالقاء أوّلا للمشاكلة وليدل على انهم لم يتمالكوا أنفسهم من الدهشة العلمية فكأنهم أخذوا فطرحوا وهذه أعجب ما يكون من جهة البلاغة اللسانية ثم أبدل من قوله - فألقى السحرة ساجدين - قوله (قالوا آمنا برب العالمين * رب موسى وهرون) وذلك اشعارمنهم بعزل فرعون عن الربوبية وبأن سبب الايمان ماأجراه الله على يدى موسى وهرون (قال آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذى علمكم السحر) فعلمكم شيأ دون شئ أوتواطأ معكم ، وانما كان ذلك من فرعون ليلبس على قومه (فلسوف تعلمون) وبال مافعلتم ثم بين ذلك الوبال فقال (لأقطعنّ أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين * قالوا لاضير) لاضررعلينا فى ذلك فى الدنيا (إنا الى ربنا منقلبون) أى لأنا ننقلب أى نصير الى ربنا فى الآخرة مؤمنين مؤملين غفرانه وهو قوله تعالى (إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا) أى لأن كنا (أوّل المؤمنين) من أتباع فرعون (وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادى إنكم متبعون) أى يتبعكم فرعون وقومه ليحولوا بينكم وبين الخروج اى أسر بهـم حتى اذا اتبعوكم مصبحين كان لكم تقدّم عليهم بحيث لايدركونكم قبل وصولكم الى البحر بل يكونون على اثركم حين تلجون البحر فيدخلون مدخلكم فأطبقه عليهم فأغرقهم . وجاء فى التوراة فى سفر الخروج فى الاصحاح الحادى عشر أن الرب أمر أن يطلب كل رجل من صاحبه وكل

امرأة من صاحبتها أمتعة ذهب وأمتعة فضة وأن الله سيميت كل بكر فى أرض مصر من الانسان والحيوان وأمرهم أن يذبح كل أهل بيت شاة يوم الرابع عشر من شهر الخروج ويلطخون القائمتين والعتبة العليا من الدار ويأكلون اللحم تلك الليلة مشويا بالنار مع فطير وأمرهم أن يأكلوه بعجلة ويأكلون الرأس مع الأكارع والجوف . هذا هو المسمى « فصح الرب » وهذا الدم علامة على بيوت بنى اسرائيل حتى يحفظ كل بكر من بنى اسرائيل ويتخطاهم الموت الى أبكار المصريين ويكون أكل الفطير سبعة ايام ويكون هذا فريضة أبدية تذكارا بالخروج من مصر من يوم (١٤) الى (٢١) من الشهر كل سنة . وهكذا امر موسى قومه بذلك ففعلوا كل هذا ونجا أولادهم وصار ذلك سنة أبدية . ولما مات الأبكار من الانسان والحيوان فى جميع بلاد مصر نصف الليل اشتغل الناس بالأموات وبنو اسرائيل أخذوا غنمهم وبقرهم وأخذوا عجينهم قبل أن يختمر ومعاجنهم مصرورة فى ثيابهم على أكتافهم وفعل بنو اسرائيل ما أمرهم الرب وارتحل بنو اسرائيل من رعمسيس الى سكوت ستمائة ألف ماش من الرجال ماعدا الأولاد وخبزوا العجين الذى اخرجوه من مصر خبز ملة فطيرا . وكانت اقامة بنى اسرائيل فى مصر (٤٣٠) سنة فهذه الليلة هى عيد الفصح الى الأبد . وكان الخروج فى شهر ابيب . فهذه سبعة أيام يؤكل فيها الفطير تذكارا لخروج بنى اسرائيل من مصر (فأرسل فرعون) حين اخبر بسراهم (فى المدائن حاشرين) وهم الشرط يحشرون الجيش ليتبعهم قال (إن هؤلاء لشرذمة قليلون) لأنهم ستمائة ألف وهم قليلون بالنسبة لجيوشه (وانهم لنا لغائظون) لفاعلون مايغيظنا (وانا لجميع حاذرون) اوحذرون من عادتنا الحذر واستعمال الحزم فى الامور (فأخرجناهم) اى خلقنا فيهم داعية الخروج بهذا السبب فحملتهم عليه (من جنات وعيون * وكنوز ومقام كريم) وهى المنازل الحسنة والمجالس الجميلة (كذلك) مثل ذلك الاخراج أخرجناهم (وأورثناها) أى اورثنا جنسها أى جنس الجنات والعيون والكنوز والمقام الكريم (بنى اسرائيل) وهى أرض المعاد التى هم سائرون اليها . يقول الله كما حملنا المصريين على الخروج من هذا النعيم حملنا بنى اسرائيل أن يرثوا نظيره فى ارض المعاد فساروا ليلا (فأتبعوهم) أى لحق فرعون وقومه موسى وأصحابه (مشرقين) وقت شروق الشمس ليصلوا الى ما أعدّ لهم من أرض الموعد (فلما تراء الجمعان) بحيث رأى كل منهما الآخر (قال أصحاب موسى إنا لمدركون) للحقون (قال كلا) لن يدركوكم فان الله وعدكم الخلاص منهم (إن معى ربى سيهدين) طريق النجاة منهم (فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر) القلزم (فانفلق) أى فضرب فانفلق وصار اثنى عشر فرقا بينها مسالك (فكان كل فرق كالطود العظيم) كالجبل المنيف الثابت فى مقرّه فدخلوا فى شعابها كل سبط فى شعب (وازلفنا) وقرّبنا (ثم الآخرين) فرعون وقومه حتى دخلوا على أثرهم مداخلهم (وأنجينا موسى ومن معه أجمعين) بحفظ البحر على الهيئة المذكورة الى أن عبروا (ثم أغرقنا الآخرين) باطباقه عليهم (إن فى ذلك لآية) لعبرة عجيبة لاتوصف (وما كان أكثرهم مؤمنين) فلا القبط الباقون فى مصر آمنوا بها ولا بنو اسرائيل فانهم بعد مانجوا عبدوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولم يؤمن إلا القليل ، فكما لم يكن أكثر العرب مؤمنين وقد رأوا مافى الأرض من النبات فى القسم الأوّل هكذا هؤلاء لم يؤمنوا بالمعجزة التى وقعت على يد موسى وهو انفلاق البحر ، فهذا تبين أن الالتجاء الى خوارق العادات لايفيد إلا أولى العلم كسحرة فرعون فرجع الأمر الى أن الايمان النافع انما يكون للعلماء كعلماء الطبيعة والفلك والنبات وعلماء السحر وهم المتبحرون فيه لأنهم لم يخرجوا عن تبحرهم فى أسرار الطبيعة فأصبح الأمر راجعا الى قوله تعالى ـ شهد الله أنه لاإله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط ـ فأما الذين يقلدون أو يظنون أن خوارق العادات كافية فهم غافلون (وان ربك لهو العزيز) المنتقم من أعدائه (الرحيم) بأوليائه . انتهى التفسير اللفظى للقسم الثانى من السورة . وههنا خمس لطائف

(١) فى قوله تعالى ـ ألم نربك فينا وليدا ـ

(٢) وفى قوله تعالى — قال فعلتها إذن وانا من الضالين —

(٣) وفى قوله تعالى — وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بنى اسرائيل —

(٤) وفى قوله تعالى — إن هذا لساحر عليم —

(٥) وفى قوله تعالى — فأخرجناهم من جنات وعيون — ولأقدم قبل هذه اللطيفة جوهرة فى قصص القرآن

﴿ جوهرة فى قصص القرآن من كلام الامام الشافعى رضى الله عنه ومن كلام علماء العصر الحاضر ﴾

(١) مايقوله الامام الشافعى فى قصص القرآن

جاء فى الإحياء فى الجزء الأوّل صفحة ٢٣ مانصه ﴿ روى أن عبد القاهر بن عبدالعزيز كان رجلا صالحا ورعا وكان يسأل الشافعى رضى الله عنه عن مسائل فى الورع والشافعى رحمه الله يقبل عليه لورعه وقال للشافعى يوما أيما أفضل الصبر أو المحنة أو التمكين فقال الشافعى رضى الله عنه التمكين درجة الأنبياء ولا يكون التمكين إلا بعد المحنة فاذا امتحن صبر واذا صبر مكن ، ألاترى أن الله عزّ وجل امتحن ابراهيم عليه السلام ثم مكنه وامتحن موسى عليه السلام ثم مكنه ، وامتحن أيوب عليه السلام ثم مكنه ، وامتحن سليمان عليه السلام ثم مكنه وآتاه ملكا عظيما والتمكين أفضل الدرجات ، قال الله عزّ وجل — وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض — وأيوب عليه السلام بعد المحنة العظيمة مكن قال الله تعالى — وآتيناه أهله ومثلهم معهم — الآية . فهذا كلام الشافعى رحمه الله يدل على تبحره فى أسرار القرآن واطلاعه على مقامات السائرين الى الله تعالى من الأنبياء وكل ذلك من علوم الآخرة * وقيل للشافعى رحمه الله تعالى متى يكون الرجل عالما قال اذا تحقق فى علم فعلمه وتعرّض لسائر العلوم فنظر فيما فاته فيها فعندذلك يكون عالما فانه قيل لجالينوس انك تأمر للداء الواحد بالأدوية الكثيرة المجتمعة فقال انما المقصود منها واحد وانما يجعل معه غيره لتسكن حدّته لان الافراد قاتل . فهذا وأمثاله ممالايحصى يدل على رتبته فى معرفة الله تعالى وعلوم الآخرة ﴾ انتهى بالحرف من الاحياء للامام الغزالى

أقول ان الشدة خير مهذب للنفوس فانظر ماجاء فى كتاب تيسير الوصول لجامع الاصول ﴿ عن أبى هريرة قال خرج رسول الله ﷺ الى المسجد فوجد أبا بكر وعمر رضى الله عنهما فسألهما عن خروجهما فقالا اخرجنا الجوع فقال وما أخرجنى إلا الجوع فذهبوا الى أبى الهيثم بن التيهان فأمرهم بشعير فعمل وقام الى شاة فذبحها واستعذب لهم ماء [1] معلقا عندهم فى نخلة ثم أتوا بالطعام فأكلوا وشربوا من ذلك الماء فقال ﷺ لتسألن عن نعيم هذا اليوم ﴾ اخرجه مسلم ومالك والترمذى

وعن علىّ رضى الله عنه قال ﴿ بينما نحن جلوس مع رسول الله ﷺ اذ طلع علينا مصعب بن عمير رضى الله عنه ماعليه إلا بردة مرقعة بفرو فلما رآه ﷺ بكى للذى كان فيه من النعمة ثم قال كيف بكم اذا غدا احدكم فى حلة وراح فى حلة أخرى ووضعت بين يديه صحفة ورفعت أخرى وسترتم بيوتكم كما تستر الكعبة قالوا يارسول الله نحن يومئذ خير منا اليوم نكفى المؤنة ونتفرّغ للعبادة فقال بل أنتم اليوم خير منكم يومئذ ﴾ أخرجه الترمذى

فاعجب لهذا الحديث الصحيح الذى أماط اللثام عن حال المسلمين فى جميع العصور فانهم لما مالوا للمال والدعة والترف حرمهم الله الملك ولما كانوا هداة للأمم نافعين لها مكنهم الله فى الأرض وهذه قاعدة عامّة فاذا رأيت الله عزوجل يذكر قصص القرآن فاعلم انها رمز الى أمثال هذا ، وترى قابس اليونانى المتقدّم ذكره فى (سورة البقرة) عند آية — و بشر الصابرين — يقول ان السعادة لا تكون إلا بعد معاناة الشقاء والصبر فى هذه الدنيا وكذلك مايقوله عالم آخر فى كتاب ﴿ الكوخ الهندى ﴾

أقول وانما نقلت هذا ليكون نصب أعين أولى العلم عند قراءة قصص القرآن ، فهذه القصص نموذج لما يفعله الله عزوجل بالمصلحين فى الأمم الاسلامية فهو يبتلى بالمحنة ثم يلهم الصبر ثم يعطيهم التمكين وقليل من

(١) استعذب لهم ماء أى استقى لهم ماء عذبا

الناس من يوفق للتمكين . ان قصص الأنبياء اذا لم تلاحظ فيها هذه الآراء والمعاني لم تؤثر في العقول ولم تهذب النفوس ولم تعط فكرة ، فمن هذا الباب فليلج المسلمون ومنه فليدخلوا لاصلاح النفوس ومداواة عللها وأسقامها واذن يكونون خير أمة أخرجت للناس

(٣) مايقوله علماء العصر الحاضر في علم التاريخ ، فهاك ماجاء في بعض المجلات العلمية للكاتب (جون مادوكس) دكتور في الفلسفة من جامعة (بال) بأمريكا وها هوذا

سمع أحد علماء الرياضة أديبا كبيرا يتلو قصيدة (ملتون) الخالدة وهي (النعيم المفقود) بصوت مرتفع ولم يكد تاليها يفرغ من انشادها حتى سأل العالم الرياضي من حوله ؟ أي شئ تجدي هذه القصيدة في عالم الحقائق ولما أخفق في الحصول على جواب يخلق في نفسه الاقتناع صرح بأن الشعر لاجدوى منه و بالتالي هو منتوج لاقيمة له . ولاريب في أن عقيدة العالم الرياضي في الشعر وهي عقيدة المعارضة أشبه بعقيدة رجل الاعمال في التاريخ إذ يرى ثانيهما أن قارئ أية قطعة تاريخية عما عمل الانسان في ماضي الحقب لايخرج منها مهما كانت متسقة الأسلوب بأية قاعدة علمية معينة يستطيع بها أن يشيد جسرا بل ولايحصل منها على أية فائدة تجديه في مشروعاته العلمية ، وسرعان مايصرح مؤكدا أن دراسة التاريخ لاتؤدي بصاحبها الى أي غرض نافع وأن الوقت المبذول فيها ضائع هباء . وبديهي أن اثبات القيمة العملية من قراءة التاريخ يتوقف طبعا على تفسير كلمة (عملي) فان كان معناها لايفيد إلا الدنانير والدراهم والاستيلاء على الاكداس منها فيجب أن يتقرر في الأذهان أن دراسة التاريخ لاتعلم الانسان تعلما مباشرا كيف يحصل على المال . واذا كان في معنى كلمة عملي مايدل على شئ آخر غير التنقيب عن الذهب فقد اختلف الحال عن سابقتها . أما اذا أفاد معناها إثارة جهود الانسان للعمل مندفعا اليه بتأثير مثل من الأمثلة السابقة النبيلة ، اوأن يكون معناها توسيع نظرات الانسان الى الحياة اوتدريبه على واجبه منها بأدق الوسائل وأتقنها أوترقية مستوى معلوماته . اذا كان هذا فان قراءة التاريخ أعلى قيمة وأجدى على الأذهان من أية دراسة أخرى . وبديهي أنني حين أحبذ دراسة التاريخ فانني اقصد بهذا تحبيذ التاريخ المسطور حديثا بدقة علمية ذلك لأن الاطلاع عليه يشفي مواضع الدهشة منا فيما يختص بالماضي ولولا أن انسانا في العصور البائدة قد سبق في الطريق المؤدي الى تحقيق مايدور بخاطره من الاطماع ومايتلهف الى ادراكه منها لبقينا الى اليوم على حالتنا الهمجية الأولى نعيش في المغاور ونرتدي الثياب المتخذة من جلود الحيوان وحينما صار أجدادنا على اهتمام بايجاد أحسن الوسائل لأداء الأعمال وثارت في نفوسهم عوامل الرغبة في الوقوف على ما ابتكرته الشعوب الأخرى من الطرق لتأدية تلك الأعمال نفسها لعب التقدم دوره الحقيقي في عمران الحياة . إن في دراسة التاريخ منظارا لاغنية لنا عنه لنفهم العصر الذي نعيش فيه ولنتمكن بواسطته من التفريق مابين العناصر الأولية في الحياة اليومية و بين تلك العوامل العارضة الزائلة ، واذا عرفنا التاريخ معرفة وثيقة فاننا نصبح كما يقول الكاتب الانجليزي (مورلي) أشبه كل الشبه بالطائر الذي يحلق في أعلى طبقات الجو كيما يستطيع أن يرى سلسلة من الجزائر بحيث تكون نظرته اليها كأنها أجزاء من سلسلة جبال واحدة قد طغت عليها الأمواه وليست كأنها قطع منفصلة كل الانفصال عن اليابسة . واذا قارنا الحاضر بالماضي فسرعان مانجد أن العصر الحالي يفوق سابقه في النواحي المادية والعقلية والأدبية فقد زالت العبودية والرق وأخذت قوة الرجال الجسمية والعقلية في قوامتهم على النساء تقل وتتناقص بينما قد اتسع نطاق الشعور بمساعدة الضعفاء والعطف عليهم وسرت روح العدالة والرحمة بين كل شعب بل و بين الشعوب قاطبة بعد أن كانت لا تتجاوز قلوب الأفراد في الأسرة أوالقبيلة الواحدة فكيف نستطيع وقد نفهم نواحي التقدم في هذه الحالات ؟ لايتسنى لنا ذلك إلا بدراسة الماضي الذي تمخض عنها

لقد كان (فون سيبل) السياسي الألماني والمؤرخ المحقق قبل الحرب السبعينية يقول دائما في الكلام عن

الشؤن

الشؤن السياسية ، إن من يعرف « من أين » لابد أن يعرف « الى أين » ولا ريب فى أن الساسة غير الواقفين على حقائق الامور يرتكبون الأغلاط دائما لأنهم لايعرفون ماذا أحدث فى الماضى تلك الخطط السياسية التى ينتهجونها فى حاضرهم

إن دراسة التاريخ تزوّدنا بالمعلومات الضرورية للحصول على فهم صحيح عن الجماعات الانسانية العامّة . ولا سبيل الى أن نقف على منشأ أوضاع حكوماتنا ولغاتنا أومصدرحبنا للحرّية وأفكارنا ومبادئنا الأدبية إلا بقراءتنا للتاريخ و بغيره لانفقه شيأ من كل هذا وهوتراثنا النفيس فى عصرنا الحالى بل ان التاريخ ليمدّنا بالوسائل التى نستطيع بها التكهن عن المستقبل والتأهب لملاقاة الأيام ، ولأضرب لذلك مثلا بحادث وقع على مشهد منى أيام الحرب العالمية فقد تساءل ذات يوم أحد الجنود قائلا ؟ ماذا سيكون مصير أمبراطور ألمانيا فى نهاية هذه الحرب هل حقا سيشنق ؟ ألقى الجندى هذا السؤال وأردفه بالصمت برهة عرض فيها لذاكرته حوادث الماضى ثم قال كلا . انه لايشنق ولكن سينفى و بذلك يحال بينه و بين جلب الأذى والأخطار على العالم مرة أخرى ، مثله مثل نابليون بونابرت فى خاتمة أيامه . وبديهى أن هذا الجندى ليس على موهبة التنبؤ ولولا درايته بالتاريخ وماوقع فيما مضى من أمثال هذه الظروف والحالات لما تسنت له هذه المقارنة التى تضمنتها اجابة على نفس سؤاله . إن الدراية بالماضى وماوقع فيه ذات جدوى عظيمة ليست فى معاونتها إيانا على حلّ المسائل العامّة الأهمية فحسب ولكنها أيضا تعاون الأفراد على معالجة شؤنهم الخاصة وأن الذين يحطمون سفن آمالهم حيث طاحت آمال غيرهم من قبل لايلومون إلا أنفسهم فقد كان واجبا عليهم محتوما أن يدرسوا تجارب سواهم من الرجال ، والتاريخ لايعيد نفسه ألبتة إعادة دقيقة إذ أن العوامل لن تكون هى نفسها فى كل زمان ومكان و بذلك لا يكون تحليلها دقيقا ، ومتى ثبت هذا تجلت قيمة المقارنة مابين الحاضر بحوادثه و بين الماضى وماتم فيه . وأزيد من هذا أن دراسة التاريخ تبعث من نفوسنا الهمة على أداء واجباتنا التى أنيطت بنا فان الأمثلة السامية التى نقتبسها مما فعل الأبطال فى الماضى تولد النشاط لدى الناهضين بأعباء الحاضر . ولاريب فى أن مافعل (ليونيداس) ومواطنوه الاسبارتيون من أجل اليونان فى مضيق (ثرمبولى) لابد وأن يحفظ على كل وطنى شجاعته فى الدفاع عن وطنه بل ويكون بمثابة المحرّك لأعصاب ذراعه بينما أن وقوفنا على كيفية نهوض الرومانيين وتفوّقهم فى الانتصارات التى لم يسبق لها مثيل على يدى (هانيبال) . كل هذا يلهب حماسة الذائدين عن أوطانهم الى النهاية . يجب أن ندرس التاريخ فاذا مااستوعبناه ووقفنا على خفاياه امتلأت أذهاننا بصور جمة عن الغرائز والصفات و بمناظر يتجسم فيها مصير الأفراد والجماعات بل والأمم و بالأفكار العظيمة عن النظام الاجتماعى وارتقائه و بذلك نشعر بأنفسنا وقد كبرت و بعقولنا وقد اتسع نطاقها . ويقول (اللورد بيكون) اقتباسا عن أحد مؤرخى اليونان ﴿ إن التاريخ فلسفة تعلمنا بالأمثلة بل ان مثله مثل كل علم جليل القيمة اذا درسناه بدقة ونظام خلق فينا ذاكرة يسهل عليها الرجوع الى الحوادث مهما يبعد بيننا و بينها الأمد وعينا دقيقة الملاحظة وقدرة على تفهم العلاقات بين الأسباب والنتائج . انتهت الجوهرة

﴿ اللطيفة الأولى والثالثة ــ ألم نربك فينا وليدا ــ الى قوله ــ وتلك نعمة تمنها علىّ أن عبدت بنى اسرائيل ــ ﴾

اعلم أن هذا القول قصه الله علينا ليعلمنا كيف تكون المحافظة على الأوطان وحب الاخوان فان فرعون لما منّ على موسى بأنه رباه قال موسى كيف تمنّ علىّ بذلك وأنت لولا استعبادك لنا ماتسنى لك ذلك ، وقد وضح هذا المقال فى تفسير الآية وانما جعلتها لطيفة ليتفكر فيها الأذكياء

﴿ اللطيفة الثانية فى قوله تعالى ــ قال فعلتها إذن وأنا من الضالين ــ ﴾

اعلم أن موسى عليه السلام لم يعقه ما اتفق له من قتل القبطى خطأ عن المضى فى الأعمال النافعة وانما جاء ذلك القصص لنا لنضرب الذكر صفحا عما مضى من الأعمال ونتجه الى أعمالنا العالية الشريفة ولانجعل

ما اتفق لنا من الخطأ بحسب مايظنه الناس عائقا عن الأعمال النافعة ، فليجد المسلم فى عمله وليقم بما وجب عليه وليتذكر أن سيدنا موسى عليه السلام لما وكز القبطى فمات لم يعقه ذلك عن ترقية بنى اسرائيل واسعادهم

﴿ اللطيفة الرابعة . السحر عند الفراعنة ﴾

لقد ذكرت هذه القصة فى القرآن مرارا وتكرارا وفيها ذكر السحر عند قدماء المصريين وفيها أن البحر انفلق لموسى فلأسمعك ماجاء عن قدماء المصريين من السحر لتطلع على عقائدهم وآرائهم ولتعلم أن قصة موسى وفرعون وراءها من الأخبار كل عجيب وغريب ، لأنقل لك ماوجد على ورق البردى وفى الآثار المكتوبة على الأحجار لتعجب من الأمم ومن علوم الأوائل ولتعلم أن الله عز وجل له فى الأمم عجائب وغرائب * قال المرحوم أحمد باشا كمال ماملخصه ﴿ قد كان السحر له تأثير غريب قبل اليوم بخمسة آلاف سنة ولم يكن لطبيب أن يداوى بالعقاقير إلا بعد أن يداوى بالعزائم السحرية ، فالعزيمة مقدمة على الدواء المادّى ، وقد ذكر حادثة فى الأسرة التاسعة عشرة وهى أن فتاة ابنة ملك (بختن) قل والعلها ببغداد طلب أبوها من رمسيس الثانى أن يرسل لها أحد المعبودات المصرية فأرسل لها المعبود (خونسو) فوصل خونسو الى الملك وطلب منه أن يخرج العفريت من ابنته المسماة (بنت رشت) فأخرج الجنى وهذا الجنى شرط قبل خروجه أن يصنعوا له مهرجانا لوداعه فأجابوه لذلك وجعلوا له يوما عظيما مشهورا فأحبّ الملك أن يبقى المعبود المصرى عنده دائما ولكن بعد مدة مرض وحار الأطباء فى أمره حفا له (خونسو) ليلا كأنه باشق من ذهب وألح عليه أن يردّه الى بلده فلما طلع النهار أرجعه الى بلده فشفى من مرضه ﴾

(١) وكانوا يعتقدون أن الجنّ تشفى من الدودة الوحيدة ومن رمد العين والالتهاب وغيره ، وقد دوّنوا فى رسائل الطب كيفية اخراج الجانّ المؤذية وطردهم الى أسفل سافلين لينجوا من أذاهم ، وذكر رحمه الله عزيمتين اشتهرتا بحسن الاجابة والقبول وكان الأطباء يتلونهما على كل مرض ولشهرتهما صدروا بهما ورقة (ابيروس الطبية) وهاك ترجمة العزيمة الأولى وهى تكرر بالدقة مرارا متى وضعت الأدوية على أى عضو مريض لكى يزول عنه سبب المرض والعين اذا كان استعمال العلاج من الظاهر ، وأنا رأيت ألا أذكرها بنصها لعدم فائدتها ، وانما أقول ان ملخصها يرجع الى الاستغاثة بالالهة (أشوريس) التى خلصت (حوريس) من الأشياء الرديئة التى فعلها أخوه (ست) حين قتل أباه (اسوريس) والاستغاثة أيضا بالالهة (اسيس) المعبودة الكبيرة يستغيث بها أن تخلصه من معبود الآلام ومن معبودة الآلام ومن الموت ومن الموتة ومن المصرع والمصرعة . ويقول ياشمس تكلمى بلسانك (ياأشوريس) تشفع بتدخلك ، الشمس تكلمت بلسانها واشوريس تشفع بتدخله ، فاذن عليك أن تخلصنى من كل شئ ردىء انتهى

أما العزيمة التى تتلى اذا كان الدواء من الباطن فهاك ملخصها ﴿ بعد شرب الأدوية يخاطب الأدوية يقول هلمى أيتها الأدوية واطردى الأوجاع من قلبى ومن أعضائى ، العزيمة طيبة لأجل الأدوية والأدوية طيبة لأجل العزائم ، ثم يرجع ويقول كلاما كالسابق إذ يقول ان (موريس) و (ست) جىء بهما الى البناء الكبير بعين شمس وحصلت المحاكمة بينهما ففاز (موريس) لأنه كان على الأرض يفعل مايشاء كالمعبودات معه ويكرر هذا القول مرارا وهو يتعاطى الجرع ﴾

ولهم عزائم أخرى لابعاد الهوام والديب وعزائم للمحبة والقبول ويمثلون شخصا على هيئة العدوّ ويتلون العزيمة ويضربون ذلك التمثال بالمدية فان العدوّ يحصل به ماحصل بصورة الشمع على زعمهم وكانوا يتخيلون انهم يرون الشمس نصف الليل ويستحضرون الشياطين الذين يجلبون لهم مايريدون . هذا ملخص ماذكر الباشا فى ﴿ مجلة الموسوعات ﴾

وهاك ماترجمه أستاذى فى علم التاريخ والجغرافيا المرحوم أحمد بك نجيب عن اللغة الألمانية المترجمة عن

الورق

الورق البردى المصرى ترجمة حرفية ، إذ نقل رحمه الله حادثة بن الملك (خوفو) أحد ملوك الأسرة الرابعة وهو الباني للهرم الأول بالجيزة سنة ٣٧٠٠ قبل الميلاد . ان هذا الملك جمع أولاده الثلاثة وألزم كل واحد منهم أن يقص حكاية من أغرب التواريخ المصرية فامتثلوا أمره ، وانى لألخص لك حكاياتهم ، لماذا ؟ لأن هذا أغرب التواريخ فاطلاعك عليه كالاطلاع على تاريخهم ، وأيضا ان القرآن ذكر سحرهم ، فهاك سحرهم لتقف على عجائب الدنيا وخرافات الأولين ولتعلم كيف ذكر هذا السحر فى القرآن ولماذا ذكر وكيف كانت هذه الدنيا ومنشؤها ، واذا رأينا أنفسنا متعجبين من خرافاتهم التى كانوا يزعمونها حقائق فربما جاءت أقوام بعدنا فعدونا مخرفين — وفوق كل ذى علم عليم —

﴿ الحكاية الأولى . قال ابنه الأول ﴾

(أعجوبة حصلت أيام الملك نيقا وهو من الأسرة الثالثة ومات سنة ٣٩٠٠)

وقف الأمير خفرع البانى للهرم الثانى وقال لأبيه (خوفو) أنا أقص عليك أعجوبة حصلت مدة أبيكم (نيقا) (ومعنى الأب هنا السلف) حينما ذهب الى معبد المعبود فتاح سيد عنخ تورى (مكان بمدينة منفيس به المعبد) وزار أكبر علماء السحر وكانت زوجته تحب رجلا من أهل المدينة وكانت ترسل اليه خادمتها كل يوم وهو يجلس معها فى البستان منشرحا مسرورا وأرسلت له يوما صندوقا فيه ملابس لطيفة فأتى مع الخادمة ومضى على ذلك جملة أيام فلمح ذلك المدنى منزلا خلويا فى بستان زوجها فطلب منها أن يكونا معا فيه فأمرت أمين المنزل أن يهيئ لهما هذا المنزل فى البستان لينشرحا فيه ففعل وجلسا معا فيه كما يشاآن أما الخادم الأمين فانه أخبر صاحب البستان وهو زوجها كبير القراء وهو الكاهن فقال الكاهن لهذا الأمين أحضر لى شمعا من الصندوق المصنوع من الأبنوس والفضة المذهبة فصنع تمساحا من الشمع طوله سبعة أشبار ثم طلسم عليه بالسحر ثم قال للأمين متى جاء المدنى ليغتسل كما كان يغتسل كل يوم فى هذا الماء فألق عليه التمساح الذى من الشمع ثم جاء المدنى وجلس معها على عادته وشربا فى هناء وسرور وجاء العاشق لزوجة الكاهن ليغتسل فى البركة فألقى الأمين عليه التمساح من الشمع فانقلب الى تمساح حقيقى بنفس الطول وخطف المدنى وغاص فى قاع الماء وكان اسم هذا الكاهن (ويبايونر) وبقى (ويبايونر) الكاهن المذكور سبعة أيام مع الملك والمدنى غاطس فى البحر فى جوف التمساح ثم طلب منه أن يريه عجيبة فى رجل مدنى فى زمانه فتوجه معه للبركة وتلا العزيمة على التمساح أن يحضر الرجل المدنى فأحضره فغضب الملك وقال كيف تعذب هذا الرجل بهذا التمساح فأخذ الكاهن التمساح اذا هو شمع كما كان وليس حيوانا وقص عليه قصص زوجته وهذا المدنى فغضب الملك وأمر ان يرجع الكاهن التمساح كما كان وينزل فى الماء وقد تم ذلك وأمر باحراق المرأة فى جانب البستان

فلما أتم الأمير خفرع هذه الحكاية قال لأبيه (خوفو) هذه حكاية حصلت مدة أبيك (نيقا) فقرب الملك (خوفو) ألف رغيف خبز ومائة قدر بوزه (الجعة) وأمر بذبح ثور وكذلك أمر بحقين من الروائح العطرية . كل ذلك لروح الملك (نيقا) وقدم أيضا الى روح أول القارئين طعاما وقدرا عظيما من البوزه وقطعة لحم كبيرة وحقا من الروائح العطرية

﴿ الحكاية الثانية . أعجوبة وقعت فى أيام الملك (خوفو) نفسه ﴾

(ترجمت حرفيا من اللغة الألمانية وهى مترجمة من اللغة المصرية القديمة حرفيا أيضا)

عند ذلك قام الأمير (هرد داف) ابن الملك (خوفو) وقال انك لم تسمع إلا ما كان فى الزمن الماضى ولم نشاهده بأنفسنا فهو يحتمل الصدق والكذب ولكنى أخبرك عن شيخ فلاح مصرى يعيش (١١٠) سنة ويأكل كل يوم (٥٠٠) رغيف ويشرب مائة قدر من الجعة ويأكل رقبة ثور وهو يقدر ان يرد رأس الانسان المقطوعة الى مكانها فهو يحيي الموتى واذا جر حبلا على الأرض خلفه خضع له الأسد ومشى خلفه مدة مايجر

الجبل وانه يعرف حساب (ابت) وفيه الأسرار المكنونة للمعبود (توت) ويقال ان هذا الحساب وحدة المقاييس لتصوير الحيوان والانسان فان هذه الصور العجيبة التي صنعوها والهياكل التي اخترعوها لابد لها من مقاييس فهو إذن (ابت) فقال الملك (باهردداف) أحضره لي وكان اسمه (ددي) فركب زورقا في النيل وسافر الى بلدة (ددي) في اقليم (دوسنفرو) ولما وصل (هردداف) الى الجسر تركه وسار محمولا على كفة من خشب الأبنوس وقوائمه من خشب ارزلبنان مشبك بكلاليب من الذهب فلما وصل الى منزل ددي سلم عليه بسلام لانعرفه الآن ، وكان (ددي) راقدا على سرير فوق مسطبة وخادم يروح على راسه بمروحة وآخر يغمز (يكبس) رجليه وهذه صورة السلام ﴿ السلام عليك حالتك حالة كل من صار في دور الشيخوخة والهرم ، في دور الاحتضار والموت ، في دور النزول في القبر ، في دور الدفن والمواراة في التراب الذي تصير اليه عاجلا انت أيها الفاضل المحترم واني أتيت اليك من بلاد قاصية لأناديك ومعي رسالة من أبي جلالة الملك (خوفو) وانك متى حضرت تأكل اكلا فاخرا يقدمه لك الملك أبي ويواليك بمثله فتسير وأنت في هذه العيشة الراضية حتى تلحق بآبائك المرتاحين في قبورهم ، فقال ددي سلام سلام باهردداف ياابن الملك ، يامن يحبه أبوه ويكافئه ويجل قدره ويرفع شأنه فوق الكبراء والشيوخ وان (قاك) حية ، ومعنى قاك يعني صورتك الخيالية بعد الموت التي كانوا يعتقدون انها تسكن في الصورة التي يصنعونها على هيئة جسم الميت ويقدمون لها دور الخبز وكل مأكول وبزعمهم أن هذا يجعل تلك الصورة حية ، ثم ان الأمير (هردداف) ساعده على القيام وسافر معه على الجسر فقال (ددي) مرلي بزورق واحضر أولادي كلهم مع كتبي فأمر له بزورقين مجهزين بجميع لوازمهما . ولما وصل الأمير هردداف هو وددي الى (منفيس) وهي ميت رهينه الآن دخل ددي على والده الملك فقال له الملك ؟ هل مايقال انك تحيي الميت حق قال نعم احيي الانسان والحيوان فقطع رأس اوزة أمامه فأخذ الاوزة وجعلها في الجهة الغربية من الايوان وجعل رأسها في الجهة الشرقية منه وأخذ يتلو العزائم السحرية فقامت الاوزة تمشي وتتبختر وكذا الرأس صار يقفز نحو الجثة فالتقيا ولما وصلت لها وقفت الاوزة وجعلت تصيح . فقال له الملك أصحيح انك تعرف حساب (ابت) في الأسرار المكنونة للمعبود توت . قال لا أعرفه ولكن أعرف مكانه انه في علبة مصنوعة من حجر ريسي (كذا) موجودة بمنزل اسمه (سبتي) بمدينة الشمس (عين شمس) ولست انا الموعود بها بل الموعود بها أكبر أولاد المرأة (رددت) امرأة الكاهن المسمى (را) الخادم للمعبود سخيو والمعبود المذكور وعدها أن يعطي أولادها أكبر الوظائف في القطر المصري واكبرهم يكون هو الكاهن الأعظم لمدينة الشمس وهذه المرأة تلد في الخامس عشر من شهر تبي (طوبه) وأكرم الملك هذا الساحر اكراما كثيرا ورتب له كل يوم ألف رغيف من الخبز ومائة قدر من الجعة وثورا ومائة ربطة من البقول والخضر انتهى

﴿ الحكاية الثالثة هي أعجوبة وقعت في ايام الملك سنفرو ﴾

لما انتهى الأمير خفرع من كلامه قام أخوه الأمير (بيوفرا) وتقدم للكلام أمام أبيه الملك خوفو وهذه الحكاية ملخصة فيما دار بين المؤلف وبين تلميذ بمدرسة عالية وقد نشر هذا الحديث في جريدة الاخلاص تحت عنوان ﴿ السحر في وزارة المعارف ﴾ وهاك نص الحديث

(س) — لقد جاء في الكتب السماوية وفي العلوم الأثرية أن قدماء المصريين كانوا بارعين في السحر فهل بقي من هذا العلم شئ الآن

(ج) إن السحر اليوم في وزارة المعارف

(س) عجبا . كيف تقول هذا وأنت كنت مدرسا بها وانا تلميذ بل انا كنت تلميذك بالمدرسة الخديوية . أجدا تقول أم أنت من الهازلين ؟

(ج) اني لا امزح وانما أقول لك حقا ان وزارة المعارف قد عمها السحر من اولها الى آخرها وهذا

السحر

السحر قد انام العقول

(س) أوضح فانى لم أدر ماتريد

(ج) ان كل شئ يصرف العقول عن الحقائق يسمى سحرا . ألا ترى أن المنوّم (بالكسر) يأتى فى المراسح العامّة و يضع سكرا فى فم المنوّم (بالفتح) و يقول له هذا حنظل فيلفظه المنوّم و يقشعر واذا عكس الأمر استحلى الحنظل وابتلعه وهوقرير العين . هـذا أحد أنواع السحر فقد صرف المنوّم عن الحقائق حتى صار الحلو مرا والمرّ حلوا . أولست ترى أن الرجل يقول له المنوّم (بالكسر) أنت امرأة فيفعل فعل المرأة و يسمى نفسه باسم المرأة ثم يقول له أنت ملك فيفعل فعل الملوك وهو مصـدق ذلك فى كل حال والناس يشاهدونه فى المراسح . إن هذا نوع من السحر بلا جدال

(س) وهل هذا التنويم يدرس فى المعارف

(ج) لا ولـكن التنويم فى المعارف أشدّ وأشدّ . لاجرم ان كل ماصرف العقول عن الحقائق حكمه حكم التنويم فاذا رأينا فعلا يؤدّى الى هـذه النتيجة عددناه سحرا وان لم يسمه العامّة ولا القاموس سحرا . إن المقام مقام حكمة وعلم . وهل لك أن أقصّ عليك عجيبة من مرويات قدماء المصريين السحرية المكتوبة على ورق البردى سواء كانت على الحقيقة أوخرافية . ذلك أن الأمير بيوفرا وهوأخو الملك (خفرع) قام أمام أبيه الملك (خوفو) وقص عليه أعجوبة وقعت وقد ظهرت على يد أكبر العلماء المسمى (ززام عنخ) ذلك أن الملك (سنفرو) كان منقبض الصدر فوصف له أكبر العلماء أن يتوجه جلالته الى بركة قصره و يجعل فيها زورقا مصفحا بالذهب جيلا فيه عشرون فتاة بكرا يجذفن فيـه بمجاذيف من خشب الأبنوس المحلى بالذهب وهنّ محليات بالقلائد والعقود ولابسات ملابس (شبيكه) ففعل وركب فسرن به فى الزورق ونظرجمال الزورق ومن فيه وجمال الأشجار والأزهار حول البركة فانشرح صدره وكانت الفتيات صفين ولـكل صف قائدة فوقع حجر دهنج من قرط احدى القائدات فى المـاء فارتاعت لذلك وتوقفت عن العمل هى ومن معها فضمن لها الملك مثل حجرقرطها فقالت لا أبغى سواه وهذا الحجر أخضر زاهى اللون كالزمرذ فتـكدّر الملك فأغاثه أكبر العلماء المذكور وقرأ العزيمة على المـاء وكان عمقه اثنى عشر ذراعا فانطبق أحد نصفى المـاء على النصف الثانى وصار عمقه اربعة وعشرين ذراعا وصارمكان النصف يبسا فوجـد حجرالدهنج فى الأرض على سقف من الزجاج فالتقطه وناوله لصاحبته ثم تلا العزيمة مرة أخرى فى المـاء فرجع المـاء لحالته وانشرح قلب الملك هو وفتياته

(س) وما فعلت المعارف من هذا

(ج) ان أكبر العلماء أشبه بحكماء أوروبا فى كلياتهم والملك سنفرو وفتياته أشبه بملوك أوروبا وجنودهم والمـاء أشبه بالعلم فـكلاهمـا للحياة والحجر الواقع من قرط الفتاة هى النعم والخيرات المخبوءة فى أرض مصر مثلا ومافيها من النعم . أما العزيمة فهى أن أولئك الفلاسفة والحكماء فى اوروبا يعطون التعاليم للمدرّسـين ولولاة الامور الاوروبيين فيعلنون أهل البـلاد يقولون لغتكم لاتصلح للتعليم واخلاق آبائكم وآدابهـم . كل ذلك نقص و ينقضون على العلوم فيحذفونها ولايبقى إلاقشورها . ألم تر أن التلاميذ قبل زمن الاحتلال وفى أوائله كانوا يدرسون علم الأشياء فى الابتدائى والفلك والحيوان والانسان والنبات فى التجهيزى . الم تحذف هـذه العلوم من البلاد ؟ اليس الانسان يرى بعينه النبات ويرى الحيوان وأجسام الناس ويرى الـكواكب

(س) بلى ولـكن لايدرسها لأنه ليس فى منهج الدراسة

(ج) هذا هو السحرالحقيقى ومافعل سحر أكبر علماء سنفرو لم يفده إلا حجرا هو قرط ولـكن سحر أوروبا الآن أفادها قطرا كبيرا والقطرخيرمن القرط بل فيه مايساوى الآن الف حجرمن هذا . ومن تلك العزيمة قول الدول المحتلة أعطينا التلميذ الشهادة فيغترّ المتعلم بذلك وكفى بالغرور جهلا وأما المـاء الذى ارتفع عن احد

نصف البركة فهو هذه العلوم انقشعت من البلاد بالتدريج فى زماننا والناس فى مصر ساهون لاهون مسحورون وأما الحجر فهو مال مصر كله وأما الآخذ فهى أوروبا فانها لاتجرأ على نهب أموالنا ونحن علماء ، انما تأخذه ونحن جهلاء ، فاذا أزاحت العلم انكشفت لها كنوز مصر وأخذتها والا فلماذا تدرس هذه العلوم فى مدارسها ولماذا نرى أمتنا المصرية كانت تدرسه قبل قدوم الانجليز وأصبح ذلك نسيا منسيا ، بل ما بالنا نرى الكتب الانجليزية التى كانت تدرس فيها بعض هذه الأشياء غيرت وحل محلها قصص حكايات العجائز والأطفال

(س) إذن الساحرون من اوروبا

(ج) نعم والناس اليوم مسحورون يسيرون فى الحقول و ينظرون النبات والحيوان و ينظرون نوع الانسان و ينظرون النجوم وهم غافلون لأن المنوّم قال لهم هذه هى شهادة العلوم فغفلوا

(س) وهل الوزراء المتعاقبون شاركوا الانجليز ؟

(ج) لم يكن للوزراء قبل الاستقلال أمر أما بعده فالوزراء رجالات الأمة فيغيرون و يرجعون الامور الى نصابها وما ذلك عليهم بعزيز وأما اذا رجعت مصر الى عهدها الاحتلالى (لاسمح الله) فالسحر يستمر والجهالة تدوم وليس للمصريين إلا أن يفكروا جميعا . انتهى الحديث وبه تم الكلام على الحكايات الثلاث

﴿ تقديس كتب السحر وأكابر السحرة عند قدماء المصريين ﴾

جاء فى كتاب ﴿ أدب الدنيا والدين ﴾ عند قدماء المصريين مانصه بصفحة ١١٨

« كانت كتب السحر داخلة فى العلوم المقدسة ومندرجة أيضا فى علوم البيان وكتب الطب والحكمة ، وكانت هذه الكتب تحفظ فى دور الكتب الملكية المجاورة للمعابد والهيا كل ومن المحفوظات الآن فى مدينة لندن ورقة بردية فى السحر اكتشفها كاهن فى القاعة الكبرى من معبد كنتوس مذ كور على جوانبها أن الأرض كانت مظلمة حتى ظهر القمر فجأة وأضاءت أشعته سطحها ، فأتى ذلك الكاهن بهذه الورقة الى خوفو أحد ملوك الأسرة الرابعة ، أما السحرة فكانوا ينقسمون الى ﴿ طائفتين ﴾ الواحدة قانونية والأخرى غير قانونية فالقانونيون هم الذين كانت تأذن لهم الحكومة بمباشرة السحر وتعتمد عليهم وتعوّل على آرائهم فى الطوارئ ولذلك كان لهم النفوذ الأكبر والمقام الأسمى أمام الفراعنة والرعية ، واشتهر فى هذا العلم كثير من أبناء الملوك والأمراء كامنحتب بن حابى وزير الملك امنحتب الثالث الذى نبغ فى السحر حتى أقاموا له تمثالا محفوظا اليوم بالمتحف المصرى تحت (نمرة ٣) . وممن اشتهر أيضا بالنبوغ فى هذا الفن الملك سيزوستريس حتى فاق جميع السحرة فى عصره . وكانت الفراعنة يجلون هؤلاء السحرة و يثقون بهم و يلقبونهم بكتبة بيت الملك وكتبة الحياة و يدعونهم لتفسير أحلامهم والانتصار بهم على أعدائهم باظهار أعاجيبهم المدهشة كما حصل فى قصة سيدنا موسى عليه السلام أولعمل الألعاب السحرية لتسليتهم ورياضة أفكارهم ، وكان الساحر لاينبغ فى هذا العلم إلا بعد التمرن الطويل ومضى مدة طويلة فى حسن السيرة والسريرة ومقاومة شهوات النفس والتمسك بالطهارة والعفاف والامتناع من أكل اللحوم والأسماك والانفراد والانزواء فى الخلوة كل أيام حياته ولايجوز أن يحترف أية حرفة أخرى حتى تشغله عن مهمة وظيفته وقد أتقن السحرة هذا العلم وتفننوا فى أساليبه وأحكموها حتى لم يتركوا غاية جهدهم فيه ورسخت قواعده فى أذهانهم حتى كان أحدهم يأتى بأكبر الخوارق التى تبهر الأبصار والبصائر بدون تكلف كأنها ألعوبة صبيانية . ومما ذكر عنهم انهم فلقوا البحار وقطعوا رأس رجل وفصلوها عن جثته ثم أعادوها اليه بدون أن يشعر بأذى وجعلوا التماثيل والأشباح المصنوعة من الشمع تتحرك بحركات مختلفة طوع ارادتهم وكانوا يختفون عن الأبصار وهم جلوس فى المجلس فلا ينظرهم أحد حتى ان الداخل لايعتقد انهم موجودون فى هذا المجلس و يقرؤن الرسائل المطوية داخل ظروفها فيخبرون بما فيها بدون أن

يفضوها

يقصونها ويخبرون الناس بماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم . ومن أعجب أمر أقاصيصهم انهم قلبوا نظام الطبيعة حتى صنع أحدهم من الشمع تمثال تمساح صغير ثم تلا عليه صيغة سحرية فتحرك هذا التمثال وسلطه على رجل زان استحق العقاب فابتلعه وألقاه فى البحر » انتهى

هذا ماجاء فى الكتاب بنصه وفصه ولست أذكره على انه حقيقة ولكن أقول هكذا كان القوم يعتقدون والحمد لله رب العالمين

جمال العلم وبهجة الحكمة

اعلم أيها الذكى أن ما كتبته الآن لايفيد فائدة يحسن السكوت عليها ولولا انه قد جاء مكتوبا فى الورق البردى ما كتبته فلأرك الآن جمال العلم وبهجة الحكمة ونور الله المشرق فى هذه الدنيا وسره الظاهر وعجائبه المدهشة . اللهم انك أنت الظاهر والباطن وأجل الأنوار وأبدع الأسرار هذه النفوس الانسانية التى سكنت أجسامنا وزينتها بحواسنا وكرمتها بعقولنا وأقدرتها أن تعرف الكائنات علويها وسفليها . اللهم انك أنت الذى أبدعت أرواحا علوية أدارت الكواكب ودبرت الأشباح الأرضية وخلقت أخرى أصغرمنها كالنفوس الانسانية وشوّقتها الى أن تطلع على كل عجيب وغريب ، ذلك لأنها قبسة من نورك وسر من أسرارك فهى أبدا تحنّ الى الجمال والكمال وتصبو الى ادراك الأسرار ، ومن عجب انا نحن من أجلّ الأسرار وأبدع العجائب لكننا نجهل أنفسنا ولانفطن لما فيها من الجمال البديع والنقش الغريب . يا الله كأنك حكمت علينا بالحبس فى الجهل حتى ندفع ثمن علمنا بأنفسنا غاليا كما يدفع الرجل مهر عروسه ، وماذلك المهر إلا دراسة هذا الوجود وعجائبه وتحلى النفس بالأخلاق الفاضلة وهنالك تتجلى لها معانيها فتعرف انها قبسة من نورك فتطير فرحا الى لقائك وتموت فرحة بمشاهدتك . أمامى الآن «كتابان» كنت دائما أحافظ عليهما لألخصهما فى هذه السورة لمناسبة قصة سحرة فرعون . فهاهى ذه الآن تطبع ولم يوقظنى لذلك إلا بعض الاخوان قبل أن تضيع الفرصة فعلمت أن هذا الايقاظ أمر إلهى نبه فى النفس ما كان خاملا ، والكتابان أحدهما يسمى السحر الحلال فى الألعاب السيماوية وبعض فوائد صناعية مجرّبة ، والثانى يسمى المختار فى كشف الأسرار . أما أولهما فهو مؤلف مستخرج من العلوم الحديثة وفيه فوائد فائقة وعجيبة ويظهرلى انها كلها صحيحة أوقريبة من الصحة والكتاب الثانى مؤلفه يسمى الشيخ زين الدين عبد الرحيم بن عمر الدمشقى كان فى القرون الوسطى فلأسمعك أوّلا ما اصطفيته من كتاب السحر الحلال . ثم أقفى ببعض ما اصطفيته من كتاب المختار فى كشف الأسرار لترى جمال الله المخبوء فى العناصر ، وتنتفع بفوائد ومنافع فى الحياة ولطائف تفرح الخلان وتؤنس الجلاس وأخرى للاعتبار والاحتراس من الناس . أما كتاب السحر الحلال فقد اصطفيت منه (٣٢) فائدة وهاك بيانها

﴿ الفائدة الأولى . كيفية جعل رأس عجل مطبوخ يعج على المائدة كأنه حىّ ﴾

الطريقة فى ذلك هى أن تأخذ ضفدعة حية وتضعها فى أسفل الرأس من جهة الحنجرة تحت طرف اللسان الداخلى ويكون وضعها عند اخراج الرأس من الطنجرة حالا وهو شديد الحرارة بحيث ان حرارته تلذع الضفدعة فتصرخ هناك فيخرج صوتها من فم ذلك الرأس نظير صوت العجل تماما واحترز أن لاتضعها إلا عند ارادة استعمال ذلك قبل أن يبرد الرأس أو تموت الضفدعة

﴿ الفائدة الثانية كيفية إطفاء شمعة مشعلة واشعال شمعة أخرى مطفأة فى وقت واحد ﴾

(أوّلا) ينبغى أن تكون الشمعتان كاملتين وفتائلهما جديدة لم تمسها نار (ثانيا) أن تشق طرف الفتيلة التى تريد أن تشعلها بواسطة دبوس ونحوه وتضع فى ذلك الشق قطعة من الفوسفور(١) بقدر حبة حنطة واجعل

(١) يجب الاحتراز الكلى عند استعمال الفوسفور ، ينبغى أوّلا أن لاتمسه بأصابعك لئلا يعلق بها شئ

المسافة بينها و بين الشمعة المشعلة مقدار خمس أقدام وخذ بيدك غدارة وأطلقها على المشعلة فيطفئها البارود بعزمه و يشعل الثانية التي فى رأسها الفوسفور

﴿ الفائدة الثالثة . كيفية عمل برق فى حجرة ﴾

ينبغي أن تكون الحجرة التي تريد أن تصنع فيها البرق صغيرة ومظلمة ولا يكون فيها منفذ الى الخارج يدخل منه الهواء ثم تأخذ إناء من نحاس أونحوه فتشعل فيه شيأ من العرق مع الكافور وتتركه فى غليانه حتى يحترق العرق والكافور برمتهما ولايبقى شئ فى الاناء ، وحينئذ اذا دخل أحد الى تلك الحجرة و بيده شمعة موقدة يرى فى الحال لمعان برق شديد فى المكان ، وذلك البرق لايخشى منه ضرر لا للانسان الذى يغشاه البرق ولا البيت الذى يسطع فيه

﴿ الفائدة الرابعة . كيفية اظهار شبه قوس قزح ﴾

طريقة ذلك أن تملأ فمك ماء وتقف فى باب أوفى شباك حجرة نافذ منها نور الشمس الى الداخل وتجعل ظهرك موجها الى أشعة الشمس ثم تنفخ ذلك الماء بخا بحيث يكون نور الشمس واقعا عليه فيظهر للناظرين قوس ملون نظير قوس السحاب

﴿ الفائدة الخامسة . جعل الورق غير قابل الاحتراق ﴾

عليك أن تأخذ قطعة من ورق الكتابة الاعتيادى وتغمسها بماء الشب ثم تجففها وتعيد ذلك عليها مرتين أوثلاث مرات وتجففها فى كل مرة جيدا فاذا وضعتها بعد ذلك على لهيب الشمعة لاتحترق أصلا

﴿ الفائدة السادسة . تكييف شراب حتى يضىء فى الظلام ﴾

عليك أن تأخذ قطعة من الفوسفور بقدر الحصة الصغيرة وتقسمها الى قطع ثم تضعها فى وعاء من فخار يكون فيه مقدار ثلاثة فناجين اعتيادية من الماء وتغلوه على نار خفيفة وخذ زجاجة طويلة بيضاء لها سدادة من جنسها تكون مضبوطة وافتحها وضعها فى ماء حار ثم ارفعها وأفرغ فيها مقدارا من ذلك الماء الذى كانت فيه وأضف اليه الماء المغلو بالفوسفور حالا واغمس السدادة فى الغراء وسد بها القنينية بالسرعة لكى لايدخل الهواء كليا فيبقى هذا الماء لماعا مضيئا ليلا مدة جلة أشهر . فاذا وضعتها فى مكان مظلم احترز من أن تحركها واذا كان وقت حر وجفاف هز القنينية فترى حينئذ لمعانا أشبه بلمعان البرق فى وسط الماء

﴿ الفائدة السابعة . طريقة لابقاء الزهور محفوظة زمانا وابرازها فى غير أوانها ﴾

خذ زهرا من أى نوع شئت بشرط أن يكون كأس الزهرة (١) سالما ممتلئا وتويجها (٢) قريب التفتح واقطعها بمقراض تاركا لها عنقا طويلا ما أمكن ولبس طرفها المقطوع بقطعة من الشمع الأحمر وعند ماتجف لفها بقطعة ورق ناشفة وضعها فى محل ناشف . فاذا أردت بعد حين أن تبرزها أخرجها واقطع منها محل الشمع الأحمر وضعها فى ماء به قليل من ملح البارود أوالملح الاعتيادى واتركها حتى تنفتح وتأخذ نضارتها

﴿ الفائدة الثامنة . طريقة لغليان حامض التريك من دون نار ﴾

ضع فى زجاجة كمية قليلة من حامض التريك وزدها قليلا من برادة النحاس الأصفر فترى الحامض فى غليان شديد ضمن الزجاجة حتى انه من قوة حرارته يلذع لذعا مؤلما

منه فتأخذ قطعة من الورق وتبلها بالماء وتمسكه بها لأنه سريع الالتهاب عند الضغط أوالتقسيم واذا اتفق والتصق شئ منه بالأصابع والتهب يصعب جدا اطفاؤه فربما آذى وآلم بشدة لهبه فلايطفئه حينئذ إلاالغمس بالبول وغير هذه الواسطة لايزيده إلاالتهابا . ولكى يؤمن خطر هذا العنصر أمنا تاما عنداستعماله ينبغى أن يوضع فى قنينية مملوءة من الماء بحيث ان الماء يغمره بجملته والأحوط أن يمسك بواسطة ملقط فلينتبه جيدا

(١) هو وريقاتها الخضر المحيطة بالتويج (٢) هو الأوراق الملونة

﴿ الفائدة التاسعة . إظهار ماء فى لون وتحويله الى لون آخر بدون صباغ ﴾

الطريقة لذلك أن تأخذ قنينة بيضاء جلية وتفرغ فيها مقدارا من روح القلى وتحل فيها كمية من برادة النحاس الأصفر فيزرق حينئذ السائل ، فاذا سددت القنينة اختفى لونه فاذا أردت اظهار اللون ثانية افتح القنينة بالتأنى فيزرق وهكذا

﴿ الفائدة العاشرة . طريقة لتغيير هيئة جماعة فى مكان ﴾

تأخذ كمية من الملح واخرى من الزعفران وتغليهما فى قليل من العرق و بعد أن يتم مزيجك هذا خذ قطعة من القطن واغمسها فيه حتى تتشرب منه جيدا ثم أشعل طرفا منها وأشعل بها المصابيح الموجودة فى المحل فكل شخص أبيض يقع عليه هذا الضياء يصير لونه أخضر وتستحيل حمرة الخدود الى لون زيتونى مشرب

(١١) ﴿ طريقة لتغيير لون طائر او تويج زهره ﴾

لاجراء ذلك ينبغى ان تستحضر زجاجة واسعة يمكن أن تسع الطائر الذى تريد ان تحوّل لونه واستحضر لها سدادة من الفلين مجوّفة على قدر غلظ عنق الطائر الذى ينبغى أن يكون راسه خارجا والأجود ان تكون الفلينة منقسمة الى شطرين يقع بينهما التجويف بحيث يمكن ضمهما على عنق الطائر من دون أن يتأذى اويجرح و بعد أن تكون هيأت ذلك تأخذ الزجاجة وتلقى بأسفلها أوقية من الكاس الجديد وثلاث دراهم من ملح النشادر وعند ماترى الغليان قد ابتدأ فى الزجاجة تسرع بوضع السدادة مركبا فيها عنق الطائر حسب التفصيل المتقدّم حتى تكون جثته ضمن الزجاجة ورأسه فى الهواء وينبغى ان تكون الزجاجة طويلة لئلا يلحق الطائر الى اسفلها فيتأذى وتبقى الطائر على هذه الحالة نحو دقيقتين الى ثلاث دقائق فيتغير لونه الطبيعى الى لون آخر واحترس ان يبقى أكثر من ذلك فانه يتألم وربما يموت . وكذلك تصنع اذا أردت ان تغير لون زهرة ما ولكن يكفى أن يكون فى الفلينة ثقب بحيث يدخل فيه عند الزهرة

(١٢) ﴿ كيفية جعل صينية القهوة تدور من نفسها على الجلاس ﴾

تأخذ سلحفاة وتلصق بظهرها قطعة من الشمع العسلى إلصاقا محكما بالتسخين ثم تأخذ الصينية فتلصقها بتلك الشمعة على ظهر السلحفاة بعد تسخين مكان الالصاق من الصينية بحيث تمكن جيدا و بعد ذلك تغطى الصينية بقطعة من القماش ترسلها حول أطرافها لئلا تظهر السلحفاة من تحتها وتضع عليها الفناجين وتوجهها الى الجلاس ومن طبع السلحفاة ان تدور فتسعى هكذا من واحد الى آخر بحيث يظهر للناظرين أن الصينية تدور من نفسها

(١٣) ﴿ كيفية وضع شئ فى العين واخراجه من الفم ﴾

تأخذ قطعة من الرصاص أونحوه بطول قمحتين وغلظ قمحة أوأقل مستديرة من قوامها وطرفيها بحيث لايبقى لها حرف يخدش داخل العين وتأخذ قطعة أخرى على هيئتها تماما فتضع الواحدة فى فك خفية ثم تأخذ الثانية فتدخلها أمام الناظرين فى عينيك فى (الماق الانسى) أى فى طرف العين الذى من جهة الأنف وهكذا تغيبها تحت جفنك الأسفل بالتدريج مع الرفق منحرفا بها الى الجهة الوحشية فاذا غابت باجمعها أجر أصبعك من عند العين الى جهة الخد مديرا إياه بالتدريج أيضا كأنك تضغطها تحت الجلد حتى توصلها الى الفم ومتى وصل أصبعك الى قرب فك ألق منه القطعة الثانية التى وضعتها أوّلا فيتخيل للناظر أن القطعة التى خرجت من فك هى التى وضعتها فى عينك . وهكذا يمكنك العكس ايضا فتعيد تلك القطعة الى فك وتدير أصبعك منه الى العين عكس مافعلت أوّلا ومتى انتهى أصبعك الى العين تضغط به تحت الجفن ضغطا منحرفا الى جهة الأنف مرتين أوثلاثا فتخرج القطعة وتسقط وابق القطعة الثانية فى فك ولاتخرجها إلا خفية لئلا يكشف سر الصناعة . ولكى لايسمع لها صوت عند اصطكاكها بأسنانك أو يتغير منطقك بسببها ينبغى أن تضعها وراء

اللثة مما يلي الأنياب مادامت في فمك

(١٤) ﴿ كيفية تحويل نصل سكين من الفولاذ الى نحاس أصفر ﴾

خذ أوقية من صفائح النحاس الأصفر الرقيقة وطهرها على النار حتى تنق و بعد أن تقسمها الى قطع صغيرة ضعها فى كاس زجاج وأرق عليها ثلاث أواق من حامض التريك واتركها خمس أوست ساعات فيذوب النحاس وينحل و بعد أن يسكن من غليانه اغمس فيه نصل السكين فيكتسى غشاء من النحاس المحلول

(١٥) ﴿ طريقة يظهر بها الفولاذ كأنه سائل ﴾

تأخذ قطعة من الفولاذ أو الحديد وتحميها الى درجة الاحمرار الكامل ثم تمسكها بملقط باليد الواحدة وتأخذ باليد الثانية عصا تضع فى رأسها قطعة من الكبريت وتلقيها على قطعة الفولاذ المحمرة فيذوب الكبريت ويسيل عن قطعة الفولاذ التى يظهر للناظر كأنها هى السائلة

(١٦) ﴿ اخراج عشرين طلقة من قنينة نظير صوت الغدارة ﴾

خذ قنينة من الزجاج الاسود متينة الجدران وضع فيها مقدار نصف لتر من الماء مع خمسة وتسعين جراما من برادة الحديد وستين جراما من زيت الزاج وسد القنينة واتركها حتى تسخن ومتى سخنت افتحها وأدن اليها من جهة فها قطعة ورق ملتهبة فيخرج منها طلقة ثم أعد السدادة وهكذا تكرر هذه العملية فيخرج منها عشرون طلقة

(١٧) ﴿ كيفية اصطناع الجليد من الماء فى فصل الصيف ﴾

خذ قنينة اوشبهها من الفخار واملأها ماء مغلوا ثم أضف اليها ثمانين جراما من ملح البارود وعشرين جراما من عرق الطيب ثم سدها سدا محكما وأنزلها فى بئر عميقة وأبقها هناك نحو ثلاث أوأربع ساعات ثم أخرجها بعد ذلك واكسر القنينة فتجد الماء قد تجمد

(١٨) ﴿ سر خاص فى عدد ٣٧ ﴾

أى عدد من الأعداد الآتية ضربت فيه عدد (٣٧) يحصل ثلاثة أرقام متشابهة أخذت بالنسق من (١) الى (٩) حسب نسق الأعداد المضروب فيها وهى هذه (٣ - ٦ - ٩ - ١٢ - ١٥ - ١٨ - ٢١ - ٢٤ - ٢٧) وهذه صورة العمل

٣٧	٣٧	٣٧	٣٧	٣٧	٣٧	٣٧	٣٧	٣٧
٣	٦	٩	١٢	١٥	١٨	٢١	٢٤	٢٧
١١١	٢٢٢	٣٣٣	٤٤٤	٥٥٥	٦٦٦	٧٧٧	٨٨٨	٩٩٩

(١٩) ﴿ طريقة للكتابة بحبر يظهر ويخفى ﴾

تأخذ مقدارا من تراب الزرنيخ وتحله بالماء المحلل وتضيف عليه شيأ من الماء الاعتيادى ثم تكتب به على الورق فلا يظهر له لون ، فاذا سخنت الورقة على النار ظهرت الكتابة بلون أخضر ومتى رفعت عن النار يذهب اللون وهكذا . وهناك طريقة أخرى لاظهار الحبر السرّى على الورق بعد الكتابة به وهى أن تأخذ كمية قليلة من البصل الاعتيادى مع جزء من عصير الليمون الحامض وتمزجهما معا فى وعاء من زجاج وتكتب ماشئت على الورق و بعد أن تجف الكتابة أعرضها على الحاضرين فلا يرونها إلا ورقة بيضاء وعند ذلك يمكنك فى أى وقت شئت اظهار الحبر وذلك بعرض الورقة لحرارة النار فتظهر لك الكتابة بلون ذهبى لا يمحى

(٢٠) ﴿ طريقة لأجل الكتابة بلا حبر ﴾

غطس ورق الكتابة فى محلول الزاج الأخضر أى (كبريتات الحديد) وانشره على خيطان منصوبة حتى ينشف تماما ثم خذ من مسحوق العفص الناعم جدا وافرك به الورق بكرة تصنعها من خرق نظيفة ثم أزل مابقى

على

على الورق بالالتصاق بفرشة ناعمة ثم اصنع منه دفترا فان بللت قلما أوقشة بماء أو ببصاق ورسمت به على هذه الورقة تظهر لك الرسم أسود كالو استعملت حبرا ، وبهذه يستغنى عن الدواة وقلم الرصاص

(٢١) ﴿ كيفية منديل يدل على المطر ﴾

خذ منديلا وصوّر عليه صورة رجل حامل شمسية مصبوغة بكلوريد الكوبلت فان كان الطقس حسنا ناشفا ظهرت الشمسية زرقاء ، وان اختلف صارت رمادية ، وان أمطر صارت بيضاء وان غسلت زال لونها تماما

(٢٢) ﴿ منديل غير قابل الاحتراق ﴾

خذ شبا ونوشادرا واعجنهما بزلال بيض واطل بهما منديلا ، فاذا ألقيته بالنار لايحترق

(٢٣) ﴿ طريقة لأجل امساك النار ﴾

خذ زرنيخا أصفر مورقا وشبا يمانيا وامزجهما بزلال البيض وادهن بهذا يدك فاذا مسكت النار لاتحرقك

(٢٤) ﴿ طريقة لجعل بيضة تطير لذاتها ﴾

خذ بيضة حمام وانقبها وأفرغ مافيها واملأها من الندى ثم سدّها بقليل من الزفت واطلها بدهان أبيض نظير لونها وحينما تريد تطييرها ضعها فى الشمس فتراها تطير لذاتها

(٢٥) ﴿ طريقة لعمل حبر سرّى ﴾

خذ من حليب التين واكتب به على الورق وبعد أن تنشف الكتابة أعرضها على حرارة النار فتظهر الكتابة بلون ذهبي غامق

(٢٦) ﴿ طريقة لعمل حبر لاينظر إلا فى الليل ﴾

خذ نوشادرا وحله فى حليب واكتب به فيظهر فى الليل ولايظهر فى النهار

(٢٧) ﴿ طريقة لنزع الحبر عن الثياب ﴾

خذ نوى المشمش اللوزى ودقه ناعما وافرك به القطعة الملطخة فيزول الحبر عنها

(٢٨) ﴿ طريقة لإهلاك البراغيث ﴾

انقع مسحوق الكبريت الأصفر فى خل كاف يغمره مدة ثلاثة ايام ثم رش به الموضع المطلوب فتفرّ البراغيث منه ولاترجع اليه أبدا مادامت تنشق رائحة الكبريت (مجرّبة)

(٢٩) ﴿ طريقة لإهلاك البق ﴾

خذ (١٦) جزأ من الصابون وجزأين من الزرنيخ الأحمر وجزأ من الكافور وضع الجميع فى مقدار كاف من العرق حتى يصير المزيج كالمرهم وادهن به الموضع القاطن فيه البق فيجمد لامحالة (مجرّبة)

(٣٠) ﴿ طريقة لاهلاك الصراصير ﴾

امزج قليلا من مسحوق الزرنيخ بتفاحة مشوية وضعها فى المحلات التى تكون فيها الصراصير فتهلك لامحالة . ولكن يجب الاحتراس من أن يصل اليها الأولاد فيأكلوها فيسمموا

(٣١) ﴿ طريقة لطرد النمل الصغير الذر ﴾

امزج ملء ملعقة صغيرة من الطرطير المقيئ بملعقتين من الدبس وضع المزيج فى ماء وحركه واجعله حيث رايت النمل وفى الصباح تجد نملا كثيرا ميتا على وجهه والبقية قد ارتعبت وهربت ثم اهرق النمل الميت عن وجه المزيج وأعد هذا العمل فى كل مكان يظهر فيه النمل فتهلكه بأقرب وقت

(٣٢) ﴿ ضوء الفوسفور ﴾

يمزج (١٢) قمحة من الفوسفور و (٤) دراهم من زيت الزيتون فى قنينة صغيرة ثم تسدّ هذه القنينة سدا غير محكم وتضعها فى وعاء فيه ماء مسخن حتى يذوب الفوسفور فتسد القنينة حينئذ سدّا محكما وتهز حتى

تكاد تبرق فكلما فتحت بعد ذلك أضاءت إضاءة تكفي لاظهار الكتابة وتدوم اضاءتها هذه بضع سنين انتهى ما اردته من الكتاب الأوّل

وأما الكتاب الثاني فان مؤلفه يقول انه عمله للملك المسعود ذكر فيه حيل المتنبئين والشيوخ الكاذبين والأحبار والرهبان وأصحاب الكيمياء وطلاب الكنوز وهكذا . فلأذكر لك مافيه فوائد للاعتبار والاتعاظ

﴿ القصة الأولى في كشف أسرار من ادّعى النبوّة ﴾

قد كان ظهر في آخر خلافة السفاح بأصفهان رجل يعرف باسحق الأخرس فادّعى النبوّة وتبعه خلق كثير وملك البصرة وعمان وفرض على الناس فرائض وفسر لهم القرآن على ما أراد ثم قتل . وكان حديثه انه نشأ بالمغرب فتعلم القرآن ثم تلا الانجيل والتوراة والزبور وجميع الكتب المنزلة ثم قرأ الشرائع ثم حلّ الرموز والأقلام ولم يترك علما حتى أتقنه ثم ادّعى انه أخرس وسافر فنزل بأصفهان وخدم قيما في مدرسة وأقام بها عشر سنين وعرف جميع أهلها وكبراءها . ثم بعد ذلك أراد الدعوة فعمل له أدهانا ودهن بها وجهه حتى لا يمكن أحد النظر اليه من شدّة الأنوار ثم نام في المدرسة وأغلق عليه الأبواب فلما نام الناس وهدأت الحواس قام فدهن وجهه من ذلك الدهن ثم أوقد شمعتين مصبوغتين لهما أنوار تفوق السرج . ثم صرخ صرخة أزعج الناس ثم أتبعها ثانية وثالثة ثم انتصب في المحراب يصلي ويقرأ القرآن بصوت أطيب ما يكون وبنغمة أرق من النسيم فلما سمع الفقهاء تواثبوا وأشرفوا عليه وهو على تلك الحالة فخارت أفكارهم من ذلك ثم أعلموا المدرس بذلك فأشرف عليه وهو على تلك الحال فلما رآه خرّ مغشيا عليه ، فلما أفاق عمد الى باب المدرسة ليفتحه فلم يقدر على ذلك فخرج من المدرسة وتبعه الفقهاء حتى انتهى الى دار القاضي والاخبار قد شاعت في المدينة فأخبر القاضي بذلك فخرج القاضي واتصل الخبر بالوزير واجتمع الناس على باب المدرسة وهو قد فتح الاقفال وترك الأبواب غير مفتحة ، فلما صار القاضي والوزير وكبراء البلد الى الباب اطلع عليه الفقهاء وقالوا له بالذي أعطاك هذه الدرجة افتح لنا الباب فأشار بيده الى الأبواب وقال تفتحي أيتها الأقفال فسمعوا وقع الاقفال الى الأرض فدخل الناس اليه وسأله القاضي عن ذلك فقال انه منذ أربعين يوما رأى في المكان أثر دليل واطلع على أسرار الخلق ورآها عيانا فلما كان في هذه الليلة أتاني ملكان فأيقظاني وغسلاني ثم سلما عليّ بالنبوّة فقالا السلام عليك يانبي الله نخفت من ذلك وطلبت أن أردّ عليهم السلام فلم أطق وجعلت أتأمل لردّ الجواب فلم أقدر على ذلك فقال أحدهما افتح فاك بسم الله الأزلي ففتحت فمي وأنا أقول في قلبي بسم الله الأزلي فجعل في فمي شيأ أبيض لا أعلم ماهو أبرد من الثلج وأحلى من الشهد وأذكى من المسك فلما حصل في امعائي نطق لساني فكان أوّل ماقلت أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله . فقالا وأنت رسول الله حقا . فقلت ماهذا الكلام أيها السادة . فقالا إن الله قد بعثك نبيا . فقلت وكيف ذلك والله تعالى قد أخبر عن سيدنا محمد انه خاتم النبيين . فقالا صدقت ولكن الله أراد بذلك انه خاتم النبيين الذين هم على غير ملته وشريعته فقلت اني لاأدّعي بذلك ولاأصدق ولالي معجزات . فقالا يوقع في قلوب الناس تصديقك الذي أنطقك بعد أن كنت أخرس منذ خلقت ، وأما المعجزات التي أعطاك الله عزّ وجل فهي معرفة كتبه المنزلة على أنبيائه ومعرفة شرائعه ومعرفة الألسن والأقلام ، ثم قالا اقرإ القرآن فقرأته كما أنزل ، ثم قالا اقرإ الانجيل فقرأته ، ثم قالا اقرإ التوراة والزبور والصحف فقرأت الجميع كما أنزل ، ثم قالا قم فأنذر الناس ، ثم انصرفا عني وقت أنا أصلي وهذا آخر خبري فمن آمن بالله وبمحمد ثم بي فقد فاز ومن كذب فقد عطل شريعة محمد وهو كافر والسلام ، فعند ذلك سمع له خلق كثير واستقام أمره وملك البصرة وعمان وغيرهما واستفحل أمره ولم يزل كذلك حتى قتل وله شيعة بعمان الى يومنا هذا قبحهم الله تعالى

﴿ القصة الثانية ﴾

ظهر في سنة تسعين وخمسمائة صاحب من الاسماعيلية يقال له (سنان) ونزل (بمسياط) وحكم فيها وفيما لها من القلاع وكان خبيرا بالحيل والنواميس الافلاطونية وسمع به أهل تلك الجبال وأطاعوه طاعة لاحد لها حتى انه كان يقول أريد الساعة عشرة من الرجال تصعد على السور ويرمون أرواحهم فيسارعون الى تلف أرواحهم وهذا رباط لايقدر عليه أحد وكان يعمل لهم مثل هذه الحيل كثيرا وهذا مشهور عن سنان وهي صفة عمل أهل النار ، ومن جملة حيله انه كان حفر في مجلسه المصطبة التي يجلس عليها حفيرة بمقدار ما اذا جلس الانسان فيها جاءت الى رقبته ثم حسنها وبلطها وعمل لها غطاء من الخشب الرقيق مقوّرا على مقدار مايسع رقبة الرجل ثم أخذ طبق نحاس وقوّره في وسطه ثم جعله مصراعين ولم يطلع عليه أحد فكان اذا أراد أن يفعل ذلك أخذ من يختاره من أصحابه بعد أن يهبه الأموال العظيمة ثم يوصيه بما يقول وينزله في الحفرة ويغطي عليه ويخرج رأسه من القوّارة ثم يأخذ الطبق المقوّر فيجعله في رقبته ثم يسقط عليه السواقط فلا يظهر منه شئ إلا رأسه ثم يجعل في طبق شيأ من الدم ثم يشيع انه قد ضرب رقبته ، ثم يدعو أصحابه اليه فاذا حضروا أمرهم بالجلوس فاذا جلسوا واستقرّ بهم الجلوس قال لمملوكه اكشف هذا الطبق فيكشفه فيجدون فيه رأس صاحبهم فيقول له حدّث أصحابك بما عاينت ماقيل لك فيحدثهم بما أوصاه فتذهل عقولهم من ذلك ثم يقول له في آخر الكلام أيما أحبّ اليك الرجوع الى أهلك والى ما كنت فيه من الدنيا أوالسكنى في الجنة فيقول وماحاجتي بالرجوع الى الدنيا والله ان خردلة مما أعدّ لي في الجنة ما أبيعها بمثل هذه الدنيا سبع مرات فانتبهوا يا أصحابي وأنتم عليكم سلامي وأرجو أن تكونوا في جواري في الجنة ، فالله الله والحذر من مخالفة هذا الصاحب الذي هو خليفة الامام وهو الحاكم في الموقف كما قال لي الخالق جلت قدرته والسلام ، فاذا سمعوا ذلك صدّقوا ثم ينصرفون فاذا انصرفوا عنه أطلعه من الحجرة وحجبه الى الليل فيضرب رقبته ويدفنه . فهذا الخبيث قد استعبد أهل تلك الجبال مدّة حياته والى يومنا هذا الرباط باق

﴿ القصة الثالثة في كشف أسرار من ادّعى النبوّة أيضا ﴾

ظهر في خلافة المعتز بالديار المصرية رجل ادّعى النبوّة ونزل (تنيس) وكان يعرف بفارس بن يحيي الساباطي وسلك مسلك عيسى ابن مريم عليه السلام وادّعى إحياء الميت وابراء الأبرص والأجذم والأعمى ، وبنى له صومعة بتنيس على البحر شمالي البلد وهي باقية الى يومنا هذا ثم أحيا لهم الميت أيضا ، ثم ذكر طريق الغش والايهام فلا نطيل به وانما نذكر بعض معجزاته التي يقول انه كشف أسرارها ، قال انه كان يمشي على الماء على ساحل البحر فيطلع السمك اليه من البحر ويقبل أقدامه وذلك انه كان يأخذ من خرء الآدمي جزأ ومن الباذروج جزأ ومن حب القثاء جزأ ثم يدقها ناعما ويعجنها بدهن الياسمين ويلطخ به أقدامه ثم يمشي على ساحل البحر فيطلع السمك على رائحة الدواء ويلحس أقدامه فيتوهم فيه الأوهام بالنبوّة وغيرها ، ولأكتف بهذا القدر في ادّعاء النبوّة

﴿ القصة الرابعة . الشيوخ الكاذبون ﴾

ثم ذكر الشيوخ فأثنى على الجنيد وابراهيم بن أدهم والحسن البصري وسري السقطي ومعروف الكرخي وأبي سليمان الداراني وغيرهم ، فهذه هي الدرجة الأولى . أما الدرجة الثانية فهم أصحاب الرياضات والعلم بالأسماء مثل عبادان وبهلول والشيخ أبي العباس ، قال وقد ظهر سنة ثمان وثلثمائة رجل يعرف بالحسين بن منصور الحلاج وكان يدعو الناس الى عبادة الله فوشوا به الى علي بن عيسى الوزير فأحضره وضربه ألف عصا وقال انه كان ينشد هذا الشعر

وحرمة الودّ الذي لم يكن * يطمع في إفساده الدهر

مانالني عند نزول البلا * جهد ولامسني الضر

ماقد لى عضو ولامفصل * إلا وفيه لكم ذكر

قال وأما الدرجة الثالثة من المشايخ فهم أصحاب الدخن المختلفة والتباخير ، فهذه الطبقة هي المذمومة وانما نذكرها هنا لنوقظ المسلمين الى الشيوخ الكاذبين الذين يجعلون الدين وسيلة للدنيا وهذا الكتاب قد جعله الله من السيوف المرهفة لقطع دابر هذه الطابقة من بلاد الاسلام وهذا مناسب للسحر في القرآن لأن ماسنسمعه هنا ملحق بالسحر فليحترس المسلمون منه

﴿ القصة الخامسة ﴾

قال . فمن المشايخ أصحاب الزوايا من أهل هذه الدرجة ، فمنهم من يتعاطى النزول فى التنور وقد أوقد فيه قنطار من الحطب فينزل فيه ثم يغيب ساعة و يطلع وعلى يده طاجن فيه سمك مقلى أودجاج محشو أوخروف مشوى أوما اتفق من ذلك فيذهل الناس و يخرق عقولهم وذلك أن هذا التنور يكون مربص (كذا) الأعلى فتكون حرارة التنور من أعلاه وأسفله بارد إلا أن هذا التنور يكون محكم البنيان وله صاج من الحديد فى أسفله ولذلك الصاج خلو فى الحائط مهندس محكم بحيث ان النار جميعها تكون فى الصاج و بمقدار مايضع يده على حافة التنور يسبح ذلك الصاج بما عليه من النار فى ذلك الخلو فيبقى أسفل التنور خاليا من النار باردا فيقعد فيه و يكون قعوده بقدر مايعلم أن الخروف مثلا قد استوى فاذا طلع أخذه معه وأطعمه لمن قد حضر ، واذا كان هو أسفل التنور فان أعلى التنور لايقدر أحد أن يقابله من وهج النار

﴿ القصة السادسة ﴾

ومنهم من يفعل غير ذلك قبحهم الله تعالى فينزل فى النار وقد روبص جميع جسده بالترابيص التى تمنع من النار وفعلها ، ولنذكر الترابيص التى يعملونها لمنع النار ، فمن ذلك يؤخذ الضفدع و يسلق حتى ينضج و يتفتت ولايبقى له أثر ثم يرفع عن النار حتى يبرد فاذا برد جمد الدهن على وجه الماء فيأخذ ذلك الدهن ثم يضيف اليه شيأ من البارود الثلجى ثم يلطخ به جسده وجميع أعضائه و يدخل النار فانها لاتضرّه شيأ . ومنهم أخزاهم الله من اذا عمل السماع أخلى الزاوية من الماء فاذا رقصوا عطشوا فيشكون للشيخ ذلك فيقول هاتوا شيأ وخذوا ماء للشرب فيعطونه ابريقا أوغيره فيأخذه بيده ثم يفتح بابه و يدور فى الطابق ثم يدفع لهم الوعاء ملآنا ماء مبخرا بمسك فيقول هذا من نهر الكوثر (أخزاه الله) فيشرب الجماعة من ذلك الماء وقد حارت عقولهم من ذلك « وكشف ذلك » انه يأخذ مصران غنم فيدبغه بعد غسله ثم ينقعه بماء الورد سبعة أيام و بعد ذلك يأخذه فيربط طرفه الواحد ربطا جيدا ثم يجعل فى طرفه الآخر عقدة قصب ثم ينفخه فى الهواء حتى يجف فاذا جف رفعه عنده فاذا أراد العمل به أخذه ثم ملأه ماء وقد جعل فيه قليل مسك وماء ورد ثم جعله فى قميصه وقد عمل له حمالات من تحت قبة القميص من كمه الشمال الى كمه اليمين فاذا أراد أن يسقى الجماعة جعل رأس المصران فى فم الوعاء وهو دائر من حيث لايعلم به أحد ثم يفك رأس المصران بظفره فينزل الماء فى الوعاء ثم يدفع لهم الوعاء و يدعى ما أراد و يقع منهم غير ذلك

﴿ القصة السابعة ﴾

ومنهم من يكون فى السماع و يتقدم الى الشمعة أوالى المصباح فيمد يده و يشعل أصابعه العشرة فتشتعل كما يشعل الشمع فاذا أشعلها أطفأ ما يكون من الشمع ولايزال يرقص وأصابعه تشعل حتى يضج الخلق ثم يدنى الشمعة فيشعلها و يطفئ أصابعه وهذا ناموس عظيم ، والسرّ فى كشف ذلك انه يأخذ من الدواء الذى ذكرناه فى نزول التنور فيلطخ أصابعه جميعها الى العقد و يدعها حتى تجف ثم يأخذ النفط و يلبسه على ذلك الدهن ثم يشعله فى النار فلايزال يشعل حتى ينفد النفط ولايدرك يده شئ من الحرارة فافهم . ومنهم من يدهن يده

بالدهن ثم يعمل له عشرة قوع من اللبد الأحمر الطالقانى ثم يلبسها أصابعه العشرة ثم يسقيها بالنفط و يشعلها فتشعل ولا تضره شيأ . ومنهم من يكون جالسا فى الزاوية وعنده جماعة فيشتهى كل واحد منهم على الشيخ شهوة فيحضر شهواتهم على الوصف الذى طلبوه وقدكنت اجتمعت فى بلاد الحجاز بشيخ يعرف بسليمان وكان من أهل المغرب فكنا عنده ثمانية أنفار فاشتهى كل واحد منا شهوة فقام الى بيت الخلوة يصلى ويدعو ثم خرج فلم نشعر إلا والذى طلبناه قد حضر فخرق عقول الناس وشاع ذلك عنه وجاءته الفتوحات من كل اقليم وكشفت عن هذا السر فوجدت للشيخ قعيدة فى المدينة وعنده فى بيت الخلوة طائر يأتى بيت القعيدة ، فاذا اشتهى كل واحد مافى قلبه قام الشيخ الى بيت الخلوة ثم كتب جميع ماطلبته الجماعة فى بطاقة ثم علقها على الطير ثم أرسله فجميع ما يكون قد طلب منه ترسله القعيدة فلايشعرون إلا وقد حضر فيذهل من كان حاضرا فافهم أسرار هؤلاء القوم ودهاءهم . ومنهم الذين كراماتهم أكل الحيات والنار، فوالله لوفعل هذا أمام أطفال لضحكوا على من يفعله ، فياعميان القلوب أهذه كرامات الصالحين ؟ فانتبهوا يانيام وتيقظوا

﴿ القصة الثامنة فى كشف أسرار كذبة الوعاظ ﴾

ثم تكلم عن الوعاظ فقال ومن دهائهم أن أحدهم يصعد على المنبر بخشوع وسكينة فاذا شرع فى الكلام وذكر أهوال يوم القيامة بكى بدموع أحر من الجمر ، فاذا أراد ذلك يأخذ الخردل فيسحقه ثم ينقعه بالخل يوما كاملا ثم يسقى به المنديل الذى يمسح به وجهه ثم يتركه حتى يجف فاذا حصل على المنبر مسح وجهه بذلك المنديل تنزل دموعه مثل المطر وهذا أوّل مالهم من الدهاء ، ومن ذلك انهم يجهزون بعض نسائهم فى زىّ أرباب البيوت فيظهر انها قد أخنى عليها الزمان ولاتقدر تبذل وجهها فى السؤال الى الخلق فيعطف عليها القلوب و يردّد الكلام فى ذلك المعنى و يورد فيه أخبارا وحكايات ثم يخلع ثوبه و يرميه عليها و يقول والله لوملكت يدى شيأ من النفقة لكنت أنا أحق بهذه المثوبة ولكن العذر واضح فهذا ثواب يساق اليكم فاذا رأت الجماعة ذلك لم يبق أحد حتى يردفها بشئ على قدره ومكنته ومايحصل فهو للشيخ الواعظ

﴿ القصة التاسعة فى كشف أسرار كذبة الرهبان ﴾

اعلم أن بعض هذه الطائفة أعظم الأمم كذبا ونفاقا ودهاء وذلك انهم يلعبون بعقول النصارى و يستبيحون النساء و ينزلون عليهم الباروك ولايعلم أحد أحوالهم وهم أضرّ الخلق وأخس من غيرهم لأنهم اذا خلوا بأنفسهم يعترفون بأنهم على ضلالة وقد غيروا الأحوال والأفعال والأقوال ولهم أعمال عظيمة لاتعدّ ولاتحصى وهم يأكلون الأموال بالباطل و يرتبون الكذب وزخارف القول وهم أكذب الخلق على كل حال ، فنهم من عمل لديره عيدا وجعل له ناموسا من بعض النواميس يأكل به أموال النصارى ، وهاأناذا أثبت الآن لك شيأ من ذلك فأقول ، اعلم أن هؤلاء القوم أعظم ناموس لهم قنديل النور فى كنيسة قمامة بيت المقدس وهو من عمل الرهبان وقد ارتبط عليه جميع النصارى وأسباطهم وأجناسهم ، وقدكان الملك المعظم ابن الملك العادل قدّس الله روحه دخل الى القمامة يوم سبت النور فقال للراهب لا أبرح حتى أبصر هذا النوركيف ينزل فقال له الراهب أيما أحب اليك هذا المال الذى يتحصل من هذا الوجه أواطلاعك عليه فانك ان كشفت سره عدمت هذا المال فاتركه مستورا مصانا واربح هذا المال العظيم ، فلما سمع ذلك علم باطن قول الراهب فتركه على حاله وخرج ، وهنا ذكر أن الراهب يضع الكبريت فى حق فى رأس قبة الكنيسة والحق معلق فى سلسلة وهى تدهن بدهن البيلسان و بين كيفية ذلك فلانطيل به

﴿ القصة العاشرة . أهل الكيمياء ﴾

وذكر أهل الكيمياء ، قال ومن أعظم ماوقفت عليه أن السلطان الملك العادل نورالدين بن زنكى جرى له حديث يكتب بماء الذهب ملخصه أن رجلا أعجميا جاء الى دمشق ومعه ألف دينار جعلها فى بنادق وصرّها

فى مخلاة وسماها (طبرمك خراسانى) وقال لعطار هذه تنفع للسموم و باعها له بخمسة دراهم ثم لبس أفخر الثياب وأخـذ يحسن للناس ويجالس العلماء ويقول أنا أقدر ان استخرج الذهب ولكن ذلك يكون لنفعة المسلمين فى الجهاد وهو فى ذلك الوقت ينفق باليمين والشمال فبلغ خبره الملك فاختلى به وأخـذ عليه العهد لنصر المسلمين بالمال وقال له لابد من (الطبرمك الخراسانى) فبحث الجيش والوزراء فى جميع الدكاكين وهو معهـم الى أن وصلوا الى الدكان المعلوم فاشتراها الملك منه ثم وضعها الملك بنفسه فى البودقة فخرجت سبيكة ذهب فأعطاه الملك مالا وجهزه بستين جملا منها شراب عمل تنيس ودمياط ومن عمل اسكندرية ومنها سكر بالأحمال والأجمال والجمالين ثم أعطاه خيمة ومطبخا وفراشين ونفقة الطريق الى بغداد والى العجم وكتب معه كتبا الى سائر البلاد بالمراعاة والخدمة والاعانة ثم خرج السلطان وأرباب الدولة الى وداعـه وراح وقد وصـل هـذا الى الحجر المكرم وحصـل له الاكسير الأعظم . ومن أعجب مافى هذه القضية انه كان بدمشق رجل يكتب أسماء المغفلين المخرفين فسمع بهذه القضية فكتب فى رأس جريدته « السلطان نور الدين محمود رأس المغفلين » فشاع ذلك ولم يعلم أحد باطن القضية حتى قيل للسلطان قد كتبك شخص رأس المغفلين فقال أى شئ أبصر من تغفلى حتى يكتب اسمى (هاتوه) فنزلت اليه الجنـد وقالوا له بسم الله كلم السلطان فأخـذ الجريدة فى كمه ومشى معهم فلما وقف قدام السلطان قال أنت فلان الذى تكتب أسماء المغفلين ، قال نعم ، قال وكتبتنى ، قال نعم وهـذا اسمك ثم أظهره ، فقال وماظهرلك من تغفيلى حتى كتبتنى ، فقال ومن يكون أغفل منك جاءك أعجمى نصاب عمل عليك حيلة ودك عليك ألف دينار أخذ بها مال المسلمين وراح ، فقال راح يأتى بطبرمك وكأنك به وقد جاء ومعه الطبرمك نعمل منه أموالا لاتحصى ، فقال له ياخوند ان رجع الأعجمى وجاء محوت اسمك من الجريدة وكتبت اسمه وما يكون فى الأرض أغفل منه . فلما سمع السلطان ذلك ضحك وقال اعطوه شيأ ينفقه عليه فأعطوه شيأ وراح . وكان كلما أفلس أخذ الجريدة ووقف على باب القلعة فاذا ركب السلطان فتح الجريدة ويقول ماجاء وهذا اسم السلطان مكتوب فيضحك ويطلق له شيأ ، فانظر الى هـذا الدك والجسارة على بيع ألف دينار بخمسة دراهم فأقام السلطان على هذا حتى توفاه الله والطبرمك لم يأت

وأختم هذا القول بما جاء فيه من كشف أسرار الصيارف وتلاعبهم قال ، اعلم وفقك الله أن هذه الطائفة من جملة اللصوص وقطاع الطرق ولهم أمور لايعلمها إلا كل فاضل وأحوال لايطلع عليها إلا راجح العقل وهم اشدّ الناس أجراما وأصنعهم فى اخذ أموال الناس مع أن فيهم متميزين وذوى هيبة ووقار ولهم فى الدك أبواب فأوّل مارأيت فى الهند رجلا صيرفيا له من الحشمة شئ عظيم وجميع التجار تورد اليه أموالهم ويستدينونها منه قليلا قليلا ورأيته قد صنع شيأ لم يسبق اليه وذلك انى رايت فى يده خاتما بفص وعليه نقش فأدمت الجلوس عنده وأدمت النظر الى ذلك الخاتم فرأيته اذا قبض الذهب من التاجر يجعل فص الخاتم من قدام لسان الميزان الى ناحية الصنج . واذا دفع للتاجر الذهب حول فص الخاتم الى قدام لسان الميزان فاذا قرب الخاتم لعب بلسان الميزان لعبا زائدا فعلمت أن هذا الخاتم فيه شئ من الدك ولم أزل أبحث عنه وأفكر فيه . ففى بعض الأيام انقدح لى فيه شئ فقلت هذا والله دك لم يسبق اليه واذا فص الخاتم من حجر المغناطيس فاذا قبض الذهب أدار الخاتم الى ناحية الصنج فيأخذ لسان الميزان هواءه ويمنع من النزول بمقدار ماينجذب من الحجر فيكون فى الوزنة زيادة مثقال وأكثر من ذلك". انتهى ما أردته من الكتاب الثانى

هذا ما اخترته من الكتابين ونقلته ولكنى لم أجرب شيأ منه . وانما أردت بالسحر الحلال أن يدل ماصح منها على جمال الله وبدائع صنعه . وأما ما اخترته من الكتاب الثانى فذلك ليعلم المسلمون كيف كان الغش والتدليس فى بلاد الاسلام ليحترسوا منه الآن والحمد لله رب العالمين

ولما انتهيت من هذا المقام حضر الحى" عالم ذكى" فقال ما القصد من هذه الحكايات الخرافية . فقلت لقد

اوضحته

أوضحته فيما مضى وها أنا ذا أوضح المقام فأقول إن القصد من هذه الحكايات ﴿ أولا ﴾ أن نعطى التفسير حقه فنذكر السحر عند قدماء المصريين ﴿ ثانيا ﴾ أن نذكر ما كانوا يزعمون انهم يفلقون البحر بالعزائم فلئن ضرب سيدنا موسى البحر بعصاه فهى معجزة ولكن هؤلاء يزعمون انهم يفرقون البحر بالعزيمة فيكون موسى عليه السلام أتى بمعجزة تبهرهم ﴿ ثالثا ﴾ ان هذا التفسير ماهو إلا روضة من رياض العلم ، فاذا كان أهل ألمانيا ينقلون عجائب قدماء المصريين ومزاعمهم وقد بقيت هذه الحكايات فى بطون النواويس المصرية آلافا من السنين ثم احتفظ بها أهل أوروبا من ألمانيا وغيرها فكيف لانذكر الناس بها لاسيما أن القرآن قد أشار اليها واعتنى بها ومدح سحرة فرعون وشرفهم بالايمان لأنهم محققون فى العلوم ﴿ رابعا ﴾ ان البراعة فى العلوم فرض كفاية وقد قدمنا فى (سورة البقرة) أنواع السحر ، وأن بعض السحر الآن يجب تعليمه فهو فرض كفاية (راجع ما كتبناه فى البقرة) فافهم هناك كيف يقول الله ــ وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة ــ الخ ﴿ خامسا ﴾ ان علم السحر المذكور متنوع بعضه خرافة و بعضه له أصل ولتعلم اننا لانهتم بالتفاصيل وانما نذكرك بما مضى فى هذا التفسير فى سورة البقرة فقد ذكرت لك هناك كيف يؤثر المنوّم على المنوّم وقد تبين لك ذلك فى الحكاية الثالثة المتقدمة ، فتأثير زيد فى عمرو أمر له وجود اليوم فى المسارح العامة يراها الناس فى الشرق والغرب ، واعلم أن للنفوس الانسانية قوّة كامنة اذا استثارها الانسان نفعته * قال اللورد (أفبرى اف كمبلا) الشهير العالم بالفراسة بلغ من شدة صرف قوى عقله فى نقطة واحدة أن استطاع أن ينسى جميع أوجاعه فلا يشعر بها وهذا يصدق على جميع الذين يستطيعون أن يتحكموا فى اراداتهم فانهم بذلك يتمكنون من تحرير نفوسهم من ربقة الأوجاع الصغرى وانتعاشهم ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ انهم يصلون الى حيث يمتلك العقل قياد الجسم و يصبح السيد المطلق الآمر الناهى انتهى

هذا مايقوله اللورد أفبرى الانجليزى ، ويقول الفلاسفة ﴿ إن النفس الانسانية لها تأثير فى بدنها مثل كيفيات الفرح والحزن وكالتوهم الذى يجعل الماشى على الحائط يسقط مع انه لومشى عليه وهو على الأرض سقط ومتى قوّى عزيمته مشى على الحبل وعلى الحائط ولا يسقطون لأنهم أذهبوا عنهم هذا الوهم ﴾ و يقولون ﴿ إن النفس الانسانية كما تؤثر فى جسمها تؤثر فى غيرها لأنها أرقى من عالم الماديات والسحر عندهم لايحتاج الساحر فيه الى معين وصاحب الطلسمات يحتاج الى معين كروحانية الكواكب وأسرار الأعداد وخواص الموجودات وأوضاع الفلك المؤثرة فى العالم العنصرى والفرق بين السحر والمعجزة انها قوّة إلهية تبعث فى النفس ذلك التأثير فالنبى مؤيد بروح الله على فعله ذلك والساحر انما يفعل ذلك من عند نفسه و بقوّته النفسانية وامداد الشياطين له فى بعض الأحوال ونحن نعرف الفرق بينهما بأن المعجزة لصاحب الخير والسحر لصاحب الشر ﴾

ولبعض المتصوّفة خوارق للعادات ، واذا قدر أحدهم على فعل الشرّ فلا يأتيه لأنه مقيد بالأمر الإلهى ومن أتاه منهم فقد عدل عن طريق الحق وربما سلب حاله ، ومن الطلسمات أعمال قوم قابلهم ابن خلدون بالمغرب يعرفون بالبعاجين وهم يشيرون الى الكساء أو الجلد فيخترق و يشيرون الى بطون الغنم بالبعج فتنبعج و يسمى أحدهم لهذا العهد باسم البعاج ، هكذا قال ابن خلدون لأنهم أكثر ماينتحلون من السحر بعج الأغنام وهم يخيفون بذلك الأغنياء فيعطونهم من أموالهم ، قال وهم لهم وجهة رياضية بدعوات كفرية واشراك لروحانية الجن والكواكب سطرت فيها صحيفة عندهم تسمى (الخزيرية) قال وقد شاهدت أعمالهم الكفرية وهى حقيقية ، انتهى ملخصا

أقول ، واعلم أن هؤلاء البعاجة قد أخبرنى بهم أحد أبناء (طيطوان) وقال انهم يجلسون على هيئة الصوفية فى جهة مراكش و يدعون انهم على طريقة شيخ زاهد ومتى جلسوا فى مكان وأخذوا يتلون أقوالا مخصوصة أمكن أحدهم أن يطير فوق القبة التى فوقهم واذا كان وحده لا يقدر ، واذا أهدى اليهم أحد شاة

يقروا بطنها بأيديهم وسكاكينهم ثم شووها بجلدها وأكلوها ، فلما سمعت هذه الحكاية قلت انهم من أولاد أولئك البماجة تسموا باسم الصوفية تسترا لأن هذا عمل من لادين له ، واعلم أيها الذكي أن طوائف كثيرة من الذين ينتسبون للصوفية يخيفون الناس بأنهم يؤذونهم وهم فى ذلك كاذبون يريدون أن الناس يطعمونهم الطعام وهم نائمون فى بيوتهم وهذا ظلم مبين فيجب ازالة هذه الطوائف من المسلمين ، واذا وجد الساحر تصرف أو الشيخ فى الطريق فلا قوة لهم على ايذاء العاملين وكفاك معجزة موسى وعصاه وكيف كانت تلقف ما يأفكون واعلم أن الأمة الاسلامية يجب عليها أن تعلن هذه الحقيقة وأن لاتدع أهل الطرق يعبثون بالمسلمين ويخيفونهم فهذا ضياع للأمة ولاتأثير لأحد على أحد والرجل النافع للأمة يغلب آلافا من أولئك الساحرين والذين يدعون أنهم صوفية وماهم بصادقين وقد تبينت هذا بنفسى وعلمت أن الخداع عم الأمم الاسلامية والله لايهدى الخائنين

﴿ حقيقة ﴾

اعلم أنه لافرق بين أولئك الذين يقاتلون الناس بالمدافع والغازات الخانقة أو يدسون لهم السم فى الطعام والذين يأتون بالعقاقير الطبية ويقتلون الناس بها سرا واللصوص والسارقين وأمثالهم وبين الذين يستعملون السحر أو يتصرفون فى الناس أو يخبرون بالمغيبات حقا أو باطلا لأجل أخذ أموال الناس بالباطل ، فكما اننا نمقت الطبيب الذى عرف السم فقتل به الناس ونمقت الذين يحاربون بالغازات الخانقة ويميتون الناس أو يعمونهم هكذا يجب علينا أن نقاتل السحرة والذين يبججون الغنم كما قاله ابن خلدون وأولئك الذين يقرؤن أدعية ويخيفون الناس بأنهم قادرون أن يؤثروا فيهم . فهذه الطائفة من المسلمين الذين يقولون نأكل أموال الناس بطريق إخافتهم من دعائنا عليهم وكرامتنا ، لافرق بينهم وبين السحرة فكلهم يحتقرون لأن الله لم يجعل الكرامة وسيلة لجلب الطعام وانما جعلها وسيلة للهداية ، فاذا وجدنا من يفعل هذا حقرناه وعلمنا أنه هو والساحر سواء لافرق بينهما وهما يريدان أكل أموال الناس بالباطل

واعلم أن الله أنزل هذه الآيات ليرينا أن الحق يغلب السحر لأن عصا موسى ابتلعت عصى السحرة هكذا يجب على علماء الاسلام أن يزيلوا هذه الخرافات من المسلمين ، وليعلموا أن القرآن جاء لازالة السحر لا لتقويته ، ومن عمل السحر وزعم انه كرامة فهو ملعون ، واعلم انك اذا تصديت لرقى الأمة الاسلامية لايؤثر فيك مؤثر ألبتة وتغلب كل من يناوئك والاسلام محتاج الى مصلحين والله هو الولى الحميد

وما مثل النفوس إلا كمثل النبات فنها السام ومنها المغذى ، فلنفعل مع النفوس الساحرة والتى تصيب بالعين ما نفعل مع الحشائش الضارة بزرعنا ومع الحيوانات الصغيرة المسماة بالمكروب فانا نجتهد لإبادتها فلافرق بينها وبين النفوس المنحرفة

واعلم أن هذه الدنيا دار اشتبه فيها الباطل بالحق . ألاترى أن أكابر العلماء يقولون انها دار خيال ويستدلون بقوله تعالى ــ كل شئ هالك إلا وجهه ــ ويقول بعضهم ــ هالك ــ اسم فاعل وهو حقيقة فى المتلبس بالفعل فكأن الدنيا هالكة الآن . ويقولون إن مافى هذه الدنيا من سموات وشموس وأرضين ونبات وحيوان وضياء . كل هذا له حقائق غير هذه وانما هذه ظل الحقيقة ، ويقولون فهذه ظلال الحقيقة والحقيقة وراءها ولقد تمادوا فى ذلك حتى أوضحوه وهذه تسمى ﴿ نظرية اينشتين ﴾ فقد جاء فى بعض الجرائد المصرية يوم ١٢ فبراير سنة ١٩٢٥ ما يأتى

﴿ جبابرة العقول ﴾

(اينشتين ونظريته . الزمان والمكان)

فى عام ١٩١٥ والحرب العظمى فى أشد أدوارها خطرا أعلن نابغة الألمان الدكتور اينشتين الجزء الخطير

من نظريته وهي النسبية العامّة التي تبحث في هندسة خاصة بالكون ليست بالاقليدية ودخل ضمنا في هذا البحث أمر الجاذبية وظلّ مايقال عن النسبية العامّة والجاذبية محصورا في داخل حدود ألمانيا إذ كانت منعزلة عن العالم في هذا الأوان ، فلما وضعت الحرب أوزارها خرجت النسبية العامة خارج ألمانيا ، وحدث أن كان الكسوف الكلي للشمس عام ١٩١٩ م وهو عام الهدنة وفيه تحققت بعض آمال اينشتين فانتشرت النظرية انتشارا عظيما في هذا العام وفي الأعوام التي تليه حتى انك قلماترى مجلة لاتذكرها أوجامعة لا يلقى فيها محاضرات عنها وانتشرت الكتب الانجليزية والأميركية وأعطيت جوائزمالية كبيرة لمن يشرح النظرية شرحا ممتعا مختصرا فأنت ترى أن عام ١٩٣٠ و ١٩٢١ ومابعدهما هي أعوام الثورة الفكرية في الخارج أي خارج ألمانيا والحمد لله ، فحركة الاهتمام بالنظرية قائمة بين أبناء مصر الآن . ولنرجع بعد هذه الكلمة القصيرة الى النسبية العامّة التي ذكرناها فنقول إن أمر خطورتها يتعلق بشئ واحد وهو النظر الى الكون بعين غير العين التي ألفنا أن ننظر بها . كنا ننظر الى الكون قبل (اينشتين) بمنظار مجسم فنقول هذا شئ ونعني به كل مانلمسه أونراه ، أما نابغة الألمان فيقول ياقوم ليست هذه حقيقة ، ماهي الحقيقة إذن ؟ مسألة من أخطر المسائل تلك هي السؤال عن الحقيقة ؟ هل لو قلت لك ان الشمس طالعة وهي في رائعة النهار وكان لك عينان ترى بهما تلك الغزالة ، أليست هذه حقيقة ؟ يقول العلم الحديث كلا ، ياللهول . أليست تلك الكتلة النارية التي أراها شمسا يقول العلم الحديث . العالم مظلم ساكن لاصوت فيه وانما العقل هو الذي يصنع كل ذلك فليس السر في العالم بل السر في هذا الذي تحمله بين عظام جمجمتك ، مامعنى هذا ؟ معناه في نظر فلاسفة الكون الآن أن هذا الفضاء الواسع فيه تموّجات مختلفة الطول فان كانت هذه التموّجات الأثيرية بحالة خاصة وطول خاص أثرت على أذنك فقلت عنها صوتا وان كانت بحالة أخرى وطول آخر غير السالفة قلت انها ضوء إذ ميزتها عيناك ، فأنت ترى أن الأمواج تملأ هذا الأثير من الفضاء وهي لاتصنع صوتا ولاتحدث ضوأ أشبه بأمواج ماء البحيرة الراكد ماؤها وانما عقلك هو الذي اخترع كل هذه الكلمات من نور وصوت . مامعنى خرير الماء لنفس الماء ، ومامعنى حفيف الريح للأغصان ان لم تكن أنت واقفا هناك بالغاب . أليس الصوت والضوء أشياء وأمورا خاصة بك دون الطبيعة وتزيد الفلاسفة اليوم على ذلك أنه قد يكون في أثير هذا الفضاء الواسع موجات أخرى تختلف في سرعتها عن تموّجات الضوء والصوت ، ولكنا لانراها ولانعرف عنها شيأ إذ ليس لنا من الحواس غير الخمس . و بعد كل هذا ماهي الحقيقة ؟ ان كان العالم مظلما هامدا صامتا وان كانت كل هذه الأشياء التي نراها هي صنع أعيننا أومن صنع عقولنا كما يقولون إذ أن مركز الابصار في المخ وبه وحده نرى صور الكون على استقامتها بعد أن تكون معكوسة على شبكية العين أي ان الشمعة الموقدة ترسم على الشبكية معكوسا نورها الى اسفل ومركز الابصار في المخ هو الكفيل باعتدالها . والآن فلنرجع الى الحقيقة وأمرها في نظر اينشتين . الحقيقة في نظره ليست كل هذه الأشياء التي نراها إذ انها مهما تجسمت فهي ظواهر فقط وفرق كبير بين الظاهرة والحقيقة . نعم هذه الأشياء التي أمامنا هي ظلّ الحقيقة كما يقول العالم الألماني (منكوسكي) والذي منه استمدّ (اينشتين) آراءه في النسبية العامّة فقد قال (منكوسكي) في مجمع علوم بمدينة (كولونيا) عام ١٩٠٨ قبل ظهور النسبية العامة الخاصة بالمكان والزمان مايأتي بالحرف

﴿ يجب علينا من الآن ان نعتبر ان الفضاء قائم بنفسه أوالزمان قائم بنفسه ظل الحقيقة التي ماهي إلا اتحاد المكان بالزمان وإيجاد عالم منهما يحدث فيهما الحوادث وهي الأشياء . فالأشياء في نظر هؤلاء الجبابرة ماهي إلا حوادث ناشئة من تقاطع « أربعة إحداثيات » ثلاثة منها للمكان وواحد للزمان فالقوانين التي تحكم هذا الاطار المكزمني هي الحقيقة بعينها ﴾ اهـ

فانظر رعاك الله كيف كان علماء هذا العصر يقولون إن هذا العالم ظلّ الحقيقة وأن حقيقة هذا الانسان

وهذا الثوب وهذا الحجر وهذه الشموس إن هي إلا حركات في الأثير لا أكثر ولا أقل وهذه الحركات تختلف فتختلف الآثار على حواسنا الخمس ، فحواسنا هي الشبكة التي بها اصطدنا هذا العالم فاذا متنا كان العالم في نظرنا غير هذا . انظر الأثر المشهور ﴿ من مات فقد قامت قيامته ﴾ وانظر الكاهن المصري المذكور فيما تقدم الذي صنع الشمع تمساحا والتمساح ابتلع الرجل فلما أخذه مرة أخرى صار شمعا ، وكأن الله أوجد هذا في الدنيا سواء أكان خرافة أم صدقا ليبعث فينا فكرا جديدا . وكما أصبح التمساح الصناعي شمعا هكذا تصبح هذه الشهوات والنزوات الحيوانية شيأ لاقيمة له في النظر الحقيقي بل هذه العوالم ماهي إلا حركات بالنظر الحقيقي العصري وذلك الفكر الجديد أن هذه الدنيا لوكشف عنا حجابها لوجدنا الهموم والغموم والأحزان والطمع والمال والولد والغنى والفقر وما أشبه ذلك انما هي عوارض جاءت بها الحواس وهي التي خدعتنا ونحن بها مخدوعون ألاترى أن الناس يتعاطون المخدرات ليغيبوا عن الحواس ولكن تلك سبيل ضلال والصراط المستقيم معرفة الحقائق حتى نرى الأشياء على ماهي عليه بل ليس في الوجود سوى واجب الوجود وسواه فانما هي شؤنه . فانظر كيف كانت هذه الجملة مقولة لحكماء المسلمين . ثم انظر كيف جاء علماء العصر الحاضر فقالوا ﴿ انما الوجود خداع الحواس ﴾ * قال الشاعر

ففز بعلم تعش حيا به أبدا * الناس موتى وأهل العلم أحياء

﴿ خطاب للأمم الاسلامية ﴾

(ان هذه العلوم واجبة وجوبا كفائيا)

عرفت الشرّ لا للشـ * ـر لكن لتوقيـه

ومن لايعرف الشرّ * من الناس يقع فيه

ايها المسلمون هذه صفحة من تاريخ الشعبذة والشعوذة في الأمم الاسلامية . فالشعوذة أمثال ماذكرناه هنا من إيهام الناس بوضع الابرة في العين واخراجها من الفم وبالعكس وهي ترجع لخفة اليد والشعبذة ترجع للعلوم الطبيعية مثل مسألة البيضة التي تطير بخاصية صيرورة الماء بخارا فيها بحرارة الشمس كما تقدم . هذه صفحة من تاريخ أولئك الذين اتخذوا الدين سلما للمال والملك كما ترون في مسألة الذي أوهم الناس أن الراس بعد قطعها أخبرت بأنه مختار من الله كما رأيتم وبهذه الوسائل المضللة استعبدوا الأمم الاسلامية قديما وجعلوهم كالأنعام يمتطونهم بل هم أضلّ من الأنعام . لمثل هذا نزلت قصة السحرة في القرآن . نزلت قصة السحرة ليذكر الله المسلمين بالتفكر لئلا يضلوا فوالله لامنجى من هذا إلا بالعلوم والمعارف . ليقرا المسلمون جميع العلوم الطبيعية والكيمائية طلبا لمنافعها واحتراسا ممن يتخذونها ذريعة لطمس العقول واستضعاف الأمم الاسلامية . إن الأمم الأوروبية قد نبغت في كل علم وكل فن ولما عرفوا أمثال هذه العجائب اتخذوها ذريعة للغلبة في الحرب فاصطنعوا الغازات الخانقة والمميتة لفتح الممالك الأخرى ولم يجعلوها وسيلة للتدليس على اممهم حتى يجعلوهم دواب يمتطونهم كما فعل أولئك الرؤساء المضلون الذين جعلوا أتباعهم غنيمة لهم وتركوهم في غياية العماية والجهالة فضاعت تلك الممالك ولم يبق لها شرف ولافخار . هذا هو السبب في انحطاط الأمم الاسلامية اليوم قد خدرها الرؤساء تخديرا دام أثره الى هذه الأجيال . ولقد تقدّم في سورة الكهف عند قوله تعالى ــ وما كنت متخذ المضلين عضدا ــ أن حسن بن الصباح منع أتباعه من العلم تخديرا لعقولهم وتحذيرا من الاطلاع على ما يكنه قلبه من اضمار تعميم الجهالة . فهاك ماقاله (سديو الفرنسى) في صفحة ١٣٧ في الكتاب المترجم بالعربية عنه قال مانصه ﴿ كان لأبي عبدالله آخر رؤساء الكرمانية التصرف المطلق في المتعصبين لمذهبه فنهج نهجه رجل يسمى حسن بن الصباح (انظر مذهبه في سورة الكهف وانظر مذهب أحد أتباعه في زماننا

بالهند

بالهند الذى قدّم أتباعه عريضة فيه نشرت فى الاهرام وذكرتها فى سورة ابراهيم) سافر كثيرا وتبحر فى العلوم وعرف فرق الدين المحمدى وأخذ فى نهاية القرن الحادى عشر من الميلاد يعظ الناس ويحثهم على اتباع مذهب جديد يغلب على الظنّ أنه قريب من (مذهب الكرمانية) فتبعه جموع غفيرة ملك بهم عدة قلاع وحصون واستوطن حصون الموت المشيد على هضبة قرب (قزوين) فلقب بشيخ الجبل وأعلن العداوة للنصارى والمسلمين ورأى نفسه بينهم بمنزلة الإله الثانى الذى شغله الاقتصاص من الظالمين للظلومين ونفذت أوامره فيمن معه فكان اذا أمر بقتل أحد منهم بادر بالقاء نفسه من شاهق جبل على اسنة الرماح أوطعن بطنه بخنجر أو بقتل أحد من غيرهم بادروا بقتله ولو وزيرا أوسلطانا أوخليفة عباسيا . انه أخبرقومه أن شارب الحشيش يذوق جميع لذات الفردوس فكانوا كالبهائم بسبب السكر بالحشيش مستعدّين لارتكاب أكبر الكبائر ولذلك سماهم المؤرخون (الحشاشين) لا الحساسين أى القتالين كما زعمه الفرنجة . كلا . وأذن لهم فى النهب فنهبوا وجالوا بأسلحتهم فى الشأم حتى بلغوا جبل لبنان و بنوا فى الشأم أماكن محصنة ونهبوا جميع القوافل التى تمرّ بأرضهم وقطعوا الطرق وملكوا فى غرة القرن الثالث عشر من الميلاد كثيرا من المنازل فى العراق والشام وحصونا أخرى قرب دمشق وحلب وتوطنوا من ابتداء سنة احدى وستين ومائة وألف ميلادية بالعراق الفارسى فبذل (الملك شاه) عزائمه فى اعدامهم ولم يبالوا بذلك بل يقال ان نظام الملك الذى كان الوزير الأعظم لهذا السلطان قتله أحدهم لشدّة تعصبه وغيرته على مذهبه الدينى ، وكان هؤلاء الحشاشون مع الفاطمية كحزب واحد لشدة مخاصمتهم وادمان مشاجرتهم مع أهل السنة ﴾ انتهى بالحرف

ولقد تقدم كما ذكرت هنا فى سورة ابراهيم أن أغا ممنون بالهند الآن يقول أتباعه انهم معه أشبه بأتباع حسن بن الصباح له وانهم سائرون على منهجهم حذو القذة بالقذة وأن العبادة له هولا لله ، وقد أرسله الانجليز الى الديار المصرية أيام غياب عباس باشا حلمى الخديوى السابق ليكون ملكا لمصر باعتبار أن الفاطمية كانوا بها سابقا وهذا من أتباعهم فكان ذلك سببا فى أن المغفور له السلطان حسين باشا كامل رضى بتولى الملك فى مصر ، فانظر لأمم أوروبا الذين يقرؤن التاريخ ويأخذون منه مايوافق سياستهم ، فلينظر المسلمون فى ماضى تاريخنا فان قصة السحرة ماجاءت إلا لنحترس من المدلسين ولكن الجهل هوالذى أوقع آباءنا فى أيدى المضلين الماكرين ، وأنا أحمد الله الذى جعل هذا التفسير كحد فاصل بين زمان العرفان الآتى وبين القرون المتأخرة التى أورثتنا ضلالة وملأت بلادنا بالمضلين من الشيوخ الذين اتخذوا الدين وسيلة لجمع المال ولحوز الملك وللاتحاد مع الحكام الأجانب أوغيرهم . كل هذا لأن الله يحاسب الناس على ضياع عقولهم ونبذ نوره الذى وهبه لهم وذكائهم والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم

وقال (سديو) أيضا فى صفحة (١٢٢) مانصه ﴿ ظهر فى زمن الأموية عدّة فرق دينية تعوّق ازالتها كالخوارج والقدرية والأزارقة والصفرية ، وفى عصر العباسية فرقة المعتزلة وفرقة الراوندية الزاعمة أن الخلفاء يعبدون كعبادة الإله وتعتبر دورهم كعبة جديدة وقاتلهم المنصور فقابلوه بأعظم ما يكون من الشجاعة والبأس ليعبدوه قهرا عنه وظهرت أيضا فرقة الزيدية القائلة بحرمة أكل الحيوان وتملك الانسان شيأ لخاصة نفسه ﴾ اه

أليس هذا كله من سحر العقول بالتأثير والايهام والتغرير ، وليس ينجى المسلمين من هذا إلا قراءة كل تاريخ وكل علم وانتهاج الخطة المثلى وتعميم التعليم والا حقت كلمة العذاب . هذا هو الذى جاءت لأجله قصة السحرة فى سور القرآن ، فانظر الى المنصور أيام صولة الدين وعزّته كيف قاتل من يعبدونه ، وانظر الى حسن ابن الصباح والى بعض شيوخ الطرق اليوم كيف يجعلون أنفسهم فى مصاف المقدّسين كأنهم معبودون وكأنهم هم المختصون بالشفاعة وكيف يحرّم بعضهم أن ينظر أتباعه لوجهه بل لايسلمون عليه إلا وهم مطأطئون رؤسهم وكيف كثرت هذه الخرافات فى أمم الاسلام وخالف الناس أخلاق الصدر الأوّل . لهذا انحطت المدارك وذهبت

الأمم الاسلامية فحايا الجهالة وقد أنذرت وحذرت والله هو الولي الحميد . تم الكلام على القسم الثاني من السورة

(الْقِسْمُ الثَّالِثُ وَالرَّابِعُ)

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ * قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ * الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ * وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ * وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ * رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ * وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ * وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ * وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ * وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ * يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ * وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ * وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ * وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ * فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ * وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ * قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ * تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ * فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ * فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ * قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ * وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ * إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ * قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ * قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ * فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ *

التفسير اللفظى

قال تعالى (واتل عليهم) على مشركى العرب (نبأ ابراهيم * إذ قال لأبيه وقومه ماتعبدون) أى أى شئ تعبدون ، وهذا الاستفهام للاستخفاف بما يعبدون وانه لايستحق العبادة (قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين) أى نقيم على عبادتها ليلا ونهارا (قال هل يسمعونكم) أى دعاءكم (إذ تدعون) هل يجيبكم الآلهة اذا دعوتموهم (أو ينفعونكم) فى معايشكم اذا أطعتموهم (أو يضرون) فى معايشكم اذا عصيتموهم (قالوا) لا (بل وجدنا) ولكن وجدنا (آباءنا كذلك يفعلون) يعبدونها فنحن نعبدهم مقتدين بهم (قال) ابراهيم (أفرأيتم ما كنتم تعبدون * أنتم وآباؤكم الأقدمون) وما كان يعبد آباؤكم الأولون (فانهم عدوّ لى) أى أعداء لعابديهم لأن عبادتهم أضرّ على العابدين من الأعداء وانما نسب الأمر لنفسه ليكون أدعى الى القبول وأفرد العدوّ لأنه فى الأصل مصدر أو أريد به الجنس (إلا رب العالمين) استثناء منقطع أى ولكن رب العالمين ثم وصفه بثمان صفات ترجع الى افاضة الخير والنعمة على العبد فانه أوّلا خلقه (١) من نطفة (٢) ثم هداه لثدى أمه ولما بعده من أمور المعاش والعلم واصلاح نفسه (٣) وانعم عليه بالطعام (٤) والشراب لبقاء بدنه (٥) وأنعم عليه بالشفاء اذا مرض وذلك إما بالعقاقير واما باجابة الدعاء حتى اذا دنا أجله (٦) أماته فاذا جاء اليوم المعلوم (٧) أحياه واذا جاء دور حسابه غفر له خطاياه وأدخله الجنة ، فلخص ذلك أن ابراهيم دعا قومه الى الله بما دعا به موسى وبما دعا به محمد ﷺ ألاترى أن نبينا ﷺ جاء على لسانه فى أوّل السورة ــ أولم يروا الى الأرض كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم ــ والى موسى كيف ذكر السموات والأرض وخلقهم وخلق آبائهم الأوّلين والمشرق والمغرب وما بينهما ، وهنا ذكر خلق الانسان وتطوّره فى جميع أحواله من يوم الولادة الى الوقوف بين يدى الله تعالى فرجع الأمر الى العلوم الطبيعية التى هى المنفذ الوحيد للسعادة فى الحياة من حيث منافعها وفى الموت من حيث التفكر فيها ، فانظر كيف جعل الله سعادة الآخرة متوقفة على التفكر فيما به حياتنا من غذاء وشراب ودواء وهداية لذلك ولغيره ، انظر كيف ذكر خلقنا وذلك عينه هو علم الأجنة وعلم التشريح وذكر الهداية وذلك منوط بعلوم الحكمة وعلوم الدين والشرائع وذكر طعامنا وذلك متوقف على درس الأشياء المحيطة بنا والاجتهاد فى استثمارها وذكر السقى وذلك يكون بالماء وهو ينزل من السحاب الجارى بالهواء المتحرك بالحرارة السارية من الشمس الجارية فى مدارها الجاذبة لما حولها من السيارات المجذوبة بغيرها من الشموس وذكر المرض وهو أنواع كثيرة تختلف اختلافا كثيرا تحتاج الى دراسة خاصة وعلماء يختصون بها وذكر الشفاء منه وذلك بدرس جميع العقاقير الطبية والمناسبة بينها وبين الأمراض وآثارها فى أجسامنا واختلاف الآثار باختلاف الأقاليم والفصول والأشخاص وأن هذا تشتدّ الحاجة اليه فى المدن وتقل فى البدو لجودة الهواء وقلة أنواع الغذاء وعدم تكاثرها الموجب تعفن الأخلاط فى الجسم فهم أقرب الى الصحة من أهل المدن كما أن الحيوانات الوحشية تقل فيها الأمراض وتكثر فى الحيوانات الأهلية كما تكثر فى الناس لفساد الهواء والازدحام فى المدن والحياة التكلفية والامور العارضة ، كل ذلك يستوجبه ذكر الشفاء ثم اذا جاء أجل الانسان مات ليخلو وجه الأرض لمن بعده لأنه لو بقى الناس بلاموت لازدحموا ولعسرت الحياة فالموت نعمة على الأموات وعلى من بعدهم من الأحياء وكراهة الموت ناشئة من جهل هذا الانسان وعدم إلمامه بعلم الحكمة ونظام هذه الدنيا . ولو فكر العقلاء وأدركوا الحقائق لفرحوا بالموت وكيف لايفرحون بما هو نعمة عليهم . إن النعمة والرحمة حاصلتان فى حسن النظام العام والنظام العام لايتم ولا يكمل إلا بأن يرحل قوم من الأرض لتخلو لمن بعدهم لأنهم لو بقوا معهم لكانت الحياة لاتطاق . فبهذا الاعتبار كان الموت من النعم العامّة كالحياة وربما كان قدماء المصريين قد أدركوا هذه الحقائق . ألاترى الى خطاب ابن الملك للكاهن فى الحكايات المتقدّمة

فى هذه السورة وقوله له انك بلغت الحال التى لاحياة بعدها وانك عن قريب ستوضع فى القبر الى آخر ماهذا معناه فارجع اليه فيما تقدم

(٨) ثم يبعث الانسان بعد الموت لينال جزاء ماعمل فى الحياة الدنيا والبعث نتيجة هذه الحياة

فهذا القول استدلال على الله وعلى الآخرة بعلم الطبيعة كما فعل موسى وكما جاء فى أوّل السورة عند دعوة رسول الله ﷺ وهـذه المعانى الثمانية هى قوله (الذى خلقنى) الى قوله (والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين) ثم أخذ يدعو الله بدعوات خمس متدرجا فيه من حال الحياة الى حال الموت على منوال ماتقدم فى كلامه ، فأوّلا طلب من الله أن يهبه (حكما) أى كمالا فى العلم والعمل ليستعد بذلك للخلافة لله ورياسة المخلوقين وذلك هو صفة الصالحين التى تلحق الانسان بهم ولذلك أعقبها بالثانية فقال (وألحقنى بالصالحين) أى وفقنى للكمال فى العمل لأنتظم به فى عداد الكاملين فى الصلاح بحيث لايذنبون ذنبا صغيرا ولا كبيرا وذلك متى حصل يعقبه الصيت والذكر الحسن وهو قوله (واجعل لى لسان صدق) جاها وحسن صيت فى الدنيا يبقى أثره (فى الآخرين) الى يوم الدين ولذلك ترى جميع الأمم محبين لابراهيم عليه السلام وقد جاء من ذرّيته نبينا ﷺ يجدّد أصل دينه ويدعو الناس الى التوحيد كما دعا اليه ، ولما كان ذلك ليس بعده إلا ثواب الآخرة قال (واجعلنى من ورثة جنة النعيم) فى الآخرة ، فانظر كيف طلب الكمال فى العلم والعمل وذلك يلحقه بالصالحين وذلك يورثه الصيت والذكر الحسن و بعد ذلك تكون الجنة فلم يبق إلا أن يدعو لأقرب الناس اليه بعد أن أتمّ الدعاء لنفسه فقال (واغفر لأبى انه كان من الضالين) عن طريق الهدى وهذه الدعوة للوفاء بوعد أبيه كما جاء فى آية أخرى ـ وما كان استغفار ابراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه ـ الآية ثم أتبع ذلك بدعوة يريد بها وصف أحوال الآخرة فقال (ولا تخزنى يوم يبعثون) أى ولا تخزنى بمعاتبتى على مافرطت أو بنقص مرتبتى والضمير فى يبعثون للعباد لأنهم معلومون ، ثم أخذ يبين حال يوم البعث فقال (يوم لاينفع مال) كثرة المال (ولا بنون * إلا من أتى الله بقلب سليم) خالص من الذنب وحب الدنيا أى لا ينفعان أصلا إلا مخلصا سليم القلب من العيوب وكبائر الذنوب فان مثل هذا يجعل المال فيما خلق له ويرشد البنين الى الحق ويعلمهم الخير ليكونوا مطيعين لله (وأزلفت) قربت (الجنة للمتقين) فصارت لهم منزلا (وبرزت الجحيم) أى ظهرت (للغاوين) للكافرين ، ثم أخذ يصف مايعانيه هؤلاء من قذفهم فى النار وطرح بعضهم على بعض وحشر الآلهة معهم والجنّ وتخاصمهم مع المعبودين عند ماظهر الحق وقولهم كيف نعدلكم برب العالمين ومادعانا الى عبادتكم إلا المجرمون ثم اعلانهم اليأس من كل شافع وكل صديق قريب ثم تحسرهم وتمنيهم بعد اليأس أن يرجعوا الى الدنيا ليؤمنوا وهذا هو قوله تعالى (وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون * من دون الله) فى الدنيا من الأصنام (هل ينصرونكم) يمنعونكم من عذاب الله (أو ينتصرون) لأنفسهم (فكبكبوا) جمعوا وقذفوا وطرحوا بعضهم على بعض (فيها) فى جهنم (هم والغاوون) الذين أغووهم وهم الآلهة والجنّ (وجنود ابليس أجمعون) أتباعه (قالوا وهم فيها يختصمون) مع آلهتهم ورؤسائهم وذرّية ابليس (تالله إن كنا) انه أى الحال والشأن كنا (لفى ضلال مبين) ويخلق الله السمع فى الأصنام كما يخلق النطق (إذ نسوّيكم برب العالمين) فى استحقاق العبادة (وما أضلنا) ماصرفنا عن الايمان (إلا المجرمون * فمالنا من شافعين) كما للمؤمنين من الملائكة والأنبياء والعلماء الذين أفاضوا عليهم العلم فى الدنيا فانتفعوا بالعمل فى الآخرة فكانت الشفاعة وقوله (ولا صديق حميم) ذى قرابة يهمه أمرنا (فلو أن لنا كرة) لو للتمنى أى ياليت لنا رجعة وجواب التمنى (فنكون من المؤمنين * إن فى ذلك لآية) أى ان فيما ذكر من قصة ابراهيم لحجة وعظة للمستبصرين فان ماجاء فى هذه السورة مقوّ للتعقل واتباع الحكمة والعلم فقد استبان لك كيف شرح حال الحياة الانسانية من خلق وهداية وطعام وشراب ودواء وموت وحياة ووصف أحوال السعداء والأشقياء وتخاصمهم وكيف يختصمون عند ظهور الحقائق ويلقى

بعضهم التبعة على بعض ، وكيف أبان أن الحياة الآخرة لاخير فيها إلا لمن أخذ المقصود منها وهوسلامة القلب من حبها ومن الكفر والنفاق ثم كيف أظهرالقوم اليأس وتمنوا أن يرجعوا الى الحياة كرة أخرى وانظر كيف كانت الآية هنا مؤيدة لآية موسى إذ صرف العقول الى الحكمة والعلم ولم يعبأ إلا بالنظرفى الكائنات ولم يكن لمعجزة العصا واليد سبيل الى الهداية إلا عند السحرة الذين هم علماء فأصبحت قصة ابراهيم وموسى ومبدأ السورة فى مستوى واحد ولم يذكر فى هذه السورة من قصص ابراهيم غيرذلك . كل هذا نبذلطريق السحرة ولطريق الشعراء الذين يقولون مالايفعلون بل الشعرالذى به تحسين اللفظ واحداث الصورالتخيلية التى ذكرها علماء البيان والبديع والمعانى جعلت لفتح باب الخيال فهى مقدمات لولوج باب الحكمة والعلوم الطبيعية فمن ظنّ من الأمّة الاسلامية أن علم الشعر مقصود لذاته فقد جهل وضلّ ضلالا مبينا . نعم علم الشعروتاريخه من عصور الجاهلية الى عصرنا الحاضر والنظر فى تطوّره وتطوّر الأمم التى كان فيها الشعراء والاعتبار بما كان فى تلك الدول من ظلم وعدل وخفض ورفع . كل ذلك نافع فى اتساع عقول المسلمين كما أخذ بذلك المسلمون فى مصر بدارالعلوم وغيرها فى هذه الأيام ، وسنتم هذا البحث ان شاء الله فى آخر السورة عند ذكر الشعراء ، وقوله تعالى (وما كان أكثرهم مؤمنين) أى أكثر قومه مؤمنين به كما حصل لموسى ولمحمد صلى الله عليهما وسلم وكل واحد منهم دعا قومه بالنظر والعلم الصحيح (وان ربك لهو العزيز) القادر على تعجيل الانتقام (الرحيم) بالامهال لكى يؤمنوا هم أوذريتهم

﴿ جوهرة فى قوله تعالى — واذا مرضت فهو يشفين — ﴾

اعلم أن شفاء الله للأمراض مثله كمثل الرزق ، فكما أن الرزق يعوزه علم الانسان وعمله كذلك الطب واذا وجدنا الناس شرقا وغربا اشتركوا فى أمورالرزق من حيث النظام العام هكذا نجد الأوّلين والآخرين من بنى آدم اتحدوا وساعد بعضهم بعضا فى الطب . علم بذلك العلماء ولكنّ أكثر الناس لايعلمون ، فسأذكر لك ماحاولته أمة اليونان ومن نحا نحوها فى الطب ، ثم أتبعه بما أفادنا به قدماء المصريين فى الكشف الحديث ثم أتبعه بشروط حفظ الصحة ثم الكلام على العلاج الطبيعى

يقول الله عزّوجل على لسان ابراهيم — واذا مرضت فهو يشفين — نسب الشفاء لله ليفتح لنا باب البحث والنظر فى أمر الشفاء وعلم الطب وقد جاء فى سورة النحل عند قوله تعالى — يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس — . اعلم أن العلماء لما بحثوا فى أصل الطب من أين جاء تحيروا ولكن بعد اللتيا والتى وجدوه لايعدو ﴿ ثلاثة أحوال * الحال الأولى ﴾ التجربة ﴿ الحال الثانية ﴾ الإلهام ﴿ الحال الثالثة ﴾ المصادفة والاتفاق ، فهذه الأحوال الثلاث هى أصول الطب

﴿ الحال الأولى ﴾

(١) يقولون ﴿ ان امرأة كانت بمصر وكانت شديدة الحزن والهم مبتلاة بأمراض كثيرة منها ضعف المعدة . ومنها امتلاء الصدر بأخلاط رديئة . ومنها احتباس حيضها فاتفق أنها أكلت (الراسن) مرارا كثيرة بشهوة فذهب عنها جميع ما كان بها ورجعت الى صحتها فلما سمع به الناس استعملوه فبرئوا من ذلك المرض ﴾

(٢) وقال حبيش الأعسم ﴿ إن رجلا اشترى كبدا طرية من جزار ومضى الى بيته فاحتاج أن ينصرف فى حاجة أخرى فوضع تلك الكبد المشتراة على أوراق نبات مبسوطة كانت على وجه الأرض ثم قضى حاجته وعاد ليأخذ الكبد فوجدها قد ذابت وسالت دما فأخذ تلك الأوراق وعرف ذلك النبات وصار يبيعه دواء للتلف حتى فطن به وأمر بقتله ﴾ قال صاحب عيون الأنباء فى طبقات الأطباء بعد ماذكر هذه الحكاية انها كانت فى زمن (جالينوس) * وروى عنه أنه قال ﴿ وأمرت أيضا فى وقت مروره الى القتل أن تشدّ عيناه حتى لاينظر الى ذلك النبات أوأن يشير الى أحد نحوه فيتعلمه منه ﴾

(٣) وأيضا قال حدثني جمال الدين النقاش السعودي أن في لحف الجبل الذي بناحية (المعرد) عشبا كثيرا وأن رجلا نام على نبات هناك فلم يزل نائما حتى رآه الناس والدم يسيح من أنفه ومن مخرجه فتعجبوا حتى ظهر لهم أن ذلك من النبات الذي نام عليه ، قال صاحب الكتاب ان جمال الدين أخبره انه خرج الى ذلك الموضع ورأى النبات وذكر انه أشبه (بالهندبا) وهو مر المذاق وقال له انه شاهد كثيرا من الناس يقربونه من أنوفهم ويستنشقونه مرارا فيحدث لهم رعاف ، قال ابن أبي أصيبعة ولم يتحقق عندي أهو الذي أشار له (جالينوس) أم غيره ، قال ابن المطران ﴿ إن النفس الفاضلة تنظر وتقول إن الدواء فعل ذلك الفعل فلابد أن يكون هناك دواء آخر ينفع هذا العضو وحينئذ نأخذ في التجربة ونطلب كل يوم حيوانا فنعطيه الدواء الأول ثم الثاني وهكذا وأخذ يضرب الأمثال ، وملخصها أن أمثال هذه الحوادث تنبه الأذكياء الى البحث والتنقيب حتى يركبوا أدوية كثيرة باجتهادهم . هذا ملخص أمر التجربة في الطب

﴿ الحال الثانية . الإلهام وذلك بالرؤيا الصادقة ﴾

حكى جالينوس في كتابه في الفصد إذ فصد العرق الضارب لما أمر به قال ﴿ إني أمرت في منامي مرتين بفصد العرق الضارب الذي بين السبابة والابهام من اليد اليمنى ، فلما أصبحت فصدت هذا العرق وتركت الدم يجري الى أن انقطع من تلقاء نفسه لأني كذلك أمرت في منامي فكان ماجرى أقل من رطل فسكن عني بذلك المكان وجع كنت أجده قديما في الموضع الذي يتصل به الكبد بالحجاب وكنت في وقت ماعرض لي هذا غلاما

(٤) وقال جالينوس ﴿ رأيت رجلا عظم لسانه وانتفخ حتى لم يسعه الفم فتحايلت في مداواته ففي ليلته رأى قائلا يقول له أمسك في فك عصارة الخس فاستعمل هذه العصارة كما أمر في المنام وبرأ برأ تاما ﴾

ثم قال جالينوس في شرحه لكتاب الايمان لأبقراط مانصه ﴿ وعامة الناس يشهدون أن الله تبارك وتعالى هو الملهم لهم صناعة الطب من الأحلام والرؤيا التي تنقذهم من الأمراض الصعبة ، وذلك أنا نجد خلقا كثيرا ممن لايحصى عددهم أتاهم الشفاء من عندالله تبارك وتعالى بمثل ذلك ﴾

(٥) قال (أريباسيوس) في كناشه الكبير ﴿ إن رجلا عرض له في المثانة حجر عظيم قال وقد داويته بكل دواء فلم ينجح فلما أشرف على الهلاك رأى في النوم انسانا أقبل وفي يده طائر صغير الجثة فقال له هذا الطائر يكون بمواضع السباخات والآجام فخذه واحرقه وتناول من رماده حتى تسلم ، فلما انتبه فعل ذلك فخرج الحجر من مثانته مفتتا كالرماد وبرأ برأ تاما ﴾

(٦) قال ابن أبي أصيبعة ﴿ إن بعض خلفاء المغرب مرض مرضا طويلا وتداوى كثيرا فلم ينتفع بها فرأى في بعض الليالي النبي ﷺ في نومه فشكاله مايجده فقال ﷺ ادهن بلا وكل لا تبرأ . فلما انتبه من نومه بقي متعجبا من ذلك ولم يفهم مامعناه ولم يعرف المعبرون عنه شيأ إلا علي بن أبي طالب القيرواني فانه قال ياأمير المؤمنين ان النبي ﷺ أمرك أن تدهن بالزيت وتأكل منه فتبرأ لأن الله يقول ـ من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولاغربية ـ فلما استعمل ذلك صح وبرأ ﴾

(٧) قال ونقلت من خط علي بن رضوان في شرحه لكتاب جالينوس في فرق الطب مانصه ﴿ قد عرض لي منذ سنين صداع مبرح عن امتلاء في عروق الرأس ففصدت فلم يسكن وأعدت الفصد مرارا وهو باق على حاله فرأيت جالينوس في النوم وقد أمرني أن أقرأ عليه حيلة البرء فقرأت عليه منها سبع مقالات فلما بلغت الى آخر السابعة قال فنسيت مابك من الصداع وأمرني أن أحجم (القمحدوة) من الرأس ثم استيقظت فحجمتها فبرأت من الصداع على المكان ﴾

(٨) وقال عبد الملك بن زهر في كتاب التيسير ﴿ اني كنت قد اعتل بصري من قيء بحراني أفرط علي

فعرض لي انتشار في الحدقتين دفعة فشغل بذلك بالي فرأيت فيما يرى النائم من كان في حياته يعنى بأعمال الطب فأمرني في النوم بالاكتحال بشراب الورد وكنت لم أزل طالبا لم يكن لي حنكة في الصناعة فأخبرت أبي فنظر في الأمر مليا ثم قال استعمل ما أمرت به في نومك فانتفعت به ، ثم لم أزل أستعمله الى وقت وضعي هذا الكتاب في تقوية الابصار . هذا أيضا كثير مما يحصل بالرؤيا الصادقة فانه قد يعرض أحيانا لبعض الناس أن يروا في منامهم صفات أدوية ممن يوجدهم إياها فيكون بها برؤهم ثم تشتهر بالمداواة بتلك الأدوية فيما بعد ﴾ انتهى الكلام على الحال الثانية

﴿ الحال الثالثة ﴾

أن يكون قد حصل لهم شئ بالاتفاق والمصادفة مثل ماحصل لأندروماخس وغيره فيما تقدم في آخر سورة النحل إذ ذكرت لك هناك كيف عرف الأطباء بالاتفاق كون سم الحيات يشفى بلحومها . وهكذا كل سم لحيوان يمنع ضرره لحم ذلك الحيوان . وهكذا يشفى كل مرض مزمن قوى بلحوم الحيات كالبرص والجذام فارجع اليه إن شئت هناك لتعرف هذه الأحوال الثلاث وهى التجربة والاحلام والمصادفات والاتفاق وانما ذكرت لك ذلك لتفهم قوله تعالى هنا ــ واذا مرضت فهو يشفين ــ

إن الشفاء من الله فانه إما أن يلهم الناس في أحلامهم وهذا منه تعالى واما ان يلهمهم في اليقظة فيتفكرون كما في الحال الأولى وهذه هي التجربة واما أن تقع لهم الأشياء مصادفة فيفكرون فيها فسواء أكان بالأحلام ام بالاعتبار والبصيرة فكل هذا من الله . ولتعلم أن الله عزّ وجل لايحب أن تكون جميع علومنا بالأحلام والرؤى ولا بوحى الأنبياء لأن الأحلام انما هي موقظات فقط ثم ان الناس عليهم أن يجدّوا بأنفسهم ليرتقوا أما الأنبياء عليهم السلام فان الله جعلهم قليلا في الأرض هكذا النابغون في الأمم والحكماء . ذلك لأن الله يريد أن يجعل هؤلاء الأنبياء موقظين فيوحى اليهم قولا اجماليا ويطلب من أتباعهم أن يفكروا فيه فلو أن الناس أتت لهم جميع أعمالهم بطريق الرؤى أو كان الأنبياء معطين الناس كل علم وكل حكمة بحيث لايفكرون ولايدرسون وانما يعيشون على أحلامهم الصادقة وأنبيائهم الصادقين لكان ذلك وبالا ولذلك تجد الأحلام الصادقة قليلة جدا والأنبياء قلوا والعلوم التى أتوا بها تحتاج الى التعقل والتفكر حتى لاتموت عقول الشعوب التابعة لهم بالاتكال على ماسمعوه وعلى كل فالشفاء من الله إما بالرؤيا واما بالجدّ والاجتهاد والتفكر والأوّل مبادئ وما بعده هو الأغلب الأكثر الأعم

وهناك ﴿ حال رابعة ﴾ وهى مايشاهده الناس في الحيوان مثل ماذكره الرازى في كتاب الخواص أن الخطاف اذا وقع بفراخه اليرقان مضى فجاء بحجر اليرقان وهو حجر أبيض صغير يعرفه فجعله في عشه فيبرأ وأن الانسان اذا أراد ذلك الحجر طلا فراخه بالزعفران فيظنّ أنه قد أصابهم اليرقان فيمضى فيجيء به فيؤخذ ذلك الحجر و يعلق على من به اليرقان فينتفع به (هكذا يقول ابن أبي أصيبعة والله أعلم بالحقائق) وكذلك من شأن العقاب الأنثى انه اذا تعسر عليها بيضها وخروجه وصعب حتى تبلغ الموت ورأى ذكرها ذلك طار وأحضر حجرا يعرف بالقلقل لأنه اذا حرّك تقلقل في داخله فاذا كسر لم يوجد فيه شئ وكل قطعة منه اذا حركت تقلقلت مثل صحيحه . وأكثر الناس يعرفه بحجر العقاب و يضعه فيسهل على الأنثى بيضها والناس يستعملونه في عسر الولادة على ما استنبطوه من العقاب . ومثل ذلك ايضا أن الحيات اذا أظلمت أعينهنّ لكمونهنّ في الشتاء في ظلمة بطن الأرض وخرجن من مكامنهنّ في وقت مايدفأ الوقت طلبن (نبات الرازيانج) وأمررن عيونهنّ عليه فيصلح مابها . فلما رأى الناس ذلك وجرّبوه وجدوا من خاصيته اذهاب ظلمة البصر اذا اكتحل بمائه . وذكر جالينوس في كتابه في الحقن عن (أرودوطس) أن طائرا يدعى (ايبس) هو الذى دل على علم الحقن وزعم أن هذا الطير كثير الاغتذاء لايترك شيأ من اللحوم إلا أكله فيحتبس بطنه لاجتماع

الأخلاط الرديئة وكثرتها فيه فاذا اشتد ذلك عليه توجه الى البحر فأخذ بمنقاره من ماء البحر ثم أدخله في دبره فيخرج بذلك الماء الأخلاط المحتقنة في بطنه ثم يعود الى طعامه الذي عادته الاغتذاء به

﴿ الحال الخامسة ﴾

ان يكون حصل شئ منها أيضا بطريق الإلهام كما هو لكثير من الحيوانات فانه يقال ان البازي اذا اشتكى جوفه عمد الى طائر معروف يسميه اليونانيون (ذريقوس) فيصيده ويأكل من كبده فيسكن وجعه على الحال وكما تشاهد عليه أيضا السنانير فانها في أوقات الربيع تأكل الحشيش فان عدمت الحشيش عدلت الى خوص المكانس فتأكله ، ومعلوم أن ذلك ليس مما كانت تغتذي به أوّلا وانما دعاها الى ذلك الالهام لفعل ماجعله الله تعالى سببا لصحة أبدانها فاذا أكلته تقيأت أخلاطا مختلفة قد اجتمعت في أبدانها ولاتزال كذلك الى أن تحسّ بالصحة المأنوس اليها بالطبع فتكف عن أكله ، وكذلك أيضا متى نالها أذى من بعض الحيوانات المؤذية ذوات السموم أو أكلت شيأ منها فانها تقصد الى السيرج والى مواضع الزيت فتنال منه وعند ذلك يسكن عنها سورة ماتجده * ويحكى أن الدواب اذا أكلت الدفلى في ربيعها أضرّ ذلك بها فتسارع الى حشيشة هي بادزهر للدفلى فترتعيها ويكون بها برؤها ، ومما يحقق ذلك حالة جرت من قريب وهي ان بهاء الدين بن نفاذة الكاتب حكى انه لما كان متوجها الى الكرك كان في طريقه بالطليل وهي منزلة كثيرة نبات الدفلى فنزل هو وآخر في مكان منها والى جانبهم هذا النبات فربط الغلمان دوابهم هنالك وجعلت الدواب ترعى مايقرب منها وأكلت من الدفلى فأما دوابه فان غلمانه غفلوا عنها فسابت ورعت من مواضع متفرّقة ، وأما دواب الآخر فانها بقيت في موضعها لم تقدر على التنقل منه ولما أصبحوا وجدت دوابه في عافية ودواب الآخر قد ماتت بأسرها في ذلك الموضع * وحكى (ديسقوريدس) في كتابه أن المعز البرّية باقريطس اذا رميت بالنبل وبقيت في أبدانها فانها ترعى النبات الذي يقال له (المشكطرامشير) وهو نوع من الفوتنج فيتساقط عنها مارميت ولم يضرّها شئ منه * وحكى القاضي نجم الدين عمر بن محمد بن الكرندى أن اللقلق يعشش في أعلى القباب والمواضع المرتفعة وأن له عدوا من الطيور يتقصده أبدا ويأتي الى عشه ويكسر البيض الذي للقلق فيه قال وان ثم حشيشة من خاصيتها أن عدوّ اللقلق اذا شم رائحتها يعمى فيأتي بها اللقلق الى عشه ويجعلها تحت بيضه فلايقدر العدوّ عليها . وذكر أوحد الزمان في المعتبر أن القنفذ لبيته أبواب يسدّها ويفتحها عند هبوب الرياح التي تؤذيه وتوافقه * وحكى أن انسانا رأى الحبارى تقاتل الأفعى وتنهزم عنها الى بقلة تتناول منها ثم تعود لقتالها وأن هذا الانسان عاينها فنهض الى البقلة فقطعها عند اشتغال الحبارى بالقتال فعادت الحبارى الى منبتها ففقدتها وطافت عليها فلم تجدها فخرت ميتة فقد كانت تتعالج بها ، قال وابن عرس يستظهر في قتال الحية بأكل السذاب والكلاب اذا دوّدت بطونها أكلت السنبل وتقيأت واستطلقت ، واذا جرح اللقلق داوى جراحه بالصعتر الجبلي ، والثور يفرق بين الحشائش المتشابهة في صورها ويعرف مايوافقه منها فيرعاه ومالايوافقه فيتركه مع نهمه وكثرة أكله وبلادة ذهنه ومثل هذا كثير ، فاذا كانت الحيوانات التي لاعقول لها ألهمت مصالحها ومنافعها كان الانسان العاقل المميز المكلف الذي هو أفضل الحيوان أولى بذلك وهذا أكبر حجة لمن يعتقد أن الطب انما هو إلهام وهداية من الله سبحانه لخلقه . وبالجملة فانه قد يكون من هذا ومما وقع بالتجربة والاتفاق والمصادفة أكثر ماحصلوه من هذه الصناعة ثم تكاثر ذلك بينهم وعضده القياس بحسب ماشاهدوه وادّتهم اليه فطرهم فاجتمع لهم من جميع تلك الأجزاء التي حصلت لهم بهذه الطرق المتفننة المختلفة أشياء كثيرة ثم انهم تأمّلوا تلك الأشياء واستخرجوا عللها والمناسبات التي بينها فتحصل لهم من ذلك قوانين كلية ومبادى منها يبتدأ بالتعلم والتعليم والى ماأدركوه منها أوّلا ينتهى فعند الكمال يتدرج في التعليم من الكليات الى الجزئيات وعند استنباطها يتدرّج من الجزئيات الى الكليات اهـ

هذا

هذا ما اصطفيته من كتب المتقدمين وقد ظهر منه أنه ليس لمن قبل اليونان طب ذلك لأن سلسلة التاريخ الطبي لم تظهر بين الأمتين فى التاريخ فانظر ماذا جرى . الذى جرى أن مدرسة الطب المصرية قد مضى لها منذ تأسيسها (١٠٠) سنة وصادف أن ذلك وقت طبع هذه السورة أى قبيله بقليل والأمة المصرية كثر عددها فوجب توسعة المدرسة فهنالك أخذت الحكومة تبنى لها بناء جديدا واجتمع مؤتمر طبى لهذه المناسبة ووضع الحجر الأول بحضورهم ، وبهذه المناسبة كتبت الجرائد المصرية تاريخ الطب فرأيت أن ما كتبته الآن ليس أول الطب فى العالم المعروف بل ظهر أن قدماء المصريين كان الطب عندهم منذ آلاف السنين مشابها للطب الحديث الآن كل المشابهة ، فبينما نرى هؤلاء الأطباء الذين ذكروا هنا لايزالون ينتظرون الطب من الرؤى فى المنام ومن التجاريب اذا قدماء المصريين قبلهم بآلاف السنين قد وصلوا لما وصل اليه الناس الآن ، فهاك ماجاء فى احدى المجلات العلمية بتاريخ (٢٠) ديسمبر سنة (١٩٢٨ م) و ٨ رجب سنة (١٣٤٧ ﻫ) وهذا نصه (شكل ٦)

(شكل ٦)

﴿ مخطوطات هيروغليفية ﴾

«منقولة عن ورقة البردى المعروفة بورقة (ايبر) التى اكتشفها العلامة (جورج ايبر) سنة ١٨٧٥ ويرجع تاريخها الى سنة ١٥٥٠ قبل الميلاد وهى تبين أول أقرباذين عرف فى تاريخ العالم ، فالى اليمين إحدى عشرة وصفة لعلاج التهاب القرنية المصحوب بافراز ويحتوى على مرهم (فرديجرى) ويعرف بالمرهم المصرى ، ومن محتوياته بذورخاصة تنبت فى الوجه القبلى واكسيد الرصاص وعسل بكميات متساوية ، وفى الوسط أربع وصفات لطرد الديدان من الامعاء تؤخذ فى مدة أربعة أيام والى اليسار ثلاث وصفات لعلاج الاسهال تحتوى على عنب وعسل و بصل وتين ورصاص أخضر (؟) ودقيق وزلال بيض ، والقراءة من اليمين الى اليسار»

وقد جاء فى دائرة المعارف البريطانية أنه ثبت من علم الآثار أن الكهنة المصريين القدماء كانوا قسمين الأطباء والصيادلة على نحو ماهو جار الآن وأن بابل نقلت منهم هذا التقسيم واستمر الحال الى يومنا هذا حيث يصف الطبيب الدواء فيحضره الصيدلى وكلاهما يفهمان بعضهما ، ولا يمكن للغريب عن هذه الدائرة فهم مخطوطاتهم حتى يقول العامة « خط الطبيب لايقرؤه سوى الصيدلى » يقول العامى ذلك وهو

متعجب ويتمنى أن يتمكن من حل هذه الألغاز ويقصد الى من يعرف القراءة جيدا ولكن على غير جدوى لأن الأخير يتعجب بدوره لعدم امكانه قراءة الوصفة ، هكذا كان الأطباء من الكهنة القدماء يكتبون وصفاتهم على ورق البردى الى الصيادلة من الكهنة أيضا الذين يحضرون بدورهم الدواء للمريض والمريض بين الاثنين مذهول فنشأ عن ذلك الاعتقاد بأن الكهنة يعملون بالسحر اهـ

إن الله عزّ وجل قد أذن لهذا التفسير أن ينال حظا عظيما . فبينما نحن نقرأ فى كتبنا القديمة أن الطب كان مبتدئا فى أزمان قريبة اذا بحادثة مدرسة الطب المصرية قد قرّبت البعيد ونشرت هنا النصوص المصرية القديمة مع نصوص الأدوية . إذن علمنا أن العلم قديم وتام أيضا وهذا يفسر قوله تعالى — وكل شئ عنده بمقدار — وقوله — والذى قدّر فهدى — وقوله — الذى خلقنى فهو يهدين —

ولما وصلت الى هذا المقام حضر صديق العالم الذى اعتاد أن يسألنى فى الامور الهامّة فقال هاأنت ذا ذكرت أقوال الأطباء المتقدّمين من أمم اليونان والاسلام . ولما عثرت على أن الطب أقدم من ذلك أظهرته فما هذا التطويل ؟ فهل التفسير أصبح تاريخا للعلوم ؟ إن هذا لشئ عجاب . اللهم إن هذه الطريقة مما يزهد القارئ فى القراءة فيقول انه بأدنى مناسبة يطيل الشرح والقول ويخرج القارئ عن المقصود من الكتاب الحكيم . فقلت لننظر مايقول الله هنا . إنه يقول على لسان ابراهيم عليه السلام — الذى خلقنى فهو يهدين * والذى هو يطعمنى ويسقين * واذا مرضت فهو يشفين — ثم أتبع هذا بالموت والبعث . فهنا ﴿ستة أحوال﴾ (الخلق . الهداية . الاطعام . السقى . المرض . الشفاء) أما الخلق فقد تقدّم فى أوّل سورة المؤمنون . يقول الله تعالى — ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين — فكرر الخلق (٦) مرات وقال فى آية أخرى — إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه — فالخلق وهى الحال الأولى ملازم الابتلاء والاختبار مع الاخلاط لأن الانسان مخلوق هو والحيوان والنبات من عناصر مختلطة وكل مركب متوقف على كل جزء من أجزائه وهذه الأجزاء دائما فى الذوبان والتحليل . ألا ترى رعاك الله الى ماتقدّم فى (سورة النور) وكيف استبان هناك أن هذه الأجسام كلها راجعة الى الجوهر الفرد والجوهر الفرد يرجع الى كهرباء سالبة وكهرباء موجبة أى ان العوالم التى نعيش فيها ومنها خلقنا ماهى إلا حبيبات مضيئة نورية كهربائية السالبة تجرى حول الموجبة وتدور كما تدور الكواكب حول الشمس وذلك بسرعة ملايين فى الثانية الواحدة فاقرأه هناك محققا فأشبهت فى نورها وفى جريها أحوال الكواكب السيارات الجاريات حول الشمس وهذه النقط الضوئية الجارى بعضها على بعض من سالبة وموجبة باختلاف أبعادها وسرعتها وكميتها تختلف العناصر المركبات منها كالحديد والنحاس والذهب والاكسوجين والاودروجين وهكذا مما وصل عدده الى (٨٠) فأكثر . هذه هى العناصر وهذه هى التى خلق الله فيها أجسام الحيوان والنبات وخلق الانسان من أمشاج كما خلق كل نبات وكل حيوان . إذن الانسان مكوّن من أشياء قد خلط بعضها ببعض والجسم والعقل فيه مرتبط بهذه البنية . لذلك ترى الله كما جعل خلقه أخلاطا وضع فيه وفى كل حيوان نوعا من الهداية والهداية مقدّرة بقدر على مقتضى الحاجة . فاذا كان النبات من أخلاط فله هداية تخصه كما فى إلقاحه ونموّه (انظره فى سورة الحج وغيرها) واذا كان الحيوان أرقى من النبات والانسان أرقى من الحيوان فانك ترى الله ألزمهما قوى باطنة فطرية فطرهم عليها . مثال ذلك الاحساس بالجوع وبالعطش وبالمرض وبالخوف من العدوّ وبالغيرة من القرين وبالحسد وبالغيظ وبالحب وبالشبق وبالذل وبالفخر . كل هذه عواطف خلقت مع أنواع الحيوان تقل وتكثر على حسب الحاجة ولولا هذه الاحساسات لم يبق حيوان ولا انسان على الأرض . أفلا ترى أن هذا الاحساس المنوّع الى هذه الأنواع هداية . هذا هو معنى قوله تعالى هنا — الذى خلقنى فهو يهدين — فعبر بالفاء اشارة الى أن الهداية مقترنة بالخلق ملازمة له ملازمة تامة . فالخلق من المركب يلزمه هداية لحفظ هذا المركب ولذلك تجد كل حيوان يحس بألم الجوع والم

الشبق وألم العطش وألم المرض . فلماذا هذا ؟ هذا لحفظ ذلك المركب فان لم يكن هذا الألم أو هذا السوط المؤلم أو هذه المقامع من حديد تساق بها النفوس الى حفظها ماعاشت فهذا والله عذاب أريد به الرحمة وشقاء أريد به النعيم وذل أريد به العزّ واهانة أريد بها الاكرام . إن العوالم التى فى أرضنا ناقصة بالنسبة لعوالم أخرى والله لم يسلط عليها هذه الآلام نكاية بها ولا اذلالا لها ولكن سلطها عليها ليحفظ كيانها و يجعل لها حياة ولم يكن من الممكن بالنسبة لها أن تخاطب بخطاب ألطف من هذا لتهتدى به . فهذه المؤلمات هى اللغات الإلهية التى ليست بحرف ولاصوت ركبت فى طباعها وغرست فى نفوسها تهتدى بها الى المطاعم والمشارب والأدوية . هذا هو معنى قوله تعالى ـ الذى خلقنى فهو يهدين ـ

فلما سمع ذلك صاحبى قال لقد والله شرحت صدرى . ما أجمل العلم . هاأناذا أصبحت بعد هذا أقرأ فى الهرة وفى الجمل وفى الانسان علوما هى أمامى مكشوفة ولكنى لم أفك طلاسمها ولارموزها ولكنى الآن أخذت أفك رموزها وطلاسمها وقد ظهر لى أن هذه الدواب وهذا الانسان فضلا عن مساعدة الجميع بعضهم لبعض هم صحائف منشورة تقرؤها نفوس أعلى من نفوس أهل الأرض فان هذا القول يظهر لى أن وراءه ماهو أعلى منه وأجلّ وأبهج وأشرف مخبوء لم يظهر لنا معاشر بنى آدم فى الأرض فأرجو أن تتمّ القول فانه جميل وهو حقا فى نفس القرآن وفى نفس الآيات فى هذه السورة . فقلت الحمد لله الذى شرح صدرك لما اقول وانى أشعر أن ماترضاه أنت يرضاه جميع أحبابى قراء هذا التفسير و يشعرون بما تشعر به أنت شعور سعادة ومحبة وسرور فلأتمم هذا المقام فأقول والله المستعان

إن الهداية فى الآية على ﴿ قسمين ﴾ هداية فطرية وهداية تعليمية ، فأما الهداية الفطرية فهى ماقلته لك من الجوع والعطش وماتلاهما ، واما الهداية التعليمية فانها تظهر أوّلا فى الحيوان وترتقى فى الانسان . وأضرب لك مثلا الغراب انه من أكالة اللحوم فان لم يجدها حية أكل الرمم وهو يأكل الدود والفراش والخنافس وصغار الحيوان وقد يسرق عشّ الطائر مع أفراخه الزغب ويخطف قطعة الجبن ولقمة الخبز وهو جبان واذا صاح أحدها اجتمعت منها جماعات كثيرة وهو يقوم مبكرا ، كل ذلك بغريزة فيه . فانظر ماذا ترى ، تراه يعلم صغاره الطيران فهو يأخذها خارج العش و يطير بها . ههنا أيها الذكى وصلنا الى المقصود وهو أن الحيوان ارتقى بعضه طبقا عن طبق حتى كان منه ماوصل الى درجة فى بعض شؤنه استعملها الانسان . فاننا نشاهد الضباط يمرّنون العسكر على الكرّ والفرّ واستعمال السلاح والمشى والاصطفاف . فهاهو ذا الغراب لم يقف عند حدّ الهداية الفطرية بل أخذ يمرّن صغاره على الطيران كما فتحت الأمم فى أيامنا مدارس للطيران

الجراد لايربى صغاره والعقرب الذكر يموت غالبا قبل وضع صغاره وأنثى العقرب تموت متى قويت أبناؤها كما ترى شرحه فى سورة المائدة عند آية الغراب . فهاهو ذا الغراب أخذ يعلم أى أنه انتقل من الهداية الفطرية الى الهداية التعليمية . الله يقول ـ ان علينا للهدى وان لنا للآخرة والأولى ـ فالله تولى هداية خلقه كلهم فالهداية الفطرية عامّة أما الهداية التعليمية فهى التى جعلت خاصة وترى مثلها فى الغراب . ومثلا آخر فى النمل فقد تقدّم فى هذا التفسير أن النملات الصغيرات اذا كانت فى شرنقتها (فيلجتها) وأرادت الخروج منها عند تمام مدتها حضرت لنجدتها واخراجها النملات الكبيرات كأنهنّ الأطباء أوالقابلات فيمزقن الأربطة التى تستعصى على صغارها لتخرجها من محبسها كما تساعد القابلة الأم فى استخراج جنينها من رحمها

فلما سمع صاحبى ذلك قال أنا الآن عرفت الفرق بين الهداية الفطرية والهداية التعليمية ولكن أرى الفرق بينهما عسرا فما المانع من أن يكون تعليم الغراب لابنه الطيران غريزة أى فطرة تعليمية . فياليت شعرى ما الفرق بين الغريزة والتعليم هذا مالا أتعقله . فقلت له ان الفرق بينهما عسر كالفرق بين الحيوان والنبات فانظر فى سورة الحج وفى غيرها تجد عند قوله تعالى ـ فتصبح الأرض مخضرة ـ أن الفرق بينهما

عسر كذلك الفرق بين الغريزة والتعليم عسر دقيق وانما يمكننا أن نقول ان هناك ارتقاء عن الغريزة شيأ فشيأ يبتدئ ذلك فى الحيوان ويرتقى فى الانسان وكلما كان الانسان أرقى كان أكثر تعقلا وفعل باختياره ولم يتكل على غريزته . إن الانسان كما أعطى غريزة كالحيوان ارتقى ونال هداية أعلى من الغريزة وهذه الهداية تبتدئ فى طعامه وشرابه ولباسه والهواء والضوء . فالناس غرقوا فى الهواء وفى الضياء واحتاجوا الى الماء والى الغذاء والى الدواء فهم فى ذلك كالحيوان ولكنهم لما كانوا أتم تركيبا أعطوا قوة عاقلة وهذه القوة العاقلة سلطوها على أنواع النبات التى تعد بمئات الالوف وعلى أنواع الحيوان التى تعد بأكثر من ذلك فعرفوا ماينفعهم وما يضرهم وأخذت الأمم القديمة جميعها تتعلم لاالمصريون وحدهم بل هناك أمم وأمم لم تصل لنا أخبارهم وصلت الى مالانعلمه . وتنحصر الهداية التعليمية عند جميع الأمم فى ﴿ قسمين ﴾ قسم حفظ الصحة وقسم مداواة المرض . فأما قسم حفظ الصحة فهو ﴿ نوعان ﴾ نوع يختص بالطعام والشراب والهواء والماء وهذا تقدم فى (سورة طه) عند ذكر آدم فاقرأه هناك وتدبره ونوع متمم لذلك

(١) مثل المحافظة على نظافة الجلد بأن يستحم مرة فى الاسبوع شتاء ومرتين صيفا

(٢) ومثل أن يغسل الانسان يديه بالصابون قبل الشروع فى غسل عينيه ووجهه وقبل تعاطى الغذاء

(٣) ومثل أن يغسلهما بعد الفراغ من الأكل و بعد لمس أى جسم غير نظيف و بعد الاستيقاظ من النوم وقبل ارادة النوم ، كل ذلك بالماء والصابون فانه يبعث فى الجسم نشاطا وانشراحا

(٤) ومثل غسل القدمين بالماء والصابون صباحا ومساء كذلك يخلل مابين الأصابع ويزيل مابينها من الأقذار

(٥) ومثل ان شعر الرأس يجب غسله كل اسبوع بالماء والصابون

(٦) ومثل أن تقلم الأظفار ثم تغسل الأصابع بعد القص بالماء مع الليفة أونحوها لازالة (التف) أى القذر تحتها

(٧) ومثل غسل الأنف وتنظيفه وانه لايجوز نتف الشعر الذى فيه أوقصه فان الله خلقه لصحة أبدانا فهو يضعف تيار الهواء اذا كان شديدا

(٨) ومثل انه لاينبغى ادخال الأصبع فى الأنف لأنها عادة رديئة وانه عند التمخط تسد احدى فتحتى الأنف ليخرج المخاط من الأخرى عند نفخ الهواء ثم يعاد ذلك بسد الثانية وفتح الأولى

(٩) ومثل العناية بالأسنان وتنظيفها بحيث تغسل بالماء والصابون قبل الأكل و بعده لئلا تبقى بعض الفضلات فتتعفن وتعقب أمراضا لاقبل لنا بها . ويستحسن التنظيف بنحو السواك (والفرجون) بعد غمسه فى بعض العقاقير عند الصيادلة ويكون ذلك التنظيف بالعقاقير مرتين فى اليوم عند الاستيقاظ من النوم وعند الذهاب الى الفراش . هذا كلام الأطباء وديننا أمر بأكثر من ذلك بحيث يكون السواك عند كل وضوء وعند كل صلاة وهكذا . ويجتنب تكسير الأجسام الصلبة بالأسنان لئلا تتلف ويدخلها السوس

(١٠) ومثل تنظيف الأذن من الخارج بالماء والصابون والأفضل أن يكون الماء (دفيئا) . ولاينبغى استعمال أجسام صلبة فى تنظيف الأذن هكذا لايدخل جسما غريبا كالحصة اوقطعة من الخشب

(١١) ومثل أن يفعل بالعين مايفعله بالأذن فيغسلان بالماء والصابون لئلا يضع الذباب بيضه فيهما . فليغسل الانسان وجهه ويديه كل يوم مرتين بالماء والصابون ومعلوم أن الوضوء يتكرر وهذه نعمة اسلامية عظيمة . ومن العجب أن عناية ديننا الاسلامى بالصحة أرقى من عناية الأطباء

(١٢) ومثل أن وضع الكحل فى العين مضره ومثل أن من ينام على فراش أرمد يصيبه الرمد سريعا ومثل انه اذا دخل جسم غريب من ذرات التراب فى العين وجب غسلها بالماء الفاتر مرات كثيرة بعد اغلائه

فان

فان لم يتيسر اخراجه بهذه الطريقة فليذهب الانسان حالا الى الطبيب

﴿ من بدائع وعجائب الاسلام فى الطب « السواك » ﴾

أيها المسلمون . هل كان منا أحد يظن اننا فى القرن العشرين نرى دين الاسلام الذى ظهر فى جزيرة العرب التى لاعلم فيها ولا ملك ولادين ولامدنية ولا كتابة ولاقراءة تظهر آثاره ظهورا بينا فى المستشفيات ومدارس الطب وكشف العلماء . ومن ذا الذى كان يخطر له ذلك . أيها المسلمون نحن كنا فى الجامع الأزهر نحضر الدروس على شيوخنا وهذه صفحة مما قرأناه من كتاب المنهج مع شرحه وحاشيته فى مذهب الشافعى ملخصا قال ماملخصه ﴿ إن الاستياك سنة لأن النبى ﷺ يقول « السواك مطهرة للفم » ويسن أن يكون ذلك الفعل فى عرض الأسنان لقوله ﷺ « اذا استكتم فاستاكوا عرضا » ويجوز أن يكون الاستياك طولا وهذا فى الأسنان . أما اللسان فيسنّ فيه الاستياك طولا وتكون آلة السوك مادّة خشنة كعود الاراك وجريد النخل والزيتون وكل ماله ريح طيب ثم بقية الأعواد وهذه يفضل فيها اليابس المندى بالماء ثم المندى بماء الورد ثم المندى بالريق ثم الرطب ثم اليابس غير المندى . ويقال إن اليابس غير المندى مقدم على الرطب لأنه أقوى فى إزالة التغير ﴾

﴿ فوائد السواك ﴾

انه يبيض الأسنان ويزيل قلحها ويثبتها ويطيب النكهة ويشد اللثة ويزيل رخاوتها ويصفى الحلق ويفصح اللسان ويزيد فى العقل ويذكى الفطنة ويحسن الخلق أى لون البدن ويقيم الصلب ويقطع الرطوبة من العين ويحدّ البصر ويبطئ الشيب ويسوى الظهر ويرهب العدوّ ويصلب اللحم ويضاعف الأجر ويرضى الرّب ويسخط الشيطان ويزيد فى ثواب الصلاة وينمى الأموال ويقوّى القلب والمعدة وعصب العين

﴿ أوقات السواك ﴾

هو مؤكد فى مواضع وهى الوضوء والصلاة وتغير الفم والقراءة ودخول المنزل وارادة النوم واليقظة . ومن الأحاديث الواردة فى السواك خبر ابن خزيمة ﴿ لولا أن أشقّ على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء ﴾ وحديث الشيخين ﴿ لولا أن أشقّ على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة ﴾ أى أمر ايجاب . وحديث الشيخين أيضا ﴿ كان النبى ﷺ اذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك ﴾ أى يدلكه به . وحديث مسلم ﴿ كان النبى ﷺ إذا دخل البيت بدأ بالسواك ﴾ انتهى

هذا ماجاء فى دين الاسلام من الحثّ على السواك . فلننظر الآن فى الكشف الحديث ، من عادة طلاب العلم الدينى فى العالم أن بعضهم يعمل بأوامر دينه والأكثرون ينصرفون عن بعضها كالسواك لأنه سنة والسنة لاعقاب عليها وقد كنت أنا أتساهل فى أمر السواك ولاسيما لما صرت مدرسا فى المدارس الأميرية ، ثم انى يوما توجهت الى مدرسة الوعظ والارشاد التى أقامها الشيخ رشيد رضا فلما دخلتها وجدت المرحوم الدكتور صدقى يعطى درسا وفى يده كتاب باللغة الفرنسية وهو يترجم والتلاميذ يكتبون فسمعته يقول وهذه الشجرة تسمى شجرة محمد عليه الصلاة والسلام (يريد بذلك شجرة الاراك) وأخذ يشرح المقام شرحا وافيا ، يقول ان مؤلف الكتاب يفضل فى السواك شجر الاراك على الفرشة المعتادة ، وهذه الشجرة يسميها الفرنجة شجرة محمد ﷺ لأنه أمر أمته بأن يستاكوا بأعوادها . هنالك استيقظت من غفلتى وقلت ياللعجب ، علم قرأناه ثم أهملناه جهلا بمزاياه ومن ذلك الوقت أخذت أواظب على السواك ثانيا . والأهم من ذلك ماجاء اليوم فى الطب الحديث فاسمعوا مايقوله الأطباء فى عصرنا جاء فى مقال طبيب بمجلة (الجديد) ماهذا نصه

خطر لا يفطن اليه كثير

(هل للأمراض الباطنية علاقة بأمراض الفم ؟)

(للدكتور يوسف زكى)

قد يدهش القارئ اذا عرف أن بعض جهابذة الطب يطلبون من بعض مرضاهم أو بالأحرى من معظمهم أن يزوروا طبيب الأسنان و يأتوا لهم بتقرير منه عن حالة فمهم وأسنانهم ، وربما ازداد دهشتهم اذا عرفوا أن مريضا بالرمد استعصى علاجه على أكابر الأطباء وكاد يتملك اليأس هذا المريض وأن يفقد بصره لولا أن أشار عليه بعضهم باستئصال أسنانه أو بعضها ولم يكد يفعل ذلك حتى استجاب مرضه للدواء ونال تمام الشفاء

إن الفم هو أول أجهزة القناة الغذائية وهو العامل الأول فى اعداد الغذاء لعملية الهضم فاذا حصل بأجزائه أو ببعضها عطب أضر ذلك بالجهاز الهضمى أو ببعضه وأفسد عمله وربما تعدى ضرره الى أجهزة أخرى وقد تختلف بالفم بقايا من الطعام تتعفن وتموفيها جراثيم الأمراض فتتسرب تلك الجراثيم الى الأعضاء المجاورة كالفم والحنجرة ثم الى المعدة فتحدث بها الأدوار المختلفة المعروفة ، ثم ان نسبة سرطان الفم واللسان لتآكل الأسنان وتقيح اللثة مثلا أمر معروف مؤكد بل قد ذهب بعض الأطباء الى أن سرطان المعدة نتيجة لازمة للأمراض التقيحية المزمنة التى تعترى اللثة أو خراجات الأسنان ، وأيد رأيه هذا بالأدلة الدامغة ثم جاء بعده كثيرون أثبتوا ذلك أيضا . قلنا إن الأعضاء المجاورة للفم هى أول ما يتأثر بأمراضه وتأتى بعد ذلك المعدة فنوازلها الحادة والمزمنة قد تكون أيضا من أمراض الفم ، وأول من تنبه لذلك هو الدكتور (هنتر) سنة ١٩٠١ ونشر ملاحظاته فكان منها أن صار أطباء الأمراض الباطنية يفحصون أسنان مرضاهم قبل كل شئ فاذا بدا لهم أمر ما نصحوا لهؤلاء المرضى بمعالجة فمهم قبل البدء فى معالجة أمراضهم الباطنية ، وقد أكد الدكتور (جوربى) أن التهابات المعلقة الدودية وتقيح الأعور تتسبب فى الغالب من ذلك القيح المتولد فى الفم وأضاف الدكتور (هنتر) على ذلك أن القيح المتولد فى الفم يسبب أيضا الأنيميا الخبيثة ، واذا وجدت خراجات الأسنان سبيلا الى الدورة الدموية يحدث منها أمراض القلب مثل التهاب غشائه الداخلى أو غلافه المسمى (بالتامور) وقلما يشفى القلب من الأمراض متى تسمم بالمواد القيحية أو العفنة ، ولا ننسى هنا أن نذكر أن مرض الريماتزم والمفاصل بنسبة ٩٠ فى المائة تدخل فى أسبابه أمراض الفم ، ففى انكلترا وألمانيا يبدؤن فى المستشفيات بعلاج أسنان كل من تقدم اليهم بمرض من أمراض الريماتزم على اختلاف أنواعها . وأخيرا نقول ان كثيرا من الضعف أو النهوكة أو ارتفاع درجة الحرارة أو الخمول قد لا يكون لها سبب غالبا سوى فساد أسنان المريض وفمه . ولا نذهب بعيدا اذا ذكرنا فى النهاية أن مستشفيات الأمراض العقلية ارتفعت فيها نسبة من نالوا الشفاء التام من (٤٢ فى المائة الى ٨٧ فى المائة) عندما بدؤا يعيرون أسنان المريض وفمه عناية تامة فيعالجونها بالاستئصال والنظافة التامة وما الى ذلك مما يعرفه أرباب الصناعة . كذلك زادت نسبة الذين تحسنت صحتهم فى المصحات المعدة لمعالجة مرضى التدرن الرئوى (السل) عند ما أخذ الأطباء فى إعارة أسنان المرضى الالتفات المطلوب . ويجدر بى أخيرا أن أقول بأنه من البديهى أن يكون لقلة وجود الأسنان بالفم أعنى سقوطها أسباب خطيرة لاضطراب عملية المعدة لأن المضغ يصدر الى المعدة دون أن يكون قد طحن فى الفم طحنا كافيا وبذلك يقل مجهود الغدد المعدية ويصعب عليها أداء الوظيفة على كامل هيئتها فتنشأ الالتهابات البسيطة والتى لا تلبث هذه أن تنقلب الى حادة . فعلى الانسان إذن أن لا يهمل أمر فمه وأسنانه بل يجب عليه أن يعرض نفسه على الطبيب اذا ما شعر بأقل شئ فان ذلك خير له وأبقى . فاذا تعهد الانسان فمه بالغسيل وأخرج ما يعلق بأسنانه من بقايا الطعام ونظفها جيدا بالفرشة (أو السواك) عقب كل أكل أمن شر كثير من أمراض الفم

والأسنان وطرد من فمه أعداء كثيرة لايستهان بها . انتهى

هذه أهم النصائح التي أعلنها أطباء الأمم قديما وحديثا وهي متممات للمحافظة على الصحة التي تقدم بعضها في سورة طه من حيث الطعام والشراب والهواء وهكذا تقدم بعضها الآخر في سورة الأعراف عند قوله تعالى — وكلوا واشربوا ولا تسرفوا — فقسم المحافظة على الصحة الذي ذكرت لك مجمله هنا لأنتفع به أنا وأنت وكل من قرأ هذا التفسير هو المذكور في قوله تعالى — الذي خلقني فهو يهدين * والذي هو يطعمني ويسقين — فذكر الخلق وقد بيناه سابقا وقد قلت لك ان الخلق تصاحبه الهداية وقلت ان الهداية إما فطرية وإما تعليمية ونحن الآن في الهداية التعليمية والهداية التعليمية كما قدمنا ﴿ قسمان ﴾ قسم حفظ الصحة وقد تم الكلام عليها وقسم مداواة المرض . فالهداية في الطعام والشراب المذكورين في الآية قد تقدم الكلام عليها وسيأتي بعد استيفاء هذا المقام شرح الأمراض في قوله تعالى — واذا مرضت فهو يشفين —

قد قدمنا أن المحافظة على الصحة تكون بالتعليم والتعليم على ﴿ قسمين ﴾ تعليم في متناول كل واحد معرفته وتعليم يختص بتعقله الأطباء ثم الأمة تتبعهم في ذلك

﴿ الكلام على التعليم الذي يختص بمعرفته الأطباء ﴾

فلأذكر لك هنا منه ﴿ مسألتين * المسألة الأولى ﴾ في بيان أعداء الانسان في داخل جسمه . وكيف كنا ونحن في هذه الحياة نجد في أجسامنا جنودا مجندة داخلة خارجة تصطف صفوفا وتتحارب في داخل هيا كلنا ولاعلم لنا بها . إن في ذكر هذا المقال جمالا وحكمة و بيانا لما جاء في القرآن من ذكر حفظ الانسان و بيان العجائب فيه وهي دقيقة جدا فكيف يكون جسمي كأنه دولة وفيها آلاف آلاف الجيوش والجنود المجندة وهي ﴿ فريقان ﴾ فريق معي وفريق علي وهذه الجيوش لاتفتأ في حرب وضرب أمد الحياة فهي في حركة دائمة ومد وجزر تشابه في سرعتها سرعة النور والكهرباء التي خلقت منها أجسامنا وأجسام نباتنا وحيواننا — إن الله بكل شئ عليم — ومايعلم جنود ربك إلا هو وماهي إلا ذكرى للبشر — ﴿ المسألة الثانية ﴾ ما جاء في قانون الصحة من رسم الدودة الوحيدة ورسم عضلات لحم الخنزير التي تحوي هذه الدودة ورأس الدودة الوحيدة ، وكيف عرف هذا قدماء المصريين قبل نزول القرآن فحرموا أكله بقصة اخترعوها وهذا من أعجب العجائب في أسرار ديننا الاسلامي . إن في هذا القول لحكما بديعة . اللهم إني أحمدك على نعمة العلم . أريتنا يار بنا العلم عيانا . حرمت في القرآن لحم الخنزير فتركه المسلمون وان لم يتركوا الخمر ، وهل كان يدور بخلد أحد في العالم أن علماء الأمم الآن يرسمون لحم الخنزير والدودة الوحيدة فيه ، وهل كان يمر بخلد امرئ في الأرض اننا نسمع أن أمما قبلنا بآلاف السنين حرمت الخنزير كالأمة المصرية ، وهل كان يخيل لأحدنا أن لله جنودا مجندة تروح وتغدو داخل أجسامنا فنها الهاجمة ومنها المدافعة . اللهم إن هذا توحيد وعلم ثم طب وبه نفهم قوله تعالى — فهو يهدين — فهو كما هدى أناسا بنصيحة الأطباء فغسلوا وجوههم وأيديهم ونظفوا أسنانهم هكذا هدى الأطباء فتوغلوا في العلم وعرفوا أسرارا هي عينها أسرار الاسلام . إذن فلأذكر لك المسألة الأولى من المسألتين المذكورتين لينشرح صدرك بالعلم والحكمة والطب لحفظ الصحة ، فهاك ماجاء في إحدى المجلات العلمية في ٢١ أغسطس سنة ١٩٢٧ م وهذا نصه

﴿ الوقاية أفضل من المعالجة ﴾

(أعداء الانسان)

للدكتور شخاشيري

أما أعداء الانسان فهي المكروبات التي ان أصابت الجسم أحدثت فيه مرضا يعرف نوعه من الأعراض

والتغييرات التي تبدو على الجسم بسببها ، والأمراض المعدية وأسبابها وطرق الوقاية منها هي التي أتحدث عنها الآن وتنتقل هذه الأمراض من المريض المصاب بها الى السليم إما بواسطة الهواء أو الماء أو الحشرات أو الطعام أو بالملامسة وأسبابها جميعا المكروبات . ولكل مرض مكروب خاص كما ان لكل شجرة فصيلة خاصة وهذه المكروبات صغيرة جدا لاتراها العين المجرّدة وانما ترى آثارها ومانفعله في الأجسام من آلام وتدمير وقد يختلف عدد المكروبات في الهواء الذي نتنشقه باختلاف المكان فاذا كان المكان مزدحما بالناس كان عدد المكروبات فيه كبيرا بسبب اثارتهم للتراب ولهذا السبب يكثر المكروب في هواء المدن ويقل في هواء القرى أواذا كان المكان المأهول بالسكان خاليا من معالم النظافة لامصلحة الرش والكنس ولاالساكن فيه يبذل جهدا ولو قليلا في تنظيفه ولاشك أن المكروبات تموفيه بكثرة هائلة . وتكثر المكروبات في الأماكن المنخفضة بنوع خاص لأن الهواء فيها غير طلق كما هوطلق في الأماكن العالية ولأن نور الشمس لايدخل الى جميع أجزائها ولذلك تتراكم فيها المكروبات العفنة فتحدث بحسب ميزتها التعفن والتخمر وتنبعث منها رائحة كريهة . وأما في المياه فتكثر المكروبات في الراكدة منها كالتي في البرك وفي الجداول الصغيرة ، ومن الضروري أن تغلى المياه المشوبة أوالمشتبه في سلامتها من الأدران . وفي التراب توجد مكروبات وفي الأقذار كذلك وعلى جلد الانسان وفي فمه وأمعائه . واذا علمنا أن المكروبات موجودة في كل مكان يقيم فيه انسان أوحيوان استطعنا أن نتصوّر نطاق هؤلاء الأعداء الواسع وشدّة حرصهم على الاشتباك بفريستهم واستعدادهم للفتك بها في كل ساعة وحين ولكن لحسن الحظ انه ليس كل هذه المكروبات خطرة أي ليس كل هذه الأعداء تحدث مرضا وانما فيها ماهونافع ووجوده لازم وضروري للحياة الحيوانية والنباتية ولولا هذا الأمر لانعدمت الحيلة في مقاومتها والتخلص منها

يخلص لنا مما تقدّم أن الانسان مهدّد بأنواع من المكروبات التي تنشأ عنها الأمراض المختلفة وأن للبيئة والعناية بنظافتها شأنا عظيم الأثر في تقليل هذه الامراض واضعافها ، ومن هذا يتبين كم هولازم أن نعمل بنص القول المأثور « درهم وقاية خير من قنطار علاج » وأن التوقي من داء خير من التعرض له مع وجود من يداويه ، وأنت تعلم أن ماتكابده من العناء وتبذله من المال في سبيل الوقاية من الأمراض لهوأقل بكثير مهما عظم قدره من الاكلاف التي ندفعها على التداوي والمعالجة فضلا عن التي يدفعها جسمك ويظهر تأثيرها في بعض أعضائه ، واذا تصوّرت عدوّا قادما عليك يريد أن يغتصب منك الذي تملكه من مال ومتاع فهل تنتظره الى أن يصل اليك ويمدّ يده الى متاعك فتنهض للدفاع عن ملكك وكيانك أم تعد عدّتك وتستعدّ للقائه قبل أن يشرف عليك مقدمه ؟ وهل لاترى انه أسهل عليك بكثير أن تقاومه وتدفع أذاه وأنت مستعدّ له أكثر منك وأنت على غير استعداد . إن الحيوانات تحسن الدفاع عن نفسها ويخاف الضعيف منها القوي فيها وهي بذلك تساق لغريزتها الى الدفاع عن حياتها وناموس الطبيعة قائم على قاعدة الأخذ والدفع وبقاء الأصلح والانسان بفطرته الأولى كان يحسن الدفاع عن نفسه ويقي جسمه من تقلبات الجوّ وطوارئ الحدثان على قدر ماوصل اليه فهمه واختباره وعلى هذه النسبة ارتقت مداركه وأدرك اليوم مالم يكن يدركه من قبل

وعلم الوقاية من الأمراض أفضل بكثير من علم المعالجة والتداوي ويريد منكم هذا العلم اليوم أن تنشروا لواءه في كل مكان وترفعوا علمه في صدر كل انسان . وأمة تريد أن تحيا سعيدة وأن يكون لها المقام المحترم بين الأمم هي التي تنشئ بنيها على قاعدة صحية سليمة الأساس فتصلح البيئة وتطهرها من جراثيم الأمراض وتقضي على أثر هذه الأمراض في وسيلة علمية معروفة ، ففي تعليمهم كيف يعيشون وكيف يدافعون عن صحتهم من عوادي الأدواء وجيوش المكروبات مرمى سام من أسمى مراميها وغرض جليل من أجلّ أغراضها وهي الأمة التي يحق لها أن تعيش وأن يطيب لها العيش . وأنت تعلم أن للجسم أعضاء رئيسية كبرى وثانوية

صغرى ولكل عضو منها عمل خاص به كما ان لهذا العضو وظيفة يقوم بها وحده فهو من هذا الوجه حاصل على الاستقلال التام وحظه أوفر من حظ الشعوب الصغيرة التي تنشد الاستقلال وتتغنى به ولكن لا تنس أن استقلال اعضاء الجسم انما هو استقلال ذاتي فهي تشتغل مستقلة ولكنها في مجموعها تعمل لمصلحة الجسم كله وانها تعمل بمفردها لمصلحتها ومصلحة المجموع ولها نظام تحترمه وتريدك أن تحترمه لأن الاخلال به يشوش على ذلك العضو عمله أولا وعلى سائر الأعضاء ثانيا . فاذا أثقلت على معدتك بالأكل الغليظ مثلا والشراب اللذيذ وأكلت من غير نظام ولا ترتيب وبلا انقطاع أي استمريت في الأكل والشرب من غير أن تحسب أن لهذا العضو الأمين نظاما وأن له قوة محدودة على الهضم وأن له دائرة وحجما لا يتعداهما وليس في وسعه أن يتعداهما تكون النتيجة احداث الخلل في نظام الجهاز الهضمي والارتباك في وظيفته وتشعرك المعدة بألم التخمة وتحس بصداع وعسر بالتنفس وتوعك وانحراف ونفور من أهلك ومعارفك وتصبح كأنك بمنزلة تامة عن الناس جميعا لا يشغلك عن الافتكار بمعدتك أحد منهم

فقليل من العناية والنظام في نوع الطعام ومواعيده يقيك من هذا التعب ويدفع عنك أعراض التخمة وتظل معدتك على ولائها لك كما وجدت أن تكون (كذا) ولو اقتصر اضرار الاخلال في نظام هذا العضو على ما تقدم فقط لهان الأمر وكانت الاساءة قصيرة المدى وانما تمتد اضراره الى ابعد من التخمة والتلبك وفي الغالب أن من أهمل القاعدة الصحية ولم يكن له نظام صحي في معيشته يكون عرضة لأمراض معدية وخيمة العاقبة عليه فعليك قبل أن تأكل وتشرب أن تغسل يديك ووجهك وفمك وبهذا تدفع عنك أخطارا عظيمة الأثر والذي يهمل هذه القاعدة أهمل النظام كله فيأكل كل ساعة ويشرب دائما لا يغسل يديه ولا فمه لا قبل الأكل ولا بعده ويسخر منك ان رآك تغسل يديك قبل أن تجلس الى المائدة فتجد هذا المهمل شاكيا مريضا لأنه في عدم غسل يديه قبل أن يتناول طعامه يرسل مع الطعام بعض المكروبات والجراثيم الى معدته ومنها تجد هذه الجراثيم طريقها الى الدم وتبدى إذ ذاك تأثيرها بعد مدة قصيرة ، ومن عوّد نفسه على النظافة أراح جسمه وفكره من مشاق وأهوال لا يدركها غير الخبير ، وأرجو أن لا تكون اختبرتها بعد ولن تختبرها في مستقبل أيامك

ولا يذهب عن البال أن للجسم جنودا حمراء وبيضاء منوّعة ، ولهذه الجنود وظائف تقوم بها في أمانة واخلاص لا مزيد عليهما لمستزيد وليس لها غرض من وجودها غير الدفاع عن مجموع الجسم فهي أشبه بالأساطيل السابحة على الماء وبالجنود القائمة على حراسة الأمة وربما يصدر عن هذه الجنود المسلحة بعض التواني والتلكؤ في الواجب الملقى على عاتقها . أما جنود الجسم وأساطيله السابحة في دمه فلا تعرف للتواني معنى وليس للخيانة سبيل الى عقيدتها فهي تحت السلاح في الخدمة العاملة دائما وفي كل وقت لا هدنة ولا هوادة في عملها ، ولنفرض انك أصبت بجرح في أصبعك فماذا ترى ؟ ترى أن هذه الأمينة في حركة غير عادية هي أقرب الى حركة حرب منها الى حركة سلم فتشاهدها هاجة على محل الاصابة خفافا وسراعا تبغي أن ترمم الجرح وترغم أحيانا ان كان الجرح بالغا الى الخروج منه ، ومتى تم لهذه الجنود الكشافة الثبات في محل الاصابة تقدم الى هذه الساعة لاسعافها جنود أخرى للمناضلة والدفاع عن هذه الساحة ومقاتلة المكروب والجراثيم التي تريد احتلال الجرح واحداث الالتهابات فيه فتنشب المعركة بين هذه الجنود والمكروبات والغلبة تكون للأقوى كما هو منتظر فاذا كنت بحالة حسنة تراعي بمعيشتك النظام الصحي فلا خوف على جنودك من الغلبة واحراز النصر واذا كنت تسيء الى معدتك فتأكل من غير نظام وتشرب غير الماء النقي وتعرّض جسمك الى متاعب غير لازمة فنصيب جنودك الفشل بلا ريب

بعد هذا التمهيد الاجمالي أحدثكم قليلا وفي ايجاز عن بعض الأدواء المنتشرة في القطر ولا سيما في الارياف وطرق الوقاية منها ، وأوّل هذه الأدواء هو داء الرهقان المنتشر انتشارا هائلا يكاد لا يخلو منه بيت من بيوت المدن

والقرى والكفور والعزب الريفية فهى عدو لسبعين رجلا وامرأة وفتى وفتاة وطفل وطفلة من كل مائة منهم أى ان سبعين فى المائة من ساكنى الأرياف مصابون به متألمون ، وأسبابه ديدان تدخل الجسم من الفم مع الماء أومع الطعام فتستقر فى المعا الدقيق وتتكاثر فيها وتقاسم المصاب دمه وغذاءه وتسلبه قوته بل حياته اهـ

فانظر فى عجائب صنع الله وتفكر فى الحكم العلمية والطبية ، واعلم أن التهاون بأمر الصحة ولو فى أمر ضئيل يوجب اسراع الداء ، فانظر ماجاء عن نفس هذا الطبيب ونصه فى ٢٩ مارس سنة ١٩٢٨ م

الوقاية أفضل من المعالجة أيضا

(داء الكزاز)

بينما كان أحمد حسن عبده المقيم فى المقياس بالروضة آخذا بمهام عمله الذى يعيش وأولاده منه عثر بمسمار اخترق باطن قدمه اليمنى حول الابهام الأكبر مدى ثلاث سنتيمترات فمدّ يده وهو من الأشداء وانتزع المسمار من قدمه وظلّ مثابرا على عمله كأنه لم يحدث له شئ إلا انه شعر بعد مضى خمسة عشر يوما على الحادث أن بمفصل فكه تيبسا وأن هذا التيبس امتدّ الى عنقه فأصبح غير قادر على فتح فمه وغير قادر على تحريك عنقه أوتحويل وجهه من ناحية الى أخرى وعاده الطبيب ووصف له دواء وحقنا ، ولما لم يزل الدواء ولا الحقن مابه من تيبس قصد فى اليوم الثانى عيادة طبيب آخر فلم يجده ، وفى اليوم الثالث اظهور الأعراض عاده طبيب آخر وكانت أعراض التيبس أو (داء الكزاز) قد ظهرت على اشدها لافى الفك والعنق فقط بل فى سائر الجسم فوصف له الحقن بالمصل المضاد لهذا المرض وحقنه بالوريد أوّلا و بالمفصل ثانيا ، ولكن اذا انتشر سم الداء فى الجسم انتشارا ملك به عليه ارادته فى تحريك المفاصل والأطراف قلما يجدى الدواء فى مغالبة الداء فقلما تعادل قوّة الدواء قوّة الداء اذا خسر الجسم المعركة الأولى وفقد اسباب المقاومة والدفاع الكامنة فيه فقضى المرض على أحمد وذهب ضحية اهماله وعدم اكتراثه للجرح الوخزى الذى أحدثه المسمار فى باطن قدمه وذهب اهتمام اهله وذويه واهتمام الأطباء وما استخدموه من دواء فى سبيل انقاذه ذهبت هذه الآمال والوسائل العلمية أدراج الرياح . والمرض اذا احتلّ الجسم احتلالا تاما صدّ عليه منافذ الرجاء من المعالجة والمداواة وأبعده عن امنية الشفاء . وفن الوقاية على صواب فى نظريته وصواب فى الدعائم القائم عليها نظامه هو يقول لأمثال أحمد الذى ذهب مبكيا عليه من ذويه وأهله تاركا زوجه وأولاده على رحمة الأقدار ، فان أصابك جرح وخزى من مسمار أوغير مسمار فلاتهمله مهما كان فى نظرك بسيطا بل اعرض نفسك على طبيب فى الحال وهو يتولى أمره ويدفع عنك خطر هذا المرض والخوف منه ، وأعنى بقولى « فى الحال » فى الوقت الذى تصاب به بالجرح لافى اليوم الثانى ولافى اليوم الثالث أوالرابع منه

ها أنت ذا قد رأيت ماجرّه الاهمال على أحمد من البلاء وأنزل بأهله من الأحزان والأكدار ، فاعمل بنصيحتى أو بالحرى بنصيحة علم الوقاية والله يقيك شرّ الامراض ويريح جسمك من أوصابها ويبعد عنك وعن أهلك غصة نتائجها والسلام . وبهذا تم الكلام على المسألة الأولى

﴿ المسألة الثانية ﴾ وهى أن لحم الخنزير مضر وانه يحوى الدودة الوحيدة ، وبيان ذلك بالرسم وأن قدماء المصريين عرفوا ذلك ، واليك مافى تاريخ مصر القديم عنه

﴿ صفحة من تاريخ مصر القديم ﴾

(تحريم الخنزير . أصله من الأساطير المصرية)

قال كاتب وجدت الأسطورة التى أترجمها فيما يلى فى ورقة مما يسميه علماء الآثار « كتاب الموتى » ومع انها تصف

إحدى المعارك التي حمي وطيسها بين (حورس وست) لم يرد ذكرها فيما كتب عن تلك الحرب على جدران معبد حورس في (ادفو) ولافي موضع آخر خلا هذه الورقة ، على أن الفريضة التي ترسمها هذه الاسطورة كانت تمارس في هذا المعبد فيؤتى بخنزير فيقتل في نهاية احتفال كان يقام هناك لإحياء ذكرى انتصار حورس على ست وقتله ، و يؤخذ من نقوش فيه أن العادة كانت قبل هذه الفريضة أن تمثل في هذا الاحتفال معارك الحرب فيمثل الملك دور (حورس) و يمثل (ست) رجل من العامة كان يقتل في ختامه

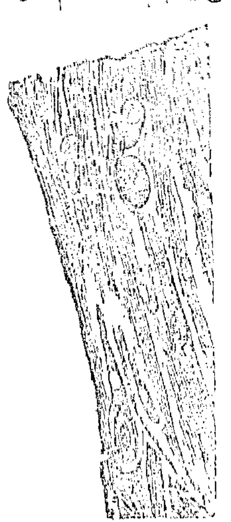
وواضح أن هذه الاسطورة قد وضعت إذن لابطال هذه الذبيحة البشرية وكان وضعها في زمن متأخر عن الزمن الذي وضعت فيه الاسطورة التي تضمنت سائر معارك هذه الحرب المقدسة المنقوشة على جدران معبد (ادفو) فلم تكتب معها لهذا السبب . أما كتاب الموتى الذي تؤلف هذه الاسطورة أحد فصوله فمجموعة صلوات وأناشيد وتعاويذ وشذرات من قصص الآلهة وهي في اعتقاد الأقدمين أحراز تقي من عذاب الآخرة فاذا كان لأحدهم ميت فاما أن يضع الحرز معه أو يكتبه على الكفن الذي يلف به لهذه الغاية ومن ذلك تسميتها بكتاب الموتى والاسم حديث استحدثه علماء الآثار أولوا الفضل في جمع هذه الاحراز ومراجعتها وترجمتها . أما اسمها القديم فهو (فصول في التقدم نحو اليوم) أي يوم الدين ، وفي هذا الاسم اشارة غير خافية الى فائدتها عندهم

﴿ أسطورة الخنزير الاسود ﴾

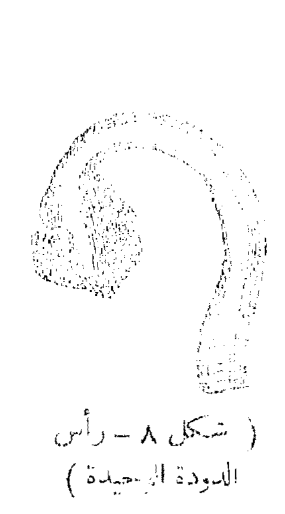
(حورس) و (ست) خصمان يتربص أحدهما بالآخر الدوائر من فرط العداوة والحقد وكانت الحرب بينهما سجالا بيد أن الآلهة كانت في صف (حورس) وتلك العداوة لأنهما على طرفي نقيض . أما (ست) فخب مخاتل يعتمد في الحرب على الخديعة أكثر من اعتماده على الشجاعة والخبرة بفنون القتال فتراه يلبس لكل حالة لبوسها و يتشكل بالشكل الذي يراه قمينا بأن يضلل الناس والآلهة على السواء . وأما حورس فلم يكن كذلك حاشا له أن يغش أو يكون من الكاذبين ، انه على صراط مستقيم ، الحق والاستقامة من أخص صفاته ، عيناه الزرقاوان لوح مسطور حسب المرء أن ينظر فيهما لينكشف المستور و يعرف المستقبل . من أجل ذلك يهرع اليه الناس والآلهة جميعا ليلتمسوا عنده علم ماسيكون ، علم ست مرة أن سيجتمع (رع بحورس) للتشاور في بعض الشؤون وألفى ست الفرصة قد سنحت ليضرب حورس ، وكان من تدبيره لذلك أن اتخذ هيئة خنزير أسود بلون الغمام ذي أنياب حادة طويلة شرس هائل المنظر يلقي الرعب في قلوب الرجال ، وأقبل (رع) على (حورس) وخاطبه فقال « دعني أقرأ في عينيك ماسيكون » ونظر في عينيه اللتين لونهما كلون البحار حينما يكون الفصل صيفا والسماء صافية مشرقة بالنور و بينما هما في ذلك ظهر الخنزير ومر حذاءهما لكن غم عليهما أمره فلم يفطن (رع) انه إله الشر وصاح وهو مأخوذ بروعة منظره انظر هذا الخنزير الاسود أنا مارأيت قط أضخم منه جثة أو أشرس منظرا ، تلفت (حورس) ليراه فما وقع بباله هو كذلك ، أن صاحب هذه الهيئة المنكرة هو (ست) لكن حسبه خنزيرا بريا من أدغال الأرض الشمالية وفي هذه الفترة وحورس غافل عن عدوه تهيأ (ست) فنفخ عليه نارا أصابته في عينه فصرخ من الألم وتملكه الغيظ فصاح « قد قذف علي ست نارا أصابتني في عيني » وكان ست قد حمل نفسه بعيدا واختفى الخنزير الاسود عن الأنظار ولعن (رع) الخنزير من أجل (ست) وقال « ليكن الخنزير نجسا ومكروها لحورس » والناس الى هذه الأيام كلما بلغ البدر التمام يذبحون الخنزير تشفيا لأن (ست) عدو (حورس) وقاتل أوزيريس اتخذ هيئته ليلحق الأذى بالإله ذي العينين الزرقاوين ، ولهذا السبب يعتبر رعاة الخنازير في أرض مصر أنجاسا لايؤذن لهم في دخول المعابد ولاتقبل منهم قرابين للآلهة ولايسمح لأولادهم أو بناتهم أن يتزوجوا من المتعبدين لله المخلصين له العبادة

هذا ماجاء عن قدماء المصريين بالمقطم في ١٤ اكتوبر سنة ١٩٢٨ فانظر ماجاء في كتاب ﴿قانون الصحة﴾ ونصه ﴿ الأغذية المتعفنة أو المتحللة خطرة جدا ولاتصلح في الغذاء وذلك كلحم الحيوانات المصابة بالدرن لأنها

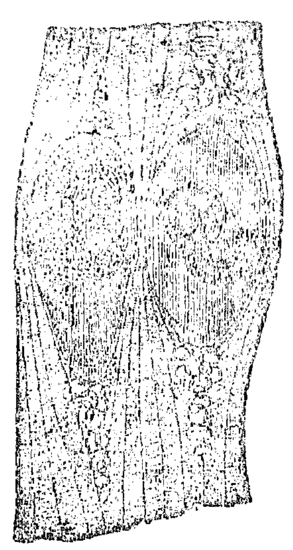
قد تسبب الاصابة بهذا المرض عند الانسان . وكذلك لا ينبغي استعمال الخضر قبل غسلها خوفا من أن تحمل الينا بعض بيض الديدان كبيض الدودة الوحيدة (انظر شكل ٧ وشكل ٨ وشكل ٩) والطبخ فى أوان من نحاس قذرة يحدث التسمم ويكون ذلك مصحوبا بقيء ومغص واسهال . وطبخ الأغذية مع الخل فى أوان من الرصاص يسبب التسمم بالرصاص ﴾ انتهى



(شكل ٧ ـــ عضلات من لحم الخنزير محتوية على أكياس الدودة الوحيدة)



(شكل ٨ ـــ رأس الدودة الوحيدة)



(شكل ٩ ـــ « التريشين » ديدان لحم الخنزير)

﴿ اشراق النور الإلهى فى هذا التفسير واعانة الله تعالى فيه إذ انه نور السموات والأرض ﴾

فى هذا التاريخ ضحى يوم الثلاثاء ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٢٨ م بعد أن كتبت هذه المقالة ومعها رسم لحم الخنزير والدودة التى تعيش فيه خرجت من المنزل فشاهدنى فى نفس الشارع الذى أسكنه وهو شارع زين العابدين أحد الاخوان فأسرع جريا مشيرا الىّ ينادينى يافلان يافلان فوقفت وسلمت عليه فقال اسمع اسمع هنا أمر عجيب فى القرآن والاسلام . فقلت وماهو يرحمك الله . فقال ماذا تفهم فى حديث ﴿ فرّ من المجذوم فرارك من الأسد ﴾ فتذكرت أن بعض محررى الجرائد المصرية الكبرى فى مصر صرة قال لى ﴿ إن الفرنجة قد وجدوا أن الحيوان المكرسكوبى الذى يحدث الجذام فى الانسان مخلوق على شكل الأسد ﴾ ولكنى لم أرد أن أقول له هذا المعنى لأنى لم أره فى كتاب ولم أسمعه من طبيب مطلع ، فأجبته قائلا وماذا أصنع بفهمى فى مثل هذا الحديث أنا لا أعرف فيه شيأ . قال إذن أقصّ عليك قصصا عجيبا . ذلك أن رجلا عظيما من ضباط الجيش المصرى الذى هو أركان حرب فيه مع عرابى باشا أيام الحرب مع الانجليز كان له تاريخ عجيب إذ اختلف مع الضباط فى الاستحكامات العسكرية وظهر صدقه وهو من أمهر الرجال العلماء العسكريين الذين تعلموا فى أوروبا وقد ظهر فى البلاد المصرية الطاعون بعد دخول الانجليز فكان مما استعملته الحكومات لدفع الخطر عن البلاد انها احضرت أطباء من ألمانيا ، ولما كان هذا الضابط (وهو قاسم بك الهلالى) ممن يعرفون لغات كثيرة قابلهم وأنس بهم وتحدّثوا فى أمور الطب التى هم قادمون لأجلها فجرى فى المجلس العدوى بمرض الجذام فقال طبيب ألمانى ان حديث ﴿ فرّ من المجذوم فرارك من الأسد ﴾ لما اطلع عليه الأطباء عندنا أخذوا يبحثون لماذا عبر النبى العربى ﷺ بالأسد ولم يعبر بكلمة أخرى مثل أن يقول فرارك من النار أو من السيل أو من النمر أو نحو ذلك فوضعوا تلك الذرات التى تخلق فى جسم المجذوم تحت المنظار المعظم فوجدوها على صورة الأسد فأدهش علماءنا النبى العربى ﷺ فلما سمعت هذا عجبت لماذا أخذ محدّثى بهذا الحديث ينادينى من بعيد

حتى استوقفني ثم لماذا قص علي هذا القصص الآن ، ولماذا لم يكن إلا في هذا اليوم وفي هذه الساعة بعد كتابة موضوع لحم الخنزير الذي هو معجزة لنبينا ﷺ والقرآن تبيانا لقوله تعالى — حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير — فلماذا يكون النص على لحم الخنزير في القرآن دون غيره ولماذا يحرمه قدماء المصريين وهنا نقول أيضا كما روينا عن علماء الألمان لماذا خصص النبي ﷺ مرض الجذام بالأسد ، فرأيت أن أثبت هذا هنا اعترافا بنعمة الله تعالى واغترافا من كوثر علمه وباهر حكمته وبديع تبيانه وسابغ رحمته والحمد لله رب العالمين . انتهى الكلام على المسألة الثانية وبها تم القول في أمر حفظ الصحة التي هي أفضل من المعالجة في تفسير قوله تعالى — الذي خلقني فهو يهدين * والذي هو يطعمني ويسقين —

فها نحن اولاء عرفنا جمال الله عز وجل وحكمته في الحيوان وانه درجات وفي الانسان وانه أرقى ورأينا العلم يبتدئ في الحيوان وينتهي في الانسان وأن هذا الأخير تعالى ما حوله من نبات وحيوان وغيرهما فأكل ولبس وشرب ثم ظهر فيه أطباء استخرجوا بواطن الأشياء كما عرفوا ظواهرها ، أمروه بغسل جسمه والمحافظة عليه وتنظيفه ، ثم درسوا له جسمه وأجسام الحيوان فرأوا ما لم تره أمم قبلنا من جيوش مدججات بالأسلحة متقاتلات ثم أروه الدودة الوحيدة في الخنزير الذي حرم أكله الله على الناس وبهذا ظهر أن دين الاسلام هذا وقت ظهور عجائبه بل هو دين الحب العام والعلم العام وأن حصر أفكار المسلمين في علوم الفقه في القرون المتأخرة بعد العصر الأول يظهر لي انه كان عقابا من الله لهم لما شره ماؤكم على حطام الدنيا وتركوا وصايا القرآن فخبهم الله في قضايا البيوع والميراث والمتاجرات والحيض والنفاس وقالوا أيها المسلمون لقد أنفذت قضائي فيكم لأني أرسلت نبي محمدا ﷺ لينقذ الناس من الضلال وتعاليمه قد جاوزت حدود الصين ودخلت أوروبا والكتب القديمة ترجمت ، ولما علمت أن المتأخرين منكم لا يصلحون لاصلاح عبادي أرجعتكم من أوروبا الى الأقطار الأخرى والهمت الأمم الأخرى أن تحمل العلم عنكم فرقوه بأمري وأرجعت العلم الآن لكم من بلاد الغرب فطلعت شمسه من مغربها فهل أنتم منتهون ؟

اللهم إن هذا التفسير وامثاله التي فوجئ المسلمون بها اليوم سترجع هذه الأمة الى سيرة السلف الصالح ويحيون الأرض بعد موتها والى الله عاقبة الامور ، فلنقشر اليوم مبادئ علوم الدين الاسلامي في هذا التفسير فالنهضة قائمة والأمة مستيقظة وعين الله ترعاه — ألم نشرح لك صدرك — ولنختم الكلام في هذا القسم أي قسم حفظ الصحة ونشرع في القسم الثاني وهو المعالجة لتفسير قوله تعالى — واذا مرضت فهو يشفين —

فاعجب لقوله تعالى — واذا مرضت فهو يشفين — هو يقول — فهو يهدين * والذي هو يطعمني ويسقين — ولم يذكر في ذلك لفظ — اذا — أما الشفاء فجعله معلقا على الشرط وهذا من النكت اللطيفة لأن الأطباء أجمعوا ان تعاطي الأدوية أمر اضطراري كاستعمال السلاح لطرد العدو ، ومن الحرج والجهل أن تترك أبواب الحصون في المدن حتى يلج منها العدو ويدخل ثم يحارب داخل البلاد ، فهذه هي حال المحافظة على الصحة ، فاذا حافظنا على صحتنا ثم رأينا مرضا لم نقدر على الاحتراس منه هنالك نستعمل العقاقير ، اما ذلك الذي يشرب المسهل لكل طارئ ويتعاطى المقويات ويشرب التبغ والقهوة والشاي والكاكاو كما تقدم في (سورة طه) وغيرها فهؤلاء ملومون يخربون اجسامهم بأيديهم ويفتحون حصون مدنهم لأعدائهم جهالة ، فهذا معنى قوله تعالى — واذا مرضت فهو يشفين — معبرا باذا الشرطية

﴿ الكلام على مداواة المرض وهو القسم الثاني من تفسير الآية ﴾

لقد وعدت في (سورة طه) أن أذكر لك ما استحسنته مما جمعه الزعيم الهندي (مهاتما غندي) الذي نشره « المنار » في المجلد (٢٦) و (٢٧) من ﴿ مجلة المنار ﴾ ونشر في كتاب وحده وهذا نصه

﴿ الباب الاول . العلاج بالهواء ﴾

قد فرغنا الآن من البحث فى أساسات الصحة وأصولها وكذلك عن طرق صيانتها والمحافظة عليها ولو أن جميع الناس رجالا ونساء يخضعون لقوانين الصحة ويتمسكون بالتجرد التام لاتبق أى حاجة للأبواب الآتية لأنهم يكونون فى مأمن من جميع الأمراض والأوصاب سواء فى أجسامهم أوعقولهم ، ولكن أين نجد هؤلاء الناس ؟ وأين الذين لايصابون بالأمراض ، وعلى كل فانا كلما اعتنينا بالتمسك بالاصول التى دوّنت فى هذا الكتاب فالأغلب اننا نسلم من الأمراض ولكن ان أصابنا مرض يجب أن نعالجه باهتمام والأبواب الآتية تبين كيفية العلاج بدون الاستعانة بالطبيب . إن الهواء النقى كما هو لابد منه لصيانة الصحة كذلك لاغنى عنه فى معالجة الأمراض ، فالمصاب بالنقرس مثلا اذا عولج بالبخار الساخن يعرق بكثرة وتلين أعصابه وتستريح مفاصله ، وهذا القسم من علاج البخار يسمى (الاستحمام التركى)

ومن كان يشكو حمى شديدة فليتجرد من ملابسه ويلقى فى الهواء الطلق تنزل الحرارة حالا ويشعر براحة بينة وعند مايحس" بالبرد يلف فى ثوب فيعرق حالا وتزول الحمى سريعا ، ولكن مانفعله عادة هو على عكس ذلك تماما حتى إنا نمنع المريض من البقاء فى الهواء الطلق ولو أراده بنفسه ونغلق عليه جميع أبواب حجرته ونوافذها ونغطى جميع جسده مع رأسه وأذنيه بالاعحف والأغطية فتكون النتيجة أن المريض يجزع فيزداد ضعفا عن مقاومة مرضه . ينبغى أن نفهم أنه ان كان سبب الحمى شدة الحر فالعلاج بالهواء الذى ذكر آنفا غير مضر أصلا ويشعر بتأثيره حالا ، نعم يجب الاحتراس لئلا تأخذ المريض القشعريرة فى الهواء الطلق فان كان لايستطيع البقاء عاريا يجوز تغطيته جيدا بالدثار . إن تغيير الهواء علاج مفيد للحمى المزمنة وغيرها من الأمراض فالعادة العامة التى جرت بتغيير الهواء ليست إلا عملا باصول العلاج الهوائى وكثيرا مانغير محل اقامتنا متوهمين أن البيت الذى تعاوده الأمراض محل الأرواح الشريرة ، هذا وهم محض

إن الأرواح الشريرة الحقيقية فى مثل هذه الاحوال انما هى الهواء الفاسد فى داخل البيت . إن تغيير البيت يتبعه تغيير الهواء وهذا هو الذى يدفع المرض . إن العلاقة بين الصحة والهواء قوية جدا حتى إن التغيير القليل له يؤثر حالا تأثيرا رديئا أوحسنا . يستطيع الاغنياء أن ينتقلوا الى أماكن بعيدة وأما الفقراء فكذلك يستطيعون الانتقال من قرية الى قرية ، أوعلى الاقل من بيت الى بيت بل إن تغيير حجرة بحجرة فى البيت نفسه كثيرا ماينفع المريض نفعا محسوسا ولكن تجب مراعاة الاحوال ليكون للتغيير نفع حقيقى فالمرض الذى سببه الهواء الرطب مثلا لايمكن علاجه بالانتقال الى محل رطب . وبما أن الناس لايهتمون بمثل هذه الاحتياطات البسيطة الاهتمام الكافى لذلك لايجدى تغيير الهواء نفعا فى أكثر الأحيان

﴿ الباب الثانى . العلاج بالماء ﴾

إن الهواء غير منظور فنحن لاندرك تأثيره العجيب ولكن عمل الماء وتأثيره الصحى يمكن ادراكه وفهمه بسهولة . يعرف جميع الناس شيأ من استعمال البخار وسيلة صحية فكثيرا مانستعمله فى الحميات ونعالج به وحده الصداع الشديد ، وكذلك المصاب بالوجع الروماتيزمى فى المفاصل يشعر بالراحة السريعة عند استعمال البخار واتباعه استحماما باردا ، والدمامل والقروح لاتبرأ بمجرّد وضع المرهم أوالدهان عليها ولكنها تشفى تماما باستعمال البخار ، ثم إن الاستحمام الحار أوالاستحمام بالماء الحار يتبعه مباشرة الاستحمام البارد مفيد جدا فى التعب الشديد ، وكذلك النوم فى الهواء الطلق بعد الاستحمام البخارى يصحبه استحمام بارد نافع جدا فى الأرق . إن الماء الساخن يصح استعماله دائما كبدل للبخار . واذا أصيب الانسان بوجع شديد فى بطنه يشفيه حالا تدفئة البطن بقنينة مملوءة بماء مغلى توضع فوق قماش غليظ على البطن . واذا ما أريد التقيؤ يمكن ذلك بشرب كمية وافرة من الماء الساخن . إن الذين يشكون الامساك يستفيدون كثيرا بشربهم

كوبة من الماء الساخن إما وقت النوم فى الليل أو بعد تنظيف الأسنان صباحا مباشرة

أن سير (جوردن سبرنج) قد عزى صحته الجيدة الى تعوده شرب كوبة من الماء الساخن يوميا قبيل النوم فى الليل و بعد اليقظة صباحا، إن كثيرا من الناس لاتلين معدتهم إلا اذا شربوا الشاى صباحا فيعتقدون حقا أن الشاى هو الذى أحدث هذا التأثير مع ان الشاى وحده مضر فى الحقيقة وانما الذى أثر هذا التأثير هو الماء الساخن فى الشاى فهو الذى يلين المعدة ويزيل الامساك

قد اخترعت أرجوحة تستعمل عادة للاستحمام البخارى ولكنها ليست ضرورية جدا بل يصح أن يوقد وابور من الاسبرتو أوالغاز أوكانون من الوقود أوالفحم تحت كرسى اعتيادى من الخيزران ويوضع فوق الموقد قدر ملآن بالماء مغطى بغطاء و ينشر فوق الكرسى رداء أودثار بحيث تنزل أطرافه الى الأمام لتقى المريض من حر النار ثم يقعد المريض على الكرسى ويلف فى رداء أودثار وعند ذلك يرفع غطاء القدر بحيث يكون المريض معرضا للبخار الذى يتصاعد منه ، أما ماتعودناه من تغطية رأس المريض فهو احتياط غير ضرورى إذ حرارة البخار تتصاعد من طريق الجسم الى الرأس وتسبب عرقا كثيرا فى الوجه وان كان المريض ضعيفا جدا بحيث لا يستطيع القعود حينئذ يصح أن يضجع على سرير ذى فتحات وفرجات ولكن يحترس أن لا يذهب شئ من البخار سدى ، وكذلك كما لايخفى يجب الاحتياط لئلا تصل النار ملابس المريض أودثاره ، وكذلك تجب المراعاة التامة لحالة صحة المريض لأن استعمال البخار بدون مبالاة يخشى منه الخطر أيضا . إن المريض لابد من أن يشعر بضعف بعد هذا الاستحمام البخارى ولكن ضعفه لايلبث أن يزول . إن الاكثار من استعمال البخار يضعف البنية على كل حال ولذلك لاينبغى أن يستعمل إلا لضرورة شديدة والبخار كما يستعمل للجسد كله كذلك يصح استعماله لجزء خاص منه ، فمثلا اذا استعمل فى الصداع فلا احتياج الى عرض سائر الجسم له بل يوضع الرأس وحده فوق قدر صغير الفم مملوء بماء فاتر ويلف عليه قماش ثم يستنشق البخار بالأنف ليتصاعد الى الرأس ، واذا كانت المناخر مسدودة فهى تنفتح بهذا العمل وهكذا ان تورم عضو من الجسم فهو وحده يعرض للبخار

قليل من الناس يعرفون القيمة الصحية للماء البارد مع انه فى الحقيقة أنفع فى هذا الباب من الماء الساخن و يمكن أن يستعمله حتى أضعف الناس بنية ، فالتلفف بثوب مبلول بالماء البارد نافع جدا فى الحمى والجدرى والأمراض الجلدية ويمكن لجميع الناس استعماله بدون أدنى خطر . إن الدوار والهتر (جنون الحمى) يمكن دفعه حالا بلف ثوب مبلول فى ثلج مذاب على الرأس ، والذين يشكون الامساك ينفعهم جدا لف ثوب مبلول بثلج مذاب على البطن لحين من الزمن . وكذلك يمكن منع كثرة الاحتلام فى أكثر الأحيان بهذه الطريقة نفسها . إن نزف الدم من أى عضو كان يمكن منعه باستعمال ثوب مبلول بماء بارد مثلج . وكذلك الرعاف يمنع بصب الماء البارد فوق الرأس . إن أمراض الأنف والزكام والصداع يمكن معالجتها باستنشاق الماء البارد من الأنف ويمكن استنشاقه بمنخر واخراجه بمنخر آخر أو يستنشق بمنخرين معا ويخرج من الفم ، ولاضرر من وصول الماء الى المعدة إن كانت المناخر نظيفة ، إن هذه أحسن طريقة لجعل المناخر نظيفة دائما وأما الذين لا يستطيعون استنشاق الماء بالمناخر فيجوز لهم أن يستعملوا المحقن ولكنهم يتعلمون بسعى قليل كيفية الاستنشاق بسهولة بل يجب على جميع الناس ان يتعلموها لأنها سهلة ونافعة جدا للصداع والرائحة الخبيثة فى الأنف وكذلك لازالة الأوساخ فى مجرى الأنف

يخاف كثير من الناس من استعمال المحقنة بل يزعم بعضهم أن الجسم يضعف به ولكن هذه المخاوف ليست إلا وهمية ليس هناك طريقة للاسهال اقوى أكثر تأثيرا من هذه الطريقة وقد ثبت نفعها العظيم فى كثير من الأمراض حينما لم نجد غيرها من المعالجات ، ولاعجب فهى تنظف الأحشاء تماما وتمنع تراكم المواد السامة

فيها ، إن الذين يتأذون من الأوجاع الروماتزمية او سوء الهضم أو الأوجاع من سوء حالة الأحشاء الصحية ينبغى لهم أن يحقنوا برطلين من الماء فيرون تأثيره السريع القوى ، قال أحد الكتاب فى هذا الموضوع إنه كان يشكو مرة سوء هضم مزمن واستعمل جميع الأدوية سدى وعبثا فنحل جسمه بذلك ، ولكن حقنة الماء ردّت اليه شهية الطعام وشفته من دائه فى بضعة أيام حتى إن بعض الأمراض مثل اليرقان يمكن معالجتها باستعمال حقنة الماء . إن الذى يستعمل الحقنة أحيانا كثيرة يجب أن يستعمل الماء البارد لأن الماء الحار ربما يضعف البنية بتكراره . إن الدكتور الألمانى (لويس كوهن) قد حكم أخيرا بعد التجارب المتوالية بأن العلاج المائى نافع فى جميع الأمراض . وقد نالت كتبه فى الموضوع قبولا عاما حتى انها ترجمت الى جميع لغات العالم تقريبا ومن جملتها بعض اللغات الهندية . قال هذا الدكتور « إن البطن هو بيت الأدواء كلها فاذا كثرت الحرارة فى البطن كثرة زائدة تجلت على الجسم فى صورة الحمى والروماتيزم والقروح والبثور وغيرها من الأمراض إن منافع العلاج المائى قد عرفها قبل (كيوهن) كثير أناس عديدون ولكنه هو أول من قال بأنه أصل مشترك لجميع الأمراض . لسنا بمجبورين على أن نسلم بآرائه كلها على علاتها ولكن الحقيقة التى لامراء فيها هى أن أصوله وطرقه قد ثبت نجاحها فى كثير من الأمراض وانى أذكر لك مثالا واحدا من أمثلة كثيرة قد اختبرتها بنفسى وذلك فى مصاب بروماتيزم شديد جدا فقد حصل له الشفاء التام بطريقة (كيوهن) بعد أن خابت جميع المعالجات الأخرى »

قال الدكتور كيوهن « إن حرارة البطن تزول باستعمال الماء البارد » وعلى ذلك أكد غسل البطن وما حوله من الأعضاء بماء بارد جدا . ولتسهيل الغسل قد اخترع نوعا خاصا من المغاسل من الصفيح ولكنها ليست بلازمة إذ قصاع الصفيح الهلالية الشكل فى مقادير مختلفة لأناس مختلفى القامات التى تباع فى أسواقنا تقوم مقامها تماما . يجب أن يملأ ثلاثة أرباع من القصعة بالماء البارد ويجلس فيها المريض بهيئة تبقى معها رجلاه وجسمه الأعلى خارج الماء ويبقى وسطه من الفخذ الى مافوق البطن فى داخله والأحسن أن تسند الرجلان على كرسى قصير ويجلس المريض فى الماء عاريا بالمرة وان كان يحس بالبرد يغطى رجليه وجسده الأعلى برداء وان لبس القميص فليبق القميص خارج الماء بالمرة . يجب أن يكون هذا الغسل فى مكان طلق حيث يكثر الهواء النقى والنور ثم يفرك بطنه بنفسه أو غيره بخرقة خشنة من خمس الى ثلاثين دقيقة او اكثر فيرى نفع هذه العملية حالا فى أكثر الأحوال . ففى الروماتيزم مثلا يأخذ الريح فى الخروج حالا فى صورة الجشاء وغيره . أما فى الحمى فتنزل الحرارة درجة أودرجتين وتنظف الأحشاء بهذه العملية تماما ويزول التعب وان كان يشكو الأرق يحل محله النوم وان كان النعاس والارتخاء يأخذ مكانه اليقظة والنشاط . لا تعجب من اختلاف النتائج لأنه ليس فى الحقيقة أمرا عجيبا كما يظهر وذلك لأن قلة النوم وكثرته علتهما واحدة وكذلك الدوسنطاريا والإمساك اللذان هما نتيجة لسوء الهضم يعالجان بنفس هذه الطريقة ، والبواسير المزمنة يمكن معالجتها أيضا بهذا الاستحمام مع ترتيب حسن فى الغذاء ، والذين يشكون كثرة البصاق الدائم يجب أن يسرعوا حالا الى هذا العلاج ، وكذلك المصابون بالضعف يتقوون بهذه الطريقة وقد عولج بها حتى الروماتيزم المزمن فشفى تماما وهو كذلك علاج مؤثر فى النزف الدموى والصداع وقد قال عنه (كيوهن) انه علاج ثمين حتى للسرطان والحامل التى تستحم هذا الاستحمام بنظام تجد الوضع سهلا ، والحاصل انه يمكن لجميع الناس بدون استثناء فى العمر والجنس الاستفادة به . وهنالك نوع آخر من الاستحمام يسمى (ويت . شيت . باك) وهو علاج نافع دائما للأمراض المختلفة وطريقته كما يأتى « يوضع سرير أو كرسى يمكن نوم المريض فيه براحة تامة فى هواء طلق وينشر فوقه نحو أربع بطانيات كبيرة يتدلى طرفاها من جانبيه أو أكثر أو أقل حسب حالة الجوّ وتنشر فوقها ملاءتان بيضاوان مغموستان فى الماء البارد وتوضع المخدّة تحت البطانيات

فى

فى طرف من السرير وعند ذلك يجرّد المريض من ثيابه إلا إزاراً صغيراً فى وسطه إن كان يريده وينام على الملاءتين مع بسط يديه حذاء جنبيه وعند ذلك تلف الملاءتان ومن فوقهما البطانيات على جسمه مع الاعتناء برفع الأطراف النازلة جهة الرجل حتى تغطيها جيدا ، وان كان المريض متعرّضا للشمس يوضع ثوب مبلول فوق رأسه ووجهه مع ترك الأنف مكشوفا دائما فيشعر المريض فى أوّل الأمر ببعض القشعريرة ولكنها لاتلبث أن تزول ويحل محلها الشعور بحرارة لذيذة فيبقى فى هذه الحالة من خمس دقائق الى ساعة أوأكثر وبعدمدة يتصبب العرق من جسمه ويغرق هو فى النوم فى أكثر الأحوال ، وعقب خروجه من هذه اللفائف يجب أن يغتسل بالماء البارد وهذا علاج ناجع للجدرى والحمى والأمراض الجلدية مثل الجرب والقوباء والنفاطات والدمامل حتى ان أقبح أنواع الحصبة والجدرى يشفى به تماما ويمكن لسائر الناس أن يتعلموا بسهولة استعمام (ويت . شيت . باك) بانفسهم ويصفوه لغيرهم وهكذا يرون بأنفسهم تاثيره العجيب ، وبما أن الدنس كله ينتقل من الجسم الى الملاءة السفلى الملاصقة للبشرة يمتنع أن تستعمل ثانيا بدون غسلها جيدا فى ماء فاتر

لا احتياج الى التذكير بأن الفائدة التامة من هذه الاستحمامات لا يمكن أن تحصل إلا بعد مراعاة الاصول التى ذكرت فى أبواب الغذاء والرياضة وغيرها مراعاة تامة فان كان المصاب بروماتيزم مثلا يستحم استحمام (كيوهن) أواستحمام (ويت . شيت . باك) ولكن يأكل غذاء رديئا ويعيش فى هواء فاسد ويعرض عن رياضته فلاينال أى فائدة من الاستحمام . إن المراعاة التامة لجميع قوانين الصحة هى التى تجعل العلاج المائى نافعا ناجعا بلاريب والا فلا

﴿ الباب الثالث . العلاج بالتراب ﴾

نشرع الآن فى بيان الخواص الصحية للتراب الذى نفعه أكبر من الماء فى بعض الأحوال . لاينبغى لنا أن نتعجب من خواصه لأن جسمنا نفسه مركب من عناصر أرضية وفعلا نحن نستعمل التراب للتطهير فنغسل به الأرض لنزيل الروائح الخبيثة منها ونغطى به الأشياء المتعفنة لنمنع فساد الهواء وننظف به أيدينا . وكذلك نستعمله لتنظيف أوانى المراحيض . إن رهبان الهندوس يلطخون به أجسامهم ويعالج به بعض الناس القروح والبثور وتدفن الأموات فيه لئلا يفسد الجوّ . كل هذا يثبت جليا أن فى التراب كثيرا من الخواص الثمينة للتطهير والعلاج . وكما أن الدكتور (كيوهن) بذل جهده الخاص فى موضوع العلاج المائى كذلك الدكتور الألمانى الآخر قد تفرّغ لدرس التراب وخواصه وقدتوسع حتى قال بان التراب يمكن استعماله بنجاح فى معالجة جميع الأمراض حتى أشدّها وأعقدها . وقد حكى عنه أنه قال ﴿ لسع ثعبان رجلا فيئس الناس من حياته ولكنى داويته بأن واريته فى التراب مدة من الزمن فزال السم من جسده وشفى تماما ﴾

ليس لنا أن نطعن فى صدق الدكتور لأننا نعلم أن حرارة شديدة تتولد فى الجسم اذا دفن الانسان فى الأرض وانا وان كنا لانستطيع بيان تولد التأثير تماما لا يمكن أن ننكر أن فى التراب خاصية جذب السم . أجل قد لاتنجح هذه الطريقة فى كل حادثة للملسوع ولكن يجب حتما تجربتها فى كل حادثة وأنا أستطيع أن أقول بتجربتى الشخصية أن استعمال الطين فى مثل حوادث لدغ العقرب نافع جدا

قد جرّبت بنفسى الأشكال الآتية للعلاج الترابى ونجحت فيها ، فالإمساك والدوسنطاريا ووجع المفاصل المتأصل قد عالجته باستعمال لبخة من الطين فوق البطن يوميا مدة يومين أوثلاثة أيام وقدتحقق النفع العاجل فى حوادث الصداع باستعمال ضمادة طينية تشدّ على الراس ، وكذلك قد عولجت العيون المتهيجة بنفس هذه الطريقة فشفيت . إن الاصابات سواء كانت متورّمة أوغير متورمة تعالج كذلك بها ، وانى قد كنت فى حياتى الماضية السوداء لا أستريح بدون المواظبة على استعمال ملح الفاكهة (فروت سالت) وماشاكله من المسهلات ولكنى منذ علمت فى سنة ١٩٠٤ قيمة العلاج الترابى لم أستعمل أى مسهل ولا مرة واحدة الى الآن

إن لبخة طينية فوق البطن والرأس تنفع كثيرا فى الحمى الشديدة وأن الأمراض الجلدية مثل الدمامل والقروح والقوباء والحرق بالنار أوالماء الحار قد عولجت بالطين أيضا إلا أن القروح المتقيحة ذات الصديد لاتشفى به بسهولة وكذلك البواسير تعالج بنفس هذا العلاج ، واذا احمرت الأيدى والأقدام وتورّمت بسبب البرد فالطين علاج نافع جدا لها وكذلك وجع المفاصل يزول به ، فبهذه وغيرها من التجارب فى العلاج الترابى قد علمت أن التراب عنصر مفيد للعلاج البيتى للأمراض

نعم إن جميع أنواع التراب ليست بنافعة على سواء ، فالتراب الجاف الذى حفر فى مكان نظيف يكون أنفع بكثير من غيره . لاينبغى أن يكون التراب لزجا جدا بل أحسنه ما كان بين الرمل والأملس ويجب أن يكون خاليا من الروث والقذر فيصفى جيدا فى غربال نفيس ويعجن بماء بارد عجنا جيدا قبل الاستعمال ثم يربط فى قماش نظيف غير مكوى ويستعمل كلبخة غليظة ، ويجب رفعها قبل أن يأخذ الطين فى اليبس وهو لايتجفف فى الأحوال العادية من ساعتين الى ثلاث ساعات . إن الطين الذى استعمل مرة لايستعمل بعد ذلك أبدا ولكن الثوب المستعمل يصح استعماله ثانيا بعد أن يغسل جيدا ليتنظف من الدم وغيره من المواد الوسخة واذا أريد استعمال اللبخة على البطن يوضع فوقه قماش دافئ . يجب على جميع الناس أن يبقوا عندهم صفيحة من التراب المجهز للاستعمال لئلا يضطروا الى البحث عنه هنا وهناك عند الحاجة اليه وربما تفوت الفرصة فى حوادث مثل لدغ العقرب التى يؤدّى التأخير فيها الى خطر شديد

﴿ الباب الرابع . الحمى وعلاجها ﴾

لننظر الآن فى بعض الأمراض الخاصة ونبحث فى طرق علاجها وأوّلها الحمى . نحن نطلق كلمة (الحمى) على حالة للحرارة فى الجسم غير أن أطباء الافرنج قد نوّعوا هذا الداء على أنواع كثيرة وخصصوا لكل منها علاجا ولكنا نظرا للخطة التى سلكناها فى هذا الكتاب والاصول التى دوّناها فيه نقول إن أنواع الحمى كلها يمكن معالجتها بعلاج واحد وبطريقة واحدة . لقد جرّبت هذا العلاج الساذج فى جميع انواع الحمى من أخفها الى أشدّها مثل الطاعون الغددى وحصلت على نتائج حسنة عامّة فقد انتشر هذا الطاعون سنة ١٩٠٤ بين الهنود فى أفريقية الجنوبية وقد كان فظيعا للغاية حتى إن (٢٣) إصابة حدثت قدمات بها (٢١) نفسا خلال (٢٤) ساعة . أما الاثنان اللذان بقيا فقد أرسلا الى المستشفى ولكن لم يسلم منهما إلا واحد وقد كان هذا الناجى هو ذلك الذى استعملت له اللبخة الطينية . نعم ليس لنا أن نستنتج من ذلك بأن هذه اللبخة هى التى شفته ولكن مما لاشك فيه أنها لم تضرّه أى ضرر . كلاهما كانا مصابين بحمى شديدة كان سببها الالتهاب الرئوى وكانا قد أغمى عليهما وكان الرجل الذى استعملت عليه اللبخة الطينية فى أخطر الأحوال فكان يبصق الدم وعلمت بعد ذلك من الدكتور بأنه كان لايغذى إلا بلبن قليل جدا

وبما أن أكثر أنواع الحمى تكون نتيجة للارتباك فى الأحشاء فأوّل ماينبغى عمله هو تجويع المريض والقول بأن الضعيف يزداد ضعفا بالتجويع وهم باطل إذ علمنا بما تقدّم أن الجزء الذى ينفع من الغذاء انما هو ذلك الذى يتحلل فى الدم ، وأما الباقى فيبقى حملا على المعدة . وبما أن القوى الهاضمة تضعف جدا فى الحمى لذلك يتوسخ اللسان وتتصلب الشفاه وتجف فان أعطى المريض طعاما فى هذه الحالة فلا ينهضم ويزيد الحمى ، ولكن التجويع يعطى القوى الهاضمة وقتا لاتمام أعمالها ولذلك فان تجويع المريض ليوم أو يومين ضرورى . وكذلك يجب عليه فى الوقت نفسه أن يستحم كل يوم على الأقل مرّتين على طريقة (كيوهن) فان كان ضعيفا أومريضا الى درجة لايستطيع فيها الاستحمام يجب أن تستعمل على بطنه اللبخة الطينية وان يشتك الرأس كبرا أويحس بحرارة شديدة تستعمل اللبخة على رأسه أيضا ومهما أمكن ينبغى أن ينوّم المريض فى الهواء الطلق ويغطى جيدا ويعطى وقت الطعام عصير الليمون بعد أن يصفى جيدا ويمزج بماء بارد أومغلى حار

ولايخلط معه السكر ماأمكن . إن هذا العصير يؤثر تأثيرا نافعا جدا و يقدم وحده للمريض إن كانت أسنانه تتحمل حموضته ويجوز بعد ذلك أن يقدم اليه نصف موزة أوموزة كاملة بعد أن تمزج جيدا بملعقة من زيت الزيتون و بملعقة من عصير الليمون وان كان المريض يحس بالعطش فيعطى ماء مغليا مبردا ولايسمح له بشرب ماء غير مغلى ويجب أن تكون ملابس المريض خفيفة وتغير كثيرا

وقد شفى بهذا العلاج السهل محمومون كثيرون حتى الذين أصيبوا بالحمى التيفودية وأمثالها من الأمراض الخطرة وهم يتمتعون الى الآن بصحة تامة . إن (الكينا) كذلك تؤثر وتنفع بادى الرأى ولكنها فى النتيجة تجلب أمراضا أخرى حتى ان الحمى الملاريا التى تعتبر فيها الكينا نافعة جدا قلما رأيتها تعطى شفاء دائما ولكنى بالعكس رأيت حوادث مختلفة فى المصابين بالملاريا قد شفوا شفاء دائما بالعلاج الذى ذكر آنفا

يقتصر كثير من الناس على اللبن وحده أثناء الحمى ولكنى وجدته بتجربتى مضرا فى الدرجات الأولية من الحمى لأنه عسر الهضم فان كان لابد من اللبن فالأحسن أن يكون مخلوطا بقهوة القمح أو بقليل من دقيق الرز المغلى جيدا بالماء ولكن لا يصح أبدا أن يعطاه فى الحمى الشديدة بل ينفع فى مثل هذه الحالة عصير الليمون نفعا كبيرا فاذا زالت الحمى وتنظف اللسان يصح أن يزاد الموز فى الغذاء على الطريقة المبينة آنفا وان كان هناك إمساك فحقنة من الماء الساخن والبورق (لزاق الذهب) عوضا عن المسهل يصحبها غذاء زيت الزيتون لتنظف البطن جيدا

﴿ الباب الخامس . الإمساك والدوسنطاريا والمغص والبواسير ﴾

يبدو لأول وهلة ذكر هذه الأمراض الأربعة المختلفة فى باب واحد عجيبا ولكن الحقيقة انها كلها مرتبطة بعضها ببعض ارتباطا شديدا و يمكن معالجتها تقريبا بطريقة واحدة لانها اذا انضغطت المعدة بغذاء غير مهضوم سببت مرضا من هذه الأمراض حسب استعداد الرجل واختلاف بنيته فيحدث عند بعضهم الامساك فلا تتحرك المعدة مطلقا أو تتحرك بعض التحرك أو يحدث وجع شديد عند قضاء الحاجة حتى انه ينتج نزيف الدم أو المادة المخاطية أو البواسير و يحدث لبعضهم الاسهال الذى كثيرا ماينتهى بالدوسنطاريا و يحدث لبعضهم المغص المعوى الشديد مصحوبا بالوجع فى البطن والمادة المخاطية فى البراز ، وفى جميع هذه الحوادث يقهى المريض أى يفقد شهوة الطعام و يصفر جسمه وتضعف بنيته و يتوسخ لسانه و يتعفن نفسه ، وكذلك يتأذى كثير من الناس بالصداع وغيره من الأمراض . إن الامساك عام جدا حتى إن المئات من الحبوب والمسحوقات قد أوجدت لمعالجته . إن الوظيفة الأصلية لمثل هذه الأدوية المسجلة مثل ملح الفاكهة (فروت سالت) ازالة الامساك ، ولذا ترى ألوفا من الناس يجرون وراءها فى رجاء باطل لينالوا فيه الشفاء . كل طبيب يخبرك بأن الامساك وماشاكله من الأمراض انما هو نتيجة لسوء الهضم فأحسن طريقة لعلاجها هى ازالة سبب سوء الهضم وقد صرح أصدقهم قولا بأنهم قد اضطروا الى اختراع هذه الحبوب والمسحوقات لأن المرضى لايتركون عاداتهم القبيحة التى ألفوها وفى الوقت نفسه يريدون الشفاء

إن أرباب الاعلانات عن هذه الأدوية يبالغون مبالغة عظيمة حتى انهم يعدون الذين يشترونها بأنهم لايحتاجون الى مراعاة أى أصل من أصول الغذاء والوقاية بل يجوز لهم أن يأكلوا و يشربوا مايحبون اذا استعملوا أدويتهم ، وأظن أن قرائى لايحتاجون الى التذكير بأن هذا كذب محض . إن جميع أنواع المسهل حتى أكثرها اعتدالا مضرة بالصحة لأنها وان أزالت الامساك ونفعت نفعا بالجملة تحدث أنواعا أخرى من الأمراض فيجب على المريض أن يغير طرق معيشته تماما حتى لايضطر الى المسهل مرة أخرى فيقع فى مرض جديد . إن أول مايجب عمله فى حالة الامساك وأمثاله من الأمراض هو تقليل الغذاء لاسيما السمن والسكر والقشدة وماشاكلها والاحتراز التام من الخمر والدخان والحشيش والشاى والقهوة والكاكاو والخبز المصنوع من

دقيق المطاحن وأن يحتوى الغذاء فى أكثر أجزائه على ثمار طرية مع زيت الزيتون

يجب ان يجوع المريض قبل البدء فى العلاج (٣٧) ساعة وتستعمل أثناء هذا و بعده الابخة الطينية على البطن أثناء النوم و يستحم المريض كما ذكرنا مرة أومرتين كل يوم على طريقة (كيوهن) ويجب أن يكره المريض على المشى على الأقل ساعتين كل يوم . لقد رأيت بنفسى أشد حوادث الامساك والدوسنطاريا والبواسير والمغص قد شفيت تماما بهذا العلاج السهل . لاشك أن البواسير لاتزول كلية ولكنه يبطل أذاها حتما . ثم انه يجب على المصاب بالمغص أن يحتاط فلاياً كل شيأ غير عصير الليمون فى ماء حار حتى يبطل نزيف الدم أوالمخاطية وان كان وجع المغص شديدا جدا فى المعدة يمكن معالجته بتدفئة البطن بقارورة من ماء ساخن أوبآجر ساخن جدا ، ولا احتياج الى التنبيه بأن المريض يجب أن يعيش فى هواء طلق

إن الثمار مثل البرقوق والزبيب والبرتقال والعنب نافعة خاصة فى الامساك لكن ليس معنى ذلك انها تؤكل حتى بدون الجوع ولايجوز تناولها أصلا فى حال المغص الذى يصحبه طعم ردىء فى الفم انتهى بالحرف

﴿ فوائد صحية عامة ﴾

(من كتاب و يلكوكس فى الطب)

(١) حسن المضغ يمنع البواسير ، وفيه فوائد كثيرة ويكفى الانسان نصف مايأكله عادة

(٢) تحديد مواعيد الأكل يمنع الامساك

(٣) كل من غير أن تشرب واشرب من غير أن تأكل . إن الأكل من غير شرب عدو الامساك فلتشرب بعد الأكل بساعتين أوثلاث أوأربع باختلاف الأحوال ولك أن تشرب قبل الأكل بساعة أو بنصف ساعة

(٤) كل بمقدار طاقتك

(٥) يجب تنظيف المعدة بدون دواء كل سنة لأكثر الناس مرة أومرتين وذلك بصيام (٤) أو (٧) أو (١٠) أو (١٣) يوما فلايشرب إلا عصير الفواكه مثل البرتقال والليمون والعنب مع الماء ، والتين الشوكى ينظف المعدة اذا أكلته صباحا قبل كل أكل

(٦) لاتشغل عقب الأكل والا كنت معرضا للامساك

(٧) اذا مشيت كيلومترين قبل النوم فهو يمنع الامساك

(٨) لاتأكل الفواكه قبل نضجها ولاالخضراوات البائتة وامتنع عن الفطير والسكر الأبيض والحلويات ومتى كان عندك امساك لاتتعاط إلا عصير الليمون والبرتقال

(٩) كل طبيخ طبخ مرتين تضيع قوته تقريبا

(١٠) هذه الفواكه مرتبة حسب منفعتها (البرتقال ، اليوسف أفندى ، الليمون الافرنجى والبلدى والتين ، والتفاح ، والعنب ، والكمثرى ، والبرقوق ، والخوخ ، والرمان ، والفراوله ، والبطيخ ، والشمام ، والجوافه) كل هذه الفواكه وكل كل قشرها الذى تقدر عليه ثم الزبيب المنقوع فى الماء عشر ساعات يقوم مقام العنب

(١١) اذا كان طفل عنده جرب فليعط عصير البرتقال كل يوم فانه يبرأ ، وقد ظهر للأطباء قوى ثلاثة عليها مدار الحياة قوة (ا) و (ب) و (ج) فقوة (ج) تساعد الهضم وتمنع الجرب وتحرس الدم وتنظفه وهى ﴿ أربع درجات * الدرجة الأولى ﴾ البرتقال ، الليمون ، الطماطم ، كل الخضراوات الخضراء بورقها الأخضر ﴿ الدرجة الثانية ﴾ البصل ، الجزر ، الكبدة النية ، ورق الفجل ﴿ الدرجة الثالثة ﴾ باقى الفواكه تقريبا والخضراوات الخضراء المطبوخة مدة قصيرة والبطاطس المسلوق واللبن الحليب الذى لم يغل والكبدة المطبوخة مدة قصيرة ﴿ الدرجة الرابعة ﴾ اللفت الأبيض البنجر . وأما قوة (ب) فهى ﴿ ثلاث درجات * الدرجة

الأولى ﴾ فى الجيرة والسن الذى فى القمح ﴿ الدرجة الثانية ﴾ البقدونس ، الفول ، البسلة . الدقيق بحاله أى مع الردة والسن ، ومعنى هذا انه لاينخل والجوز وصفار البيض والكبد والقلب واللحمة والكلية والمخ .
وقوة (ا) تنفع من ضعف الأسنان (كما ان قوة (ب) تساعد فى منع مرض (البرى برى) الذى ينتج من أكل الرز المقشور وقوة (ج) تساعد على الهضم وتمنع الجرب وتحفظ الدم وتنظفه كما تقدم وهى ﴿ أربع درجات ﴿ الدرجة الأولى ﴾ زيت كبد الحوت ﴿ الدرجة الثانية ﴾ بطارخ السمك ، الزبدة ، صفار البيض ﴿ الدرجة الثالثة ﴾ الكبدة . الكلية . قلب الحيوان . اللحم الطازج . اللبن الحليب . جميع الخضراوات . الجزر . الطماطم ﴿ الدرجة الرابعة ﴾ جميع الطعام المصنوع من الدقيق الذى لم ينخل اى لم تخرج منه النخالة ولا السن

﴿ جدول لأدوية طبيعية ﴾

مرض	دواء طبيعى
الكلية	أكل البقدونس . كشك الماز . فجل
الأعصاب	أكل الخس والسبانخ
مرض الرجريج	أكل الطماطم والليمون
لأجل حصول الشجاعة	اكل البرتقال والليمون

﴿ لطيفة فى إزالة سوء الهضم ﴾

ابتدئ بتنظيف المعدة ثم كل من غير أن تشرب الخضراوات المطبوخة مثل (السبانخ . الخس . الجزر . البصل . الكرفس . الكرنب . البامية . الباذنجان . الخبيزة . الملوخية . أوكل الخضراوات التى لم تطبخ واذا كانت أسنانك ضعيفة يجب أن تدقها فى (هاون) وهى (الخس . الكرفس . الطماطم . الكرنب . الفجل . الخيار) خصوصا قشره واعصر عليها زيتا مع ليمون . أوكل فواكه مثل (البرتقال . التين . الرمان . العنب . البرقوق المسلوق مدة قليلة . التفاح الحمر) فهذه تبعد عنك سوء الهضم . انتهى ما اردته من الفوائد الطبية

فقال صاحبى ، أهذا كتاب طب حتى انك تكثر فيه من هذه المسائل . فقلت ليس كتاب طب وانما هو كتاب الله تعالى والله يقول على لسان نبى من أنبيائه ـ واذا مرضت فهو يشفين ـ فقوله ـ فهو يشفين ـ جملة اسمية خبرها فعل مضارع تقتضى الثبات والدوام مع التجدد كقوله ـ هو يحيى ويميت ـ فهنا نستفيد ﴿ فائدتين ﴾ فائدة الطب العملى ينتفع به قارئ التفسير وفائدة علمية حكمية . ألاترى رعاك الله أن الأذكياء يدهشون حينما يقرؤن فى هذا التفسير أن الكلية فى جسم الانسان اذا مرضت قد زرع الله لها فى حقولنا البقدونس والفجل وألهم الناس فصنعوا لها الكشك . وأن أعصابنا اذا مرضت خلق الله لها الخس والسبانخ وأن نفوسنا اذا أصابها الخور والجبن والخوف ذهب ذلك بما أنبته هو لها فى الارض من شجر البرتقال والليمون وأن مرض الرجريج أنبت الله له الطماطم والليمون . وأن مرض الجرب ومرض الامساك وعدم نظافة الدم ينفعها كلها أكل مافى قوة (ج) من الأطعمة مثل الطماطم والجزر وهكذا . وأن مرض الأسنان يزول بأكل مافى قوة (ب) وأن الجير الذى يشفى الجروح ويغذى العظم يوجد فى الكرنب واللبن والجبنة التى لم ينزع زبدها والسبانخ والبصل والمشمس والتين والبرقوق والطماطم والكرفس والبامية والردة وأن المغنسيوم الذى يساعد الفضلات ويمنع الفتق موجود فى السبانخ والخس والخيار والطماطم والبرتقال والشعير والذرة والقمح والليمون والتين والبامية . وأن الكبريت الذى ينظف الدم وهو عدو الروماتيزم موجود فى السبانخ والقرنبيط واللفت والفجل الأحمر والطماطم والقرلة وكشك الماز والجزر والكرنب والبصل والبامية . وأن الفوسفور

الذى يغذى المخ موجود فى السمك والخس وصفار البيض والسبانخ والكشك (الماز) والفجل والقنبيط والخيار والجوز والبسلة والعدس والقمح . وأن الحديد الذى يعطى الدم حرته و يمنع فقر الدم موجود فى الكرنب الأحمر والسبانخ والبصل والزبيب وصفار البيض النيء والتمر والبرقوق والبنجر وكشك (الماز) والطماطم . وأن الكلورين المساعد للهضم المنظف للمعدة موجود فى الكرنب وملح البحر والجزر والسبانخ واللبن وسمك البحر المالح والفجل والجبنة وجوز الهند والبنجر

وأن كبار الأطباء كما جاء فى « مجلة الجديد » يقررون أن مخ الانسان تعلوه طبقة خضراء رقيقة هى وحدها مصدر تفكيره وهى تتجدد فى كل ست سنوات وتكون فى كل مرة مخالفة من حيث طبيعة مادتها للطبقة السابقة ، وذلك لعدة عوامل أهمها اختلاف الغذاء ، فاذا كان الشخص مثلا قد وجدت عنده رغبة وقتية فى أن يكثر من أكل الجزر فان الخلايا التى تتكون فى الذهن تكون (فوسفورية) وتكون صالحة للتفكير وتكون على العكس من ذلك اذا أكثر من أكل الخوخ . واذا استمر الانسان مدة ثلاثة شهور يأكل التفاح كان ذلك منتجا لخلايا قوة التفكير . و يعرف « الشليك » بأنه من أحسن أنواع الأغذية فى هذا الشأن . وعلى ذلك يكون الذهن متغيرا حسب الفصول وماينتج فيها من الثمار والحبوب (وأحسن أوضاع خلاياه ما كان فى شهر ديسمبر أومارس وأسوؤها ما كان فى أغسطس واكتوبر) وأن الذهن وان يكن يتغير بأجمعه كل ست سنوات فالتغير الجزئى يحصل فيه من وقت لآخر وعلى ذلك يكون الذهن فى كل حين قصير بشكل جديد . و يقدر عدد هذه الأشكال التى تظهر فى رأس انسان عاش ثلاثين عاما نحو (١٨٠) شكلا أى (١٨٠) ذهنا مختلفا . واذا كان هذا الشخص قد ابتدأ يفكر وله من العمر (٥) سنوات فان مقدار ماعرض له من الأفكار التى اشتغل بها ذهنه يبلغ (١٫٩٢٠٫٠٠٠٫٠٠٠) فكرة . واذا كان يشتغل عملا عقليا فان عدد فكراته يكون ضعف ذلك . و يبلغ ذهن المرأة نحو (٥٠) أوقية وهو أخف من ذهن الرجل ولكنه أجود من حيث المادة وأشد كثافة منه . و يمتاز ذهن المرأة فى الستين من عمرها بنحو ٢٠ فى المئة على ذهن رجل فى سنها

وانه ليس بين الثمار ماهو أعظم نفعا من الليمون فان فوائده الكثيرة لا يمكن أن تقدر فان فى استعماله اقتصادا للوقت والمال وتخفيفا للعمل والمشقة ولا يمكن أن يحصىٰ مايستعمل فيه من الأغراض . فاذا أريد تنظيف المناديل وقطع النيل يوضع معها عند الغلى قطع من الليمون فانها تصير بيضاء كأنها جديدة . واذا أريد أن يجلى النحاس بسرعة وأن يمكث بريقه ولمعانه مدة طويلة فليحك بخرقة مبتلة بعصير الليمون . ويمكن أن ينظف به الرخام الأبيض اذا تغير لونه بتأثير الدخان أوغيره . واذا أرادت ربة الدار أن تذهب من يديها رائحة السمك النيء بعد أن قامت بتنظيفه فلتستعمل الليمون بدلا من الصابون . واذا تألمت العين من أثر الرمد فليقطر فيها بعض نقط الليمون . واذا ظهر فى الوجه النمش يمكن ازالته بشرب عصير الليمون فى كوبة ماء فى الصباح . واذا ظهر اسوداد فى الأسنان يمكن جعلها بيضاء اذا استعمل الفحم وعصير الليمون وهكذا من الفوائد التى يطول سردها . انتهى والله أعلم

أقول لك أيها الذكى اذا قرأ هذا القول قراء هذا التفسير يدهشون و يعجبون و يقولون هذا الجير نراه أمامنا . وهاأناذا فى مصر أراه يستخرج من جبالنا وأصله وأصل جميع الجبال مخلوقات فى البحر الملح ربى هناك فى أجيال ودهور فهذا الجير أدخله الله فى نبات الكرنب والسبانخ والبصل والمشمش والتين وهكذا الخ وأعد هذه كلها للانسان وجعلها مضمدة لجراحه مقوية لعظامه . وهنا موضع الدهشة . بعض الجير يدخل فى البصل والمشمش مثلا وكلاهما يشفى الجروح و يقوى العظم . فهذا عجب . ماهذه العجائب . جير يدخل فى نبات يصلح جسم الانسان . إن العقلاء إذن يقولون إن الله مافرق هذا الجير فى أنواع النبات ثم أحوج

الانسان

الانسان اليه إلا لأمر عجب وهو أن يدرس هــذا الوجود . إذن هذه الأمراض خلقت فينا لنعلم . فمن اقتصر على مجرّد علم الطب فيها ونمت ، فالطبيب عالم والمريض يتداوى بعاعلم الطبيب ولـكن ليعلم الطبيب والمريض أنهما لم يخلقا لهذه الدنيا وحـدها فالمداواة الجسمية لهـذه الحياة ولـكن المداواة العقلية هى المقصودة بالذات وهى أن النفس تتغذى بهذه العلوم وتسعد وتتذكر جمال هذه الدنيا وأن الحكمة التى ابدعت الجبر أولا ثم احتالت فى ادخاله فى النبات ثم أبدعت الانسان وألهمته أن يتداوى و يتغذى بتلك النباتات تريدبنا شيأ أعلى من هذه الحياة وهو أن نكون سادة هذه المادّة وأن هذه المادّة لوحنا نقرؤه وكتابنا نفهمه . إذن المداواة الجسمية مقدمة للمداواة العقلية . يمرّ الناس على هذه العجائب ويحمدون ربهم انه قد شفاهم من أمراضهم والأطباء يفرحون بأنهم نجحوا فى طبهم . إن الوقوف عند هذا حقارة لهذه الانسانية فى الأرض ، فلينظر هذا الانسان لم خلق . إن الأمر لعظيم . يمرّ الليل والنهار ونرى الكواكب ليلا والنبات وغيره نهارا وتمرض أجسامنا وتصح والغفلة مستحكمة فى أكثر الناس ونرى الأمم تفرح بأنها غلبت أمما أخرى والناس سكارى وماهم بسكارى ولـكنّ عذاب الله اليوم شديد . اشتدت الحرب على الأمم والعداوة والأمراض فى الأجسام وكر الليل والنهار والناس كلهم غافلون . إنى أرى هذا الانسان محبوسا فى هذه الأرض و يخيل لى انهم كلهم يجلدون و يعذبون . ذلك لجهلهم ولقصور عقولهم ، فالليل والنهار يرجعان لعوالم جميلة والأمراض فى الأجسام يراد بها فتح البصائر لما فى الأرض من العجائب

فلعمرى أىّ مناسبة بين عصير البرتقال و بين الجرب ، فالذى عنده جرب يشرب هذا العصير فيذهب المرض وأىّ مناسبة بين نحو البرتقال والليمون والطماطم وما أشبهها من كل أنواع قوّة (ج) و بين شفاء الجروح وكذلك ما العلاقة بينها و بين العين بحيث اذا قلت تلك القوّة مرضت العين وتمام قوّة (ج) يمنع مرض العين وهكذا تعاطى زيت كبد الحوت يشفى العين ، فما هذه المناسبات فى البرّ والبحر للعين والجلد

أقسم طنطاوى قسما حقا لاحانثا فيه ولا آثما أن هذه كلها لغات أفصح من لغات الألسنة فالمرض لغته تفهم العناصر الأرضية وتذكرنا بها اجمالا والنور والظلمات لغتان لبحث العجائب السماوية وهذا مما يرمز اليه قوله تعالى — يا أبت إنى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن — فهذه الأمراض عذاب لنا ولكنها من جهة أخرى رحمة لأنها مذكرات لنا لنعز هذه العوالم فنرقى الى عوالم أخرى أرقى من هذه الأرض المعبر عنها بالجنات فقوله تعالى — فهو يشفين — معناه أن الأمراض تتجدّد بتجدّد الأجيال والنباتات وغيرها تتجدّد بتجدّد تلك الامراض وأنا الذى أدير الأفلاك وأنظر لكم فى أرضكم وأصلح أحوالكم وأصنع معكم صنع الأب الشفيق مع الابن الصغير أربيكم بالخير و بالشر والنتائج كلها أردت بها الخير . والدليل على ذلك أن الأسبانيين لما دخلوا بلاد أمريكا منذ نحو أربع قرون رأوهم يحفرون حفرا و يضعون فيها حشيشة (التبغ) الذى يدخنه الناس فى أفواههم فأمروا بقتل كل من فعل ذلك ثم وقع نفس الاسبانيين فى نفس الشرك ثم نقلوه الى أوروبا ومادخل التدخين أمة إلا قابله قسيسوها بالتكفير وسوّاسها بالمنع ثم تغلب التبغ حتى هاجم بلاد الاسلام ودخل قلعتها إذ ذاك وهى بلاد الترك سنة ٩٩٩ هجرية فحرّمها علماء الدين وقاومها السوّاس فتغلبت ودخلت بلاد الاسلام . إذن التبغ هاجم الأمم كلها واستحوذ عليها واستعمرها فأصبح الناس فى الشرق والغرب يدخنون لماذا ؟ لأن المتوحشين فى أمريكا كانوا يدخنون . فلعمرى أىّ فرق بين الحيوانات التى ظهرت فى اللثة فانتشرت فى جميع الجسم و بين التدخين بالتبغ الذى ظهر فى القارة الجديدة فانتشر فى القارات كلها . إذن الانسانية كلها جسم واحد ولن تنجو أمة من الذنب والعقاب فى هـذه الدنيا إلا بمساعدة غيرها . اللهم إن الأمم كلها أشبه بجسم واحد فى الأرض كما ان عوالم السموات والأرض أشبه بحيوان واحد . وقدقام الدليل على أن العضو فى الجسم يعدى بقية الأعضاء والضعف فى أمة له أثر فى سائر الأمم وستكون الانسانية بعد اليوم

أشرف من انسانية اليوم وأرقى ولله عاقبة الامور

﴿ بهجة العلم والطب ﴾

(محاورات طيماوس الحكيم مع سقراط)

إن الله عز وجل قد أنعم بهذا التفسير وجعله معرضا لآراء الأمم ، هاأناذا قد ذكرت لك آراء الأمم فى علم الطب قديما وحديثا بحيث اصطفيت اللب ونبذت القشر وجعلته باذن الله عذبا سائغا شرابه صافيا فلأذكر لك الآن محاورات طيماوس الحكيم مع سقراط وهى المحاورات الموسومة بطيماوس ذلك انه حاور سقراط فبحث معه فى السماء ونظامها وجمالها وأبان أن العالم حادث وانه جميل وانه نسخة لما هو أجمل منه وهى عوالم جوهرية ارفع من المادّة ، وذكر أن صانع هذا العالم انما صنعه لأنه جواد ولو لم يصنعه لم يتصف بهذا الوصف وانه عمد الى المادّة المضطربة فنظمها وجعلها ممتزجة مهندسة وأن هذا العالم كله أشبه بحيوان له عقل عام يديره وله نفس وله مادّة ، فالعقل العام لا يتصرّف فى المادّة إلا بنفس تكون واسطة بينهما . وذكر الأيام والليالى فأبان أنهما من صنع خالق العالم وبهما يحصل الزمان ولا زمان بالنسبة لصانع العالم بل الزمان مقياس لنا فالماضى والمستقبل والحال لنا نحن أما الله فلا يحكم عليه زمان لأنه هو محدث الزمان ، ويقول أيضا ان هذه الكواكب كلها منظمة بعقول تدبرها مستدلا بالنظام الكامل فى دورانها وأن الكواكب والعقول القائمة بها قد حدثوا بعد العدم . ويقول إن الأرواح الانسانية بينها وبين الأرواح التى تدبر الكواكب (وهى بلغة الشرع ملائكة) مناسبة فكما تدبر أجسامنا عقول هكذا الكواكب تدبرها نفوس كبيرة . وذكر أن الله جمع الأرواح الانسانية وشرح لها العوالم قبل نزولها الأجسام وأبان لها الآثار التى تحصل لها اذا اتصلت بالأجسام . وأن من اتبع الشهوات فانه يرجع بعد الموت الى أسوإ حال ومتى عدلت فى الأرض رجعت الى حال أرقى وتسكن الأماكن الشريفة فى العالم العلوى . وبين أن البصر انما خلق فينا لنعرف به الليل والنهار وبهذا نعرف الزمان ونتجه الى الحكمة والفلسفة وهما أعظم نعمة من الله . ثم ذكر المادّة بحسب زمانهم وانها عناصر أربعة الخ وأن ذكر العناصر لا معنى له لأنها كلها أمر واحد غير الظواهر فهى أمر غائب عن الحس يظهر فى صور هذه العناصر إذن المادة فى أصلها لا صورة لها . ثم ذكر اللذة والألم وأن المادة عبارة عن مثلثات تتركب منها أشكال هندسية بسيطة وباجتماعها تكوّن الخشن واللين والبارد والحار والمؤلم والذى يحدث اللذة فالاختلاف فى الأشكال يوجب الاختلاف فى التأثير فى اجسامنا فالتأثير الملائم لطبعنا به تكون اللذة والتأثير الذى لا يلائم طبعنا يكون به الألم وان كان متوسطا لم يكن ألم ولا لذة . ثم تكلم عن الجسم الانسانى وهو الذى سقنا لأجله الكلام هنا لأننا فى الكلام على صحته ومرضه بمناسبة الآية ولم أذكر ما تقدّم إلا كالمقدّمة لينشط الأذكياء للقراءة وليفرحوا بما يسمعون من العلم والحكمة وليزدادوا علما بما جاء من الطب المجمل فى كلامه . ثم قال بالحرف الواحد

وشرع بعد ذلك فى الكلام على تصوير الانسان على يد (الملائكة حسبما أمر به الله) فقال انهم تسلموا من الله النفس الأزلية التى خلقها للانسان وألحقوا بها نفسا مائتة جعلوا مركزها فى الصدر . أما الجزء الغضبى منها ففى أعلى الصدر . وأما الجزء الشهوانى منها ففى أسفل البطن ثم صوّروا بقية البدن بغاية الاتقان نظرا الى مصالح النفس وما تحتاجه من الخدمة حتى تكون جميع أجزاء البدن متصلة بالروح مستعدة لقبول أوامره .

ثم بين منافع جميع الأجزاء جزأ جزأ وكيفية منفعتها ثم تصوير العروق وتفرّعها من الرأس الى أقاصى البدن كما تتفرّع السواقى فى البساتين لحمل الدم المركب من أجزاء الأغذية وتوصيله الى الأعضاء والمفاصل لتخلف ما تحلل منها . قال فاذا كان ما تحلل زائدا على ما يخلفه الغذاء فان الحيوان ينقص ويذبل واذا زاد الغذاء على ما تحلل من الحيوان فقد ينمو البدن ومنه يتبين نموّ الحيوان فى شبابه ثم تناقصه شيأ فشيأ فى الشيخوخة والمرض

الى

الى أن ينتهى ذلك به الى الموت . وشرع فى بيان الأمراض البدنية وأمراض النفس وهى تابعة للأمراض البدنية وقسمها ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ منها مايتبع افراط اللذة والألم المؤثر فى الفكر ، ومنها ماسببه افراط المرارة والبلغم والاخلاط إذ بها يتعطل سريان النفس فى البدن فيكون سببا لسوء الخلق والتهوّر والجبن وجمود القريحة والنسيان . وحاصل ما آل اليه كلامه أن الشرغير اختيارى وأن له ﴿ علتين * العلة الأولى ﴾ فساد المزاج ﴿ والثانية ﴾ سوء التأديب ، فالشرير كالمريض يستحق الاشفاق عليه والعلاج لأن أغلب مايعتريه من أسباب خارجة عن قدرته . قال واذا سأل سائل عما ينبغى فعله لتدارك الأمراض وحفظ الصحة للبدن والنفس معا . فالجواب أنه لاطريق الى ذلك إلاحفظ المعادلة بين البدن والنفس فان النفس اذا كانت مفرطة القوّة فى بدن ضعيف لاتصبر على صحبته ولاتزال مضطربة فيه لتجهده وتملؤه أمراضا ، وبالعكس اذا غلب البدن على النفس فان العقل يجمد ويفتر ويعجز عن أعماله ، فالقاعدة أن نروّض البدن والنفس معا ، أما البدن فبأنواع الرياضة والحركة البدنية ، وأما النفس فبالموسيقى وباعطاء كل من أجزائها أى النفس العقلية والغضبية والشهوانية مايناسبها من الحركة والرياضة حتى تبقى كل واحدة منها على ما اختصت به من العمل وتكون النفس العقلية الأزلية رئيسة على الجميع كما يوافى شرفها . وأشار فى آخر المحاورة الى منشأ الحيوان وذكر ما كانوا يعتقدونه فى زمانهم (وهو يخالف الاسلام وهو أيضا لادليل عليه) فقال ان الحيوانات كانوا من البشر فعوقبوا وردّوا الى رتبة أدنى مما كانوا عليها لما اقترفوه من الذنوب . أما النساء فقد كانت من قبل رجالا أظهروا فى سيرتهم الجبن والجور فانحطوا عن رتبتهم السابقة . وأما الدواب الأرضية فهى مما كان مدة حياته مسخرا لشهواته والحيوانات فاضلها ممن كان فى حياته قد استعبد لأخس الشهوات وأدناها فسخوا الى أصم الخلائق وأنقصها عقلا

ثم ختم المحاورة بأن قال ، وليكن هـذا آخر كلامنا عن العالم ، وقد كانت هـذه صورة تركيب هذا العالم المحتوى على الحيوانات المائتة وغير المائتة وهو الحيوان المرئى المحتوى على جميع الحيوانات المرئية وهو إله محسوس على مثال الإله المعقول (أقول وهذه الجملة لاتجوز فى ديننا والتعبير بها كفر ولكن هم كانوا قبل النبوّة فأرادوا بذلك أن هـذه العوالم ظهرت فيها آثار القدرة الدالة على الجمال الإلهى ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ ان الحكمة والعلم والقدرة ظهرت آثارها فى هـذا العالم المجسم فالظاهر لنا من العوالم عنوان الله الذى اختفى عن أبصارنا وظهر لبصائرنا بتلك العجائب) ثم قال عن العالم ﴿ فهو السماء الوحيد المنفرد والطبيعة ذو العظم والحسن والجمال الوافر الكامل من جميع الجهات ﴾ انتهى تلخيص كلام طيماوس

هذا كله نقلته من كتاب الاستاذ (سنتلانه) وهو مترجم من اليونانية الى اللغة العربية وبذلت جهدى فى أن أمنع الألفاظ الممنوعة شرعا أو أنبه انها كفر وأشرحها اهـ

﴿ هذه تذكرة ما جرّبته فى حياتى من الأعمال الطبية ﴾

قبل أن أختم تفسير هذه الآية وهى قوله تعالى ــ الذى خلقنى فهو يهدين ــ الى قوله ــ واذا مرضت فهو يشفين ــ بما عالجت به نفسى لاسيما فى أيام الكبر ليكون تبصرة لأحبابى قراء هـذا التفسير فانى من إبان صغرى وجدت فى نفسى ميلا قويا الى رقى الأمم الاسلامية وهذا الميل ازداد بازدياد سنى

لقد ذكرت فى مواضع كثيرة من هـذا التفسير وغيره انى نشأت فى قرية كفرعوض الله حجازى من بلاد الشرقية واعترانى فى نحو العشرين من سنى حياتى مرض جسمى وشك فى هذا العالم وفى الصانع فكنت موجها قلبى الى ﴿ أمرين ﴾ صحة جسمى وهداية نفسى فالأوّل بالطب والثانى بالعلم وكنت أسأل كل من أتوسم فيه الافادة ولم أجد وسيلة خيرا من توجه النفس الى مبدع هذا العالم فلأقصر القول على امر الطب لأنى الآن فى صدد الكلام عليه . أقول أخذت إذ ذاك أمنع شرب الماء مع الطعام وعقبه وأقلل الطعام وأتخير

ماهو ألطف وانتهى الأمر بالشفاء . ثم انى لما بلغت الستين بدا لى أن أترك اللحم بتاتا لما رأيت فى الكتب الطبية ذمّه وقد كان مرض الروماتزم ملازما لى فتناقص هـذا المرض الى أدنى حدّ ولكنى كنت أجد له أثرا باقيا يخفى تارة ويظهر أخرى وذلك انى كنت آكل الخضراوات المطبوخة التى طبخت فى مرق اللحم فكنت أتعاطاه مع أسرتى بالمنزل فى مرقه ، ثم لما قرأت فى العام الماضى كلام العلامة (غاندى) المصلح الهندى الذى حدّثتك أيها الذكى عنه فى سورة طه (اقرأ ما كتبته هناك فى أمر الطعام عند ذكر آدم وفى سورة الحجر عند قصة آدم أيضا فى أوّلها وما ذكرته فى سورة الأعراف عند قوله تعالى ـ ولاتسرفوا ـ الخ وماذكرته فى سورة البقرة عند قوله تعالى ـ أتستبدلون الذى هوأدنى بالذى هوخير ـ الخ) تركت الخضراوات وجعلت طعامى مايأتى إلا نادرا

(١) آكل الخبزالمصنوع من دقيق البر وفيه جميع أجزائه فما يسمى (نخالة) ومايسمى (السنّ) يبقى فيه ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ آكل خبزالقمح بحيث لاينخل أدنى نخل فهو إذن بحاله ، وقد تقدّم فى (سورة الحجر) أن أجزاء البر (١٦) جزأ كلها داخلة فى الدم واخراج النخالة والسنّ منه اخراج لأهم أجزائه المانعة من الامساك المقوية للبدن والعقل

(٢) وآكل معه زيت الزيتون والفواكه مثل التمر والتفاح والبرتقال والليمون وربما أكلت من الخضر الطماطم بشرط أن لاتكون مطبوخة لأن المطبوخة ضارّة بالصحة بنص الأطباء و بتجر بتى وتركت الملح اللهم إلا مايوضع فى الخبز وتركت السكرالمصنوع مكتفيا بما فى الفواكه ﴿ و بعبارة مجملة ﴾ اقتصرت على الفواكه والحبوب اجمالا ولكن التفصيل هو الذى ذكرته لك الآن

أقول لما اتبعت هذه الخطة زال الروماتزم بتاتا وصرت أفتح شبابيك حجرة النوم ليلا ونهارا وأنا أكتب الآن ليلا وهى مفتوحة فلاأحس بذلك المرض ، وأنا أعلن حمدى لله عزّوجل حمدا كثيرا فقد وجدت أنى أصح جسما وأصح عقلا وأقوى تفكيرا من جميع أيام حياتى كأنى أحمده إذ أقدرنى أن أكتب بعض خواص النبات للمسلمين كما كنت أتمنى أيام الشباب عند مرضى ، فاذا كنت الآن فى العقد السابع من سنى حياتى فانى أقول انى لم أكن يوما ما فى أيام شبابى وقبلها و بعدها منتظم الصحة والعقل والفكر مثل ما أنا عليه اليوم فأنا أقول الآن الحمد لله ولكن هذا الحمد ليس على صحتى وحدها لأن أوقات الحياة محصورة والموت لايتوقف على حال مّا فهو يأتى بغتة ـ وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا وماتدرى نفس بأىّ أرض تموت ـ ولكن حمدى لله على النعمة العامّة فالحمد على نعمة خاصة حمد ضئيل لايليق بالربوبية والاخلاص لها بل لايليق لعاقل . وانما حمدى لله فى هذه النعمة على أنها نعمة على كل ذكىّ مطلع على هذا الكتاب لأن هذا القول يترك فى نفسه أثرا وهذا الأثر سيفيده يقينا وكم من رجال ذوى عقل عند مايطلعون عليه يغيرون حالا أسلوب معاشهم مع انهم هم أنفسهم قد يكونون أطباء أومطلعين على الطب ولكن تجر بتى هذه تشجع على ابطال عادات موروثة عن الآباء والبيئة ، فهذه نعمة عامّة على قراء هذا التفسير فى حياتى و بعد موتى . إذن حمدى لله على توفيق للصحة موجه لعموم المنفعة للأحياء المنتفعين بهذه التجربة فى كل جيل لأن الحمد انما يكون على النعمة الواصلة من المنعم الى الحامد أوغيره وهذا سرّ قوله تعالى ـ الحمد لله رب العالمين ـ ولم يقل المصلى ربى وحمدى فهو مربى جميع العوالم كما تقدّم فى محاورة (طيماوس) فالانسان يجب عليه أن يوجه وجهه تلقاء العوالم كلها . فأما سمواتها وأرضها فبالتفكر والعلم والاعجاب بصانعها . وأما نوع الانسان فيكون ذلك بالعطف عليه وتعليمه ونشر الحكمة فيه . ولقد أثر فى نفسى ما جرّبه غاندى الهندى مما كتبته فى (سورة طه) أن الانسان عادة يقتدى بمن يثق بقوله انه مجرّب وأنا تجر بتى مضت لها بضعة أشهر ولا أزال فى حال التجربة ولقد وجدت منافع لاحدّ لها فى الصحة والعقل كما قدمنا ولكنى لا أعد هذه المدّة كافية وأنا موجه وجهى جهة مبدع الكون أن يلهمنى

المحافظة على صحتى مدة حياتى فنه أستمدّ ومنـه التوفيق . ولقد تبين لى من هـذه التجربة معنى قوله تعالى ـ قتل الانسان ما أكفره ـ وقوله تعالى ـ وان تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظنّ وان هم إلا يخرصون ـ ذلك أن هذا النبأ كلما علم به طبيب مدحه وقال ان هذا عمل جليل ولكنه لا يكاد يقدم عليه هو نفسه ولا يأمر به المرضى وانما الذى انتهج بعض هذه الخطة قوم آخرون . إنى لا أشرب إلا الماء وقد تركت القهوة والشاى وما أشبه ذلك ولا أشرب شيأ إلا اذا عطشت وصرت أنادى بأن هذا الانسان فى سجن العادات وعرفت اليوم أن الانسان منا هو الذى يضعف عقله وصحته بيديه ، أليس الطعام الذى نتعاطاه به قوام بنيتنا . إذن اقامة بنيتى وصحة عقلى راجعان لما ألقيه فى فمى بيدى فاذا لم أتخيره فانى لم أتخير بناء جسمى وحفظ عقلى ، ومن أكل بغير حساب ولا نظام أصبح عقله تبع ما يأكل فتكون الصحة بالمصادفة والعقل بالمصادفة . واعلم أن هذا الانسان لما كان ضعيفا فى تصرفه حكم الله على أكثره بالفقر لأن الفقر هو الذى يمنع القدرة على حوز الطعام الكثير الضار بالصحة والعقل ، وفى ظنى أن الناس لو كانت اراداتهم قوية لامتلأت الأرض بالخيرات ولكن القوى الارادية لما كانت ضعيفة أنزل لهم المطر والأنهار والسعادة فى الأرض بحساب لتكثر حركاتهم فى الطلب وحركات عقولهم فى التدبير فتصح الأجسام والعقول بالحركتين ـ ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير ـ فهو يعلم ضعف الارادات وضعف التفكير فأرغمهم على العمل وعلى التفكير بهذه الوسيلة لأن العقول فى عالمنا هذا هذا مبلغها وهذا هو نصيبها من الفكر والقوّة . وممن أعاننى على تدبير الصحة قرينتى (السيدة عائشة الحسنية) من ذرّية الحسن بن علىّ رضى الله عنهما فهى التى سارعت الى تدبير الخبز على الطريقة المتقدّمة وأسرتها كلهم أطباء ، ومما أعانها على ذلك انها شاهدت أهل مكة هكذا يفعلون فى خبزهم ، وقد خالفت بذلك عادات النساء فى مصر واستفادت ذريتى بذلك فائدة ظاهرة فى هذه السنة كما أنها خالفت أكثر النساء فى انها تواظب على الصلوات والعبادات

هذا وأذكرك بما تقدّم فى (سورة طه) عند مسألة الطعام وما ذكره العلامة ابن خلدون عن أهل المغرب وأهل فاس ومصر وشرح مضار الأطعمة المشهورة فى هذه البلاد وشرح المنافع التى يعاينها الناس فى الاقتصار على النافع من الأغذية ، ففى قرأته نشطت للعمل ببعض ما هنا وما هنالك تدريجا وما لا يدرك كله لا يترك كله

ومما ذكره ابن خلدون أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يكونوا ينخلون الدقيق زهدا وهذا عجب أن يكون هذا الزهد هو الذى يطلبه الطب للصحة فالعجب كل العجب من حكم ديننا ، يقول الله ـ أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون ـ ويقول عمر رضى الله عنه للربيع بن زياد لما حضر هو والأمراء معه وعلى رأسهم أبو موسى الأشعرى وقد ظهر الربيع بمظهر القانع بالخشن من الطعام والثياب المرقعة ﴿ لو شئت لملأت هذه الرحاب صلائق وسبائك وصنابا ﴾ يريد بذلك اللحم والرقاق والزبيب المصنوع مع الخردل ولكنى رأيت الله عير قوما فقال ـ أذهبتم طيباتكم ـ الخ وانما عجبت لأن هـذا هو الذى به سعادة الناس فى نفس الدنيا فالاقلال من اللذات هو الذى به الصحة والعافية ، والأغرب من ذلك أن سقراط أثبت أن الذى لا عفة عنده لا لذة له وبرهن على ذلك بأن من شرب الماء وعطشه قليل لا لذة له فيه . إذن الذى لا عفة عنده لا لذة عنده فهو يطلبه اللذة فقدها والعفيف ترك اللذة فجاءت اليه . إذن الصحابة رضوان الله عليهم بزهدهم فى اللذات نالوها وبزهدهم فى الدنيا ملكوها ، ومن عجب أن تكون هذه الأخلاق بنفسها هى التى استنتجها سقراط وأفلاطون بعقولهما قبل النبوّة بنحو تسع قرون فانك اذا قرأت ﴿ جمهورية أفلاطون ﴾ وجدت الزهد متجليا فيها والحكمة والعلم ومع هـذا الزهد ينظم المدن ويقيم الملوك والأمراء والحكام والجند ويبين مراتبهم ورياضاتهم وآدابهم وآداب العامّة معهم ومع الأمراء فالحمد لله الذى علمنا ما لم نعلم وأرانا العلم والدين توءمين متحدين عند

ذوى البصائر وهذه من أعجب المعجزات إذ كيف تكون نتيجة الفلسفة قرونا وقرونا ينزل بخيرمنها الوحى على أمىّ فيدوم به ملك لم يحلم بها فيلسوف ولاملك من الملوك

وأختم هذا القول بذكر الحمية التى اتبعتها فأقول ﴿ لقد كانت عادتى انى اذا ارتبكت معدتى أن أتعاطى زيت الخروع و بعدها لا آكل بل أشرب اللبن أياما من ثلاثة أيام الى (١٤) وفى تلك المدة يضعف جسمى ثم أتعاطى الغذاء المعتاد بالتدريج وهذا فيه مافيه ، ولكنى فى التدبير الجديد حصل لى منذ شهرين ارتباك فى المعدة فامتنعت عن الطعام نحو يومين لم أتعاط فيهما إلا ماء (البرتقال) اتباعا للنصائح الطبية فشفيت والأطباء يأمرون بالجوع أكثر من يومين (اقرأه فى كتاب غاندى) انتهى ليلة الجمعة ٢٩ مارس سنة ١٩٢٩ الساعة الثالثة بعد نصف الليل والحمد لله رب العالمين

﴿ الاستشفاء بنور الشمس ﴾

(ذكر ماخطرلى يوم ٢٨ مارس سنة ١٩٢٩)

عجب لهذا الانسان يعيش ويموت وأكثره غافل ساه ، يرى المادّة ويرى الكواكب والشمس والأرض وماعليها ولكن العلم يقول له هذا كله ظل الحقيقة والحقيقة غير ماتراه وفى نفس الوقت يقال له أتمم أعمالك بحسب ماظهرلك من الحواس ، يكون غنيا و يقول أنا اليوم نلت ما أتمناه فيرى الحوادث تكذب ظنه وتعتريه الحوادث سرورا وغما ويخاطبه العلم قائلا . كلا . فالصحة والمرض والغنى والفقر والعلم والجهل كلها عوارض والنفس هى هى معرض للسعادة والشقاء . يقول الفلاح ليتنى كان لى مال كثير فلاأخرج الى الحقل ولاأقف فى الشمس طول يومى لزرع حقلى ، إن الله غضب علىّ ولولا غضبه علىّ لأعطانى أرضا واسعة وأجلسنى فى الظل وأخذت أقابل الوفود من كل صوب يحادثوننى ، فيقول له علماء الطب كلا أنت جهول أيها الفلاح ان من اتسع ملكه فى الأرض وهولايعلم شروط الصحة كأكثر ذوى اليسار من جهال المصريين وغيرهم يعتريهم المرض لقلة حركاتهم وعدم تعرّضهم لضوء الشمس القاتل للمكروبات الضارة بأجسامهم وهم لايعلمون ، فالله الذى علم غفلة عباده وجهلهم هو الذى تولى قيادة الشعوب والأمم وأكثر من الفقراء وقلل جدا من ملاك الأرض الواسعة ليكون هؤلاء الأقلون أشبه بفداء للأكثرين الذين أجاعهم فأخرجهم الجوع الى طلب الرزق والرزق يكون بالعمل فى الحقول بحرثها وسقيها والوقوف فى الشمس ساعات من النهار ، فههنا أمور ثلاثة طلب للرزق من الأرض ، وتعرّض للشمس ، وحركات الأعضاء ، الفلاح يحس بالجوع فيضطر لطلب الرزق وهذا الرزق لاعمل له إلا أن يمنع هذا الجوع ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ لاعمل له عند الفلاح إلا إزالة ألم نسميه جوعا كما انه لايتزوّج إلا لطلب دفع الألم وهوالشبق هذا هوالمقصد له فاما أن جسمه يقوى واما انه يلد واما أن الحركات تساعد على هضم الطعام واماأن الشمس وإلحاح ضوئها عليه طول النهار يقتل المكروبات (الحيوانات الذرية) التى هى أكبر عدوّ للانسان والحيوان وهى السم القاتل لكل حى فانه لا ذكر لهذا كله عنده ولاوزن له ولا عبرة به ولاخبر بل اذا سمعه يحقره وهكذا اذا قيل له ان الجلوس فى بيتك واقبال الوفود عليك وعدم حركاتك وعدم تعرّضك لضوء الشمس أواذا قيل له ان أكلك المآكل الدسمة وأنواع الفطير وكثرة أنواع الطعام مذهبة لصحتك مضعفة لك ذاهبة بعمرك فان الفلاح يحتقرهذا كله ولايصدّق أن قلة المال فى يده وقلة النقود هى أكبرعون له على السعادة إذ لولا ذلك لم يعمل فى الحقل ولم يتعرّض لحرارة الشمس . هذه حال الناس أيام جهلهم لذلك تولى الله بنفسه علاج الأمم فأكثر من الفقراء وقلل من الأغنياء وجعل ذلك الفقرهو العلاج لأجسام هؤلاء الفقراء وأسمعنا ذلك فى القرآن إذ قال ـ واذامرضت فهو يشفين ـ فاذا قلت حركات الانسان لجهله أواذا قدّم الظل على الشمس أواذا أحبّ أكل الطعام الفاخر رحم الله عباده فألجأهم الى الحركات فى

طلب

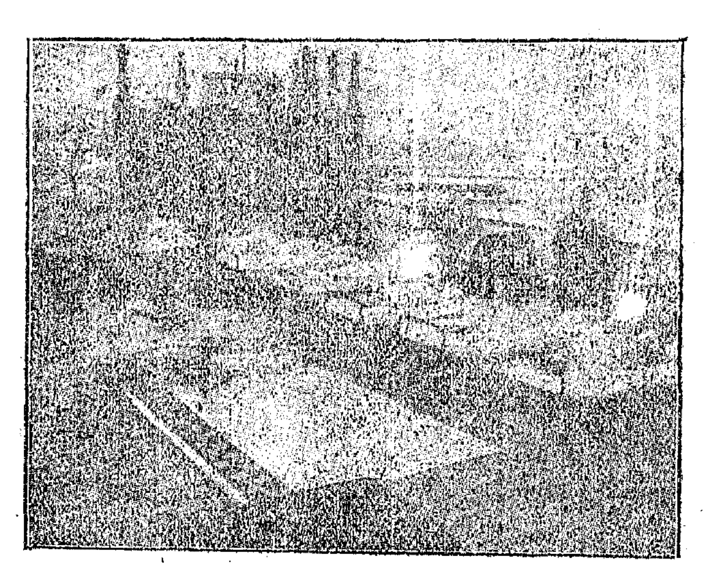
طلب الرزق وعرّضهم للشمس ليقتل الأمراض الداخلة بالحركات و يقتل المكروبات بضوء الشمس ثم فى نفس هذه الحال يقلل المال عند أكثر الناس لئلا يبطروا فيأ كلوا مالذّ وطاب فتذهب صحتهم ويكونون مرضى

فلعمرى أىّ رأفة وأى رحمة أعظم من هذه ، عيال عليه لايميزون كما لم يميز الأطفال بين الضار والنافع فيمنعهم الآباء من تعاطى ما يضرّهم هكذا الله نظرالى عباده فعاملهم كما نعامل نحن أطفالنا فجعل السواد الأعظم فقراء لتصح أجسامهم وجعل أقل الناس أغنياء وقال هم فداء لكم أيها الأغنياء فاذا مرض أكثرهم وصحت أجسام أكثركم فانى أهتم بالاصلاح العام لأنه أولى

هذا كله فى أيام جهل الأمم ، اما اذا عمّ العلم فان الجهلاء يفهمون هذه الحكم بطريق التعليم فيرضون وتكون عندهم سعادة على قدرمايشعرون نهم أفضل إذ ذاك من آبائهم الجهلاء ، وأما فريق الأغنياء فان العلم ينقلهم الى حظيرة الصحة و يتعرّضون لضوء الشمس اختيارا لا اضطرارا ، وهاك مثلا مما جاء فى إحدى المجلات العلمية وهذا نصه

الاستشفاء بأشعة الشمس

« أصبحت المداواة والتقوية بأشعة الشمس أهم ظاهرات العلاج فى المستشفيات والمصحات الاوروبية والأمريكية . و يقول الأخصائيون من علماء الطب ان أشعة الشمس أنجح دواء لعلاج كثير من الأمراض وأن الفتاة التى تداوم كل يوم على التعرّض للأشعة ساعة من الزمن تنال الصحة التامّة والجمال المشرق البهجة . وترى فى هذه الصورة (انظرشكل ١٠) قسم من مستشفى الأشعة فى فندق ايفرجلاد بكاليفورينا وأكثر قاصديه من الفتيات الحسان . فهل آن لفتياتنا أن لايخفن من التعرّض لأشعة الشمس لأنها تسوّد وجوههنّ ؟ وهل من الجمال أن تبدو صفراء ممتقعة اللون لحرمانها من أشعة الشمس » انتهى



(شكل ١٠ ــ رسم قسم من مستشفى الأشعة فى مصح فندق ايفرجلاد بكاليفورينا)

أقول إياك أن تظنّ أن معنى هذا أن تقف أوتقعد فى الشمس بدون علم ولاهدى ولا كتاب منير وانما يجب أن تستشير الطبيب الصادق والا فاقرأ ماتقدّم فى هذا التفسير فى (سورة يونس) فانك ترى هناك ذكر الاستشفاء بنور الشمس وانه يكون بالتدريج والمحافظة على الرأس وليس معنى هذا أنك تأخذ ماقيل هنا قضية مسلمة بدون بحث ولاتنقيب كلا

اذا عرفت هذا فهمت قوله تعالى ــ واذا مرضت فهو يشفين ــ فالفلاح الفقير يشفيه بحيلة وهى أنه يجيعه

وهذا الجوع يقوده الى الحركة والى ضوء الشمس والمتعلم الفني يشفيه بحركات المشي والعمل والتعرّض لضوء الشمس بسبب العلم وهكذا . إذن الشفاء قد يكون له ﴿ سببان ﴾ سبب طبيعي وهو الجوع المسبب للحركة والعلم المسبب للعمل ، فهذا من المعاني الداخلة في قوله ــ وإذا مرضت فهو يشفين ــ

ومن أسباب الشفاء تلك الرؤى التي رآها قدماء الأطباء ومنها التجارب المذكورة وهكذا . إذن ظهر أن الشفاء من الله ولكن بالأسباب فالأسباب كلها مسندة اليه وهو الذي هدانا لها وهذا معنى قوله تعالى ــ ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم ــ فحال الجهل (التي تجعل الانسان كافرا بالنعمة بحيث يلجأ الى أن يتعرّض للشمس والى أن يحرّك أعضاءه للعمل قهرا بدافع الجوع وحده) حال غير مرضية عند الله أي ان الله لا يحب أن يبقى عباده جهالا بما حولهم وبما يعتري أنفسهم أي انه لا يحب أن يبقوا كالأطفال تحت مراقبة آبائهم بل هو يحب أن يعرفوا النعمة ولاسبيل لشكر النعمة غير المعرفة فلذلك قال سبحانه ــ وان تشكروا يرضه لكم ــ فالفلاح لا يعدّ ظهوره في الشمس نعمة بل يقول انها نقمة ولا يعدّ الحركة نعمة ويظنّ ان صاحب الأرض الذي هو طول النهار في الظلّ وهو مريض لقلة الحركة أسعد منه حالا وذلك كله من الجهل

﴿ تجربتي في هذا المقام ﴾

أقول وأنا اليوم وقعت فيما وقع فيه الفلاح في الحقل . ذلك أني اليوم أكتب في التفسير وليس لي همّ في هذه الحياة أعظم منه فأراه منية نفسي وأعظم مقاصدي قد ملك على مشاعري بل أصبح أعظم اللذات . ولكني ارى قواطع وقواطع من أعمال داخلية وأخرى خارجية توجب أن أقطع العمل وأجدّ في تلك الأعمال وأسافر خارج القاهرة وقد خلق الله لي من يناوئونني في أمور تافهة في الحقل وفي أمور صغيرة جدا فأوازن مابين السعادة التي أحسّ بها في كتابة هذا التفسير وبين الشقاء الذي أحس به في الانقطاع عن مواصلته والبحث في مدافعة هذه القواطع فماذا أفهم في هذا ؟ أفهم فيه أن الله عاملني معاملة الفلاحين في الحقول فقال لي بلسان الحال أنت اليوم مستلذ بما تكتب وتعكف عليه وهذا ربما يسبب ضررا في صحتك وضعفا في قواك العقلية لأن المداومة على فكر واحد تؤثر في المخ ولست أكتفي بمعلوماتك في الطب وهي قليلة فلا تقوى على حفظ صحتك ولا تكفي الرياضة الجسمية التي تقوم بها لأنك تقوم بها مختارا واختيارك وحده غير كاف فلذلك خلقت لك من يناوئونك في الحقل لحفظ صحتك لأني بهذا أخرجك في الهواء الطلق فتسافر وتقابل الناس وتحادثهم فيحصل هناك تعادل في قواك وتنوّع في الفكر وفي الحركات وتذكر أن نبيك محمدا ﷺ مع أنه نبي أوحي اليه كان يخرج للغزوات ويسافر ويقوم بأمر الأمّة ولم يقطعه ذلك عن الدين والعلم بل انه في آخر الأمر كان ينزل عليه الوحي وهو في سفره وجهاده والحرب قائمة فلتكن لك من ذلك موعظة ولترض بما عملته . هذا ما فتح الله به يوم ٢٨ مارس سنة ١٨٢٩ أكتبه ذكرى لأولي الألباب

هذا عمل الله في الأفراد . أما عمله في الأمم فانه علم أن أمم العالم اعتراها الخمول في بلاد الشرق وبلاد الغرب فبلاد أمريكا كانت قد وصلت الى درجة الانحطاط بعد العز والمدنية بدليل ما وجدوا فيها هذه الأيام من آثار المدنية والحضارة والمباني العظيمة كأهرام الجيزة بمصر وكانت بلاد اليابان والصين والهند كلها قد خيم عليها الجهل والخرافات والنصارى بأوروبا قد أصبحوا في غاية الخضوع للقسيسين وهم في حال الوحشية والهمجية فأرسل الله سيدنا محمدا ﷺ فقامت الأمّة العربية بالحمية الدينية فهزّت العالم من أقصاه الى أقصاه . فترى الدولة الأموية بلغت جبل طارق وسطت على اسبانيا وفرنسا ونزعتهما من الجرمانيين الحاكمين عليها منذ ثلاثة قرون وهكذا فعلوا في بلاد المشرق ووصلوا الى الهند والى أطراف الصين . فانظر ما يقوله العلامة (سديو) صفحة ١٠٣

﴿ خرج من عمان لفتح الهندستان أساطيل اسلامية سنة (١٦) هجرية فأخذت جزيرة طناج القريبة من مدينة بمباي ومن جزيرة البحرين أساطيل أخرى دهمت في خليج كامبي (مدينة بارود) وخرجت أساطيل

ثالثة الى مصاب نهر السند ثم أخذ عبد الله بن عامر سنة ٢٣ بلاد كرمان وسجستان ثم حارب والى اقليم مكران وملك السند فغلبهما وأخذ عبد الرحمن بن سمرة بعد ذلك بسنين قليلة (اقليم داور) ومدينة (بست) فكان مملكتا قبول والسند حدود الممالك العربية ، ثم ذكر بعد ذلك انهم وصلوا الى جبال (همالايا) ثم أخذوا بلاد (خوارزم) وماوراء النهر ومعظم مملكة التتار وأحرقوا أصنام (مدينة فرغانه) و (كشب) و (بيكند) و (بخارى) و (سمرقند) سنة ٩٤ و (مدينة كشغر) و (اقصوا) و (خوكان) و بعث الأمير قتيبة من قبل الحجاج اثنى عشر سفيرا الى ملك الصين وهددوه بالاغارة فغمرهم بعطايا الذهب الوافرة اتقاء لشرهم وحكم قتيبة مملكة قبول بشرق سجستان وأخذ منها الجزية فلحقه جيش فى أرض مكران وانتشر فى سهول مدينة (كشمير) ودافعته مدن على شواطئ السند فهزم هؤلاء وهكذا كانوا يناوئون ملوك القسطنطينية ، هذا هو الذى حصل منذ (١٣) قرنا ، لم ذلك ؟ كان ذلك لإثارة القوى الانسانيـة فى الشرق والغرب إذ كانوا نياما ، فهاهى ذه الأمم النائمة استيقظت وهذه الحركة العمرانية انتشرت فى الغرب والشرق والمسلمون الذين قاموا بهذه الحركة جميعا ناموا أكتعين أبتعين أبصعين . وكأن الله يقول لنا ليس نومهم دائما . كلا ، فكما سلطتهم على الناس فأيقظوهم هكذا أنا أسلط الناس عليهم ليوقظوهم فهاهى ذه المدافع والطيارات والغازات الخانقة وشن الغارات عليهم صباحا ومساء والجيوش الاوروبية تصبحهم وتمسيهم ، لماذا هـذا ؟ كل هذا لايقاظهم من نومتهم ولقد استيقظ كثير منهم وسيتبعهم الباقون ، يظن الجهال من المسلمين أن هذه الحروب وهذا الاذلال نقمة ، نعم هو نقمة ظاهرا ولكنه نعمة باطنا فهو أشبه بالجوع فى مثال الفلاح فى الحقل الذى قدمته لك فى هذا المقام

أجاع الله الفلاح وقلل ماله فسعى للزرع فتحركت الأعضاء للعمل وأصابته الشمس وأكل الطعام فكان للجوع ﴿ ثلاث فوائد ﴾ غذاء بالطعام. ودواء بحركات الجسم. وضوء الشمس ، فالجوع ضرر واحد أنتج ثلاث منافع . إذن الجوع ليس ضررا بل هو نفع بل هو لغة يخاطب الله بها عباده بل هو أفصح من اللغات هذه لغة الجوع . أما لغـة احتـلال مصر وتونس والجزائر ومراكش وطرابلس وبلاد الشام وفلسطين والعراق بالطليان وفرنسا وانكلترا فهى تشبه هذه شبها تاما . فالله بهذا الاحتلال يقول لنا

(١) تعلموا جميع العلوم
(٢) ويقول تعلموا جميع الصناعات
(٣) ويقول لنا أيها الناس (تعارفوا)

فهذه فوائد إذلال المسلمين الآن . إن اذلال الأمم لمنفعتها واذلال الأفراد لمنفعتهم . إذن الله عز وجل حكيم يعطى الدواء على مقتضى الداء . الله علم ضعف هذا الانسان فى الأرض فجعله ديانات مختلفات ليفعل ذلك فعل الجوع فى الجهلاء . الله سلط الناس بعضهم على بعض ليستخرج قواهم بهذه العـداوة . يقول الله تعالى ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أوكرها قالتا أتينا طائعـين . قالت السموات والأرض أتينا طائعين . لماذا ؟ لأن المدبر لهما ملائكة والملائكة تدبر حركات هذه الكواكب الكبيرة فلا تخطىء . أما هذه العوالم الأرضية كالأمم الاسلامية والافرنجية فانها تساس بطرق أخرى ولا سبيل لذلك إلا ببعث البواعث فى عقولهم بالديانات تارة والعداوات أخرى فسلط المسلمين على الأمم ثم أنامهم وأيقظ الأمم وهاهى ذه الأمم تحيط بأكثر المسلمين وهذه الاحاطة نعمة لأنها بعثت فينا الهمم ومن ثمراتها كتب كثيرة وخطب. ومنها هذا التفسير الذى جعله الله مقدمة لنهضة مصاحبة لظهور الطيارات فى الشرق والغرب ومتى ارتقى المسلمون قريبا سيشتركون مع الأمم فى رقى الانسانية العامة . إذن السموات والأرض أتتا طوعا. أما المسلمون واليهود والنصارى وغيرهم فانهم أتوا كرها لا طوعا والاكراه بالأمراض فى أجسامهم والفقر وقلة المال وحبس المطر والعداوات بينهم ليجدوا فى العمل فيعيشوا سعداء وهذا هو قوله تعالى ــ واذا مرضت فهو يشفين ــ فهو

الذى لما مرضت الأمم بالكسل شفاها بالمقاتير الاسلامية إذ حاربهم الجيوش ولما مرض المسلمون بالكسل والجهل سلط عليهم الأمم فحاربوهم وخلق لهم مؤلفين ليوقظوهم ، ومن التأليف هذا التفسير الذى هو من الأدوية التى ساقها الله للمسلمين لايقاظهم ورقيهم تفسيرا للآية والله هو الولىّ الحميد

﴿ جوهرة فى قوله تعالى — إلا من أتى الله بقلب سليم — مع قوله تعالى — الذى خلقنى فهو يهدين * والذى هو يطعمنى ويسقين * وإذا مرضت فهو يشفين * والذى يميتنى ثم يحيين — مع ملاحظة ماجاء فى أوّل السورة من الأمر بالنظر فى الأرض ونباتها على لسان رسولنا ﷺ ووصف السموات والأرض وخلق بنى آدم قديما وحديثا وخلق المشرق والمغرب على لسان موسى عليه السلام ﴾

يقول الله تعالى على لسان ابراهيم — يوم لاينفع مال ولا بنون — الخ فههنا ذكر الطعام والشراب والمرض والشفاء والموت والحياة كما ذكر خلق العوالم كلها وخلق الانسان خاصة ، فياليت شعرى لم خلق هذا الانسان على الأرض

﴿ فكرتى فى خلق هذا الانسان بمناسبة هذه الآية ﴾

اعلم أن هذا الانسان لايهمه فى الحياة إلا المحافظة على هذا الهيكل المنصوب ، فكل علم وصناعة وامارة وتجارة ترجع الى المحافظة على هذا الهيكل . إن الله لما خلق هذا الانسان جعل له حافظا من نفسه وواعظا من نفس هيكله وموقظا من جسمه ، وماهو ذاك ؟ هو الألم ، فالألم هو الناموس العام الذى نصبه الله فى الأرض برحمته فسبحانك اللهم ، نعم أسبحك يا الله ، أنزّهك عما يؤذينا . إنك لم تجعل الألم فينا لمجرد الايذاء بل جعلته نعمة ولولا هذا الألم فى الحيوان وفى الانسان لم يعيشا . إن الله عزّ وجل لما خلقنا فى هذه المادّة لم تكن هناك وسيلة فى هذا العالم المادّى لبقائنا إلا بالآلام ، فنحن ننزّهك فى صلواتنا فنقول ﴿ سبحان ربى العظيم ﴾ فى الركوع و ﴿ سبحان ربى الأعلى ﴾ فى السجود ونسبح عقب الصلوات ، وقد مدحت يا الله يونس عليه السلام فقلت — فلولا أنه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون — المسبحون هم الذين أدركوا أسرار هذا الوجود واغترفوا من بحار الحكمة فعرفوا أن كل مافى هذا العالم من الآلام لم يقصد الله منه إلا المنفعة وأن الضرّ القليل ينتج الخير الكثير وهذه طبيعة عالمنا . هذا هو القانون فالتسبيح الحقيقى هو ادراك هذه المعانى ، فاذا سمعت المسلمين صباحا ومساء يسبحون فاياك أن يختلج فى قلبك أن اللفظ هو كل المقصود ، إن الله لايصل اليه إلا أناس ارتقوا عن هذه الأوساط الانسانية وعرفوا نواميس هذا الوجود بقدر طاقتهم وهؤلاء وحدهم هم الذين يفهمون لم كان الطعام ولم كان الشراب ولم كان المرض ولم كان الموت الخ وينظرون الى تلك الأحوال نظر الطبيب الى الأدوية المعطاة للمريض ، إن الطبيب لايبالى بآلام المريض لأنها عنده لاقيمة لها فى جانب منفعته ، فمن عرف هذه الأسرار عرف السرّ فى كثرة التسبيح والتقديس الواردة فى الكتب السماوية ، ومتى أدركت النفس سرّ الوجود نزّهت الله عن الايذاء قصدا بل هو ترقية واسعاد لا اشقاء ، فلنبحث إذن فى ألم الجسم ليتضح المقام وينشرح صدرك للفهم والعلم والحكمة فان الذى ذكرته انما هو مقدمة لجمال المقال . إن هذا الجسم الانسانى كما قدّمنا لاحياة له ولابقاء ولاسعادة إلا على قاعدة الألم .

وبيانه أن الألم ﴿ قسمان ﴾ ألم داخلى وألم خارجى . أما الألم الداخلى فهو الجوع والعطش والشبق لطلب الطعام والشراب والوقاع لصحة الجسم وبقاء النوع بحصول الذرّية ، وأما الألم الخارجى فذلك بالحرّ والبرد وتظاهر الأعداء من الوحوش والحشرات والأشرار من نوع الانسان فكان لابد من اللباس والمسكن والقلاع والحصون والجيوش والعدد . وهذا هو الذى حكم على هذا الانسان بالصناعات والحرف والزراعة والتجارة الخ ولهذا فتح المدارس ونظم المدن وعظمت المدنية ، إذن الأمر كله راجع لهيكل الانسان والمحافظة عليه فهذا هو

الأصل وهـذا الهيكل له حامل والحامل له ﴿ فرعان ﴾ هما الألم الداخلى والألم الخارجى وما ألم المرض بخارج عن هذين الفرعين لأن المرض من داخل ومن خارج

﴿ اللذة تلازم الألم ﴾

ومن عجب أن هذه الآلام مهما تنوّعت صحبتها اللذة ولا لذة إلا سابقة ألم ، فالألم واللذة كفرسى رهان أو كالشبح وظله ، هما شيآن متلازمان وعلى مقدار الألم تكون اللذة ، ومن فقد الألم فقد الحياة ، ألاترى رعاك الله أن الانسان اذا لم يحس بألم الجوع حزن وذهب الى الطبيب شاكيا له فقد هذا الألم ، واذا لم يحس بالشبق حزن وذهب الى الطبيب شاكيا له هذا المرض . ذلك علما منهما أنه اذا لم يكن ألم الجوع فلاطعام واذا لم يكن ألم الشبق فلاوقاع كما انه اذا لم يكن عطش فلا لذة فى الشرب ولاشراب

الله أكبر . إذن الألم كمال لانقص فاننا أثبتنا أن عـدم الجوع نقص فالجوع كمال . فكما نقول الذى لايقدر على التكلم ناقص هكذا نقول الذى لايجوع ناقص لأنه لاداعية عنده لطلب الأكل . إذن الألم قوّة كمالية لأنها سبب فيما به قوام أبداننا وما ألم المرض إلا كمال لأن ألم المرض احساس يؤدّى الى تعاطى الدواء كما أن ألم الجوع كذلك فلولم نحس بالنقص فى أجسامنا عنـد المرض لمتنا . وأىّ فرق إذن بين من يحرق بالنار وهو لايحس و بين من يمرض فلايحس فنحن لولم نحس باحراق النار لمات أكثر الناس وهـم لايبالون بمايصيبهم منها ، هكذا لو أن المرض أصابنا ولم نحس به لزال أكثر هذا الانسان من الوجود . إذن ألم المرض نعمة وألم الجوع نعـمة . إذن لا يكمل دين المسلم إلا اذا عرف معنى ﴿ سبحان الله والحمـد لله ﴾ وعرف قوله تعالى ــ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون * وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون ــ

هذا معنى ــ واذا مرضت فهو يشفين ــ . فالخير والشرّ مقرونان فى قرن والخير متبع والشر محذور وهذه نفسها حال العشاق إذ يقول شاعرهم

اذا لم يكن فى الحب صد ولاجفا * فأين لذاذات الرسائل والكتب

ولقد حكم (سقراط) على من لاعفة عندهم بأنه لا لذة لهم . اذن علمنا حكم هذا العالم فهذا العالم فيه ليل ونهار وظلمة ونور وحياة وموت . وبالجملة فيه كل متقابلين لذلك بنيت حياتنا على هذه القاعدة فكانت الصحة وكان المرض كما كان الجوع والعطش وتعاطى الطعام والشراب وهكذا الموت والحياة ، ويظهر لى أن عقولنا لو أنها ارتقت عن هـذه الحال قليلا وأدركت سر الوجود لفرحت بالموت كما فرحت بالحياة لأنها إذ ذاك تكون قد اتصلت بالعوالم العلوية التى تدرك الحقائق وادراك الحقائق هو نفس السعادة

﴿ ايضاح الكلام على اللذات ﴾

لقد علمت أنه لا لذة إلا بألم فى كل شئ ، فلاشفاء إلا بعد ألم المرض وآلام تعاطى الدواء ، ولافرح بالغنى إلا بعد الفقر ، ولابالنجاة الا بعـد البأساء ، ولا بالعزّ الا بعد الذل ، ومن عجب أن الفرد له أعوان ينفعونه و يساعدونه والأمة لها أمم تساعدها بالمعاهدة والصداقة ومع ذلك نرى القاعدة الآتية مطردة وهى أن أقارب الانسان هم أكثر الناس حسدا له بل كل من كان أقرب منك نسبا أوصـناعة أومنزلا أومرتبة أوعلما كان اسرع الى كراهة نعمة الله عليك وأحقد عليك وأبغض لك بطريق المنافسة وحبّ العلوّ ، وهذه حال الأقارب من كل أمة ودين ونحلة ، فنهم آلام ومنهم لذات ، وعلى مقدار الاقتراب تكون العداوات ، إذن قاعدة هذه الدنيا واحدة ــ ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت ــ وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون ــ واتل عليهم نبأ ابنى آدم ــ الخ ــ قلنا اهبطوا منها جميعا بعضكم لبعض عدوّ ــ ياأيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوّا لكم فاحذروهم ــ ــ فلاتعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا ــ الخ هذه حال أقرب الناس الينا وأحبهم وأقربهم منازل منا ، ومثل هذا يقال فى الدولة وحليفتها فكل منهما تتربص بالاخرى الدوائر فاذا قلنا

الناس للناس من بدو وحاضرة * بعض لبعض وان لم يشعروا خدم

نقول أيضا

عدوّك من صديقك مستفاد * فلا تستكثرن من الصحاب

فان الداء أكثر ما تراه * يكون من الطعام أو الشراب

إذن الألم مصحوب باللذة لا فرق فى ذلك بين ما به بقاء الجسم أو النوع أو ما يعين على ذلك كالأصحاب . إذن القاعدة مطردة ، ألم فلذة ، وغاية الأمر أن اللذة إما لشهوة كالحاصلة من الطعام والشراب والوقاع ويلتحق بهما الحاصلة بلباس الجسم لاتقاء الحرّ والبرد ، وإما غضبية كاللذة الحاصلة بقهر الأعداء من وحش وانسان فهذه لذة أعلى من سابقتها ومنبعها ومحل آثارها فتحات القلب وهى الاذينان والبطينان ، فهذه الفتحات الأربع محل توارد الدم فاليها يرد ومنها يصدر صاعدا ونازلا فى الجسم من فرق الرأس الى أخمص القدم ومتى أحس الانسان بما يمس احساسه وصل الخبر من الحواس الى الدماغ والدماغ يرسل حالا بأعصاب الحس رسولا عصبيا أشبه بالبريد البرقى (التلغراف) فيصل الخبر المدم فى القلب فيسرع فى الجريان ويضطرب ويهتز الجسم كله ويضطرم بنار الأخذ بالثأر ويحتدم ويغلى كالمرجل ، فهذه قوّة أرقى من سابقتها ومتى أخذ بالثأر سكنت ثائرته وهدأت حركاته واطمأنت نفسه وتكون اللذة على مقدار الألم وانما تكون أعلى من لذة الطاعم والشارب واللابس والمواقع ، فكل هؤلاء لذاتهم تشاركهم فيها جميع الدواب والأنعام . أما لذة الانتصار فهى خاصة بطبقة أرقى وهى الوحوش والآساد والنمور فلذلك كانت أرقى من سابقتها ، فاتضح بهذا كله أن الغنم فى الحياة بالغرم واللذة مقرونة بالألم وهذا الألم نعمة لا نقمة ويشير لذلك قوله تعالى - ياأبت إنى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن - فجعل العذاب ممن اتصف بالرحمة ، ثم أقول إياك أن تكدر صفو العلم هنا بأن تذكر الكافر وعذابه فهذا المقام لايسع تفصيله ولقد قدّمته فى مواضع كثيرة كالذى فى آخر (سورة هود) عند قوله تعالى - فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير - الخ إذن هذا الوجود كله لم تخلص فيه لذة من ألم حتى نفس العلم يتقدمه جهل ولولا الاحساس بنقص الجهل ما كانت لذة العلم فى هذه الأرض ، فما الحكمة فى ذلك ياترى ؟ وهل الحكمة الإلهية لم يكن سبيل عندها لاسعادنا أقرب من هذه ؟ ولماذا لم تكن اللذة خالصة ؟ أليس هذا أليق بمبدع العالم

أقول ، اعلم انى لما فكرت فى هذا أيقنت بأن صانع هذا العالم خلقنا فى الأرض وهو يعلم أن هناك عالما أرقى منه فلم يشأ أن يجعلنا مطمئنين فيها بل ابتلانا بالخير والشرّ وقال - ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون - يعنى انه لولم يكن عندكم إلا الخير ولم نصبكم بالشرّ لم تحنوا الى حال أرقى من حالكم التى أنتم عليها ، لذلك قرنا خيركم بشركم لتبحثوا عن حال تكون كلها سعادة وخيرا وارتقاء ولذلك قال - والينا ترجعون - فرجوعكم الينا لا يكون بشوق إلا اذا أصبناكم بالآلام فتكرهون المقام فى الدنيا فلا تزالون فى جوع وشبع وفقر وغنى وحسد وقرابة وحب وبغض حتى تنتقلوا الينا وتخلص نفوسكم ومتى خلصت نفوسكم كانت هناك السعادة التى لاشقاوة معها وهذا كله معنى قوله تعالى - يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم - فالقلب السليم هو الذى خلص من هذه المتناقضات وارتقى عن هذه الدرجات ولم يكن كالغافلين الذين قال الله فيهم - إن الذين لايرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون * أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون - لماذا هذا ؟ لأنى أذقتهم الحلو والمر والخير والشر فرضوا بهذه الحال ولم يعقلوا الجمال فى هذا الوجود ، ثم قال - ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم - الخ لأن هؤلاء رأوا حالا ناقصة ففزعوا لأحسن منها وفهموا قوله تعالى - ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون - إذ عرفوا أنهم خلقوا بين آلام ولذات كحزن وفرح وخير وشرّ ومرض وصحة ففروا من هذا العالم بعقول ولذلك أعقبه

بقوله — ففرّوا الى الله — إذن قوله تعالى — واذا مرضت فهو يشفين — يقصد من هذه المتناقضات الفرار الى الله لنكون — عند مليك مقتدر —

﴿ الابداع فى هذا الوجود ﴾

قلنا إن الألم داخلا وخارجا هو الباعث على العمل ، ومن عجب أن الطعام والشراب ولذة التناسل ولذة الغلبة مع اقترانها بالآلام صاحبت ادراك الجمال ، فهذا الوجود من سموات وأرضين كما أنه غذاء ودواء وفاكهة وشراب هو لوح يدرسه الناس وهو علم وهو جمال . فانظر الآلام حفزتنا الى طلب الطعام والشراب فبقيت أجسامنا حية ونفس النبات والحيوان مصنوعات صنعا دقيقا يصير دراسة لنا فيرقى عقولنا ومناظر النبات والحيوان فى البرّ والبحر وكذا النجوم فى السموات ، كل هذه ترينا الجمال ، فكما عاشت بها أجسامنا ارتقت بها عقولنا علما وابتهجت أنفسنا بجمالها وبهجة أشكالها فهى الغذاء وهى الرياضة البدنية وهى الدواء وهى الجمال وهى العلوم . فهذا هو الابداع فالذين أرسلوا لهذا العالم وبقوا فيه أغبياء لم يعقلوا علوم هذا النبات وهذه الحشرات وهذه السموات أى لم يتفكروا فيها فان هؤلاء غافلون والغفلة متى استحكمت فى طائفة لم يتأهلوا للقاء ربهم وهل يجالس السوقة الملوك ؟ فالأغبياء يكتفون من الحياة بقشورها — وفرحوا بالحياة الدنيا — مع أن الدنيا كلها كدر وكيف يفرحون بوجود ضئيل زائل — وما الحياة الدنيا فى الآخرة إلا متاع — فهذه الآلام فى الدنيا كأنها مخاطبة من الله للناس بلسان الحال فمن فهم الخطاب وأدرك أن هذه الآلام يراد بها استيقاظ النفس لادراك العلم والجمال والحكمة طار الى ربه فرحا وأحبّ الموت وسارع الى لقاء ربه ومن لم يفهم هذا الخطاب ولم يعقل مايراد به بقى مسجونا فى عالم ضئيل مهان معذّب على حسب مرتبته . هذا هو السرّ فى الآلام التى نحس بها

إن المتأمّل لأهل الشرق ولأهل الغرب يجدهم متعاونين وان لم يعلموا كل ينفع الآخر وان لم يعقلوا وهم مع ذلك أعداء وهم يعلمون متنابذون متشاكسون . أهل الكرة الأرضية ينفع بعضهم بعضا بالتجارة وبالصناعة وكل لكل مساعد . هذه الحياة كلها حيرة واضطراب . واذا وجدنا الفرد منا يألم اذا لم يكن عنده ألم الجوع لاعتقاده أن عدم ألم الجوع نقص أى ان نقص الألم فينا عيب فى أجسامنا فانا نجد المجموع يألم اذا لم تقم حرب

ألاترى ما قاله علماء الألمان قبيل الحرب الكبرى العامّة إذ كانوا يقولون ﴿ إن الأمّة التى أصبحت آمنة مطمئنة يكون مصيرها الزوال ومن أراد رقى أمة فليثر الحمية فيها بحرب فانها تبعثها من مرقدها ﴾ وانظر الى ماجاء فى مواضع من هذا التفسير ان أرسطاطاليس قال لتلميذه اسكندر فى الرسالة المنسوبة اليه ﴿ ان الأمة الآمنة المطمئنة اذا أصبح أفرادها غير موكول اليهم نظام ولامجدّين فى أعمال عظيمة فان هؤلاء ينزلون الى الحضيض ويصبحون فى ملك غيرهم يتولى أمرهم ﴾ إذن لافرق بين الاجسام الانسانية والاجسام المجازية الاجتماعية وهى الأمة بتمامها فالفرد اذا لم يحس بالجوع مثلا والأمة اذا لم تؤلمها الحوادث وتهذّبها النوازل والكوارث فان الفرد وان الأمة يعتريهما إذ ذاك الاختلال والاعتلال . إذن ثبت بهذا أن حياة الأفراد وحياة الأمم لاتتم إلا بشر يصيبهم ومصائب تنزل بهم والا لم يرتقوا . وأذكرك بما تقدّم فى سورة البقرة إذ ذكرت لك (لغز قابس) اليونانى القائل ﴿ ان الانسان الذى لم تهذّبه الحوادث معرّض لنوائب الحدثان لايزال ذليلا وليس يحظى بالسعادة إلامن مرت النوازل والمصائب عليه ﴾ وهكذا كتاب ﴿ الكوخ الهندى ﴾ وقد أشرت اليهما فى سورة البقرة عند قوله — وبشر الصابرين — اذن الألم شئ ورأى الجمهور شئ آخر وبناء عليه تكون هذه الحياة مبناها النقص فليبحث الناس عن حياة أرقى من هذه

فقال بعض الفضلاء بعد ما اطلع على هذا . هذا كلام حسن أى اننا لا نجعل هذه الحياة هى المقصودة بدليل انها لاتكون كاملة فى مرتبتها الا بالآلام وما أقبح حياة يكون من شروطها الشر فأى خير فيها ؟ هذا حسن ثم إن قوله تعالى — ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون * ففرّوا الى الله — أظهر لنا الموضوع

وجلاه وجعله بهيجا بديعا حسنا وأصبحنا نلمس مقصود سياتنا الدنيا فهى شر وخير والفرار الى الله يجعلنا فى خير لاشرّ فيه

﴿ اعتراض على المؤلف بأنه لامسبح إلا من يعرف هذه المعانى ﴾

ولكن أنت قلت ان التسبيح فى الديانات كتسبيح يونس فى بطن الحوت يفهمنا أن المسبح الحقيق من يدرك هذه المعانى ويعرف أن الله بهذه الآلام أنعم علينا بنفس الآلام وانه بهذا منزّه عن ايذائنا ، فعلى هذا القول تكون رسالته ﷺ خاصة بأفراد عدّ الأصابع فى كل جيل من الأجيال . إن الذين يعلمون ماتقول فى هذا المقام قليل . إذن المسلمون فى (١٣) قرنا أى بعد العصر الأوّل لم يسبح الله منهم إلا أناس أقلّ من القليل وعليه تكون الصلوات والتسبيحات كلها لافائدة منها . فقلت له إن التسبيح اللفظى والعبادات كلها لها آثار فعلية فلاتسبيح ولاتحميد إلا وآثاره ترجع الى النفس وتؤثر فيها كما يؤثر المنوّم (بالكسر) فى المنوّم (بالفتح) ولولا هذا لألغيت العبادات من الأرض والله عزّ وجل لايبقى إلا النافع ، ولقد قرأنا فى التاريخ وفى الألواح التى نصبتها الأمم فى كتبهم انهم جميعا يعبدون والعبادة أقوال وأفعال وهذه كلها تؤثر بطريق الاستهواء الذاتى فكل قول يلفظ به جاهل أوعالم مع المعنى الاجمالى يؤثر فى النفس تأثيرا حقا فهونوع من تنويم الانسان نفسه إذن المنفعة عامة بالصلوات والتسبيحات لاخاصة بالعلماء والحكماء . فقال هذا حسن . فقلت الحمد لله رب العالمين

واعلم أيها الذكى أن كلامى هذا لايعقله إلاقليل وهؤلاء القليلون يتأملون فيجدون اننا أشبه بكرة يتجاذبها الحزن والفرح والقرب والبعد والبكاء والضحك والجمال والقبح فتى عرفوا ذلك يقولوا نريد حياة بحال أرقى فيقال لهم — وان الدار الآخرة لهى الحيوان لوكانوا يعلمون — إذ مابعد النقص إلاالكمال ، فمن فهم هذا فهم قوله تعالى — إلا من أتى الله بقلب سليم — وقوله — ونزعنا مافى صدورهم من غلّ اخوانا على سرر متقابلين — أما اخوان الدنيا فهم حاسدون قد شاب الضر نفعهم كالطعام والشراب والدول والممالك انتهى ليلة ٢ ابريل سنة ١٩٢٩ م (نصف الليل)

ولنرجع الى بقية التفسير اللفظى للقسم الثالث والرابع فنقول ، قال تعالى (كذبت قوم نوح المرسلين) أى جماعة قوم نوح وتكذيب نوح تكذيب للمرسلين لأنهم يدعون الى صراط مستقيم واحد والاختلاف فى الطرق وفى الفروع ، وأما الاصول فهى واحدة الايمان بالله واليوم الآخر (إذ قال لهم أخوهم نوح) وقد كان منهم (ألاتتقون) الله فتتركوا عبادة غيره (انى لكم رسول أمين) مشهور بالأمانة فيكم (فاتقوا الله وأطيعون) فيما آمركم به من التوحيد والطاعة (وما أسألكم عليه) على ما أنا عليه من الدعاء والنصح (من أجر ان أجرى إلا على رب العالمين * فاتقوا الله وأطيعون) كرره للتأكيد ولينبه على أن طاعته تجب عليهم لأمانته أوّلا ولأنه لايطمع فى مال منهم ثانيا وكل منهما وحده كاف فى دفع الشبهة عنه ووجوب طاعته فما بالك اذا اجتمعا فأوردوا عليه شبهة (قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون) الأقلون جاها ومالا جمع أرذل فانك وان كنت أمينا ولاتطلب منا أجرا فلاضير عليك من هذه الوجهة انما الشبهة واردة عليك فى اتباعك الفقراء الذين ربما أرادوا باتباعك أن تطعمهم من جوع وهذه شبهتنا فيهم فرد عليهم (قال وماعلمى بما كانوا يعملون) انهم عملوه اخلاصا أو طمعا فى مال وماعلىّ إلا اعتبار الظاهر (إن حسابهم إلا على ربى) ماحساب بواطنهم إلاعلى الله فانه هو المطلع عليها (لوتشعرون) لوعلمتم ذلك ولكنكم قوم تجهلون فتقولون مالاتعلمون . ولما كان قولهم ان أتباعك هم الأرذلون يفيد انهم يريدون طردهم قال (وما أنا بطارد المؤمنين) بغية أن تؤمنوا بى على دعواكم انهم هم المانعون لكم من اتباعى (ان أنا إلا نذير مبين) لا أفرق فى انذارى بين عزيز وذليل فكيف يليق بى طرد الفقراء . فلما أعيتهم الحيلة (قالوا لئن لم تنته يانوح) عما تقول (لتكونن من المرجومين) من المضروبين بالحجارة (قال رب ان قومى كذبون) فى الرسالة وقتلوا من آمن بى من الغرباء (فافتح بينى وبينهم فتحا)

فاقض بيني و بينهم قضاء بالعدل (ونجني ومن معي من المؤمنين * فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون) المملوء (ثم أغرقنا بعد) بعد انجائه (الباقين) من قومه . وقد تقدمت هذه القصة في سورة هود مستوفاة فارجع اليها (إن في ذلك لآية) شاعت وتواترت (وما كان أكثرهم مؤمنين * وان ربك لهو العزيز الرحيم) انتهى تفسير القسم الثالث والرابع من السورة

(القِسْمُ الخَامِسُ)

كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ * إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ * وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ * فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ * وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ * قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ * مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ * وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ * فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ * فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ *

التفسير اللفظي

قال تعالى (كذبت عاد المرسلين) أنث باعتبار القبيلة سموا باسم أبيهم (إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون) الى قوله (إلا على رب العالمين) كررت هذه العبارة في دعاء الأنبياء للدلالة على أن دعوة الأنبياء لا تفيد إلا اذا كانت مقصورة على ما يقرب الى الله وثوابه و يبعد عن عقابه وهكذا العلماء لا ينجع في الناس تعليمهم إلا اذا كانوا مخلصين في تعاليمهم كأنبيائهم و بغير ذلك لا فائدة (أتبنون بكل ريع) بكل مكان مرتفع . ويقال

ريع الأرض ارتفاعها وكما يطلق الريع على الشرف من الأرض يطلق على الفج وهو الطريق بين الجبلين (آية) علما للمارّة (تعبثون) أى بمن مرّ بالطريق لأنهم كانوا يبنون بالمواضع المرتفعة ليشرفوا على المارّة والسابلة فيسخروا منهم و يعبثوا بهم (وتتخذون مصانع) قصورا مشيدة وحصونا مانعة ومآخذ الماء وهى الحياض (لعلكم تخلدون) أى كأنكم تبقون فيها خالدين لاتموتون (واذا بطشتم) أخذتم وسطوتم وعاقبتم (بطشتم جبارين) متسلطين غاشمين بلارأفة ولاقصد تأديب ونظر فى العاقبة (فاتقوا الله) بترك ذلك (وأطيعون) فيما أدعوكم اليه (واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون * أمدكم بأنعام و بنين * وجنات وعيون) أى اخشوا الذى أعطاكم ثم بين ما أعطاهم فقال أعطاكم أنعاما و بنين وكرر التقوى لتفاوت المعنيين وهما ترك المنهيات فى الأوّل والحذر من انقطاع النعم اذا أهملوا فى الثانى وقد فصل النعم فى الثانى كما نبه على مساويهم بقوله ـ ألاتتقون ـ ثم أجمل ذلك كله بقوله (إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) فى الدنيا والآخرة وذلك العذاب يكون لفعل المعاصى أو لكفران النعم (قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) فانا لانرجع عما نحن عليه (إن هذا إلا خلق الأوّلين) ماخلقنا هذا إلا خلقهم نحيا ونموت مثلهم ولابعث ولاحساب (ومانحن بمعذبين) على مانحن عليه (فكذبوه فأهلكناهم) بسبب التكذيب بريح صرصر عاتية سخرناها عليهم (إن فى ذلك لآية) الى قوله (وان ربك لهو العزيز الرحيم * كذبت ثمود المرسلين * إذ قال لهم أخوهم صالح) الى قوله (إلا على رب العالمين) تقدم تفسيرها ، وقوله (أتتركون) انكار لأن يتركوا خالدين فى نعيمهم (فى ماههنا آمنين) أى فى الذى استقرّ فى هذا المكان من النعيم آمنين من العذاب والزوال والموت ثم بين ذلك فقال (فى جنات وعيون * وزروع ونخل) وخص النخل الداخلة فى ضمن الجنات تفضيلا للنخل على بقية الشجر (طلعها) أى ثمرها الذى يطلع منها (هضيم) لطيف يانع نضيج (وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين) بطرين أوحاذقين من الفراهة وهى النشاط فان الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب (فاتقوا الله وأطيعون * ولاتطيعوا أمر المسرفين) أى المشركين (الذين يفسدون فى الأرض ولايصلحون) فان المفسد الذى غلب صلاحه على فساده يجوز بقاؤه ، فأما من غلب فساده على صلاحه أوكان فساده لا اصلاح معه فالهلاك أولى به (قالوا انما أنت من المسحرين) الذين سحروا كثيرا حتى غلب على عقلهم (ما أنت إلا بشر مثلنا) هذا تأكيد (فائت بآية إن كنت من الصادقين) فى دعواك (قال هذه ناقة) وذلك بعد ما أخرجها الله من الصخرة بدعائه (لها شرب) نصيب من الماء كالسقى والقيت للحظ من السقى ومن القوت (ولكم شرب يوم معلوم) فلاتزاحموها فى شربها (ولاتمسوها بسوء) كضرب وعقر (فيأخذكم عذاب يوم عظيم) وعظم اليوم لعظم ما يحلّ فيه (فعقروها) عقرها بعضهم برضاهم فكأنهم عقروها كلهم (فأصبحوا نادمين) على عقرها خوفا من حلول العذاب (فأخذهم العذاب) الموعود (إن فى ذلك لآية) الى قوله (العزيز الرحيم) تقدم تفسيرها . انتهى التفسير اللفظى للقسم الخامس

(القِسْمُ السَّادِسُ)

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلاَ تَتَّقُونَ * إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ * وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ * قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ * قَالَ إِنِّى لِعَمَلِكُمْ

مِنَ الْقَالِينَ * رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ * فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ * ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ * وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ * وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ * قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ * وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ * فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ * فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

قال تعالى (كذبت قوم لوط المرسلين * إذ قال لهم أخوهم لوط) الى قوله (من العالمين) أى أتطؤن الذكور من أولاد آدم مع كثرة الاناث فيهم (وتذرون ماخلق لكم ربكم) لأجل استمتاعكم (من أزواجكم) - من - تبيين لما خلق ويحتمل أن يكون للتبعيض أى انكم تذرون العضو المباح منهن وتجاوزونه الى ماهو محرّم فيهن لأن أدبار الزوجات والمملوكات محرّمة (بل أنتم قوم عادون) متجاوزون الحدّ فى الشهوة لأنكم تذرون ماهو محل التناسل من النساء الى غيره منهنّ ومن الرجال (قالوا لئن لم تنته يالوط) عن نهينا وتقبيح أمرنا (لتكونن من المخرجين) من المنفيين من بلادنا (قال إنى لعملكم من القالين) من المبغضين غاية البغض فأنا أحد المبغضين فلست وحدى فى هذا الانكار ثم رجع الى ربه فقال (رب نجنى وأهلى مما يعملون * فنجيناه وأهله أجمعين) أهل بيته والمتبعين له على دينهم إذ أمرنا باخراجهم من بيوتهم وقت حلول العذاب (إلا عجوزا) هى امرأة لوط (فى الغابرين) أى كائنة فيمن بقوا فى القرية فانها لم تخرج مع لوط فهلكت مع الهالكين (ثم دمرنا الآخرين) أهلكناهم (وأمطرنا عليهم مطرا) أمطرالله على شذاذ القوم حجارة من السماء فأهلكهم * وقيل بل أتبع الائتفاك مطرا من حجارة (فساء مطر المنذرين) مطرهم (ان فى ذلك لآية) الى قوله (لهو العزيز الرحيم) تقدّم تفسيرها أيضا

﴿ لطيفة فى قصة قوم لوط عليه السلام ﴾

اعلم أن الله عزّ وجل أذن اليوم بابراز العجائب والحكمة فى القرآن لتقرّ به النواظر وتنشرح به الصدور ولتستقر الامور ، فانظر أيدك الله الى ماجاء اليوم من الكشف والعلم فى هذه القصة فى المجلات والكتب مثل « مجلة السياسة » الأسبوعية يوم السبت ١٣ اكتوبر سنة ١٩٢٨ وهذا نص ما جاء فيها

﴿ قصة سدوم وعمورة ﴾

(هل هي حقيقة أم خرافية . أحدث آراء علماء الآثار)

فى الكتب المنزلة ان الله أهلك مدينتي سدوم وعمورة وثلاث مدن أخرى بجوارهما بأن أمطر عليها نارا وكبريتا من السماء فلم ينج من سكانها سوى ابراهيم الخليل وأهل بيته ولوط وابنتيه . ولم يكن ابراهيم من أهل تلك المدن ، وانما كان قد نزح اليها من الشمال طلبا للرعي حسب عادة القبائل الرحل فى ذلك الزمن ، وقد اختلف المؤرخون فى قصة سدوم وعمورة فذهب بعضهم الى انها خرافة لاطائل تحتها ، وزعم آخرون أنها قصة رمزية ترمي الى العظة والذكرى ، وقال فريق ثالث انها حقيقية وان فى آثار البلاد المجاورة للبحر الميت مايثبت صدقها ، ولعل الدكتور (أولبرايط) المشهور بمباحثه الأثرية فى بلاد المقدس فى مقدمة الذين سعوا لمعرفة حقيقة قصة (سدوم وعمورة) التى قد مر عليها أربعة آلاف سنة وهى لاتزال من الأسرار المستغلقة على علماء التاريخ ، ويظهر من المباحث الأخيرة التى قام بها أن تلك القصة حقيقية بجميع تفاصيلها واننا على وشك اكتشاف مأساة من أفظع المآسى التى شهدها التاريخ

قام الدكتور (أولبرايط) بمباحث واسعة النطاق فى وادى الأردن وعلى سواحل البحر الميت وهما المكانان الوحيدان اللذان يظن أن سدوم وعمورة والثلاث المدن الأخرى كانت فيهما ، وقد انتهى من المباحث الى هذه النتيجة وهى أن القصة الواردة فى الكتب المنزلة ليست خرافية ولارمزية بل هى تاريخية بجميع تفاصيلها وجزئياتها ، وخلاصة هذه القصة هى أن حوالى القرن التاسع عشر قبل الميلاد انحدر ابراهيم الخليل من بلاد مابين النهرين الى فلسطين ومعه أهل بيته وابن أخيه لوط وأهل لوط ومع كل منهما مواش كثيرة ، وفى رواية التوراة أن الأرض لم تحتملهما لكثرة ماكان معهما من الغنم والبقر والرعاة ، وانه حدثت مخاصمة بين رعاة مواشيهما فافترق لوط عن ابراهيم حفظا للسلام ، واختار لوط دائرة الأردن أى الوادى الذى كانت فيه سدوم وعمورة وأقام بسدوم ، واختار ابراهيم المرتفعات التى فى الشمال وضرب خيامه فى موضع يقال له (بلوطات ممرا) وأقام هنالك مذبحا لله لأنه كان مؤمنا ، أما لوط فيظهر أن اختلاطه بأهل سدوم أنساه عبادة الخالق فاقتفى أثر الوثنيين (هذه يكذبها القرآن) وكان ذلك فى القرن التاسع عشر قبل الميلاد أى منذ نحو أربعة آلاف سنة وهذا هو العصر المعروف لدى علماء التاريخ بالعصر البرونزى ، على أن آثار فلسطين التى ترجع الى أربعة آلاف سنة تدل على أنه كان فى فلسطين فى ذلك الزمن حضارة راقية وليس فى تفاصيل قصة ابراهيم ماينافض آثار تلك الحضارة بل ان جميعها تنطبق على عادات القوم وطقوسهم وشعائرهم كل الانطباق ، فقد كان الناس الرحل ينتجعون المراعى النضرة ويضربون خيامهم حيث تكثر المياه وتسهل وسائل المعيشة وكانت المدن تشاد فى الأودية على مقربة من مجرى الأنهر كما كانت الخيام تضرب على المرتفعات وهذا عين مافعله ابراهيم

وليس فى هلاك مدينتين كسدوم وعمورة ماهو مدهش من الوجه العلمى أو التاريخى فقد أخربت صروف الدهر مدن (تروادة) و (بابل) و (بعلبك) و (قرطاجة) و (بطرا) و (بومباى) و (تدمر) وغيرها ولكن لم يمح أثر إحداها محوا تاما بل لايزال لكل منها آثار تدل عليها وعلى ماكان لها من المجد والعظمة

أما سدوم وعمورة بل المدن الخمس التى كانت فى دائرة الأردن فقد زالت ولم يبق لها أثر قط وهذا ماجعل الكثيرين من المؤرخين يعتقدون أن قصة سدوم وعمورة خرافة لاطائل تحتها أو أنها حكاية رمزية كما تقدم على أن الدكتور (أولبرايط) قد اكتشف آثارا يمكن أن يستدل منها على صحة القصة فقد وجد هنالك آثار حصن قديم يعلو نحو خمسمائة قدم على سطح البحر الميت وبجوار هذا المذبح أى حجارة منصوبة بشكل أعمدة يرجح انها المرتفعات التى كان الوثنيون فى ذلك الزمن يقدمون عليها قرابينهم ، ويسمى أهالى الأردن المكان

الذى

الذى توجد فيه تلك المرتفعات (باب الدراع ؟) وهو على الأرجح الموقع الذى كانت فيه سدوم وعمورة لأن الوثنيين كانوا ينصبون مذابحهم فى المدن (فى المعابد) حيث يقيمون شعائر عبادتهم فلابد إذن أن باب الدراع كانت مركز حضارة وثنية ترجع الى ذلك العصر ولكن أين آثار تلك الحضارة ؟ أيمكن أن يكون البحر الميت قد طما عليها فطمرها وأزالها ؟

هذا فرض كثير الاحتمال وفى التاريخ حوادث كثيرة تشبهه ، ففى سنة ١٨٨٣ ثار بركان (كراكاتو) بين جافا وسومطرة (وكان العلماء يظنون انه قد انطفأ منذ زمان طويل) فغير جغرافية تلك الأنحاء تغييرا تاما وقلبها رأسا على عقب ، وفى سنة ١٨٨٦ أى بعدها بثلاث سنوات ثار بركان (تاراويرا) ببلاد نيوزيلندا (وكان العلماء يزعمون انه من البراكين المنطفئة) فغير معالم البلاد المجاورة وأحدث بها تغييرات حتى صار أهالى تلك الأنحاء لايعرفونها ، وعليه فمن المحتمل جدا أن يكون البحر الميت قد طما على المدن الخمس التى كانت فى دائرة الأردن بل ان بعض علماء الجيولوجيا يؤكدون أن هذا البحر يغمر اليوم بلادا كانت آهلة بالناس أما المدن الخمس فهى سدوم وعمورة وأدمة وبالع وصبوئيم ، وقد عثر المنقبون فى (باب الدراع) على آثار يؤخذ منها أن طقوس العبادة الخاصة بالمرتفعات السابق ذكرها استمرت من سنة ٨٠٠ الى سنة ١٨٠٠ قبل التاريخ الميلادى أى ان باب الدراع كان من أمكنة القوم المقدسة مدة نحو ألف سنة ثم هجره اصحابه ولماذا ؟ لسبب بسيط وهو خراب سدوم وعمورة

وليس فى تسميتنا سدوم وعمورة وأخواتهما بالمدن مايدل على حقيقتها فانها لم تكن مدنا بالمعنى المعروف عندنا بل كانت على الأرجح قرى صغيرة تضم كل منها بضع عشرات أو أكثر من المنازل وكان ملوك تلك المدن أشبه بشيوخ بلد لولا ماكان لهم من الشأن عند رعيتهم ، ويؤخذ من رواية التوراة أن ملوك المدن الخمس المذكورة خرجوا لقتال أربعة ملوك من ملوك البلاد المجاورة وحدثت بينهم موقعة تعرف بموقعة (عمق السديم) فهزم الملوك الأربعة أعداءهم وأخذوا لوطا وأملاكه فى جملة من أخذوه من الأسرى والغنائم لأنه كان يقيم بسدوم ، فلما سمع ابراهيم بما جرى لابن اخيه خرج فى (٣١٨) من رجاله وهاجم الغزاة وكسرهم وأنقذ لوطا وأملاكه وأهل بيته ، وفى هذه الرواية عينها أن ملكى سدوم وعمورة قتلا فى (عمق السديم) حيث كانت آبار حمر كثيرة وآبار الحمر كما لايخفى هى قابلة للالتهاب وفى ذات يوم إذ كان ابراهيم جالسا بباب خيمته فى حر النهار أقبل عليه ثلاثة رجال ، وفى التوراة انهم كانوا ثلاثة ملائكة فاستقبلهم بترحاب عظيم وصنع لهم وليمة واحتفى بهم وفى أثناء الطعام علم انهم ذاهبون الى سدوم وكان أهل هذه المدينة مشهورين بشرورهم وانغماسهم فى شهواتهم البهيمية ولاسيما المحرمة منها ، فلما وصل الرجال الثلاثة الى سدوم ساروا توا الى منزل لوط ابن أخى ابراهيم ليبيتوا عنده وعلم أهل سدوم بقدومهم فأرادوا أن يرتكبوا بهم موبقا ولكن لوط دافع عنهم وعرض أن يضحى بشرف ابنتيه لينقذهم فأبى أهل سدوم إلا أن يرتكبوا بهم الفحشاء ولكن الضيوف تمكنوا من الفرار وأقنعوا لوطا وأهل بيته بالفرار معهم ، واليك رواية التوراة بعد ذلك

« واذ أشرقت الشمس على الأرض دخل لوط (صوعر) فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتا ونارا من السماء وقلب تلك المدن وكل الدائرة وجميع سكان المدن ونبات الأرض ونظرت امرأة لوط الى الوراء فصارت عمود ملح » ومعنى قوله صارت عمود ملح انها اختنقت بالغازات الكثيرة المتصاعدة من آبار الحمر التى التهبت إما بسبب حدوث زلزلة أو بسقوط صاعقة من الجوّ ، وكلا السببين يكفى لاشتعال آبار الحمر وجعلها أتونا يلتهم ما حوله من نبات وحيوان وانسان ، ومثل هذا الحادث غير مناقض للنواميس الطبيعية بل له فى التاريخ نظائر كثيرة ، وفى تاريخ الكرة الأرضية انقلابات جيولوجية كثيرة شبيهة بحادثة (سدوم وعمورة) فقد يثور بركان وتتدفق حممه على المدن المجاورة فتغمرها وتهلك أهلها وقد تنخفض بلاد واسعة فيطمو عليها البحر وتزول

هى ومافوقها من نبات وحيوان وانسان وقد تنشق الأرض فتبتلع مدنا بأسرها ، ومما يجدر بالذكر انك اذا وضعت الخارطة أمامك ورسمت خطا من بحرالجليل مارا بوادى الأردن فالبحرالميت فالبحرالأحمر فبلادالحبشة كان لك مايسميه علماء الجيولوجيا (منخفض ارتيريا) إذ يقولون ان الكرة الأرضية انخفست فى زمن من الأزمان على مدى الخط المذكور فأصبح بحرالجليل يعلو (٦٥٣) قدما على سطح البحرالأبيض المتوسط حالة أن البحرالميت أصبح تحت مستوى البحرالأبيض المتوسط بزهاء (١٣١٦) وهذا دليل على أن المدن الخمس التى كانت هناك غمرها البحرالميت وانخفس معها الى أسفل وقد احترقت بالقار والحر واختنق أهلها بالغازات المنبعثة عن ذلك (أقول نحن لانقر من هذا إلا ماوافق القرآن) انتهى

وقد كتب كاتب فى جريدة الاهرام بتاريخ ١٨ مارس سنة ١٩٢٩ م مانصه

﴿ البحر الميت أو بحيرة لوط ﴾

لما كان اسم هذا البحر أوالبحيرة يرد كثيرا فى تلغرافات الاهرام الخصوصية بمناسبة امتياز استنباط أملاحه المعدنية وهوالمشروع الذى تدورالمناقشة عليه فى البرلمان البريطانى بين حين وحين فى خلال السنوات الأخيرة وكنت قد زرته مرارا فى أيام حداثتى التى قضيتها فى القدس الشريف رأيت أن أذكر هنا موجز تاريخ هذه البحيرة ووصفها وما أعرفه عنها فأقول

« إن موقع هذه البحيرة التى هى أكبر بحيرات فلسطين وسورية هو فى الجنوب الشرقى من القدس الشريف على مسيرة ١٨ ميلا فى منخفض من الأرض يسميه الكتاب (غورالسديم) ويرجح انها تغمرجانبا عظيما من المدن الخمس التى أمطرها الله نارا وكبريتا كما ورد فى سفرالتكوين من التوراة وطولها من الشمال الى الجنوب يقارب خمسين ميلا وعرضها عشرة أميال وسطحها منخفض عن سطح البحرالمتوسط (١٣١٦) قدما . ولما كانت هذه البحيرة مصبا لمياه غزيرة وكان لامنفذ لها ظاهرا ولايبدو فيها أثر من زيادة مائها أو نقصانه تضاربت فى امرها آراء العلماء أذكرلهم ﴿ رأيين ﴾ قال فريق ماخلاصته ان غورأرض هذه البحيرة وانخفاضها العظيم واكتناف الجبال التى تشد على مخنقها هومجلبة لشدة الحرالذى يبخر من مائها يوميا كمية تعادل الكمية التى تصب فيها ، ولاينكر أحد أن حرارة الجو الشديدة ينشأ عنها بخار وافر وضباب كثيف متكاثر ينتشر ويغطى سطحها وضواحيها مسيرة أميال ولكن يلوح من المستحيل تحويل كل الماء الذى يصير اليها بخارا أوضبابا على ماعلله المحققون من علماء هذا الفن وقد عدلوا كمية الماء الذى يجرى اليها يوميا من نهرالأردن وحده بما يربى على ستة ملايين مترمكعب ، هذا عدا مياه الغدران والجداول ومجارى الأودية التى تصب فيها أيام الشتاء من أكثرجهاتها ولاسيما (نهرالموجب) الذى يأتيها من منحدرات الجبال التى تلى شرقيها فانها لعمرى كمية لاسبيل الى تحويلها بخارامهمابلغت شدة الحر ، وقال فريق آخر انه لابدلها من منفذ سفلى تصب منه فى عمق أحد البحور التى لايعلم الى الآن غورلججها تماما وراقبوا الماء الذى يخسره سنويا بالتبخر و بذهابه فى المنفذ المفترض فاذا هو يزيد على القدر الذى يأتيها . وأما خواص مائها فليس له ثقل نوعى واحد بل يختلف فى الكثافة والمرارة باختلاف مواضعه منها ، فحيث يدخلها ماء الأنهار والسواقى يكون أقل ثقلا ومرارة من غيره ، وعلى وجه العموم يقدر أن فى كل مئة جزء منه خمسة وعشرين جزأ من الأملاح المعدنية ذائبة فيها وهى لكثرة أملاحها لاحياة فيها لحيوان البتة . ومعلوم أن مياه البحار الأخرى لاتفوق أملاحها أربعة فى المئة . وأعظم جزء بين موادها هو (كاورورالصوديوم) وهو ملح الطعام فانه يبلغ ثلاثة أرباع المواد الأخرى التى فيها مثل (كاورورالمغنيسيوم) وكبريتات الكلس والمغنيسيا وغيرها من مواد أخرقارية وزفتية وكلها تولد فيها تلك المرارة والكراهية وهى من فرط هذه المواد المعدنية وكثرة ما يتصاعد عنها من الضباب والأبخرة صافية رائقة تستبهج النواظر بجمال روائها غيرأن الأيدى تتجافى عن لمسها لأنها تذرفيها أثرا

زيتيا

زيتيا ولامناص لمن خاض فيها أن يتطهر بعدذلك بماء عذب زلال وانه لايلبث زمنا قليلا حتى تجوس فى جسمه حكة تهيج فيه البثور كما جرى للكثيرين وأكثر الذين يقصدونها للاستحمام يستحمون فيها على مقربة من مصب الأردن فى الجهة الشمالية حيث يتمكنون بعيد ذلك من الاغتسال فى ماء الأردن . ولثقل ماء هذه البحيرة يطفو فوقها مارسب فى غيرها ولذا لاحذر فيها على من لايحسن السباحة فانه يعوم ولو ربطت كلتا يديه وراء ظهره وكل ماعليه هوأن يرفع رأسه ، ويبلغ عمقها نحو (٤٠٠) متر فى الجهة الشمالية وستة أمتار ومادونها فى الجهة الجنوبية ويختلف مابينهما باختلاف مواضعها تدريجيا ، وبالاجمال فانها تصلح لتسيير البواخر الصغيرة

أما أرياف هذه البحيرة فكلها بلاقع قفرة خالية من السكان والدور والشجر ولايقيم بها إلا بعض البدو وقبائل التعمريين الرحل وذلك فى فصل الشتاء وتحيط بها الجبال الوعرة إلا فى الجهة الشمالية الشرقية منها فانها سهل فسيح الأرجاء ولكنه عقيم حتى التربة تغطيه قشرة ملحية جعلت أرضه سباخا لاتنبت نباتا إلاحيث تجرى فيها المياه الحلوة ونباتها لاينتفع به وهو فى الغالب الحلفاء والاباءة وماشا كلها من النبات المائى وقديما كان ينبت فى جوارهذه البحيرة وأريافها نوع من الشجر يعرف ثمره بالعنب السام أوالعنب المر فكان ظاهره بهى المنظر إلا ان داخله كان نتنا عفنا محاوا رمادا وبخارا وقد أشاراليه النبى موسى فى سفرالتثنية قال « من جفنة سادوم جفنتهم ومن كرم عمورة عنبهم عنب سم وعناقيدهم من مرارة » والى الآن نرى أكثر ثمار هاتيك الأرض المجاورة لها نضرة شهية غير انك اذا ما قطفتها تحوّلت بيدك الى غبار ورماد ، على أن هذه الأرض وان لم تصلح الآن للزرع والتثمير فهى صالحة لاستخراج المعادن فانها كثيرة غنية بها كالحمر والنطرون والكبريت وزيت البترول الخ . والأسماء المشهورة بها هذه البحيرة هى ما يأتى

(١) بحيرة لوط نسبة الى لوط ابن أخى ابراهيم الذى أنجاه الله مع آله من سدوم
(٢) البحر الميت لأن مياهه لاتعيش فيها الحيوانات المائية وتلبث راكدة هادئة إلاعند اشتدادالعواصف
(٣) البحيرة المنتنة لأنها تنبعث عنها فى الغالب رائحة خبيثة لوفرة موادّها المعدنية
(٤) بحيرة الملح اعتبارا لمائها الأجاج ووفرة الملح فيها
(٥) بحيرة الزفت لكثرة موادّها الزفتية والقارية
(٦) البحر الشرقى لمقابلته البحر المتوسط لكونه غربيه
(٧) بحيرة البرية والسهل لأنها فى برية فاصلة وشمالها الشرقى سهل فسيح
(٨) بحيرة سدوم باعتبار انها محلها على الرأى الأرجح ، أما المدن الخمس التى أشرت اليها فى أوّل هذه المقالة ويقال انها كانت حولها وفى موضعها فهى سدوم وعمورة وصبوتيم وادمه وزغر . وقد اختلف علماء الآثار على موقعها فمنهم من جعله فى الجهة الجنوبية من البحيرة حيث السهل الخراب . ومنهم من زعم انه فى الجهة الشمالية حيث السهل القاحل الكبريتى الممتد منها الى اريحا . على أنهم وان اختلفوا فى ذلك فهم مجمعون رايا على أن موقعها بجوارهذه البحيرة وأن جانبا منها تغمره مياهها الراكدة . وما يمكن قوله عن هذه المدن انها كانت قبل أن شملها الخراب الإلهى حافلة بالسكان متردية ثوب الحضارة والمدنية . ويخبرنا الاصحاح الرابع عشر من سفرالتكوين أن كلا من هذه المدن كانت قاعدة لملوك جبابرة فضلا عن أن موقعها الطبيعى يستدعى أن تكون زاهرة غناء مزدهية بجمال موقعها بديعة بجنانها وغياضها غنية بوفرة مائها وخيراتها لأن نهرالأردن كان يتشعب فى غورها الزكى التربة سيولا فيسقى أرباضها ورياضها وحدائقها التى كانت ولاشك تفوق جنات دمشق كثرة وخصبا . ويمكن القول أيضا أن تحضر هذه المدن قديما وتألب السكان فيها قد حملا ابراهيم الخليل على أن يتقدّم الى الله العلىّ مسترسلا فى كلامه مكررا تضرّعه اليه تعالى أن يعفو عنها

(تكوين اصحاح ١٨) غير انه لما كان الفساد قد شمل سكانها وكان جميعهم قد سكروا بلذة الإثم حتى انه لم يعد فيها بارّ سوى لوط وآله انتقم الله من أهلها بأن أمطر المدن نارا وكبريتا من السماء فألهب ما كان هنالك خزينا معدا من البراكين النارية التي عجلت دمارهم فطبق ماء الفور الزائد تحتها وجه هاتيك الأرض فغارت بهم خاسفة وظهرت البحيرة على ما نراه اليوم . انتهى والله أعلم (م . خ)

ثم قال تعالى (كذب أصحاب الأيكة المرسلين) الأيكة غيضة تنبت ناعم الشجر ، يريد غيضة بقرب مدين تسكنها طائفة فبعث الله اليهم شعيبا كما بعث الى مدين وكان أجنبيا عنهم فلذلك قال (إذ قال لهم شعيب ألا تتقون) ولم يقل أخوهم لأنه لم يكن منهم وانما كان من مدين وأرسل اليهم * ويقال الأيكة الشجر الملتف وكان شجرهم الدوم (إنى لكم رسول أمين * فاتقوا الله وأطيعون) الى قوله (إلا على رب العالمين * أوفوا الكيل) أتموه (ولا تكونوا من المخسرين) حقوق الناس بالتطفيف (وزنوا بالقسطاس المستقيم) بالميزان السوىّ أوالقبان ، واذا جعلناه عربيا جعلناه من القسط وهو العدل (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) أى لاتنقصوهم حقوقهم كدراهمهم ودنانيرهم بقطع أطرافها وغير ذلك (ولاتعثوا فى الأرض مفسدين) بالقتل والغارة وقطع الطريق (واتقوا الذى خلقكم والجبلة الأوّلين) أى وذوى الجبلة الأوّلين أى الخليقة والأمم المتقدّمة (قالوا انما أنت من المسحرين * وماأنت إلابشر مثلنا) فقد جمع بين وصفين منافيين للرسالة (وان نظنك لمن الكاذبين) فى دعواك (فأسقط علينا كسفا من السماء) قطعا منها (إن كنت من الصادقين * قال ربى أعلم بما تعملون) من نقصان الكيل والوزن وهو مجازيكم بأعمالكم فعلىّ البلاغ وعلى الله الحساب (فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم) إذ أصابهم حرّ شديد فكانوا يدخلون الأسراب فيجدونها أحرّ من ذلك فيخرجون فأظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا جميعا (إن فى ذلك لآية) الى قوله (الرحيم) انتهى التفسير اللفظى للقسم السادس

هذه هى القصص السبع التى جاءت فى هذه السورة مختصرة وهذه القصص دالة على أن هذا وحى من الله فان النتائج التى حصل عليها الأنبياء هى التى حصل عليها النبى ﷺ ولم يكن وقت نزولها ذا شوكة ولاقوّة . وهذه القصص السبع نموذج لما أصيب به النبى ﷺ من التكذيب والأذى ولما عوقب به القوم من الخذلان والصغار ولما منح ﷺ من النصر المبين والفتح ، والمتأمّل فى هذا يجد هذا معجزة فانه أوّلا لم يكن من القارئين حتى يطلع على مثل هذا ، وثانيا لم يكن يدور فى خلد أحد أن تكون هذه عاقبة من لامال بيده ولا رجال ولاجند عنده وهذا من أغرب المعجزات . واعلم أن هذه القصص قد تكلمنا عنها فى سورة الأعراف وفى هود فارجع اليها إن شئت

(القِسْمُ السَّابِعُ)

وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ * وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ * أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ * وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ * فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ * كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ * لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ * فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ * أَفَبِعَذَابِنَا

يَسْتَعْجِلُونَ * أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ * وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ * ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ * وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ * وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ * إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ * فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ * وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ * وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ * وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

قال تعالى (وانه لتنزيل رب العالمين) منزل منه (نزل به الروح الأمين) أى جبريل لأنه أمين على الوحى والوحى فيه الحياة * وقرئ — نزّل — بالتشديد أى نزّل الله الروح بالنصب أى جعل الله الروح نازلا به والباء للتعدية (على قلبك) أى حفظك وفهمك إياه وأثبته فى قلبه إثبات من لاينسى كقوله — سنقرئك فلاتنسى — (لتكون من المنذرين * بلسان عربى مبين) واضح المعنى فصيح ، وانما كان نزوله على قلبه بلسان عربى مبين لأنه لوكان بلغة غير لغته لكان أوّل توجه نفسه الى الألفاظ ثم المعنى مهما كان ماهرا فيها ، فاذا كان بلغته التى نشأ عليها كان توجه نفسه الى المعانى بدون عائق . هذه هى العادة فيمن يعرف لغات كثيرة وهذا سبب نزوله بلغة العرب وهى لغة الرسول ﷺ (وانه لفى زبر الأوّلين) وان معناه لفى كتب الأوّلين أو ذكر محمد ﷺ وصفته ونعته (أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل) أولم يكن لهؤلاء المعاندين دلالة على صدق محمد ﷺ أن يعرفه هؤلاء العلماء بنعته فى كتبهم فقد بعث أهل مكة الى اليهود وهم بالمدينة يسألونهم عن محمد ﷺ فقالوا ان هذا زمانه وانا نجد فى التوراة نعته وصفته فكان ذلك آية على صدق محمد ﷺ والذين شهدوا بذلك خمسة عبد الله بن سلام وابن يامين وثعلبة وأسد وأسيد (ولونزّلناه) أى القرآن (على بعض الأعجمين) جمع اعجمى على التخفيف وهوالذى لايفصح ولايحسن العربية وان كان عربيا فى النسب (فقرأه عليهم ماكانوا به مؤمنين * كذلك سلكناه) أى أدخلنا الكفر المدلول عليه بقوله — ماكانوا به مؤمنين — فى قلوب المجرمين * لايؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم) الملجئ الى الايمان (فيأتيهم بغتة) فجأة (وهم لايشعرون) باتيانه (فيقولوا هل نحن منظرون) معناه انهم يسألون الامهال فلايجابون ، ولما تكرر الانذار على أهل مكة وسمعوا بعذاب الأمم السابقة فى مثل هذه السورة قالوا الى متى توعدنا بالعذاب ومتى هذا العذاب ؟ فقال الله (أفبعذابنا يستعجلون * أفرأيت إن متعناهم) متعنا أهل مكة (سنين) ولم نهلكهم (ثم جاءهم ما كانوا يوعدون) وهو العذاب (ما أغنى عنهم) من عذاب الله (ما كانوا يمتعون) كأنه قيل ليكن الأمر

كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم فاذا طال الأجل وتمتعوا ثم لحقهم ما أنذروا به فماذا ينفعهم من طول ذلك الأمد والتمتع بالنعيم ، يقول الله إن العذاب واقع عاجلا أوآجلا فاذا لم يكن عاجلا فماذا يفيدهـم نعيم وطول عيش هو ذاهب لامحالة بوقوع العذاب ، إن النعيم المنقطع لافائدة منه ولاخير فيه * وعن ميمون بن مهران انه لقى الحسن فى الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال له عظنى فلم يزده على تلاوة هذه الآية ، فقال ميمون قد وعظت فأبلغت * وعن عمر بن عبدالعزيز انه كان يقرؤها عند جلوسه للحكم (وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون) وسل ينذرونهم إلزاما للحجة كما هى عادتنا فى اننا نقدم المرض قبل الموت غالبا اذا رأيناه حكمة ، وكم أنذرنا الناس بالردى قبل وقوع الكوارث والحوادث ، وهكذا اذا جاء أجل الأمة ألهمنا خطباءها وعقلاءها فذكروا المستقبل المظلم الذى لها ، وانما فعلنا ذلك (ذكرى) أى لأجل التذكرة (وما كنا ظالمين) فنهلك غير الظالمين وقبل الانذار . كلا .

﴿ جوهرة فى قوله تعالى ـ وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون * ذكرى وما كنا ظالمين ـ مع قوله تعالى فى سور أخرى ـ وان من أمة إلا خلا فيها نذير ـ وقوله ـ وما كنا مهلكى القرى إلا وأهلها ظالمون ـ وقوله ـ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ـ والظلم هنا الكفر وقوله ـ واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ـ وقوله ـ حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعذاب اذاهم يجأرون * لاتجأروا اليوم انكم منا لا تنصرون ـ وقوله ـ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ـ ﴾

هاهوذا القرآن يقول لنا أيها الناس إن الترف والنعيم والظلم مبدأ الخراب فى الأمم ، ويقول ان الأمم اذا أدبرشبابها وولت أيامها وأقبل هرمها أنذرها منذروها وحذرها المحذرون ، وهنا نقول ، لماذا أنزل الله هذه الآيات فى القرآن الكريم ، ألمجرد التلاوة والتعبد . كلا . بل للتلاوة والتعبد ومعهما العمل . أمم الاسلام اليوم فى حاجة شديدة الى الاصلاح والتذكير والله يقول ـ وذكرهم بأيام الله ـ إذن نحن مأمورون أمرا حتما وواجبا وجوبا كفائيا وعلى كل مشتغل بعلوم الأمم الاسلامية أن يذكرهم بما علم . فإذن هنا أذكر المسلمين عموما بأمتين أنذرهما المنذرون وحذرهما المحذرون قبل سقوط دولتهما وهما أمة المصريين القدماء وأمة العرب بالأندلس . أنا أكتب هذا هنا تذكيرا للمسلمين وخروجا من الإثم بالتقصير لعلمى أن ما أكتبه أنا ويكتبه غيرى من أهل العلم ببلاد الاسلام يرفع هممهم ويوقظهم الى المستقبل كما قال تعالى ـ وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين ـ واذا كانت الذكرى قد نفعت الأمم الغربية وأنارت دولهم وممالكهم القوية فى عصرنا فانها ستكون هنا فى بلاد الاسلام أسرع أثرا وأنفذ قولا وأبعد مدى . فهاك ماحدث بفرنسا قبل أوائل هذا القرن العشرين . ذلك انهم أعلنوا أن تحضر الفتيات عاريات فى المراسح ليطلع الناس على الجمال بلا لباس فى مراقص من مراقصهم ، فأعلن أحد علمائهم أن يلقى خطبة فى ذلك الأمر واستقباحه ، فلما حضر واجتمع القوم رموه بالطماطم حتى صارت ثيابه جميعها ملوثة بلون الطماطم فلم يزد على أن قال « ما كنت أعلم أن هذا يوم الكرنفال » الكرنفال معناه يوم يلبس الناس فيه الملابس المضحكة لمجرد الفكاهة (المسخرة) فضحك القوم وأنصتوا للخطبة فقص عليهم تاريخ الرومان قائلا ﴿ إن الرومان فى أواخر أيامهم قد تمادى النساء فى غوايتهن حتى وقفت فتاة فى الشارع وخطبت على عربة وقالت والله لانرجع عن الزينة والزخرف حتى تكون عرباتنا من ذهب وتصبح المالية وقفا على تفنننا فى الخلاعة والزينة ، وزاد الفجور والفسوق فانحلت تلك المدنية وذهبت ﴾ فلما سمعه القوم أعرضوا عما عزموا عليه ومنعوا حضور النساء عاريات ، ذلك لأن الخطيب ذكرهم بذهاب مجدهم وانحلال ملكهم ، هكذا هنا أذكر المسلمين الآن بهاتين الأمتين وسيكون لذلك أثره ان شاء الله

والله هو الهادى الى صراط مستقيم

فلأجعل الكلام فى ﴿ أربعة فصول * الفصل الأوّل ﴾ فى انحطاط ديانة قدماء المصريين بعد ارتفاعها

﴿ الفصل الثانى ﴾ فى ورقة انسطاسى البردية أوسفرابوورالنبى المصرى القديم ونبوة الفيلسوف هرمس

﴿ الفصل الثالث ﴾ فيما حلّ بالأندلس من احتجاب الخلفاء وتشبه الفتيات بالفتيان وشيوع الترف والانغماس فى اللذات وتفرّق العصبية

﴿ الفصل الرابع ﴾ فيما توقعه العقلاء من زوال ملكهم

﴿ الفصل الأوّل فى انحطاط ديانة قدماء المصريين ﴾

أنا أسوق هذا الفصل لأذكر قومنا بأيام الله حتى لانقع فيما وقعوا فيه فأقول ، لابد قبل البدء فى ذكر انحطاط هذه الديانة من ذكر ارتقائها وعلوّها حتى نعرف كيف انحطت . إن المصريين استدلوا على الله بعقولهم أجيالا وأجيالا حتى عرفوا اسمه وصفاته وأحبوه حبا جما آلاف السنين ثم رجعوا القهقرى ونسوا أصل الدين وعبدوا الحيوانات فزال مجدهم ، وقد جاء فى نص فى قبر الملك (بيبى الأول) انهم أوّلا كانوا يقولون ان أتوم وذرّيته (آدم) وذرّيته كانوا يسكنون مدينة (هليو بوليس) وأتوم هذا كما انه أبو الآلهة هو رئيسهم ورئيس الآلهة التسع المذكورة فى عقيدة هليو بوليس التى كانوا يسمونها الفردوس الأرضى (هى قرب القاهرة الآن) وكانت هذه الذرّية الآدمية خليطا من الآلهة والبشر فى طهارة وسلام ، ثم ان (رع) كبير الآلهة انتصر على الحية وهى إلهة الشر و (رع) هذا يحكم للأرباب والمربوبين و بعدذلك زالت هيبة هؤلاء الآلهة الذين استعبدوا الناس ثم زالت هيبة المعبود (رع) ثم خافوا منه فهربوا للجبال فأهلكهم ثم استبقى من كان يحترمه من الناس ثم تكبرعلى الناس جميعا لأنهم مطبوعون على الشر وسكن السماء بعد أن نظمها واستخلف غيره من الآلهة البشرية وهذه الآلهة جميعها تمرض وتموت كالبشر انتهى ملخصا

ثم تطوّر القوم فعرفوا أن آدم هذا وذرّيته جميعا مخلوقون وأن لهم خالقا بدليل ماجاء فى ﴿ كتاب الموتى ﴾ (فصل ٤٢ العدد ١ — ١١ — ١٢) ﴿ لايعرف الانسان اسم الخالق ﴾ وجاء فى أنشودة المعبود أمون ﴿ إن اسم الخالق خفى عن الناس ﴾ وجاء فى نصوص اهرام الملك أوناس من الأسرة السادسة ﴿ إن الخالق لايمكن معرفة اسمه لأنه فوق مدارك العقول ﴾ ثم استعملوا ألفاظا عامة كالالوهية و بعض ألفاظ تدل على الخالق بطريق الكناية فقالوا ﴿ السيد المطلق المالك كل شئ وانه لانهاية له ولاحدّ له ﴾ ثم اهتدوا لمعرفة صفاته وربما عرفوا اسمه من الأنبياء القدماء فقد جاء لفظ الجلالة مرارا فى أمثال وحكم (حتب) الأديب المصرى القديم منصوصة فى كتابه الذى هو أقدم كتاب فى العالم وهذا نصه ﴿ لاتوقع الفزع فى قلوب البشر لئلا يضربك الله بعصا انتقامه ﴾ . قال (لباج رينون) ﴿ إن اليونان والرومان كانوا عريقين فى الوثنية حتى لم يسمع عنهم انهم ذكروا اسم الله أصلا . أما قدماء المصريين فلم يرد فى تاريخهم انهم عرفوا الوثنية ﴾ وأن الورقة البردية فى المتحف البريطانى تضمنت مايأتى ﴿ أنت الإله الأكبر سيد السماء والأرض خالق كل شئ ، يا إلهى وربى وخالق قوّ بصرى و بصيرتى لأستشعر مجدك واجعل أذنى مصغية لقولك ﴾ فأما اتخاذهم السماء إلها أوعبادتهم الكواكب فانما جعلوا ذلك رمزا لله الواحد الصمد . هذا وأذكرك أيها الذكى بما ذكرته فى سورة البقرة من النشيد الذى جاء فيه التوحيد ومحبة الله والابتهاج بأنواره التى خلقها فى الليل والنهار التى فيها أنت العالم بأسرار الحياة تظهر بجمالك فى آفاق السماء

هذا هو ارتفاع مدنيتهم ، أما انحطاطها الذى سقنا له هذا الفصل التى مبدؤها سنة ١٦٠٠ ق . م الى سنة ٣٤٠ ق . م أى بعد خروج الرعاة من مصر وهذا بيانه

﴿ انحطت مصر فى الدين والأدب فى الدولة الحديثة بسبب الثورات العديدة التى توالت عليها واستمرت

الى العصر الرومانى لاختلاطهم بالأجانب ، وقد كانت الحيوانات عند قدمائهم رمزا للإله الحق والسكن فى الدولة الحديثة جعلوها فوق الهياكل والمعابد وجعلوا المعبودات فى المنزلة الثانية من الاعتبار وكثرت الخرافات فعبدوا الطيور والسمك والحيات والتماسيح والقطط والكلاب والأكباش واتخذوها آلهة لهم وحنطوها ودفنوها بعد موتها بالاجلال والاحترام ، وهذا كان من مبدأ الأسرة (٢٦) وامتد الى العصر الرومانى ، وقد عظموا هذه الحيوانات حتى انها اذا لدغتهم أونهشتهم وافترستهم لايدفعونها احتراما

وقد أخبر (ديودور الصقلى) أن رومانيا قتل قطا خطأ فقتله الشعب المصرى انتقاما ، وذكر (بلوتارك) أن أهل (سينوپوليت) بالأقاليم الوسطى أخذوا مرة نوعا من السمك الذى كان معبودا عند أهالى اقليم (اكسرينيك) وأكلوه فأعلن هؤلاء عليهم حربا عوانا وأخذوا كلبا معبودا لهم وذبحوه انتقاما وتشفيا .

وقال (استرابون) انهم كانوا يتكلفون وضع المآكل للتماسيح فى البحيرات المقدسة ويكابدون فى ذلك نفقات عظيمة . وقال هيردوت انهم كانوا يدفنون حيواناتهم المقدسة فى قبور على مقربة من قبور ملوكهم وأعيانهم وعنوا بدفنها أكثر من عنايتهم بدفن جثث آبائهم وأعزائهم ، وقد كشفوا أخيرا حفرا عميقة وأنفاقا واسعة مملوءة بمئات الالوف من القطط والتماسيح المحنطة ، وقد كشفوا مع أموات الدولة الحديثة كثيرا من التماثيل الصغيرة المسماة (أوشابتى) أى المجيبات تجيب الدعاء وتجيب عن الميت يوم الحساب أوتقوم مقامه أوتكون فى بدن الميت فى الأعمال التى يسخر الميت فيها (سوريس) وهكذا عبدوا الأفاعى والحيات . انتهى الفصل الأول

﴿ الفصل الثانى فى نبوّة الفيلسوف هرمس وفى ورقة انسطاسى البردية أوسفر (ابوزر) النبى المصرى القديم ﴾

ان ديانة قدماء المصريين طال أمدها أربعة آلاف سنة ، وقد أخبر الفيلسوف هرمس بمستقبلها فقال ﴿ يجب عليكم أيها الحكماء أن تستدركوا كل شئ وتعرفوا انه سيأتى وقت يترك المصريون عبادة الله فيغضب عليهم ويترك أرضهم ويهجر مصر بدون ديانة وتهمل الأشياء المقدسة ويأتى اليها الأجانب من كل صوب فيضعون لها قوانين تحرّم ممارسة الديانة الحقة والتقوى وعبادة الإله وتعاقب من يباشرها وترى فى القبور والأموات بدلا من المعابد والهياكل التى تدنست أرضها ، أواه مصر ، أواه مصر ، سيأتى عليك وقت لايبقى فيه من دينك القويم إلا الخرافات وتنحصر أخبارك فى بعض أحجارك ويستوطن فيك البرابرة والهنود ويصعد الإله الى السماء ويموت البشر وتصبح مصر قاعا صفصفا لايقيم فيها الآلهة ولاعقلاء الناس . وأنت أيها النيل المبارك أنبئك انه سيدنس مياهك المقدسة أمواج من الدم وتفيض الى شواطئك وتكثر الأموات وتقل الأحياء وان بقى من المصريين من يتكلم بلغتهم فانهم يكونون أغرابا عنها بأخلاقهم وعاداتهم وتقاليدهم التى تسرى اليهم من الأجانب . أنت تبكى اليوم ياهرمس . سيكون فى مصر أشياء محزنة كثيرة . واحسرتاه ستقع مصر فى الضلال والكفر تلك الأرض التى كانت وطن الأتقياء وحبيبة الإله ستفسد فيها أخلاق القديسين بعدما كانت مدرسة التقوى والعبادات وستصير مسرحا للشرور والموبقات . سيكره العاقل الدنيا ومافيها ويؤثر الموت على الحياة لما يراه من قلب الحقائق وتفضيل الظلام على النور حتى يعتبر الفاسق تقيا والأحمق عاقلا والجبان شجاعا والضلال رشدا وتكون حياة الرجل التقى عرضة لجميع الأخطار انتهى (منذ ٤٠٠٠ سنة)

وجد فى متحف (ليدن) تحت رقم (٣٤٤) ورقة بردية طولها ٣٧٨ سنتى فى عرض ١٨ سنتى اشتهرت بورقة (انسطاسى) لأنه هو الذى كشفها فى مدينة منفيس بقرب (سقارة) ثم باعها الى متحف ليدن سنة ١٨٢٨ وهى مكتوبة من وجهتيها بالخط الهيراطيقى فى مدة الأسرة الثانية عشرة . وقيل انها كتبت فى الأسرة التاسعة عشرة وترجمت الى الألمانية والانجليزية واللاتينية ثم الى العربية . وفى هذه الورقة تنبؤ (ابوور) النبى المصرى القديم وهذا نصها ﴿ سيأتى على مصر زمان ينضب فيه ماء النيل وتبطل زراعة الأرض . وأطال فى وصف الخراب . ثم قال ويتغلب الصعاليك على الأكابر وأكثر من الكلام فى الثورة الداخلية . ثم قال ويجد البرابرة

فرصة للاستيلاء عليها واستضعافا لأهلها وتسود العبيد وينهبون أموال أربابهم حتى تتخذ نساؤهم عقود الذهب والفضة والعقيق بينما تكون الأميرات فى الطرق بأسمال الى أن قال « ثم تنتهى هذه الشرور ويعود الهناء على يد رسول يرسله الله فيعيد الحياة فى أرض مصر فيسود السلام وتفيض مياه النيل وتنمو الزراعة ويسترد المصريون ثغورهم ممن تغلبوا عليهم من العبيد والليبيين والنوبيين ويحل العمار محل الدمار » اه

ومعلوم أن مصر قاست الشدائد ودخلها الأجانب وقد احتلها الرعاة وبقوا فيها (٥٠٠) سنة والفارسيون وأهل النوبة واليونان والرومان والله مقلب الليل والنهار

ومن العجيب أن أنبياء بنى اسرائيل تنبؤا فى التوراة بمثل ما تنبأ به نبى المصريين . انتهى الفصل الثانى وكله ملخص من كتاب ﴿ الأدب والدين ﴾ عند قدماء المصريين

﴿ الفصل الثالث فيما حل بالأندلس من احتجاب الخلفاء وتشبه الفتيات بالفتيان وشيوع الترف والانغماس فى اللذات وتفرق العصبية ﴾

لقد كثر الترف والنعيم وأخذ الخلفاء الأمويون فى أواخر أيامهم فى الملاذ والشهوات والاحتجاب فى القصور وقد كان المنشدون والسفراء يكلمونهم من وراء حجاب ويقف الحاجب من دون الستر فيكرر ما يقولونه

ومما يحكى أن ابن مقانا الأشبونى ألقى قصيدة على مسمع من الخليفة المحتجب ادريس بن يحيى الحموى قال فى آخرها

أنظرونا نقتبس من نوركم * إنه من نور رب العالمين

فرفع الخليفة الستر وقابل وجهه بوجهه وأجازه جائزة حسنة ، وبينما الخلفاء يحتجبون عن الناس كالنساء اذا النساء يتشبهن بالرجال * قال الوزير بن شهيد

ظبية دون الظباء قنصت * فأتت غيداء فى شكل صبى

فتح الورد على صفحتها * وحماه صدغها بالعقرب

وقد شاعت مجالس الخمر والسماع والرقص على نغمات الأوتار . ولقد صار المرابطون الذين أسسوا ملكهم على التقوى والصلاح فى أولها أهل خلاعة فى آخرها فسكنوا القصور فى الأندلس وأكثروا من مجالس الطرب واللهو فضعفت عصبيتهم ودينهم وأخلاقهم فتغلب عليهم الموحدون وانتزعوا منهم البلاد التى بقيت فى أيديهم ٦٢ سنة من سنة ٤٨١ الى سنة ٥٤١

جاء فى سورة الاسراء عند قوله تعالى ـ واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ـ من كتاب ﴿ الرحلة الأندلسية ﴾ للاستاذ البتنونى بيان ما حاق بالمسلمين فى الأندلس بسبب الاكثار من الاستعانة بالبربر الذين نصروا عبد الرحمن الداخل كما استعان العباسيون بالفرس فكسروا شوكة الأمويين واستكثروا من المماليك . فهؤلاء الأمويون بالأندلس قلدوا العباسيين فى الاستكثار من المماليك الصقالبة وغيرهم حتى صارت لهم الكلمة النافذة فى البلاد ثم صار حكمها فى أيديهم كما صارت البلاد الشرقية التى حكمها العباسيون فى حوزة الترك والفرس فى أزمان مختلفة . إذن هذه قاعدة مطردة ﴿ ان الترف والنعيم واتكال الأمم على الدخلاء يضيع المجد ويذهب الملك ـ ولله الأمر من قبل ومن بعد ـ

فاقرأ ما مر فى سورة الاسراء ثم اسمع ما جاء فى نفس تلك الرحلة تحت عنوان

﴿ للعبرة والتاريخ ﴾

العلة الأولى لضعف العرب فى أسبانيا هى تفرق الجماعة وانقسام الدولة الأموية بعد أن طويت صحيفة بنى عامر الى عشرين دولة صغيرة استقل بها ولاتها وهى اشبيليه . جيان . سرقسطه . الثغر (ما كان منها فى شمال طليطله) طليطله . غرناطه . قرمونه . الجزيرة الخضراء . مرسيه . بلنسيه . دانيه . طرطوشه .

لارده . باجه . المريه . مالقه . بطليوس . اشبونه . جزائر البليار . قرطبة . فكان هذا الانقسام داعيا الى كثرة الاختلاف وقتال الدول بعضها مع بعض وطمع كل منهم فى الآخر واشتعال نار حروب كل منهم مع جيرانه وقهر القوى للضعيف ، وقال ابن حزم « فضيحة لم يأت الدهر بمثلها ، أربعة رجال كل منهم يسمى باميرالمؤمنين واحد بأشبيليه والثانى بالجزيرة الخضراء والثالث بمالقه والرابع بسبتة وأصبح العرب والبربر فى خلاف مستديم والجميع فى خلاف مع أهل المغرب الأقصى وفى حروب مع الأمم الاسبانية والبرتغالية » الى ان قال ﴿ وكثيرا مايستظهر الابن على أبيه والأخ على أخيه بملوك النصرانية وقد استنصر المأمون بن الناصر من بنى عبد المؤمن بملك قشتاله على اخيه يحيى وكثر استنصار بنى الأحمر بملوك النصرانية بعضهم على بعض فى آخر دولتهم حتى سقطوا . وأن طليطلة ما أضاعها صاحبها القادر بالله بن المأمون بن يحيى بن ذى النون إلا لشهوته فى الاستيلاء على بلنسية واستنصاره بملك قشتاله (الفونس السادس) لمساعدته فى ذلك ، وكان الفونس لايبرح يورطه فى حربه لبنى عامر حتى أضعفه واستولى هو على بلاده سنة ١٠٨٥ بعد أن بقيت مستقلة فى أيدى بنى ذى النون ٧٣ سنة ﴾ انتهى ملخصا

إذن ملوك النصرانية كانوا نشطين فى اشعال نار الحرب بين ملوك الطوائف وهؤلاء الملوك جاهلون ليس عندهم من علم السياسة والتاريخ مابه يعرفون مواطن خراب الأمم وضياع مجدها ، وفى اعتقادى أن المسلمين بعدنا سيكونون أرقى من آبائهم الذين لم يعرفوا من التاريخ مكان العبرة ولا من العلم مقام الاصلاح بل ترك العلماء الأمم الاسلامية حبلها على غاربها وأمعنوا فى الشعر والغزل ونسوا حظا مما ذكروا به

أيها المسلمون ليقرأ التاريخ للعبرة والذكرى . وجاء فى الرحلة الأندلسية أيضا ماملخصه أن ملوك العرب وأمراءهم كانوا يخرجون فى أوّل أمرهم الى معمعة الحروب بأنفسهم فيثيرون الحمية فى قلوب الجيوش فكانوا يغلبون فلما استناموا للترف والنعيم استعانوا بالصقالبة والمدجنين والعبيد بل كانوا يؤجرون مرتزقة من الاسبان ممن لايهمهم النصر ولايخافون من الهزيمة ، وأوّل من فعل ذلك المنصور بن أبى عامر فى زحفه على شانت ياقو وكان بنو هود (بسرقسطة) يستأجرون البطل سيد ورجاله فى حروبهم ضد اخوانهم المسلمين . ومن العجيب أن المنصور كان يستخدم المرتزقة من الأسبان فى حرب الأسبان أنفسهم ، فأما المنصور بن أبى عامر فانه استعان بهم على حرب اخوانه المسلمين ، وأما البطل سيد المذكور فانه هو (رودريك) الذى يسمى عند العرب (السيد قنبطور) وكان مشهورا بفروسيته وهو الذى ساعد الأمير شانجه ابن الملك فرديناند الأوّل على أخيه الفونس ، فلما تولى الفونس عرش البلاد نكب به وصادره فى أمواله فهاجر الى صخرة قريبة من سرقوسة وبنى بها مسكنا اجتمع عليه (٣٠٠) من المعجبين به فهؤلاء كان بنو هود ملوك سرقوسة يستأجرونهم فى حروبهم ، والسيد هذا حاصر وهو رئيس جيوش يوسف بن أحمد بن هود بلنسية وهو مع انه دخلها صلحا أحرق قاضيها (ابن الجحاف) لأنه لم يدله على خزائن المقتدر بن هود صاحب بلنسية ثم أشعل النيران فى المدينة حتى أتلفها * وقال فى ذلك ابن خفاجة

عاثت بساحتك الظبا يا دار * ومحا محاسنك البلا والنار
فاذا تردّد فى جنابك ناظر * طال اعتبار فيك واستعبار
أرض تقاذفت الخطوب بأهلها * وتمخضت بخرابها الأقدار
كتبت يد الحدثان فى عرصاتها * لا أنت أنت ولا الديار ديار

ولأكتف بهذا من فضائح الأمة العربية فى الأندلس ، ففيما لخصته مقنع لذوى الألباب بعدنا فيعلمون ويعملون وانا لله وانا اليه راجعون . انتهى الفصل الثالث

﴿ الفصل الرابع فيما توقعه العقلاء من زوال ملكهم ﴾

اللهم انى أحمدك حمدا كثيرا . اللهم إنك أنت المعلم . اللهم إنك أنت الرب الرحيم العام المنعم المتفضل

اللهم

اللهم انى أشكرك شكرا كثيرا على انك ألهمتنى وعلمتنى وأيدتنى وقوّيتنى وسهلت لى هذا التأليف وما كان ليخطرلى أن أجمع مابين تقهقرالأمم العربيـة والأمم المصرية وأوازن بينهما فى انحطاط شأنهما . وأن الأوّلين والآخرين تشابهت قلوبهم لما انحطت أخلاقهم وانغمسوا فى اللذات . فالأمتان تفرّقتا والأمّتان سقطتا من شاهق فلك الحمد على هذه النعمة

أيتها الأمم الاسـلامية . أنا لست الآن مؤرخا . كلا . بل أنا مذكر كم . أذكركم بكتاب الله تعالى . لم أكتب هـذه الأخبار إلا لتفسيرالآية . إن الله يقول لنا نحن ـ وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون * ذكرى وما كنا ظالمين ـ وكيف نفهم هذه الذكرى إلابدراسة التاريخ دراسة تشبه ما نكتبه الآن . واياكم أن تقفوا على ما أنقله بل انظروا كما يأمركم الله . سيقرأ هـذا القول ذوو عقول من أبناء الأمم الاسـلامية فيقفون على سبب خراب الأندلس وطرد المسلمين من تلك البلاد و يقفون على تفرّق الكلمة عند المصريين القدماء فى دينهم وأخلاقهم فماذا يجدون فى صدورهم ؟ يجدون انهم كانوا قبل أن يعرفوا هذا جزعين آسفين عليهم ولكن بعد هذا البيان يعلمون أن الله عدل ولا يفعل إلاما فيه المصلحة ـ فأماالزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث فى الأرض ـ فهؤلاء ذهبت فائدتهم وأصبحوا عالة على الأمم فأخرجهم الله من بلاده لأن الملك لله عزّوجل وهولايحب إلاالمصلحين ـ فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ـ ويرون أيضا أن الأمم المصرية أصبحت بعد تفرّق دينها وضياعه تستحق احتلال بلادها وتذل فى عقردارها ، هذا معنى قوله تعالى ـ ذكرى وما كنا ظالمين ـ وهذا هوالذى يشفى الصدر ولقد شفى صدرى مانقلته لك الآن وعرفت أن الأمم لاتموت إلا بعد المرض ثم يشتدّ ثم يكون النزع ثم الموت فالله عدل ، هو عدل حقا ، منظم محسن النظام ، عدات بالله فى نظام النبات والحيوان وأدنى الحشرات فرأيناه وفرحنا به وعجبنا منه وهذا قد ملئ به هذا التفسير فالحمد لله ولكن النظام والعدل فى الأمم يحتاج الى علم أوسع حتى يدرك الانسان العدل واضحا ، وفيما قصصته لك مقنع ، وفيه اعتبار ليحترس أبناء المسلمين من الوقوع فيما وقع فيه آباؤهم ، وهل يفيدهم إلادراسة العلوم ومعرفة الحكمة والتاريخ ، وأنا وائق وقلبى مطمئن أن الله سيبعث فى الأمم الاسلامية هِمما تتلوها همم وتقوم هـذه الشعوب قومة رجل واحد ذلك لأنهم يكونون على مشرب واحد لاسيما قراء هذا التفسير فانهم هـم الذين يرون الدين أمرا واحدا لايفرقه خلاف فى عدد الركعات أوأعضاء الوضوء أومسائل الطلاق أوشروط البيع والاجارة أوأبواب الطهارة وأنواع النجاسة أوما أشبه ذلك مما ظنه المسلمون ليس وراءه علم ولاحكمة ، ومن عجب أن تفرّق أهل الأندلس الى (٢٠) دولة وتفرّق أهل مصر فى عبادة الحيوانات قد حصل نظيره عند المتأخرين من المسلمين وان لم يكن مثله من كل وجه ، تلك الأمّة التى اقتسمها رجال الصوفيـة ورجال الدين وأخذ كل يفخر ويكتفى بما لديه من العلم ـ وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ـ * وفى الحديث « لتتبعنّ سنن من قبلكم الخ »

﴿ معجزة للنبى ﷺ ﴾

قد ذكرت فى أوّل سورة الأنفال الحديث الآتى وهذا نصه ﴿ عن أبى سعيد الخدرىّ رضى الله عنه قال جلس رسول الله ﷺ على المنبر وجلسنا حوله فقال إن مما أخاف عليكم مايفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها فقال رجل أو يأتى الخير بالشرّ فسكت رسول الله ﷺ ورأينا انه ينزل عليه فأفاق يمسح عنه الرحضاء وقال أين هـذا السائل وكأنه حمده فقال انه لايأتى الخير بالشرّ وان مما ينبت الربيع مايقتل حبطا أو يلم إلا آكلة الخضر فانها أكلت حتى امتدّت خاصرتاها ﴾ وتفسير ألفاظه هناك . والذى يهمنا الآن أن نقول ان خوف رسول الله ﷺ علينا قد حصل فعلا وهذه نبوة واخبار بالغيب ومعجزة كبرى بل هى من أجل المعجزات فى زماننا . إن الله أحلّ الغنائم ولقد تقدّم فى سورة الأنفال انه ﷺ بكى عند اقتسام غنائم بدر هو وأبو بكر وسيدنا عمر لأن النبى ﷺ كان يتوقع العذاب بسبب أخـذ الغنائم وقد ظهر أثر ذلك فعلا فينا نحن فان

المسلمين ظنوا أن الغنائم بعد العصر الأوّل جعلت لتمتعهم بالشهوات ولم يجدوا من الحكماء والعلماء من يرشدونهم الى خطر الأمر كما سمعت فيما تقدّم من الخطيب الفرنسى الذى ذكر الفرنسيين بخطر تبرّج النساء (وإن كانوا هم أيضا وأكثر أهل أوروبا صائرين الى ماصار اليه من قبلهم من الأمم الفاسقة)

أقول أفليست هذه معجزة وأىّ معجزة ، النبى ﷺ أخبرنا بهذا الحديث الوارد فى الصحيح بما وقعنا فيه الآن وهذا هو قوله تعالى ــ ذكرى وما كنا ظالمين ــ فهاهو رسول الله ﷺ أنذرنا بأن المال مال الله وليس معنى حلّ الغنائم لنا أن نتلهى بها . كلا . والله بل كان ذلك لاصلاح أهل الأرض ، انظروا العجب من هذا الدين ومن النبى ﷺ . أحلّ الله الأسر وأحلّ الاسترقاق وأحلّ أخذ الأموال ولكنه زهد المسلمين فيه وأمرهم أن ينفعوا به الأمم وأكثر من الأمر بالعتق والصدقة والصيام والقيام إذ يقول ــ وما أدراك ما العقبة * فك رقبة * أواطعام فى يوم ذى مسغبة * يتيما ذامقربة * أومسكينا ذا متربة ــ الخ إذن هذا الدين لم يجد من يعرف مقصده إلا قليلا . إن هذا الدين جاء مقدمة لاصلاح عظيم أن لايذل أحد أحدا وأن يكون النوع الانسانى كلهم متعاونين متحدين شرقيهم وغربيهم فقد جرّب المسلمون الاستئثار بالمال و بالنساء فكان جزاؤهم الذّل لأنهم لم يفهموا ما يرمى اليه نبينا الصادق ﷺ هذا هو الذى أردت أن أجعله مقدمة لذكر ماتوقعه العقلاء من زوال ملك الأندلس

﴿ بيان ماتوقعه العقلاء والمصلحون ﴾

فأولهم رسول الله ﷺ فى الحديث المتقدّم فانه أشار الى ذل المسلمين فى الشرق وفى الأندلس وأبان أن الاستحواذ على الغنائم يكون ضررا بالأمم ويميتها اذا لم يوضع فى موضعه كالدابة التى تأكل الحشائش الضارّة فتضرها أوتميتها وهذا هوالذى تمّ فعلا ، ثم ان ابن خلدون ذكر فى مقدّمته أن أهل الأندلس كانوا يقلدون أهل اسبانيا فى ملابسهم وأخلاقهم وعوائدهم ويكتبون على حوانيتهم بلغة الفرنجة ، وختم العبارة بما معناه « انهم لامحالة صائرون الى أن يكونوا تحت إمرتهم لأن الأمة اذا تركت أخلاقها وعوائدها اندمجت فى الأمم التى تقلدها » وقد تمّ هذا التنبؤ فاقرأه فى المقدّمة وقال شاعر من شعرائهم

حثوا رحالكم يا أهل أندلس * فما المقام بها إلا من الغلط
السلك ينثر من أطرافه وأرى * سلك الجزيرة منثورا من الوسط
من جاور الشرّ لم يأمن عواقبه * كيف الحياة مع الحيات فى سفط

ولقد تحققت نبوءة هؤلاء لما استولى ملوك الأسبان على غرناطة وأوقعوا بالمسلمين وطاردوهم من ديارهم ولقد تقدّم فى مواضع من هذا التفسير انهم لما أزالوا ملكهم منعوهم من الاغتسال من الجنابة ومن الرقص المغربى وأوجبوا عليهم أن تكون نساؤهم مكشوفات الوجوه ، وأقول الآن انهم حرموا عليهم أن يستأجروا نصرانيا أو يظهر عليهم أية علامة من علامات الاسلام سرا أوجهرا ــ والله هو الولىّ الحميد ــ وهو حسبنا ونعم الوكيل ولاحول ولاقوّة إلا بالله العلىّ العظيم . انتهى الكلام فى تفسير قوله تعالى ــ وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون * ذكرى وما كنا ظالمين ــ

ثم إن هذا القرآن لم يكن مفترى (وماتنزّلت به الشياطين) كما زعم المشركون أن هذا القرآن مثل ماتلقيه الشياطين على الكهنة فليس من عند الله (وماينبغى لهم) ومايصح لهم أن يتنزلوا به وكيف يصح لهم ذلك وقد جاء فى الأمثال العامة ﴿وكل إناء بالذى فيه ينضح﴾ . ان هذه الأرواح التى سكنت أجسام الناس فى الأرض وهم بنو آدم لايعدون أحد اثنين إما شريرا واما بارا والأرواح التى فى غير عالم المادّة كذلك لاتخلو من الأمرين إما شريرة واما صالحة وكما أن السمك لايعيش فى البرّ والأنعام لاتعيش فى البحر والانسان لايسامر الحيوان والحيوان لايفرح إلا بأبناء جنسه ولايمرح إلا معها هكذا الأرواح الشريرة التى هى خارج عالم المادة

لا تحادث الأرواح الفاضلة من بنى آدم كما لا تكلم الدواب الانسان ، والأرواح الشريفة المجردة عن المادة لا تأنس من بنى آدم إلا بمن كان من أمثالها وأشكالها من الأرواح الشريفة ولا يتسنى لها أن تحادث الشريرة من بنى آدم كما لا يتسنى للانسان فى الأرض أن يكلم الحيوان ويأنس بمحادثته . وأنت أيها الذكى اذا قرأت ما كتبناه فى «كتاب الأرواح» ونقلناه عن علماء هذا الفن رأيت أن هؤلاء العلماء قد بحثوا ودققوا وقد نقلنا فى هذا التفسير سابقا بعض ذلك ، فاذا استحضر الشرير روحا لا تلبيه إلا روح شريرة ، واذا استحضر الصالح روحا لا تلبيه إلا روح صالحة . ولقد وجدوا أن الأرواح الشريرة لا تلائم طباعها طباع الصالحين من الناس ولا الأرواح الصالحة العالية هناك أرواح الفاسقين هنا ، وثبت هناك أن المدار فى التخاطب على المشاكلة والتقارب فالصالحون والطالحون كل منهم لا يألف إلا أشكاله وأمثاله وأن الله عز وجل وضع نظام العالم كله لا تفاوت فيه ولا اضطراب ، فالقانون العام واحد وهو أنه لا يمنع الله أحدا عن شئ ولكن المانع انما هو تفاوت الدرجات وتباعد المراتب كما أن الملوك فى الأرض لا يخاطبون إلا المقربين اليهم ولا يتنزلون الى الشعب ، هكذا لا تخاطب الملائكة من أهل الأرض إلا من كان مناسبا فى طبعه لهم وسواء أكان ذلك باستحضار الأرواح الصناعى كما تفعله أهل أوروبا أو بتصفية النفس ، فترى السحرة الذين تركوا الامور المادية وتريضوا وهجروا الطعام والشراب أياما وأياما قد تجردت نفوسهم من هذه المادة واتجهت الى عالم الأرواح اتجاها ملائما لها ومناسبا لمزاجها فربما أخبرت ببعض الامور الأرضية التى لا أهمية لها فى رقى النوع الانسانى كفقر زيد وغنى عمرو وعلاقاتهما مع بعضهما وما أشبه ذلك مما يدعيه بعض صغار النفوس ممن ينتمون للصوفية زورا وبهتانا وبعض المتريضين لهذه الغاية وهم يدعون بأدعية اسلامية أو غير اسلامية وأسماء عربية أو سريانية أو غيرها ، كل ذلك من هذا القبيل . وربما توجهت الى أمر من أمور العالم كضر عدو فاتفق أن أصيب به ، وترى الأنبياء الذين خلقوا مطبوعين على الكمال قد قربت نفوسهم من نفوس الملائكة فهناك أمكن التخاطب ونزلت الشرائع على الأنبياء لمنفعة النوع الانسانى ، وهكذا الأولياء والصالحون والحكماء من جميع الأمم يلهمون الخير والعلم تلهمهم الملائكة ذلك للمناسبة بينهما ، فاذا سمع الأنبياء قولا أو رأوا الملائكة وهم يخاطبونهم أو ألهموا فى قلوبهم العلم ، واذا ألهم العلماء والأولياء معارف وعلوما فما ذلك إلا للمقارنة والمجانسة القريبة والبعيدة ، واذا رأينا أناسا نبغوا فى الشر والفتنة وهم قادة للشر وآخرين أقل منهم فيه فذلك لأن أرواحا شريرة تتولى الوسوسة لهم وتعليمهم علوم الشر ، والأصل فى ذلك كله المناسبة والمقارنة والمجانسة

هذا هو ماجاءت به الأرواح وعلمته الناس وذلك لاشك معجزة للقرآن فان ماتقدم عن علماء الأرواح هو معنى قوله تعالى — وماتنزلت به الشياطين * وماينبغى لهم — أفلا تعجب أيها الذكى كيف يقول تعالى — وماينبغى لهم — جل الله وجل هذا القرآن . أفلا يعجب المسلمون فى مشارق الارض ومغاربها أن تكون هذه الآيات هى ملخص علوم الأرواح المنتشرة فى أمريكا وانكلترا وفرنسا وايطاليا وألمانيا وسائر دول أوروبا ، أفلا يعجب المسلمون كيف كان إعجاز القرآن ، أفلا يعجب المسلمون كيف يقول الله — وماينبغى لهم — (ومايستطيعون ٥ إنهم عن السمع لمعزولون) أى ومايقدرون أنهم عن سمع كلام الملائكة لممنوعون ، لماذا ؟ لعدم المشاركة فى الصفات ، لعدم التقارب فى حب الخير ، وعليه اذا أحب الانسان الخير للناس وأحب العلوم ألهمته الملائكة الخير ، نعم لا يوحى اليه لأنه ليس نبيا ولكنه يلهم الخير . اللهم إنى أبرأ اليك من الكتمان . اللهم انك قد أظهرت معجزة هذا القرآن . انك قد أبنت للمسلمين صدق دينهم ولقد وفقتنى لتأليف «كتاب الأرواح» والكتاب جميعه معجزة للقرآن وللنبى ﷺ وهو كتفسير لهذه الآية وأمثالها

لقد نقلت من «كتاب الارواح» المذكور جملا فى مواضع من هذا التفسير ولأذكر الآن منه جملا لتطلع على عجائب القرآن فى العلم الحديث وتعجب كيف ظهر سر قوله تعالى — سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم —

جاء فى صفحة (٦٣) من «كتاب الأرواح» المذكور نقلا عن علماء الأرواح مانصه «سأل هؤلاء العلماء الأرواح، لماذا نرى بعض الوسطاء الصالحين ذوى الخصال الحميدة لايتمكنون من مناجاة الأرواح الصالحة «الجواب» قد يمكن أن يكون ذلك قصاصا لهم لذنوب ارتكبوها، وربما يكون ظاهر الفضيلة قد دفن تحته صفات باطنية كالكبر والعجب، إن الأرض ليس فيها كامل فالكمال انما يرجع للبواطن وليس يطرد الأرواح الشريرة إلا التقرب من طبيعة الأرواح الشريفة الصالحة» وجاء فى صفحة (١٠٩) الأسئلة الآتية

(س) هل من وسيلة لطرد الأرواح الشريرة

(ج) نعم وان أحسن طريقة لطردهم هواجتذاب الصالحة وذلك بعمل الخير واجتناب الشر واصلاح نقائصكم فبذلك تهرب الأرواح الشريرة عنكم

(س) كثير من أهل الصلاح يكونون مع هذا عرضة لازعاجات الأرواح الشريرة

(ج) ان كانوا صالحين حقا فهولهم تجربة وترويض وحث على الصلاح ولكن لاتثقوا بظاهر الفضيلة فالفضيلة شئ وذكرها شئ آخر

وجاء فى صفحة (١٢١) مانصه

(س) أى وسيط يدعى كاملا

(ج) كاملا، ياللأسف إذ ليس من كامل على وجه أرضكم ولولا ذلك ماسجنتم فيها، قل وسيطا صالحا ان قدر وجوده، على أن الوسيط الكامل لاتجسر الأرواح الناقصة أن تدنو منه لخداعه، وأما الصالح فان الأرواح الصالحة تألفه وقلما يكون عرضة لخداع الشريرة

(س) ماهى أخص الشروط الواجبة لفوزنا بتعاليم الأرواح العلوية منزهة عن الضلال

(ج) صنيع الخير واستئصال الكبرياء والتجرد عن حب الذات خاصة

ثم جاء فى جواب سؤال آخر «ان النور يضىء على كل من طلبه فمن أراد أن يستنير فليتحاش الظلمة والظلمة هى نجاسة القلب، إن الارواح العلوية لاتألف قلوبا شوّهها الكبرياء والطمع وقلة المحبة فمن طلب النور فليتضع وبالتواضع يجتذب الارواح العلوية اليه»

وجاء فى صفحة (١٢٤) مانصه «إن الروح مع علمه قد يكون تحت سلطة الرذيلة والأوهام، إن فى عالم الارض من هم فى منتهى الكبرياء والحسد والتعصب فهم لايتجردون من هذه النقائص حال مبارحتهم الحياة والرذائل تحيط بالروح بعد الموت ملتصقة بها كالهواء وهؤلاء أشد خطرا من الأرواح الشريرة»

أقول أيها الذكى اقرأ ذلك الكتاب فكفى مانقلت منه الآن ملخصا، واعجب كيف يكون ماذكرته ومالم أذكره الآن تفسيرا للآية وكيف يتضح الأمر اتضاحا وتفهم معنى قوله تعالى – إنهم عن السمع لمعزولون – لأن نفوسهم ليست خالصة من الرذائل (فلاتدع مع الله إلها آخر) فان التوحيد والاخلاص لله والتقرب له بفعل الخير مما يدعو الى قرب الروح الانسانى من الملائكة، إن تشرك بالله ولاتخلص له تسقط مرتبتك (فتكون من المعذبين) والخطاب للنبى ﷺ والقصد غيره لأنه معصوم (وأنذر عشيرتك الأقربين) الأقرب منهم فالأقرب * روى انه ﷺ لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذا فخذا حتى اجتمعوا اليه فقال لو أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقىّ قالوا نعم قال فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) لين جانبك لهم * يقال خفض الطائر جناحه اذا أراد أن ينحط (فان عصوك) ولم يتبعوك (فقل إنى برىء مما تعملون) أى تعملونه (وتوكل على العزيز) الذى يقدر على قهر أعدائك (الرحيم) الذى ينصرك وينصر كل مخلص فى عمله النافع العام (الذى يراك حين تقوم) الى التهجد والى كل صلاة والى كل دعاء وأينما كنت (وتقلبك فى الساجدين) أى ترددك فى تصفح أحوال المتهجدين. فانه ﷺ لما نسخ

فرض

فرض قيام الليل طاف تلك الليلة بيوت أصحابه لينظر مايصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع بها من دندنتهم بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن ، وتصرفك فما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود اذا أممتهم ، أمر الله النبي ﷺ بالتوكل عليه قائلا انه ينصره ويخذل أعداءه وأبان لم استحق ذلك فذكر وصفه بأنه يؤم الساجدين و يتصفح حالهم فهو امام الصالحين ومن كان كذلك تولى الله أمره (إنه هو السميع) لدعائك (العليم) بنيتك وعملك

﴿ لطيفة ﴾

جاء فى البخارى ومسلم انه ﷺ لما نزلت هذه الآية صعد على الصفا فجعل ينادى يابنى فهر يابنى عدى لبطون من قريش حتى اجتمعوا فقال انى نذير لكم بين يدى عذاب شديد فقال أبولهب تبا لك سائر اليوم ، ألهذا جمعتنا فنزلت — تبت يدا أبى لهب وتب ٭ ما أغنى عنه ماله وما كسب —

ومما جاء فى الصحاح أيضا انه ﷺ قال يامعشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيأ ، يابنى عبد المطلب لا أغنى عنكم من الله شيأ ، ياعباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيأ ، و ياصفية عمة رسول الله لا أغنى عنك من الله شيأ ، و يافاطمة بنت رسول الله سليني ماشئت من مالى لا أغنى عنك من الله شيأ . انتهى ملخصا

واعلم أن النبى ﷺ لما نزلت عليه هذه الآية ضاق ذرعا وعرف انه متى بادأهم بهذا الأمر رأى ما يكره فصمت حتى جاءه جبريل فقال يامحمد إلا تفعل ماتؤمر يعذبك ربك فاصنع لهم طعاما فعند ذلك أمر عليا أن يصنع الطعام و يملأ عسا لبنا وجمع القوم وأنذرهم وحذرهم الخ

انظر ، ألست ترى أن انذاره عشيرته الأقربين وتحذيرهم مع علمه أنهم يؤذونه و يفعلون معه كل مكروه مما يقرب الملائكة اليه ويجعله مستحقا للوحى . أليس ذكر هذا الكلام بعد قوله — وماتنزلت به الشياطين ٭ وماينبغى لهم وما يستطيعون ٭ إنهم عن السمع لمعزولون — ليكون كالبرهان على أن هذا القول وحى لأن الوحى يكون بالخير وتعليم الأقربين وغير الأقربين خير والشياطين مبعدون عن الخير أى لا يألفونه بل لا يستطيعونه ولو كان من الشياطين لكان الأمر خلاف ذلك فلا ينذر عشيرته الأقربين بل يفتح لهم باب الشهوات والمخاصمات والعداوات . أما الانذار والتعليم فليس من الطبيعة الشيطانية بل من الطبيعة الملكية فقوله — وأنذر عشيرتك الأقربين — كالبرهان على أن هذا ليس مما تنزلت به الشياطين بل هو مما يجانس طبائع الملائكة فكأنه قيل إذن كيف يكون تنزل الشياطين ، هانحن أولاء عرفنا ما يكون من وحى الملائكة فكيف يكون ضده فقال لست ممن تنزل الشياطين عليهم لعدم المشاكلة والمجانسة (هل أنبئكم على من تنزّل الشياطين ٭ تنزّل على كل أفاك أثيم) أى كذاب فاجر وهم الكهنة وأمثالهم للمجانسة بين طباعهم كما اتضح فيما نقلناه لك قريبا ومحمد ﷺ ليس كذلك فلا يصلح لتنزل الشياطين عليه ، وكيف يصلح لذلك وهم ينزلون على الكذابين الفاجرين وهو ليس كذلك بل هو منذر معلم للخير صادق ، وأما أولئك الأفاكون الآثمون من الكهنة وأمثالهم فانهم (يلقون السمع) أى أسماعهم الى الشياطين ويصغون اليهم و يتوجهون بقلوبهم اليهم فيتلقون منهم ظنونا لنقص علمهم كما جاء فى ﴿كتاب الأرواح﴾ المذكور فيضمون اليها على حسب تخيلاتهم أشياء لايطابق أكثرها ٭ وقد ورد فى الحديث « الكلمة يخطفها الجنى فيقرّها فى أذن وليه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة » ولا كذلك محمد ﷺ فالمغيبات التى أخبر بها طابقت كلها (وأكثرهم كاذبون) والأكثرية باعتبار أقوالهم لأنهم يسمعون شيأ و يزيدون عليه ، ويصح أن ترجع الضمائر للشياطين أى يلقون السمع الى الملإ الأعلى فيعرفون بعض المغيبات فيوحون بها الى أوليائهم مشوبة بالأكاذيب لنقص عقولهم وقصور أفهامهم وعدم ضبطهم وكلا المعنيين صحيح فالكهنة ومحضرو الأرواح فى أوروبا الآن يسمعون من الأرواح الصغيرة أكاذيب كثيرة فيها

بعض الصدق لنقص تلك الأرواح لأنها لاتعرف إلا بطريق الحدس والتخمين ، وهذا المعنى يؤيد رجوع الضمير للشياطين وهكذا الكهنة وأهل الرياضة قد تتصل بهم أرواح على شاكلتهم فيخبرون بأشياء ويزيدون عليها من تلقاء أنفسهم استنتاجا وهذا يوافق رجوع الضمير لقوله ـ كل أفاك أثيم ـ والحاصل أن الأرواح سواء أكانت فى حال البرزخ أم فى الدنيا متى كانت ناقصة وأرادت معرفة المغيبات فنالت حظا منه فانه يكون مخلوطا بآرائها ، فأما الأرواح العالية سواء أكانت فى الدنيا كالأنبياء أم فى العالم الأعلى فانها لاتهتم إلا بما ينفع الناس وهؤلاء لايتطرق اليهم الكذب لأن الله معهم ويؤيدهم

﴿ لطيفة ﴾

اذا عرفت هذا فاعجب كيف يظهر صدق القرآن وكيف يأتى العلم الحديث بشرح هذه الآية شرحا وافيا وانى لاأقول لك أكثر من أن أنقل اليك ماجاء فى ﴿ كتاب الأرواح ﴾ المذكور وهو ينطبق على ماجاء فى هذه الآية وأن الأرواح الناقصة تغش الناس وتخدعهم وتخبرهم بالمغيبات ، فأما الأرواح العالية فانها لاتهتم بالامور الجزئية ولاتخبر الناس بالامور الدنيوية وتحب أن ينصرف الناس عن ذلك الى العلوم والمعارف وأن لايتطلعوا لمستقبل أمورهم لأن ذلك يشغلهم ، واليك ماجاء فى الكتاب المذكور

﴿ الحديث الرابع عشر ﴾

يتوهم البعض أن الروحانية واسطة سهلة وباب رحب لكشف الكنوز واستنباء المستقبل وفتح الفال وحل المسائل العلمية الى غير هذه من دواعى الطمع وحب الأرضيات ، فدفعا لهذه الأوهام رأينا أن نذكر فى هذا الفصل خلاصة تعليم الارواح فى هذا الموضوع نقلا عن ﴿ كتاب الوسطاء ﴾ للعلم الفيلسوف آلان كاردك

(س) هل تجيب الأرواح عن كل سؤال يطرح عليها

(ج) كلا فان الأرواح الرصينة لاتجيب إلا عن أسئلة غايتها خيركم الروحى وترقيكم الأدبى

(س) هل الأسئلة الجدية هى الواسطة لابعاد الأرواح الطائشة

(ج) ليست الأسئلة التى تبعد الأرواح الطائشة بل صفات من يلقى الأسئلة

(س) أية أسئلة تكرهها الأرواح الصالحة

(ج) هى التى لافائدة منها أو يشتم منها رائحة الفضول أوالطمع

(س) هل من أسئلة تكرهها الأرواح الناقصة

(ج) لاتكره إلاالأسئلة التى تزيح النقاب عن جهلها وخداعها

(س) ماقولك فيمن يتخذون المخابرة الروحانية بابا للهو والهزل أولاستنباء أمورتهم صوالحهم الزمنية

(ج) هؤلاء تسر بهم جدا الأرواح الناقصة لمداعبتهم وخداعهم

(س) هل تستطيع الأرواح أن تكشف لنا أمر المستقبل

(ج) كلا إذ لوعرف الانسان المستقبل لأهمل الحاضر

(س) أليس مع هذا من حوادث تنبئنا الأرواح عنها وتتم فى حينها ؟

(ج) قد يتفق أحيانا أن الروح يستشعر حدوث بعض أمور يرى من الفائدة كشفها وهذا لايمنع الأرواح الماكرة من نشر النبوآت الكاذبة

(س) ماهى أخص دلائل النبوآت الكاذبة

(ج) هى التى لاتأتى بفائدة عامّة أو يكون مرجعها النفع الخاص

(س) لماذا تكون الأرواح الرصينة عند تنبئها عن أمر لاتعين زمن حدوثه

(ج) يكون هذا إما عن عمد منها أو عدم معرفة ، إن الروح يستشعر أحيانا وقوع أمر اما زمن وقوعه يكون في الغالب متعلقا بحوادث لم تتم بعد ولا يعلمها إلا الله ، أما الأرواح الطائشة فلايهمها أمر الحقيقة وتحدد الأيام والساعات من دون التفات الى صحة النبوءة وعدمها ، ومن الواجب ههنا أن أكرر عليكم القول أن غاية رسالتنا إنارة بصيرتكم وترقيكم الروحي لا العرافة وفتح الفال ، فمن أحب هذه تألفه الأرواح الماكرة ويصبح ألعوبة بين أيديها

(س) ماقولك فيمن تنبئه الأرواح بموته في ساعة معينة

(ج) هذه أرواح ماكرة لاتقصد إلا الضحك بما تسبب من الرعب لمصدقها

(س) كيف يتفق أن بعض الناس يستدلون على قرب موتهم ويحددون زمن وقوعه

(ج) تطلع أرواحهم على ذلك عند انطلاقها من قيود الجسد ويبقى فيها ذكره عند اليقظة ، فهؤلاء لايهولهم أمر الموت ولايرون فيه إلا انتقالا من حالة الى حالة أوتغيير كساء خشن بكساء لطيف ، إن خشية الموت سوف تتناقص وتتلاشى عند انتشار الحقائق الروحانية

(س) هل تستطيع الأرواح أن تطلعنا على حياتنا الماضية

(ج) تستطيع ذلك ان سمح لها الرب ولا يكون سماحه إلا لغاية جيدة مفيدة لا لفضول باطل ، وعليه لاتصدقوا نبأ كهذا إلا اذا صار بديهيا ولغاية مفيدة . كثيرا ماتحب الأرواح الماكرة أن تهزأ بالوسطاء والمؤمنين بقولها لهم انهم من أصل سام ومرتبة رفيعة فيتقبل بعضهم ذلك بمزيد الابتهاج ولايفقهون أن حالتهم الروحية الحاضرة لاتدل على المرتبة التي تنسبهم الأرواح اليها مع أن الأحرى بهؤلاء المساكين تجنبا للسخرية أن يلاحظوا أن الترقي خير لهم من الانحطاط وأن التقهقر في الكمال مخالف لناموسه تعالى

(س) إن كان لا يمكن للانسان أن يعرف شخصيته في وجود سابق فهلا يمكنه على الأقل أن يطلع على مركزه والصفات أوالنقائص التي تغلبت عليه فيه

(ج) قد يمكن كشف أمر كهذا لكونه مفيدا لاصلاحكم ولكن لاحاجة اليه لأنكم اذا تأملتم جيدا في أنفسكم تستدلون على الصفات والنقائص التي تغلبت عليكم في الحياة الماضية

(س) هل نستطيع استطلاع شيء من مستقبل حياتنا بعد الموت

(ج) كلا واياكم وتصديق شيء من هذا القبيل فانه إفك وخداع محض والدليل واضح وهو أن وجودكم المقبل سيكون نتيجة سيرتكم الحاضرة فكلما قل الدين خف الوفاء وازددتم في المستقبل سعادة وراحة ولكن أين وكيف يتم هذا الوجود ، هذا أمر لا تعرفونه إلا بعد عودتكم الى الحالة الروحية وتبصركم فيها

(س) هل يسوغ استشارة الأرواح في الصوالح الزمنية

(ج) قد يمكن ذلك في بعض الظروف وعلى مقتضى نية المستشير وصفات الروح الموجهة اليه الاستشارة ومن الواجب أن تتأكدوا أن الأرواح الصالحة لاتتواطأ قط على مجاراة مطامعكم ، وأما الشريرة فتهزأ بكم بمواعيد سرابية ماوراءها إلا الخيبة والحسرة ، ثم اعلموا أنه اذا قدر عليكم محنة فالأرواح الصالحة تساعدكم على تحملها وتخفف عنكم وطأتها ولكنهاقط لاتستطيع أن تدرأها عنكم لأن بها خيركم الروحي ونجاح مستقبلكم

(س) اذا توفي شخص وكانت مصالحه معرقلة ألايسوغ استشارة روحه في حل بعض المشاكل وهلا يكون هذا من باب العدل

(ج) لعلكم نسيتم أن الموت باب النجاة من هموم الحياة وأن الروح المعتوق من الأسر لايعاود سلاسله للتدخل في أمور ماعادت تهمه والخدمة ورثة ربما ابتهجوا بموته لما نجم لهم عنه من الفائدة المالية ؟ تقولون ان هذا من باب العدل والعدل قائم بخيبة مطامعهم وهذا بدء القصاصات التي ستنزل بهم من تعلقهم المفرط

(س) أنستطيع أن نستنبئ الأرواح عن أحوالها ومراكزها فى عالم الغيب ؟

(ج) نعم بشرط أن يكون هذا الاستنباء ناتجا عن المحبة وطلب الفائدة الروحية

(س) هل تستطيع الأرواح أن تصف لنا نعيمها أوشقاءها

(ج) نعم لأن فوائد عظيمة تنتج لكم من ذلك أخصها اطلاعكم على ماهية الثواب والعقاب ورفع الأوهام المتركبة على عقول بعض السذج من هذا القبيل واحياء الايمان فيكم وتقوية رجائكم السماوى . إن الارواح الصالحة يلذ لها وصف نعيمها والشريرة تجد راحة فى تبيان ماتقاسيه من تباريح العذاب خصوصا اذا لاقت من سامعيها عواطف الاشفاق والتأسى ، لايخفى أن غاية الروحانية هى اصلاحكم الروحى . والغرض من كل الأمثلة والمقالات التى تأتيكم هو وقوفكم على حقائق ما بعد الموت لتتجردوا من الأرضيات وتسموا وراء السماويات

(س) اذا فقد أحد من الوجود ولم يعرف أمر مصيره فهل يمكن استحضار روحه للوقوف على الحقيقة

(ج) قد يمكن ذلك اذا لم يكن الارتياب فى موته محنة قدراحتمالها على من يهمهم أمره

(س) هل يجوز استشارة الأرواح فى الصحة

(ج) نعم لأن الصحة شرط ضرورى لحسن القيام بالعمل الذى تجسد الانسان لأجله ، وانما لاينبغى استشارة أى روح كان من الأرواح لأن الجهلاء يكثرون بينهم

(س) أيحسن استشارة مشهورى الأطباء المتوفين

(ج) ليس هؤلاء المشهورون بمعصومين من الغلط وقد تتصلب فيهم أحيانا بعض آراء فاسدة لاينزعها الموت عنهم بسهولة . إن العلوم الارضية ليست بشئ بالنسبة الى العلوم السماوية وهذه لايملكها إلا الأرواح العلوية فاليها يجب أن تلجؤا فى كل أمر

(س) هل العالم بعد موته يقر بأضاليله العلمية

(ج) إن كان قد تجرد من الكبرياء وأدرك نقصه يقر بها بلاخجل والا تبقى فيه بعض الأوهام التى تركبت عليه فى الحياة

(س) هل يمكن للطبيب أن يحضر الموتى الذين ماتوا على يده ويستوضح منهم بعض الدلائل ليزداد بها خبرة ومعرفة

(ج) قد يصح ذلك وينال المساعدة من الارواح العلوية ذاتها بشرط أن يكب على درسه هذا بالاستقامة وصفاء القلب لابنية حشد المال وكسب المعارف من دون جد ولاعناء

(س) هل يمكن استرشاد الأرواح فى المباحث والاكتشافات العلمية

(ج) إن العلم هوصنع العقل ولا يكتسب إلا بالعمل وبالعمل وحده يتقدم المرء فى طريقه ، أى فضل يبقى للانسان اذا أمكنه أن يعرف كل شئ باستنباء الارواح ، ألايصبح الغبى الجاهل بهذه الطريقة عالما ؟ ثم ان لكل شئ وقتا معينا يأتى فى حينه أى عند ماتكون الافكار مؤهلة لقبوله وأما بتلك الطريقة فيقلب الانسان نظام الأشياء إذ يقطف الثمرة قبل نضجها

(س) ألاينال إذن العالم والمخترع من الأرواح المعونة فى مباحثه

(ج) إن العون لاينقصه عندما يكون أوان الاختراع قد دنا فتوافيه وقتئذ الأرواح وتلقى اليه بعض الإلهامات الفكرية فيفكر فيها هو ويشتغل بها الى أن ينتج منها الاكتشاف المقصود فيكون معظم الفضل راجعا اليه ، فاياكم إذن والزيغ عن محجة الروحانية والتطرف الى أمر لاينوبكم منه إلا الخداع والسخرية

(س) هل يمكن أن تدلنا الأرواح على الكنوز والأحافير الخفية

(ج) قد قلت لكم ان الأرواح العاوية لاتتنازل الى مواضعة مطامعكم . وأما الماكرة فتدل دائما سائليها على أماكن لاوجود لكنزفيها فيذهب المسكين عناؤه وتعبه أدراج الرياح

(س) ماقولك فى الاعتقاد بحراسة الكنوز المدعوة رصدا

(ج) إن بعض أرواح البخلاء يلبثون متيمين حول الكنوز التى طمروها فى الأرض وخوفهم على اكتشافها يكون عذابا مستديما لهم الى أن يتجردوا عن الماديات ويدركوا بطلانها اه

حينئذ قلت ياشبر محمد تأمل فى هذا الحديث . ألم تجد فيه علما جديدا فى فهم القرآن . قال وماذاك . قلت قال الله تعالى — فلما قضينا عليه الموت مادلهم على موته إلا دابة الارض تأكل منسأته فلما خرّ تبينت الجنّ أن لوكانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى العذاب المهين — فان الجنّ أيام سليمان عليه السلام بقوا أمدا طويلا مسخرين وكان سليمان عليه السلام متكئا على عصاه فلما أكلت دابة الأرض تلك العصا خرّ على الأرض فلو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا فى ذلك العذاب ولعلموا أن سليمان ميت . ولاجرم أن هذه القصة ثمرتها أن لايثق الانس بأخبار الجن . هذا هو المقصد الحقيقى منها ولقد تجلى واضحا فى هذا الحديث . ألاترى انهم لما سألوا الروح « هل تستطيع الأرواح أن تكشف أمر المستقبل » فكان الجواب «كلا . إذ لو عرف الانسان المستقبل لأهمل الحاضر» ولما سألت الأرواح « أليس مع هذا من حوادث يتنبأ الأرواح عنها وتتم فى حينها » فكان الجواب « قد يتفق أحيانا أن الروح يستشعر حدوث بعض أمور يرى من الفائدة كشفها وهذا لايمنع الأرواح الماكرة عن نشر النبوآت الكاذبة » ثم أفاد أن الأرواح الرصينة قد تستشعر بأمر يكون فى الغالب متعلقا بحوادث لم تتم ولايعلمها إلا الله فلاتقطع فى جوابها ، أما الأرواح الطائشة فلايهمها أمر الحقائق فتنشر الأخبار الكاذبة ، ولاجرم أن ذلك مغزى قصة سليمان عليه السلام وشرح ما انطوت عليه من العلم وبرهان صدق لما فيها من التوقف عن تصديق ماتلق الجن من الأكاذيب اه

ثم انظر ياشبر محمد الى قول الروح « إن بعض الناس يستدلون على قرب موتهم ويحدّدون زمن وقوعه وأن هؤلاء الذين انطلقت أرواحهم من قيود الجسد لايهولهم أمر الموت ، ألست ترى ياشبر محمد أن هذا مصداق قوله تعالى — إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألاتخافوا ولاتحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون * نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ماتشتهى أنفسكم ولكم فيها ماتدعون نزلا من غفور رحيم * ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين — فتعجب ياشبر محمد كيف يقول — تتنزّل عليهم الملائكة — ليلهموهم السرور والبهجة ويخاطبوهم ، وانظر الى قوله تعالى — ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون * لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لاتبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم — فقد قال ﷺ لما سئل عن البشرى قال « هى الرؤيا الصالحة يراها الرجل أوترى له » . وتعجب ياشبر محمد من قول الروح فى هذا « ان الطبيب اذا أكب على درسه بالاستقامة لابغية حشد المال وكسب المعارف بدون جدّ ولاعناء ينال مساعدة الأرواح العلوية » أوليس هذا من مساعدة الملائكة للمجدّين . وقد قال ﷺ ﴿إنما العلم بالتعلم وإنما الحلم بالتحلم﴾ فلاعلم بلاجد ونصب ولاحلم بلاتكلف وتصبر وجد . وقال تعالى — وان من شئ إلا عندنا خزائنه ومانزّله إلا بقدر معلوم — وقال — وكل شئ عنده بمقدار — وقد علمت فيما مضى أن الأرواح لاتخص من مضوا من عالم الأرض بل هناك من هم أعظم بل هم الملائكة المكرمون . ثم انظر قوله تعالى فى سورة النحل — الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون — ثم قال — وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة — ثم قال — الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون — أليس هذا ياشبر محمد يومئ الى مايقوله الروح هنا « إن

أرواحهم تطلع على ذلك عند انطلاقها من قيود الجسد ويبقى فيها ذكره عند اليقظة فهؤلاء لايهولهم أمر الموت ولايرون فيه إلا انتقالا من حال الى حال أوتغيير كساء خشن بكساء لطيف ، وهل يعطى من لا يستحق الحكمة ؟ كلا » ثم انظر الى قوله « فالأرواح الصالحة تساعدكم على تحمل المحنة ولكنها لاتدرؤها عنكم لأن بها خيركم الروحى ونجاح مستقبلكم » وهذا قوله تعالى — فعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيأ وهو شرّ لكم — وقوله — ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إنّ ذلك على الله يسير — وقوله — ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات و بشر الصابرين * الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وانا اليه راجعون * أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون — ثم تأمّل قول الروح « وهذا بدء القصاصات التى ستنو بهم من تعلقهم المفرط بالخيرات » وقوله « إن العدل قائم بخيبة آمالهم » فتعجب كيف كان مطابقا أشد المطابقة لقوله تعالى — ولاتعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحيوة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون — وقوله تعالى — المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا — فجعل الله المال والولد عذابا فى الدنيا وفى الآخرة لمن تعلق بهما ولم يجعلهما وسيلة لارتقاء روحه ثم جعل المال والبنين زينة الحياة الدنيا ولاخير إلا فيما بقى من الصالحات الباقيات ، وأما قول الروح « إن العلوم الأرضية ليست بشئ بالنسبة الى العلوم السماوية » فهذا قوله تعالى — قل لوكان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولوجئنا بمثله مددا — وقول الروح « لايخفى أن غاية الروحانية هى اصلاحكم الروحى والغرض من كل الأمثلة والمقالات التى تأتيكم هو وقوفكم على حقائق مابعد الموت لتتجرّدوا من الأرضيات وتسعوا وراء السماويات » هذا وكثير أمثاله يفهم من قوله تعالى — إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لاتفتح لهم أبواب السماء ولايدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط وكذلك نجزى المجرمين — ومفهومه ان الذين صدقوا ولم يستكبروا تفتح لهم أبواب السماء ، وقوله تعالى — إنّ الذين لايرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون * أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون — ومفهومه ان الذين يرجون لقاء الله ولم يرضوا بالحياة الدنيا وجعلوها لجة واتخذوا صالح الأعمال فيها سفنا ولم يطمئنوا لها ولم يغفلوا عما أودع فيها من آيات الله فأولئك مأواهم الجنة بما كانوا يكسبون اهـ

﴿ حكاية ومعجزة ﴾

ياشير محمد ، إن قول الروح هنا أيضا « إن الطبيب ينال المساعدة من الأرواح العالية » وقوله فى العالم والمخترع « انهما ينالان المعاونة من الأرواح العالية اذا آن وقت الاختراع » دال على مداخلة الأرواح فى أعمالنا عند الاستحقاق ، أليس هذا مطابقا لقوله تعالى فى سورة آل عمران — ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون * إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين * بلى أن تصبروا وتتقوا و يأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين * وماجعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم — ألا فانظر كيف رتبت الأرواح المعونة للمخترع والعالم على الجد والمثابرة وهى تطابق الآية إذ جعل مساعدة خمسة آلاف من الملائكة موقوفا على الصبر والتقوى وهجوم العدوّ ، أولست ترى أن بيان الأرواح معجزة للقرآن ، لقد كنا نسمع هذا ونكل علمه الى الله تعالى فأصبحنا نروى نظائره عن الأرواح العالية أنفسها ، وقال فى سورة الانفال — إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين * وماجعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم * إذ يغشيكم النعاس أمنة منه و ينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به و يذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم و يثبت به الأقدام إذ يوحى ربك

الى

الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرّعب - فانظر كيف أمر الملائكة أن يثبتوا الذين آمنوا وانه سيلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب ، فترى أن مقالة الروح هنا من إلهام الأرواح الأحياء ومساعدتهم وانارة بصائرهم موافق للآيات ومعجزة فى هذا الزمان فتأمّل اهـ

الكلام على الشعراء

اعلم أن الشعراء والكهنة والسحرة بينهم تشابه وتجانس ، فالشاعر ينظم القول و يفخر بأن أكذب الشعر أعذبه ، وكلما أوغل فى التخيلات وابراز الصور المشوّقة للسامع التى تجتذب قلبه وتأخذ على سمعه و بصره كان معدودا من فطاحل الشعراء ، فاذا خيل الساحر للناس صورا لاحقيقة لها وأبرز الامور على خلاف ماهى عليه ، واذا كذبت الأرواح الناقصة على بنى آدم وهى فى برزخها وهكذا الأرواح التى فى أجسامها اذا تلقفت من تلك الأرواح شيأ وزادت عليه ، فكلها فى الإفك متجانسة فليست تصلح لهداية البشر ، لذلك قال تعالى (والشعراء يتبعهم الغاوون) أى السفهاء والرواة فانهم يتبعونهم على باطلهم وكذبهم وتمزيق الأعراض والقدح فى الأنساب ومدح من لايستحق المدح ، فهؤلاء السفهاء والرواة هم الذين يستحسنون ذلك منهم و يفرحون به وأتباع محمد ﷺ ليسوا كذلك وقد قرّر هذا بقوله (ألم تر أنهم فى كل واد) من أودية الكلام (يهيمون) فهم حائرون وعن طريق الحق حائدون ، والهائم هو الذاهب على وجهه لامقصد له لأن أكثر مقدّماتهم خيالات لاحقيقة لها وأغلب كلماتهم فى النسيب بالنساء والغزل والهجاء وتمزيق الأعراض والوعد الكاذب والافتخار الباطل ومدح من لايستحق المدح والاطراء الكاذب واليه أشار بقوله (وأنهم يقولون مالايفعلون) والقرآن ليس كذلك فنتج مما تقدّم أنه ليس معناه مما تنزّلت به الشياطين ولا لفظه من كلام الشعراء ، ثم استثنى الشعراء المسلمين الصالحين الذين يذكرون الله ويكون أكثر أشعارهم فى التوحيد والثناء على الله والحث على طاعته ولايهجون أحدا إلا انتصارا ممن هجاهم فلايتخذون الهجاء إلا آلة لمقاتلة الأعداء لاطلبا للمال فليس الهجاء منهم لأغراض ذاتية بل ذلك لاصلاح الجميع باذلال أعدائهم ، فهؤلاء لما آتاهم الله قوّة الشعر صرفوها للمنافع العامّة ولم يجعلوها أداة لكسب المال كما يفعل شعراء الجاهلية وأكثر شعراء الاسلام الذين تكسبوا بالشعر فى الدولة العباسية وفى الدول الأندلسية ، فهؤلاء هم الغاوون الذين يقولون مالايفعلون

إن الشعر نور من الله كالجمال وكالحرف وكالصناعات بل ان مخاطبة الأرواح التى حدثت الآن فى العالم والاستمداد لها كل ذلك جاء امتحانا للناس فان صرفوها لشهواتهم ساءت حالهم وان استعملوها لمنفعة العموم سعدت أممهم . فالشعر والجمال والحكمة وسائر المواهب على هذا النحو فان بذلت للعموم كانت خيرا وان بذلت للصالحة الخاصة كانت شرا . ظهر الحق واستبان السبيل وتبين أن المسلمين لم يفطنوا لهذه الآية وسار شعراؤهم فى سبيل الغواية حتى كانوا هم من أهم أسباب ذهاب الدولة العربية بالشرق و ببلاد الأندلس كما سأوضحه لك قريبا لتعجب من هذه الأمة كيف نامت أمدا طويلا ولم يفطن كثير من الناس لهذا القرآن ونبذوا تعاليم حكمائهم . وسيظهر فى الاسلام جيل لم تحلم به الأرض وأمم تكون خيرمن أخرجهم الله للناس . قلت إن الله استثنى الشعراء الصالحين المسلمين وذلك قوله تعالى (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ماظلموا) فهم يجعلون الشعر كالدواء يصيب الداء أى انهم لايجعلونه مكسبا يتكسبون به كما فعل المتنبى وأبو تمام وأمثالهما ممن سيأتى ذكرهم . كلا . بل غاية الأمر انهم ينتصرون اذا ظلموا كما انتصر حسان بن ثابت بهجاء المشركين وهم كانوا بادئين (وسيعلم الذين ظلموا) بالشرك وهجو رسول الله ﷺ (أى منقلب ينقلبون) أى أىّ مرجع يرجعون اليه بعد الموت * قال ابن عباس « الى جهنم و بئس المصير » اهـ

واعلم أيها الذكي أن الأمة الاسلامية أصابها داء الجاهلية بل زادت عليها وعكف أذكياؤها على الشعر لذات الشعر والمكاسب لا لاصلاح الجمهور ولا لاقامة العدل ولا لحفظ الأمة ولا لحضها على حفظ البلاد وصيانة الإمن ومقاتلة الأعداء إلا قليلا فأثاروا الشهوات البهيمية والسبعية وأناموا الفضائل العالية والقوى العقلية فرجحت كفة الشهوات ومالت كفة المعقولات والمزايا الشريفة والامور الرفيعة فانحطت بذلك الأمة الاسلامية ، وقد وجدت أبناء بلادى فى هذا الزمان على هذا النحو وقد تركوا الأمة حبلها على غاربها ، ولأحدثك عما رأيته فى ذلك

(١) لقد رأيت وزيرا من وزراء بلادنا يتباهى بأنه محب للشعر وأمر مفتشا كبيرا من مفتشى اللغة العربية أن يشرح ديوان ابن الرومى ، وقد ظن ذلك الوزير أن ارتقاء الأمة موقوف على أمثال ذلك ، وقد صدع ذلك المفتش بأمره وشرح ذلك الكتاب وأيضا كان يحقر من شأن الديانات ولايبالى بها

(٢) قابلت شاعرا كبيرا من شعرائنا وقد اطلع على مقالة من مقالات « نهضة الأمة وحياتها » وقد كتبتها فى (جريدة اللواء) التى كان يديرها المرحوم مصطفى باشا كامل وسيأتى ذكرها وتحادث معى فى أمر المقالة فقلت له أنا لا أعبؤ بشعر شاعر الا اذا كان مما ينفع العموم . فأما ماعداه فانى أحقره ولا أعده شيأ مذكورا وقد رأيت لك قطعة فى وصف الشمس أعجبتنى فبعد ذلك رأيت لهذا الشاعر قطعا كثيرة فى المعانى الوطنية والعامية

(٣) إن فى بلادنا المصرية شاعرا كبيرا هو (شوقى بك) رأيت له مقدمة لكتاب شعره تنحو نحو المقالة المذكورة وأخبر انه عدل رأيه وأخذ ينظم شعرا لرقى الأمة بعد ما كان على طريقة أبى تمام والمتنبى . وهاك المقالة المذكورة فى نهضة الأمة وحياتها

﴿ الشعر والتاريخ ﴾

(المقالة السابعة والأربعون)

الشعر والتاريخ فنان بينهما علاقة ونسب يجتمعان ويفترقان ، يكادان يكونان طبيعة فى الانسان ، وكما أن الكهرباء سرت فى عامة الأجسام خلقت معها ركبت فى طبائعها ومقدارها يغلب فى الأجسام الحيوانية فالجواهر المعدنية ويندر فى النباتية ونحوها ، فهكذا ترى أناسا نبغوا فى الشعر وآخرين يتشبهون ويتقاربون ويتكلفون وقد يصلون ، إن شئت فقل الناس شعراء ومؤرخون ، قم واجلس فى مجالس فلاتسمع إلا قول الناس فى سمرهم ألاسعد فلان وشقى فلان وتارة يحلون المجالس بالشعر والموالى أو يذكرون تخيلا شعريا غريبا ، لم تترفع هذه عن صغرى الطبقات كما لم تتسام عنها أرقى الطبقات ثم نرى الأمم فى مبدأ أمرها تكون فى الشعر أطفالا وفى البلاغة صغارا ، يعجبهم ما كان غريب اللفظ عويص المعنى كأنهم يخضعون لماتقصر عنه طاقتهم ، فاذا أخذوا فى الرقى قليلا ماثلوا الشبان فى العقل فأحبوا الخيال والنكت البلاغية غالبا فاذا ارتقوا مالوا الى جمال المعانى واعتبروا من اللفظ رونقه ومن الخيال سبكه ونظمه وغاصوا على الحكمة وجمال المعنى . هذا ماعن لى فى درجات الشعر ، فمتى رأيت الرجل تدهشه تلك الكلمات وغرابتها فاعلم انه عامى . ألاترى أن العامة يقولون لكلام لايدرون معناه هذا فصيح اذا كان معربا وان رأيته لايقف الا عند الخيال ويعجب به فهو فى الطبقة الثانية فان مرق من الخيال الى مافيه من حكم ووازن بينه وبين الحقيقة المقصودة من التأثير فهو فى المرتبة العليا

قلنا إن الناس أجمع يميلون للشعر ويحبونه ومنهم فريق استمر فى قرضه فمدح الملوك وذمهم . فياليت شعرى لم غرست هذه الطبيعة فينا ؟ وهل مارأيناه من الذم والمدح لغلبة الشهوات كان مقصود تلك الفطرة السامية . الله أكبر وأجل أن يضع هذه الغريزة لمثل هذه الصغائر . وانظر كيف كان أبو الطيب أحمد بن عبد الصمد الجعفى المتنبى المتوفى سنة ٣٥٤ فى جهة سواد بغداد كان عظيم القدر شريف المنزلة سامى النفس

ومع هذا يقول الشعر ارضاء لشهوات النفوس . فكم مدح سيف الدولة وكم ذمّه . وكم مدح كافورا وكم ذمّه يقول فى مدح الثانى وذم الأوّل تعريضا

تجاذب فرسان الصباح أعنة * كأنّ على الأعناق منها أفاعيا

بعزم يسير الجسم فى السرج راكبا * به ويسير القلب فى الجسم ماشيا

قواصد كافور توارك غيره * ومن قصد البحر استقل السواقيا

فجاءت بنا انسان عين زمانه * وخلت بياضا خلفها ومآقيا

تجوز عليها المحسنين الى الذى * نرى عندهم إحسانه والأياديا

وهذا من قصيدة يمدح بها كافورا الاخشيدى إذ ورد عليه وأكرم مثواه فى جمادى الآخرة سنة ٣٤٦ هجرية ، ثم ذمّه بقصائد منها قوله

إنى نزلت بكذابين ضيفهم * عن القرى وعن الترحال محدود

جود الرجال من الأيدى وجودهم * من اللسان فلا كانوا ولا الجود

لايقبض الموت نفسا من نفوسهم * إلا وفى يده من نتنها عود

أكلما اغتال عبد السوء سيده * أوخانه فله فى مصر تمهيد

صار الخصى إمام الآبقين بها * فالحرّ مستعبد والعبد معبود

العبد ليس لحرّ صالح بأخ * لو أنه فى ثياب الحز مولود

لاتشتر العبد إلا والعصا معه * إن العبيد لأنجاس مناكيد

ماكنت أحسبنى أحيا الى زمن * يسيء بى فيه عبد وهو محمود

ولسنا نطيل النقل فثل هذا الشعر مع حسنه وضع فى مقام غير شريف تفرح به الأمم فى أوّل أمرها وشبابها فاذا وصلت للحكمة أبتها طباعهم ولايرون لأمثال هذا قيمة وهكذا كثير من قصائد أبى تمام والبحترى وأضرابهم يمدحون ويذمون لتلك الشهوات . وهذا لعمرك ماصرّح به القرآن إذ قال — والشعراء يتبعهم الغاوون * ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون * وأنهم يقولون مالايفعلون — فانظر كيف وصفهم بالهيام فى كل واد من أودية المدح والذم كما توحى اليهم الشهوات وتسعدهم بالمخيلات . إذن لماذا غرس الله هذه الفطرة فى نوع الانسان ؟ أجمع العلماء أن كل غريزة فينا ذات حكمة شريفة وللشعر منزلة سامية فى النفوس ، لعلّ نفوس كثير من الشعراء حادت عن الطريق المستقيم ، لعل هذه الفطرة تجنح الى وصف مانراه من جمال هذه العوالم وبهائها تصف السحاب ، تصف النجوم والشمس والقمر ، تصف الأزهار تلك الحكم الزاهرة الباهرة الشعر كهرباء الأرواح الانسانية تشع منها الى النفوس فتطوف هذه العوالم المشاهدة فتستخرج المنافع المادّية والمعنوية وتقود النفوس الى الفضائل وتبتعد بها عن الرذائل فى العوالم المشاهدة عجائب وغرائب فيها حكم وبدائع وانما يستخرجها الشعراء بقرائحهم . وانه ليعجبنى مايتغنى به شعراؤنا اليوم من وصف الكون وحكمه والتشويق للعلوم وتحبيبهم للوطن والألفة والرقى . أذلك خير أم أولئك الذين يذمون ويمدحون كأنهم للشهوات عابدون

المدح والذم صفتان عرضتا للشعراء إذ حاد الملوك عن القصد ونأوا عن الصراط السوىّ فاستعطفوهم واستجدوهم . الله أكبر . كلما مالت الحكومات عن النيابية الى الاستبدادية مال الشعر الى الأشخاص ووصفهم وكلما عدلت الحكومات اعتدل الشعر وصار ملكا للأمّة يحرّض أبناءها ويرشدهم الى المعالى . يغريهم بمكارم الأخلاق . وانى لأرى اننا لانختار من الشعر إلا ما يقوّى ارادة الشبيبة ويهديهم الى طرق الرشاد . أما شعر المدح والذم فلن يفيد إلا حسن الألفاظ وجمال الخيال وهو خال من كل فائدة . هذا هو الذى أراه فى تعليم الشعر مثاله ماقال أبو الطيب فى الحكم

هوّن على بصر ماشق منظره * فانما يقظات العين كالحلم

يقال شقّ الأمر عليه صعب، والمعنى هوّن على عينك ماشقّ عليها منظره فان ماتراه فى اليقظة شبيه بما تراه فى المنام وكأن الحياة أحلام ولم الحزن على حوادثها

ولاتشك الى خلق فتشمته * شكوى الجريح الى العقبان والرخم

وكن على حذر للناس تستره * ولا يغرك منهم ثغر مبتسم

سبحان خالق نفسى كيف لذتها * فيما النفوس تراه غاية الألم *

الدهر يعجب من حملى نوائبه * وصبر نفسى على أحداثه الحطم

ومن حكم أبى تمام الطائى حبيب بن أوس المتوفى سنة ٢٣١

خطوب اذا لاقيتهنّ رددننى * جريحا كأنى قد لقيت كتائبا

ومن لم يسلم للنوائب أصبحت * خلائقه طرا عليه نوائبا

ومن أجل ماينسب لعنترة

ولاحمين النفس عن شهواتها * حتى أرى ذا ذمّة ووفاء

فلئن بقيت لأصنعنّ عجائبا * ولأبكمنّ فصاحة البلغاء

ولأجهدنّ على اللقاء لكى أرى * ما أرتجيه أو يحين قضائى

ومن حكم أبى العلاء وهو يشهد لما قلنا

وما شعراؤكم إلا ذئاب * تلصص فى المدائح والسباب

أأذهب فيكم أيام شيبى * كما أذهبت أيام الشباب

فان كان ولابد من مدح فليكن بما عرف من فضائل الممدوح واشتهر ثم يجعل ذلك قدوة لأهل وطنه فيرجع المدح الى ترغيب الناس فى الاقتداء به وهذا كأنه درس أخلاق وماعداه فلا أمدحه ولا أرضاه . الشعر والتاريخ لايقصدان لذاتهما انما يرادان لإنماء العواطف والحض على المكارم وماعدا ذلك فنبوذ ، فالشعر الذى قصد به الشهوات يهيمون به فى كل واد ، فأما الآخر فهو ماذكره الله بقوله ــ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا ــ الخ أراد به الشعر الذى قصد به غرض شريف ونفع عام وهكذا التاريخ أرى أن يصطفى من حوادثه مايقود الشبيبة الى المنافع والثمرات ، التاريخ يراد منه إثارة الحمية والغيرة فى الرؤس ، التاريخ وصف شجاعة الشجعان وخذلان الجبان وسياسة العادل وحب صالح الوطن ورجال الأمة وعظمائهم حتى يكون ذلك داعية الى رقى الأمة والعمل لها ، وأعجب ما رأيت تلك القصص القرآنية فما رأيت حكاية قصيرة أوطويلة إلا وتخللها حكم ومواعظ وأمثال وترغيب أوترهيب كأنه يرينا كيف نعلم التاريخ كأنه يقول ليس التاريخ فنامعبودا ألا انما التاريخ آلة لنموّ القرائح وانارة العقول للغرض الذى توجه اليه الأمة ، ومتى عرى عن هذه الأغراض فانما هو من سفاسف الامور وضياع الوقت وقراءة بعض كتب الافرنج شاهد بذلك فيما يكتبون . انتهى

﴿ لطيفة ﴾

لقد تبين لك مقام الشعر وعرفت حقائق عامية فيه ، فلأبين لك آثار الشعر فى أمة الاسلام وكيف كان التمادى فى الشعر سببا فى انحطاط بعض الأمم الاسلامية نقلا عن العلامة (لويس فياردو) ترجمه صديقى عبد الحميد بك فهمى

جاء فى الجزء الثانى من تاريخ عرب ومغاربة اسبانيا وهو الدور الاسلامى ببلاد الأندلس تحت عنوان الشعر مانصه ﴿ ذكر أن العرب فى الأندلس قد بالغوا فى استعمال الشعر حتى صاروا يكتبونه فى المراسلات السياسية

وعقد

وعقد الصلح بل يخيل للانسان انهم لا يكادون ينطقون إلا بالشعر قال وكان عدد الشعراء عندهم عظيما جدا وكان حماد الراوية الذى كان فى ابتداء القرن السابع يحفظ مائة ألف قصيدة عن ظهر قلب من قصائد الجاهلية على كل حرف من حروف الهجاء غير القطع الصغيرة وأن أبا تمام كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة غير المقاطع الصغيرة والأصمعى ستة عشر ألف أرجوزة ، وكان أبوضمضم يروى أشعارا لمائة شاعر كل منهم اسمه عمرو ﴾ ونقل هو عن أحد الفرنسيين ﴿ ان بلاد العرب أنجبت من الشعراء أكثر ممن خرج من بقية بلاد العالم ﴾ ثم ذكر أن مجالس الخلفاء كهارون الرشيد ازدان بالشعراء . وذكر المتنبى وهو أبو الطيب أحمد بن الحسين ابن عبد الصمد الجعفى المولود بالكوفة سنة ٩١٥ وهو مادح سيف الدولة بن حمدان أمير حلب وكافور الاخشيد وقد تقدم سابقا ، وذكر أبا العلاء المعرّى ولزومياته وأبا تمام حبيب بن أوس الطائى المولود بالشام وكان نساجا و يسقى الماء فى الجامع بالقربة قبل أن يكون أمير الشعراء والبحترى وهو أبو عبادة ، ثم ذكر أن الشعر كان يرفع الرجل من المسكنة الى الدرجة العليا ، واستدل على ذلك بأنهم يؤرخون حوادثهم كما يؤرخون للملوك و يذكرون وفاتهم باليوم والسنة والساعة كما يذكرون وفاة ملوكهم وحجابهم ، ودخل الشعر أسبانيا مع الفتح حين دخلها موسى بن نصير وقد كثر الشعراء هناك ووقفوا فى قرطبة واشبيليه وغرناطه على أبواب عبد الرحمن الداخل وأبى عبد الله الصغير وغيرهما ، وقد كانت تجمع القصائد فى مجلدات بالدواوين فيقال ديوان الشاعر فلان ، وقد كان الخليفة الحكم الثانى هو ناشر ومنظم ديوان ابن عبدربه (أحمد بن محمد بن عبد ربه) من شعراء قرطبة وصاحب ﴿ العقد الفريد ﴾ و بعض الدواوين يحتوى على مجموعات لشعراء مختلفين مثل مجموعة أبى بكر بن داود الأصبهانى المسماة بالأزهار ومجموعات أخرى ، ثم قال إن زمن الحكم الثانى كان زمن رقى شعرى عظيم وقد اشترك أهل الأدب فى المناظرة الأدبية التى قامت بينهم على أثر مانظمه أحد شعراء قرطبه ﴿ محاسن الورد ﴾ ومانظمه شاعر آخر فى وصف المطر فتشعبت الآراء وصار القوم فريقين ، فريق يفضل هذا وفريق يريد ذاك وقد أثرت هذه المناظرة الأدبية وولدت كثيرا من النظم والنثر وقلّ أن يوجد مثل أشهر من المناظرة بين الورد والمطر مؤيدة برأى المعضدين لها ﴾ انتهى ملخصا

﴿ نتائج الغرام بالشعر والسياسة فى الأندلس ﴾

ثم قال مانصه بالحرف الواحد ﴿ غير اننا اذا فهمنا الشعر على هذه الكيفية فانه بدلا عن أن يعلى قدر الأمّة فانه يجرّها الى الذل والهوان ، ويدلنا دلالة كافية على انها قريبة من الزوال آيلة الى الانحلال فى زمن قريب بدلا من أن تمكث وتستقر ثابتة فى أوج عزها ومجدها و بعد هذا الزمن بقليل استوزر ابن عباد الثالث الشاعر (عبد الله بن زيدون) واتخذ أمير بطليوس وزيرا له (أبا محمد بن عبد المجيد بن عبدون) عند ذلك كثر تقلد الشعراء وظائف الدولة وراجت سوق الأشعار فيها حتى كانت المراسلات السياسية تكتب بالشعر ، يثبت ذلك ماكتبه ابن عباد الى الأمير يوسف والى الفونس السادس . ولما اشتغل المسلمون بذلك وألهاهم الشعر عن النظر فى أمور الدولة قام الأسبان واستردّوا مدينة (طليطله) وهدّدوا الأندلس بجيوشهم ولم يجد الأمراء ووزراؤهم الشعراء خلاصا من بطش المسيحيين بهم إلا بابا واحدا وهو الاحتماء بأمراء أفريقية فاستدعوهم اليهم وسلموا الى رئيس المغاربة مابقى بأيديهم من بقايا الخلافة العربية فكأنهم قضوا بأيديهم على تمدّنهم كما قضوا على دولتهم ﴾ انتهى المقصود منه

وانما ذكرت لك هذا أيها الذكى لتعرف نتيجة قوله تعالى ــ والشعراء يتبعهم الغاوون * ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون ــ فانظر كيف هام الأندلسيون من المسلمين فى الشعر وأوديته حتى قارنوا بين المطر والورد وتركوا الأمة وراءهم جاهلة لايعلمونها نظام الحياة ولارقى البلاد ولاالاستعداد لمقاتلة الفرنجة ، فهذا هو الهيام فى كل واد من أودية الضلال ، وهذا هو الذى عناه القرآن وهو معجزة أخرى ونتيجة سياسية لهذه الآية

﴿ خاتمة السورة ﴾

اعلم أن هذه السورة بدأها الله بالعلوم فذكر النظر فيما خلقه فى الأرض من عالم النبات وعجائبه وذكر فى قصة موسى عليه السلام ذلك النظر كما شرحناه وعممه فى الأرض وفى السماء وفى المشرق والمغرب ومابينهما وفى نوع الانسان وكذلك فى قصة ابراهيم عليه السلام من الأحوال الانسانية خلقا وهداية وشفاء الخ ثم أعقب ذلك فى القصص الخمس الباقية بالعمل بعد العلم فذم الكبرياء على الضعفاء فى قصة نوح عليه السلام وذم التعالى والتعاظم بما أنعم الله من النعم لايذاء الناس واذلالهم واهانتهم كما كانت تفعل عاد من احتقارهم للناس و بطشهم بطش الجبارين ، وذم ثمود بكفر النعم التى أنعم الله بها عليها كالبيوت المتخذة فى الجبال ، وذم قوم لوط إذ جهلوا نعم الله فى النساء بالبنين وتركوهنّ واكتفوا بالذكور ، وهكذا قوم شعيب إذ ظلموا فى كيلهم ووزنهم فرجع الأمر الى نظام البلاد باقامة العدل فى المعاملات وحفظ النسل وترك ظلم الناس وقتلهم وسفك دمائهم

هذا ملخص مافى القصص الخمس الأخيرة ، فالسورة ابتدأت بعلوم النظر وختمت بعلوم النظام الاجتماعى والحق أنه لاسعادة لأمّة إلا بالنظر فى هذا الوجود أوّلا وحفظ النظام وضبط القوّة الشهوية والقوّة الغضبية ثانيا وهذا ملخص السورة ، وختمها ببيان أن القرآن لم ينزل به على النبي شيطان وأن النبى ﷺ ليس بشاعر ثم وصف الشعراء وقد عرفت كل مايتعلق بذلك

﴿ كيف يعلم الشعر فى الاسلام ﴾

اعلم أن السورة قد ختمت بذكر الشعر كما قدّمنا وكان ابتداؤها بذكر الحكمة والعلم والنظر فى هذا الوجود كما شرحناه ، ألاتعجب من هذا النظام ، ألاتعجب أن التعليم الحقيقى يكون على هذا المنوال فقد جاء فى كتاب أميل القرن التاسع عشر ماملخصه ان العلوم الأدبية والشعرية والقصص الخيالية والخرافية تقرأ أوّلا ثم يقرأ التلميذ بعد ذلك العلوم الطبيعية كالحيوان والنبات والانسان والعلوم الرياضية كالحساب والهندسة والفلك الى آخره وذلك لأن الشعر وما معه تفتح للعقل باب الخيال ، أما العلوم العقلية فانها تصقل العقل وتهذبه . فبهذا تعرف كيف سقطت دولة الأندلس فيما تقدّم وتعرف مايجب فى المستقبل على المسلمين

﴿ فى تعليم الشعر ﴾

ليقرأ الشعر بالطريقة الحديثة بحيث يذكر تواريخ الشعراء ، وماالسبب فى هذا الشعر ، ولم كان على هذا المنوال ، وكيف كان حكم الدولة فى تلك الأيام ، وما الذى أثر فى الشاعر حتى نطق بهذا القول ، وماحال الدولة فى أيامه ، ومامدنيتها ، وفى أىّ درجة كانت من الرقى حتى يخرج الطالب من ذلك وقد كسب ملكة النقد ليرقى البلاد بآرائه . ولابد من العلوم الطبيعية كما جعل القرآن مبدأ السورة فيها فى أوّلها وفى قصة موسى وابراهيم . وكما ذكر بعد (سورة الشعراء) سورة النمل وهى من العلوم الطبيعية . أفلاتعجب من القرآن . أولاتعجب كيف سمى هذه السورة بالشعراء وأردفها بما هو من علوم الطبيعة ونظام الخليقة وبدائع الحكمة وهى (سورة النمل)

تمّ تفسير سورة الشعراء يوم الثلاثاء ١٧ من شهر فبراير سنة ١٩٢٥ م والحمد لله رب العالمين

سورة النمل مكية

(وهى ثلاث وتسعون آية ، نزلت بعد الشعراء)

﴿ وهى أربعة أقسام ﴾

﴿ القسم الأول ﴾ فى مقدمة فى الايمان وفى قصة موسى عليه السلام

﴿ القسم الثانى ﴾ فى قصة سليمان عليه السلام

﴿ القسم الثالث ﴾ فى قصة ثمود وقوم لوط

﴿ القسم الرابع ﴾ فى حكم عامة وآيات بينات فى معرفة الله واليوم الآخر . وقصة موسى وثمود وقوم لوط أشبه بإتمام للقصص فى سورة الشعراء

(القِسْمُ الأَوَّل)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طس تِلْكَ ءَايَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ * هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ * وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ * إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ * فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ * إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ ءَايَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ * فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ ءَايَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ * وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ *

﴿ التفسير اللفظى ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(طس) تقدم تفسيرها وتفسير جميع أمثال هذه الحروف فى أول بعض السور وفى أول سورة ﴿ آل عمران ﴾ وستقرأ قريبا ذكر ما يخصها هنا بإيضاح (تلك آيات القرآن وكتاب مبين) أى هذه آيات القرآن وآيات كتاب مبين فيه الحكم والأحكام والاعجاز وفى هذا الكلام عطف إحدى الصفتين على الأخرى . وقوله (هدى

و بشرى للمؤمنين) حالان من الآيات فهى هدى من الضلالة و بشرى بالجنة (الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون) الجملة الاسمية عطف على ماقبلها (إن الذين لايؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم) القبيحة فأصبحت مشتهاة لهم طبعا (فهم يعمهون) أى يترددون فيها متحيرين (أولئك الذين لهم سوء العذاب) كالقتل والأسر يوم بدر (وهم فى الآخرة هم الأخسرون) أشد خسرانا لفوت الثواب واستحقاق العقاب (وانك لتلقى القرآن) تلقنه وتؤتاه (من لدن حكيم عليم) فعلوم القرآن ﴿قسمان﴾ علم وهو يشمل الجائزات والمستحيلات والواجبات وهو يشمل القصص والأخبار والمواعظ و يشمل اتقان الفعل وهذا الأخير هو الحكمة وهى القسم الثانى وهذه تشمل العقائد والشرائع والأحكام ، ثم شرع فى بعض العلوم فقال اذكر (إذ قال موسى لأهله إنى آنست نارا) أى اذكر قصته وقوله (سآتيكم منها بخبر) أى عن حال الطريق لأنه قد ضله فى ذهابه من مدين الى مصر أى امكثوا مكانكم سآتيكم بخبر عن الطريق (أوآتيكم بشهاب قبس) على الاضافة بمعنى شعلة نار مقبوسة وشعلة النار تكون مقبوسة وغير مقبوسة ومنونا فيكون القبس وصفا للشعلة بمعنى مقبوس (لعلكم تصطلون) رجاء أن تستدفئوا بها من البرد وكان فى شدة الشتاء (فلما جاءها نودى أن بورك من فى النار ومن حولها) أى نودى بأن بورك من فى النور الساطع الذى ظنه موسى نارا أى قدس وهو الله تعالى كما قاله ابن عباس ومن حولها وهم الملائكة وموسى . ولاجرم أن الله فى السموات وفى الأرض يعلم سركم وجهركم وقد خاطب موسى من ناحية الشجرة فلاضير فيما قاله ابن عباس فى هذا المعنى وتقديس الله بمعنى تنزهه عن جميع النقائص وأحوال الخلق وتقديس موسى والملائكة بمعنى ترك الذنوب ومعصية الله تعالى ولاجرم أن الملائكة موكلون بهذا العالم فهم حاضرون فى كل مكان . ولما كان قوله ــ من فى النار ــ يوهم الظرفية الحقيقية و يوهم اشراك موسى والملائكة مع الله فى التقديس أوكثرة الخير من كل وجه أردفه بقوله (وسبحان الله رب العالمين) وهذا من تمام النداء أى تنزيه الله مربى العالمين والمربى يتعالى عن الذين هم مربوبون فلايشاركونه فى كثرة الخير ولا فى التنزيه عما لاينبغى . ثم وصف الله نفسه لموسى فقال (ياموسى إنه أنا الله العزيز الحكيم) القاهر الغالب ولست أقهر إلا لحكمة فأنا قاهر هذا العالم ولكن القهر مصحوب بحكمة فاذن قلبت العصا حية فانما ذلك لأثبت قدرتى واعجازك لما أظهرته على يديك ولكنى لاأظهر ذلك على يدى عبد من عبادى إلا لحكمة فلاأجعل مثل هذا شائعا لأن شيوعه وتداوله ينافى الحكمة بل انى أجعله نادرا ولكن جميع مايحصل فى الطبيعة انما يسير بنظام تام فهناك حكمة فى دوام النظام وهنا حكمة فى خرقه على شريطة أن يكون وقت الحاجة . ثم أبان عزته وقهره لحكمة هنا فقال (وألق عصاك) عطف على بورك أى نودى أن بورك من فى النار وأن ألق عصاك (فلما رآها تهتز) تتحرك باضطراب (كأنها جان) حية خفيفة سريعة (ولى مدبرا ولم يعقب) ولم يرجع * يقال عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار . وانما رعب لأنه ظن أن ذلك لأمر أريد به فلذلك قال الله له (ياموسى لاتخف) منى ولامن غيرى ثقة بى (إنى لايخاف لدى المرسلون) إذ لا يكون لهم سوء عاقبة فيخافون منه . أما الخوف الذى هو من شرط الايمان فهو ملازم لهم . واعلم أن الأنبياء قد يأتى بعضهم بغير الأفضل وقد يأتى بالصغيرة وموسى عليه السلام قتل القبطى ثم تاب وقال رب إنى ظلمت نفسى فاغفرلى فغفرله * وقال ابن جريج « قال الله لموسى انما أخفتك لقتلك النفس » ولذلك قال تعالى (إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم) أوالاستثناء منقطع أى لكن من ظلم من سائر الناس فانه يخاف فان تاب و بدل حسنا بعد سوء فانى أغفرله وأزيل خوفه (وأدخل يدك فى جيبك) أى جيب قميصك وأخرجها (تخرج بيضاء) نيرة تغلب نور الشمس (من غير سوء) آفة كبرص . يقول الله وأدخل يدك حال كونها آية مع تسع آيات أنت مرسل بهن (الى فرعون وقومه) فتكون الآيات إحدى عشرة المذكورتان والفلق (٣) والطوفان (٤) والجراد (٥) والقمل (٦) والضفادع (٧) والدم (٨) والطمس

(٩) والجدب (١٠) والنقصان فى مزارعهم (١١) وقوله (إنهم كانوا قوما فاسقين) خارجين عن الطاعة (فلما جاءتهم آياتنا مبصرة) بينة واضحة يبصرونها (قالوا هذا) الذى نراه (سحر مبين) ظاهر (وجحدوا بها) أنكروا الآيات ولم يقرّوا انها من عند الله (واستيقنتها أنفسهم) أى علموا انها من عندالله فهم جحدوا بها بألسنتهم واستيقنوها بقلوبهم (ظلما) لأنفسهم (وعلوّا) ترفعا عن الايمان وهما مفعولان لأجله لقوله — جحدوا — (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) فقد أغرقوا فى الدنيا وأحرقوا فى الآخرة . انتهى التفسير اللفظى للقسم الأوّل من السورة

﴿ لطيفة ﴾

انظر عجائب هذه الآيات فى (سورة طه) وغيرها مما تقدّم كالعصا والحية وكيف قلب الله العصا حية ومما أشبه ذلك قد أوضحناه فى سورة طه ، فان الله يظهر هذه العجائب كأنه يقول لعباده انظروا الأرض وما عليها تلبس ألوانا وألوانا ، يكون ليل ففجر فصبح فظهر فعصر فغرب فعشاء ، ألوان وألوان وظلمة وضياء وجمال فى النجوم ، وهذا كله تغير سريع متتابع وهناك تغير غير متتابع كالنبات وتتابع زرعه وهكذا الحيوان فالناس يعجبون من قلب العصا حية لجهلهم بصنعه فانهم لما شاهدوا تقلب النجوم والشمس والقمر وجلاييب النبات على الأرض وأنسوا بذلك صباحا ومساء أصبح ذلك عاديا لا يؤثر فى أنفسهم لجهالتهم وانما ذلك يؤثر فى نفوس العقلاء والحكماء ، ولكن لما رأوا العصا قد قلبت حية عجبوا من فعل ربهم وذكروه . هذه هى الحكمة فى ظهور أمثال هذه الخوارق

﴿ بهجة العلم فى بعض أسرار — طس — ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(هذا ذكر بعض أسرار الطاء والسين فى هذه السورة)

اعلم أن الله عزّ وجل — الذى خلق أرواحنا من أجمل الأنوار وأبهج الجمال قد أنزلها فى هذه الأرض واستقرّت فى الطين ولصقت به فوصمت بالجهل حتى لا تعلم فلذلك أخذ يعلمها الله ليرجعها الى مقامها الأوّل

نقل فؤادك ما استطعت من الهوى ✽ ما الحب إلا للحبيب الأوّل

لهذا أخذ ينزل لها العلوم إما بالوحى واما بالعقل والحكمة ، والوحى مبدأ والحكمة النهاية وكلاهما منه تعالى ، وهاهوذا سبحانه أخذ فى أمثال هذه السورة يعلمنا كما يعلم الاستاذ تلميذه بالبسائط قبل المركبات وبالجزئيات قبل الكليات فابتدأ يقول لنا (طاء . سين) وهذان الحرفان لا يفهم القارئ منهما معنى لأنهما حرفان لا معنى لهما . ولقد تقدّم شرح هذا المقام بأوفى بيان فى سورة (آل عمران) فهناك تجد العجب العجاب ، ولكن نحن هنا نريد ما يخص هذه السورة من المقصود من الطاء والسين . اننا ذكرنا فى سورة (آل عمران) من المعانى التى تختص بالألف واللام والميم مابه يستيقظ المسلمون النائمون الى حوز مجدهم وشرفهم وأن هذه الحروف موقظة هناك الى قصة اليهود المبدوءة بالألف واللام والميم وهذه القصة تفيد انهم قد اتكلوا على شفاعة آبائهم وعلى أنهم لا يدخلون النار إلا تحلة القسم كما وعد الله يعقوب بالنسبة لأبنائه أوانهم لا يدخلون النار إلا أربعين يوما عدد أيام عبادة آبائهم العجل ، وهذا الاتكال الذى ادّعوه جعلهم يستحلون المحرمات وينكرون الأحكام الشرعية ويكتمون ما أنزل الله حتى قالوا إن التوراة ليس فيها الأمر برجم الزانية والزانى ، وهذا الاتكال أوقعهم فى النكال فأزال الله ملكهم وحلّ المسلمون بساحة بلادهم وملكوها ، وقد بينا هناك أن هذه الحال بعينها هى التى حلت بالأمم الاسلامية اليوم سواء بسواء وانهم اتكلوا على شفاعة الشفعاء من شيوخهم وعظمائهم وناموا جهلا بمعنى الشفاعة وبعدا عن معرفة الحقائق فلم يقدروا أن يفهموا ماهى الشفاعة ولا ماهو

الواجب فوقعوا فيما وقع فيه اليهود من ضياع ملكهم وذهاب مجدهم فاتخذوا الشفاعة التي هي حق وصدق لاشك فيها سببا فى الجهل والكسل والظلم والنوم على فراش الراحة الوثير وهدموا الدين هدما . إذن هم ذكروا حقا وأرادوا به باطلا وأضلّ الله كثيرا منهم على علم . إذن ــ الم ــ فى سورة (آل عمران) يراد بها ارتقاء المسلمين اليوم وخروجهم من الظلمات الى النور ومن الغرور المذكور فى قوله ــ وغرّهم فى دينهم ما كانوا يفترون ــ الى الحقائق ومعرفتها ، وهناك بيان أنواع المغرورين فى زماننا وبيان الطريق التى يسلكها المسلمون للخروج من هذا الغرور فاقرأه هناك فانه شاف واف . هذا ملخص ماهناك مجملا

فلننظر هنا فى الطاء والسين ، فهل فيهما معان كالتى هناك ؟ أقول نعم فيهما وفيهما ، ههنا حضر صديق العالم الذى اعتاد أن يناقشنى فى المسائل الهامّة فى هذا التفسير . وقال إن هذا الملخص الذى ذكرت أنه فى (سورة آل عمران) لم تأت فيه بتمام الغرض هنا ولكن الاطلاع عليه فى المفصل هناك يكفى اللبيب انما الذى يهمنى الآن أن أعرف هل ــ طس ــ فيها معان تفيد الأمم الاسلامية كالتى تقدمت فى (آل عمران) فأجبته نعم تضارعها وتشرح الصدور . فقال وماهى تلك المعانى . قلت انظر وتعجب . إن هذه السورة تشتمل على

(١) حديث سليمان والطير والنمل و يدخل فى أمر الطير مسألة بلقيس وعرشها . ولاجرم أن ذلك يدعو ﴿ لأمرين ﴾ ارتقاء العلوم وارتقاء النظام السياسى فى الأمم

(٢) وعلى أن صالحا اطير به قومه فوكل الأمر لله فنصره

(٣) وعلى أن لوطا نصر إذ آذاه قومه

(٤) وعلى نتيجة ذلك كله وهو وصف الله بجمال خلقه فى قوله ــ قل الحمد لله وسلام على عباده ــ الخ ثم الأمر بالسير فى الأرض و بقية النصائح

هذا ملخص السورة ، علم الله قبل أن يخلق الخلق و ينزل القرآن أن المسلمين سينامون نوما عميقا . لماذا ؟ لأن العرب لما فتحوا البلاد تفرّقوا فيها ولما تفرّقوا نسوا مجد آبائهم لما أسكرتهم خمرة الانتصار وطال عليهم الأمد وقست قلوبهم وصاروا مترفين . مع أنهم هم الذين علموا الأمم وهم الذين رقوها وهم الذين نقلوا علم اليونان وهم الذين سلموا ذلك العلم الى أوروبا فأحاطت بهم الأمم من كل جانب وهم نائمون فقال الله لهم ــ طس ــ وهذان الحرفان أشبه بطلسم مكنون يقرؤه الناس جيلا بعد جيل وزمنا بعد زمن وسلمه الآباء للأبناء وهذا زمان المعرفة والعلوم ، هذا زمان استيقاظ المسلمين من العرب ومن تلك الأمم التى أيقظها العرب الفاتحون ، ولما نام العرب ناموا أجمعين ثم رجعت أكثر الأمم التى ليست بعربية الى أنفسها فعقلت واستردّت بعض مجدها ولكن ــ طس ــ يراد منها أن توقظ أمم العرب وغير العرب بادراك بعض سرّها فى هذا التفسير فقال صاحبى فبين لنا ماهذا السرّ الذى قدّمت له هذه المقدّمات . فقلت انظر الى (الطاء) ألست تراه فى لفظ (الطير) ولفظ (أحطت) و (تحط) فهى أوّل كلمة طير وآخر كلمة أحاط وتحيط . قال بلى . قلت انظر الى السين ألست تراه فى أوّل لفظ سليمان . قال بلى . قلت هذا هو مفتاح العلم فى هذه السورة ، فالطاء والسين هما مفتاح الرقى للأمم الاسلامية وكأن الطاء قفل وكأن السين مفتاح كالمفاتيح المعتادة فى بلادنا . قال نعم . قلت فاذا اجتمع القفل مع المفتاح وأدخل فيه فتح الباب . هكذا هنا اجتمعت السين مع الطاء ففتحت خزائن العلم . فقال صاحبى أريد أن أرى هذه الخزائن . فقلت ههنا للعلم ﴿ خزانتان ﴾ خزانة العلم وخزانة السياسة

اللهم إنى أحمدك على نعمة العلم . اللهم لامعلم إلا أنت . « اللهم لامانع لما أعطيت ولامعطى لما منعت ولارادّ لما قضيت ولاينفع ذا الجدّ منك الجدّ » . اللهم إن القلوب بيديك والفتوح منك فلاحول لنا ولاقوّة إلا بك أنت . أنت الذى ألهمتنى هذه المعانى فلأقولها للمسلمين . اللهم إن سليمان نبيك كلم الطير ولم يكن ذكر ذلك فى كتابك لمجرّد حكاية تحكيها عن سليمان لنفرح بها ونحن جاهلون أولنتباهى بغيرنا ونحن مجرّدون . كلا

إن القرآن ذكر مبارك والذكر يتبعه الفكر كما قلت ـ الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ـ . فههنا يفكر المؤمن فى أمر سليمان وأمر الطير فيقول إن الطير يقول لسليمان أحطت بما لم تحط به فوالله ما كان علماء الأمم البائدة من قدماء المصريين والآشوريين والبابليين ولاعلماء الأمم الحاضرة من الأمم الغربية بأقل علما من الهدهد الذى يقول لسليمان ـ أحطت بما لم تحط به ـ ولانحن بأغزر علما من أنبياء الله تعالى فليس لنا حق أن نتبرأ من علم الأمم أوأن نجهله بل نضرب فى كل علم بسهم ويكون منا لكل علم قوم نابغون فيه ، فلو انا تكبرنا على علم منها لكان سليمان أولى بالكبرياء على الهدهد ، فلانحن أعلم من أنبياء الله ولاعلماء الأمم بأضعف من الهدهد . ولقد ذكرت هذا المعنى فى سورة (يونس) عند تفسيرقوله تعالى ـ فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية ـ ورسمت لك هناك صورة منطقة فلك البروج المنقولة عن قدماء المصريين المرسومة على صندوق موتاهم ، وعجبت كل العجب أن يكون علم الفلك مرسوما ملخصه على صناديق أموات قدماء المصريين ، ونرى أن جميع الأمم الاسلامية من مصريين وغيرمصريين لم يحط أحياؤهم بهذا العلم ، إن الله جعل هؤلاء لنا آية ، يقول لنا هؤلاء الأموات رسمت على صناديقهم عجائب سمواتى فكيف كان أحياؤهم إذن ؟ واذا كان الأموات يشرفون بجمال سمواتى وبهجة علوى فكيف بأحيائهم ، وهل يصح منكم ذلك يامعشر المسلمين الذين أرسلت لكم خاتم الأنبياء وجعلتكم رحمة العالمين أن تكونوا أجهل أمة فى الأرض ويكون الأموات من الأمم السابقة أحرص على جمال نظامى ونقوشه وبدائع كواكبى من أحيائكم وأنتم مسلمون ، ألاساء مثلا القوم المغفلون الجاهلون

أهل مصركأكثر بلاد الاسلام ليسوا مغرمين بجمال علم النجوم وقد دفنت تحت أرجلهم أمم كانوا قبلهم وهذا العلم مرسوم على صناديقهم وهاأناذا أبرزه لهم اليوم وأقول ـ وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون ـ هـذا هو بعض ما جاء فى (سورة يونس) مع بيان أن علماء قدماء المصريين ليسوا أقل من الهدهد بل هم أشرف منه ولاأمم الاسلام بأرفع مقاما وعلما وقدرا من سليمان فاذا تنزّل سليمان الى سماع الهدهد أفلايسمع المسلمون كلام العلماء . فقال صاحبى هذا حسن وقد تقدّم ولكن هذا كله أشبه بمقدمة ويظهرلى أن هناماهو أجل من هذا وأبين . فقلت نعم هنا ﴿ أربعة فصول ﴾

﴿ الفصل الأوّل ﴾ فى أن الأمراء ورؤساء العشائر يجب عليهم مراعاة صغيرات الامور ككبيراتها

﴿ الفصل الثانى ﴾ فى أن الطيور وسائر الحيوان معلمات للانسان فى الحال والاستقبال نماذج تعليمه

﴿ الفصل الثالث ﴾ فى أن هذه المخلوقات الحيوانية فيها مضار ومنافع لابد من علمها لرقى الانسانية

﴿ الفصل الرابع ﴾ فى أن قصة بلقيس تذكرة للعرب قد دخلت فى حديث الهدهد وفيها تقريع لأبناء العرب عموما ولأهل اليمن خصوصا إذ هم فى بلاد كانت لها مدنية مع وثنيتهم لم يصل لها المسلمون الحاليون مع جلالة قدر دين الاسلام

﴿ الفصل الأوّل فى أن الأمراء ورؤساء العشائر يجب عليهم مراعاة صغيرات الامور وكبيراتها ﴾

اعلم أن الله عزوجل لما أطلعنا على رقه المنشور وكتابه المفتوح وهى الطبيعة التى درسناها ألفيناه لم يفرق فى الرحمة والعناية والحفظ بين الكواكب فى مداراتها والحشرات فى مخابئها بل وجدناه أعطى النمل من الأعين وعددها مالم يعطه للجمل والفيل . جعل الله للكواكب مدارات منظمة بحساب متقن ولكنه لم يذر الذرات والحشرات الصغيرات الضعيفات بلاحساب ولاعناية بل أعطاها كل ماتحتاج اليه . إن الانسان الذى يوقن بهذا قد دخل أبواب الجنة فعلا فى هذه الدنيا . هـذا هوالذى رأيناه فى عمل الله فانظر الى عمل نبىّ من أنبيائه وهوسليمان عليه السلام ، فانظرماذا فعل ؟ تراه يعاشر الوزراء ويدبر الملك ولكنه فى الوقت نفسه لم يغفل عن النملة فى مسكنها والهدهد فى الهواء فهو يكلمهما ويتفقد الطير ويهدّد الهدهد ويستمع جوابه ويقبل منه

القول الحسن ويعمل بقوله ويسمع مخاطبة النملة ويتبسم ضاحكا من قولها . إذن هو كلام الوزراء وأدار الملك وتنزل الى النمل فهو إذن فى عمله نموذج لفعل ربه ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ يعنى انه يجب علينا نحن المقصودين من هذا القول كله أن نلاحظ مادق كما نلاحظ ماجل" وتتفقد كل صغير وكل كبير فى عملنا كما يتفقد الأب جميع أبنائه بل يتفقد الصغير أكثر مما يتفقد الكبير كفعل الله إذ أعطى النملة من الأعين كما سيأتى فى هذه السورة مشروحا مالم يعط الجمل والفيل وذوات الأربع عموما . انتهى الفصل الأول

﴿ الفصل الثانى فى بيان أن الطيور وسائر الحيوان معلمات للانسان فى الماضى والحال والاستقبال ﴾

وذلك ظاهر فى (سورة طه) عند قوله تعالى — قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى — فهناك ترى أربعين نوعا من الصناعات استقلت بها الحيوانات قبل خلق الانسان فتعلمها الانسان كالبناء وصنع الورق والسراديب والغزل والنسج وما أشبه ذلك فراجعه تجده مشروحا ، وآخر صناعة نقلها الانسان من الحيوان مسألة الطيارات التى تطير فى الجو ولاترتفع إلا الى خمسة أميال فقط مع انها تجرى مئات الأميال حول الأرض ولكن ارتفاعها محدد ، فهذه الصناعة لم يهتد لها الانسان فى زماننا هذا إلا من الطير كما تقدم فى سورة المائدة عند ذكر الغراب وأن الله بعثه ليرى الانسان كيف يدفن موتاه ، إذن الانسان تلميذ الحيوان . واعلم أن علم الحيوان وعلم النبات وعلم المعادن وعلوم الكائنات يجب على الناس أن يقرؤها قبل قراءة جسم الانسان وقراءة علم نفسه وعلم سياسته لأن هذه مخلوقات قبله ومقدمة عليه طبعا فوجب تقديمها صنعا فان نظام الله اذا روعى ترتيبه كان أقرب الى الرقى كما قال (اسبنسر) فى تعليم اللغات ﴿ انه يجب أن يبدأ المدرس بالتكلم ثم يتبعه بالكتابة لأن الناس هكذا تكلموا ثم كتبوا ﴾ فهكذا نقول هنا هذه العوالم خلقت قبل أن يخلق الانسان فلتدرس قبل أن يدرس الانسان نفسه ويدرس عقله لأن الحيوان أقل تركيبا من الانسان فهو كجزئه والجزء يدرس قبل دراسة الجميع ، ولهذا عنيت الأمم بقراءة تلك العلوم عناية تامة . هذا من معانى قول الطير لسليمان — أحطت بما لم تحط به — فكل طير وكل حيوان مخلوقات قبل الانسان فعلمها اسعاد له وكل علم عرفناه عن الحيوان علم بناحية من نواحى الانسانية العامة . انتهى الفصل الثانى

﴿ الفصل الثالث فى أن هذه المخلوقات الحيوانية فيها مضار ومنافع لابد من علمها لرقى الأمم ﴾

لقد تقدم فى أول (سورة الفرقان) كلام عام عند قوله تعالى — وخلق كل شئ فقدره تقديرا — ومما ذكر هناك السمك الكهربائى فى البحر والحيوان الصدفى الذى يدير سفينته فوق سطح البحر والعنكبوت التى تتخذ لها سفنا فوق سطح البحر بشبكتها وطيارات فى الجو جوالات بها تصطاد الحشرات وتسير فى الجو وأن هذه الحشرات وأمثالها جعلها الله أمثالا لنا ولذلك قال — وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون — وقال فى آية أخرى — فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين — فهذه جعلها الله آيات مفصلات ، فالقمل آيات مفصلات والدم آيات مفصلات والطوفان آيات مفصلات وقد مر" ايضاح أكثرها ومعرفتها هناك

يعجب المسلم حين يسمع أن الضفدع والدم آيتان ، واذا جعل الله الشمس والقمر آيتين فكيف يجعل القمل مثلا والدم آيتين . إذن الشمس والقمر كأقل الحشرات كلاهما من آيات الله

الله أكبر ، جل" الله وجل" العلم ، هذه من آيات الله فهى منذرات . إنك ترى فى (سورة الفرقان) أن البراغيث اللاتى هن" أخوات النمل رسل وسفراء بين الفيران و بين الانسان فاذا حل" الطاعون بساحة الفيران وساء صباحها وماتت جموعها حملت البراغيث هذا الداء من تلك الأجسام المطعونة الى أجسام الانسان فوضعت فيها جراثيم الطاعون ثم ينتقل من زيد الى عمرو ويسرى فى الناس سريان البرق فى الظلماء . وقد تقدم هذا وكيفية الاحتراس منه فلانعيده ، ولسنا نحن هنا فى مقام المداواة من الأمراض ولكن نحن فى مقام العلم

والحكمة

والحكمة العاقين فشرح الأمثال الجزئية تذكرة وتبيانا للقواعد الكلية . إذن لابد من دراستها فهي آيات مفصلات فصلها الله بعمله قبل أن يخلق الانسان ويخلق أنبياءه ويوحى اليهم فيدل بنى آدم بالوحى للأنبياء على ما كتبه فى هذا اللوح المنشور فيسمع الناس القول فيتبعونه بالعمل

هذا هو السر فى أن الأمم حولنا يدرسون كل حشرة وكل طير ليحترسوا من الهلاك ويجتنوا الثمرات . إن الانسان لايخطر بباله يوما ما أن البرغوث مهلك بالطاعون للانسان ولكن العلم اليوم أثبت ذلك كما أن هناك جراثيم حية لاحد لعددها تمرض الانسان بأنواع الأمراض المختلفات — وما ربك بظلام للعبيد — وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم بالجهل بمصنوعاتنا ، وكلما كانوا أكثر جهلا كنا أكثر اهلاكا لهم لأنهم لو درسوا ما حولهم لأجل حفظ أجسامهم ورقى مدنهم لانتهوا الى ادراك جمالنا وقدرتنا وحكمتنا ، فاذا أمرنا الناس بالنظر فى مصنوعاتنا لتوحيدنا وشكرنا فمعناه انهم لايصلون للحقائق المعرّفة بنا إلا بعد أن يكونوا قد أتموا دروس علوم الحياة التى تنفعهم فى دنياهم ، فالمنافع الدنيوية أشبه بجسر يمرّون عليه لمعرفة جمالنا وانما فعلنا هذا النظام لنميز الخبيث من الطيب والذكىّ من البليد لأننا اذا تركنا الانسان ولم نوقظه أهلكته البطنة وسوء الملكة فيكون من المترفين والمترفون مذمومون إذ جاء فى التنزيل — انهم كانوا قبل ذلك مترفين — فجعل الترف هو السبب فى عذابهم فى جهنم ، فمن رحمتنا أن جعلنا ماله وولده والحشرات المحيطة به عذابا له ليعمل وليحترس من الهلاك ويجدّ ويجتهد فلايحتقر البرغوث والقمل ويقول ماضررهما فنقول له

* أطرق كرا إنّ النعامة فى القرى *

ادرس البرغوث وادرس القمل وادرس الطير والا أذقناك أيها الانسان العذاب وسلطنا عليك جنودنا فأهلكناك ، ولولا أننا أعنا هذا الانسان لهلك . ألم تر الى أمة اليابان ، تلك الأمة الشرقية أنها سبقت الشرق كله الى الرقى . لماذا ؟ لأن بلادها خلقت معرضة للبراكين فهى أبدا على حذر وخوف لذلك ارتقت قبل أهل مصر الذين اشتركوا معهم فى اقتباس المدنية فسبق الأوّلون الآخرين واحترمتهم الأمم وانما تأخر المصريون (أهل بلادى) لأنهم آمنون عندهم ما يكفيهم من القوت والملابس ولا زلازل ولا براكين عندهم فاكتفوا بما عندهم — وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن —

فالله لم يرسل المنذرات من الحشرات والجنود المجندات على هذا الانسان إلا لإيقاظه وارتقائه ، وهذا الانذار لايعرف إلا بالعلم وهذا هو سرّ قوله تعالى — وتلك الأمثال نضربها للناس ومايعقلها إلا العالمون — فالعلماء بهذه الحشرات والحيوانات هم الذين بهم ندرك لماذا خلقت وبماذا نحترس منها مع أن أكثر المسلمين حين يسمعون الله يذكر الهدهد ويذكر النمل ويذكر العنكبوت يقولون فى أنفسهم — ماذا أراد الله بهذا مثلا — وهذا هو العجب أن يكون أسهل الأشياء عند الجهال أصعبها وأعظمها عند العقلاء * قال الشاعر

لا يعرف الشوق إلا من يكابده * ولا الصبابة إلا من يعانيها

هذا هو بعض سرّ الطاء والسين فى أوّل هذه السورة ، فالسين من سليمان والطاء من الطير ومن أحطت ومن تخط يشيران الى ماذكرناه من هذه المعانى ، وكأنما السين كما قدمنا قريبا مفتاح والطاء قفل بحسب شكلهما واجتماعهما وقد أفاد أن سليمان الذى أوّل حروفه السين يشير للعلم لأن الله يقول فى هذه السورة ولقد آتينا داود وسليمان علما — فالعلم المشار له بسليمان هو المفتاح الذى يفتح به قفل الطلاسم فى الطير المشار له بالطاء فكأن الطير طلسم وهكذا كل الحيوانات والعلم حل له ويرمز له بسليمان أوقفل ومفتاح بحسب ظاهر الشكل ، فالحمد لله على العلم والحمد لله على الالهام والانعام . انتهى الكلام على الفصل الثالث والحمد لله رب العالمين

﴿ الفصل الرابع فى أن قصة بلقيس تذكرة للعرب وقد دخلت فى حديث الهدهد ، وفيها تقريع لأبناء العرب عموما ولأهل اليمن خصوصا إذ هم قد ورثوا بلادا كانت لها مدنية فى وثنيتهم لم يصل لها المسلمون الحاليون مع جلالة قدر دين الاسلام ﴾

اعلم انى أكتب هذا الآن وأنا من أبناء العرب وأحس بأننا قد وصل ديننا أطراف الأرض بجد آبائنا وسعيهم فتفرقنا ونسينا كل علم وكل حكمة إلا قليلا فذكرنا الله برجل اعرابى يسمى ذا القرنين إذ بلغ مشرق الشمس ومغربها وقد تقدم فى (سورة الكهف) وهكذا هنا هذه ملكة فى اليمن تعبد الشمس وعندها الشورى فحكومتها حكومة ملكية مقيدة أشبه بمملكة الانجليز الآن من حيث نظام الملك فجاء فى هذه القصة هنا أن لها عرشا وأن لها ملكا ضخما وأن لها مجالس للشورى وتدبيرا للملك فهل يسمع هذا أبناء العرب فى اليمن فيتحدوا مع الأمراء والملوك ويرجعوا للأمة مجدها وعزها وعظمتها ويتفكرون فيما لليمن من مجد تالد وعز قديم ، وكيف كان الماء النازل من السماء لايترك سدى بل كان له سدود تحفظه وتحبسه بعلم الهندسة والحساب ونظام الدولة الجليل إذ القوم كان عندهم علم وحكمة فعمروا بلاد الله فعاش بها عباد الله فلما غفلوا أرسل الله عليهم سيل العرم وبدلهم بجنتيهم الجنتين المغدقتين عليهم النعم بجنتين لامنفعة فيهما وليس فيهما إلا الثمار المرة والعبل وقليل من النبق ورجعت البلاد كما كانت جزاء تقاطعهم وتدابرهم

هذه تذكرة للمسلمين فى (سورة سبأ) وبالأخص تذكرة لأهل اليمن يقال لهم يا أهل اليمن ألستم ترون الأمم حولكم أقوى منكم بأسا وترون طياراتهم تحيط بكم وأسلحتهم وجنودهم المرسلات من أوروبا لبلادكم . إن هذا لتقصيركم وقصوركم لأنكم أعرضتم عن الحكمة والعلم ، فاقرؤا كل علم وكل فن يا أبناء العرب عموما ويا أهل اليمن خصوصا فالمجد الذى ضاع من أبناء العرب عموما لغفلتهم عن معرفتهم جميع العلوم وهكذا أهل اليمن والحمد لله رب العالمين . انتهى صباح يوم الأحد (٧) اكتوبر سنة ١٩٢٨

﴿ سر من أسرار النبوة المحمدية قد ظهر فى الطاء والسين ﴾

اللهم لك الحمد ، أنت المنعم الملهم المعلم ، سبحانك اللهم وبحمدك ، أنت أرسلت محمدا ﷺ وجعلته آخر الأنبياء وأنزلت عليه هذه السورة . ومن عجب أن النمل له شبه بالانسان فى حربه وأسراه ومنازله كما ستراه موضحا فيما يأتى . سيأتى قريبا أن سليمان تبسم ضاحكا من النملة لما سمعها تنذر قومها ، وهذا دلالة على أن للنمل جماعات منتظمات وهذا ستراه مفصلا كما قلنا ، وبعد ذلك تفقد سليمان الطير ومنه الهدهد وبالهدهد عرف أمة سبأ وقد جاء فيها أن ملوك الأرض ظالمون وأعقب ذلك قصة أخرى تفيد أن بيوت الظالمين مخربة وهذا من أسرار النبوة . إن النبى ﷺ أنذر المسلمين وحذرهم من غوائل فتح البلدان فى حديث البخارى إذ قال لهم « إن أخوف ماأخاف عليكم مايفتح عليكم الخ » وهذا الحديث تراه موضحا فى أول سورة الأنفال إذن فتوح البلدان يستوجب نوم الأمم الفاتحة إذ يعيشون بكسب غيرهم وهذا هو الظلم ومتى ظلموا انحطت مداركهم فخربت بيوتهم . ذلك هوماتخص مايأتى ﴿ ظلم فخراب ﴾ هذه حال الانسان . وذلك كله جاء بعد ماتفقد سليمان الطير فتفقده للطير أوصله الى (سبأ) وفيها جاء ذكر ظلم الملوك الأمم فتخوى بيوتهم بما ظلموا والتفقد المذكور من سليمان للطير وفيهما السين والطاء وهما الحرفان الأولان من الاسمين اللذين جاء بينهما التفقد المنتج لما ذكر كما سيأتى ايضاحه فى أثناء تفسير هذه السورة فى ايضاح بعض أسرار هذين الحرفين

فانظر لحال النمل فقد جاء فى الأخبار العلمية اليوم أن الأمم النملية التى تعيش من كسب الأسرى يعتريها الانحطاط فالانقراض . واليك ماجاء فى « مجلة الجديد » بهذا النص

﴿ أكبر الجماعات فى الكائنات الحية ﴾

يقرر علماء التاريخ الطبيعى أن أكبر الجماعات فى الكائنات الحية لاتوجد إلا فى النمل والجنس البشرى

ويعتبر

ويعتبر علماء الاجتماع أن أكبر الجماعات البشرية (ثلاث) الامبراطورية البريطانية يبلغ عددها ٤٦٠٫٠٠٠٫٠٠٠ نسمة والصين وسكانها ٤٢٠٫٠٠٠٫٠٠٠ نسمة والهند وبها ٣٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ نسمة . ويقدر علماء التاريخ الطبيعي أكبر جماعات النمل بنحو ٥٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ نملة في الجماعات الواحدة ، وذلك لأن النملة حيوان اجتماعي فتوجد بين النمل النظم الاجتماعية التي توجد عند الانسان بشكل يتفق مع تكوين هذه الكائنات الصغيرة فهنالك الجنود والعمال من جميع الأنواع والأرقاء والأسرى . والعجيب أن الرق في أمة النمل مثله بين الجنس البشري يؤدي الى انحلال السادة وتدهورهم لأنهم يكفون عن العمل ويدعون أرقاءهم يقومون لهم بكل شيء فتنحط قواهم ومداركهم انتهى

والأمم لما ظلمت انحلت قواها فخربت بيوتها فتشابه النمل والانسان في الظلم والخراب وهذا من عجائب القرآن وبدائعه فيجب أن يكون الناس أرقى من النمل وأن يكونوا أمة واحدة أي متضامنين وكل له عمل ومن لا عمل له يعاقب

أقول إذن ثبت هنا أن الانسان العظيم القدر الكبير العقل لم يزل مدنية أعلى من مدنية النمل ، فمجموع الانسانية (حتى المزيفة منها بالاستعمار) لم تزد على جماعات النمل ، وأيضا اذا حكمت أمة من الناس أمة أخرى استعملتها خادمة لها وانحطت هي ، وهذه نفسها سليقة النمل وهي سليقة سافلة منحطة . إذن ثبت أن هذه الانسانية التي نعيش فيها انسانية حقيرة يزدريها العقلاء من نوع الانسان

أيها الناس ، أيها العقلاء ، أيها الشرقيون ، أيها الغربيون ، أيها الأمريكيون ، أهذه انسانيتكم ، أهذه هي الانسانية ، انسانية والله دنيئة حقيرة ، ولكن لا لوم إلا على ذوي العقول الكبيرة فيكم ، أكبر جماعة فيكم لم تزد على جماعة النمل مع ان النمل ليست عندها طيارات ولا بريد ولا تلغراف ولا مخاطبة بالتلفون وأنتم يا أهل الأرض بينكم تواصل ويعرف الشرقي منكم الغربي وكل منكم محتاج الى الآخر فاذا بقيتم على سياسة النمل فأنتم قوم أضل من الأنعام ، ثم لماذا تتكلون على الأمم المحكومة اذا حكمتم الناس فأنتم بهذا تنيمون أبناءكم على بساط الراحة فيذلون بالكسل والبطالة وتميتون الأمم المحكومة باذلالها ، صدق الله — قتل الانسان ما أكفره — إذن هذه السورة يستفاد منها ﴿أمران﴾ ثانيهما مرتب على أولهما ﴿أولا﴾ اقتران سياسة الانسان بسياسة النمل لأنهما ذكرا متعاقبين ﴿ثانيا﴾ بالبحث في هذا نجد الانسان أرقى من النمل عقلا ولم يزد عنه عملا بل صار فتوح البلدان اخمادا لعقله وجسمه كما في حديث « إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم الخ » إذن هذه السورة يؤخذ من فحواها استنتاجا أن الانسان عليه أن يكون أرقى من حاله الحاضرة ولا يتم ذلك إلا بأن تكون الأمم كلها متحدة يخدم بعضها بعضا وأن لا تظلم أمة أخرى فلا يفسد الملوك القرى اذا دخلوها حتى لا تخرب بيوتهم ولا يتم ذلك كله إلا بنظام عام فجميع الأرض تعمر وجميع الأمم تتعلم

ونتيجة ذلك كله أن محمدا ﷺ رحمة للعالمين لا لبعضهم ، فعلى المسلمين أن يسمعوا ما أقول فيتعلموا كل علم ويدرسوا تواريخ الأمم وعلومها ثم هم الذين يكونون واسطة عقد نظام المجتمع الانساني كله شرقا وغربا ومستحيل أن يكونوا واسطة لذلك إلا اذا كانوا أقوياء وعلماء في كل فن ويعمرون أرض الله ثم ليجدوا في رفع الانسانية من هذه الحماقة ليكون الناس جميعا متعاونين في الشرق والغرب

هذا معنى وسر كونه ﷺ — رحمة للعالمين — فطاء طمأنينة العالم وسين سلامه تتوقفان على تفقد المسلمين الأمم أمة أمة كما تفقد سليمان الطير وتفقده له بين الطاء والسين وينتج الطاء والسين . ومن عجب أن سليمان فيه معنى السلام وأن الطيران الحديث ربما يعقبه تواصل الأمم فتكون الطمأنينة ، ففي الطاء والسين السر العجيب . انتهى يوم الأربعاء ٢٤ ابريل سنة ١٩٢٩ م وبهذا تم الكلام على القسم الأول من السورة والحمد لله رب العالمين

(الْقِسْمُ الثَّانِي)

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ
* وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا
لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ * وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى
إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ
وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ
الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ *
وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ
لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ * فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ
مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ * إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ *
وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ
السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ * أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ
مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ
أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * اذْهَبْ بِكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا
يَرْجِعُونَ * قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا
كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ * قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ
فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ * قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً
وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ * وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ * فَلَمَّا جَاءَ
سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا ءَاتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا ءَاتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ *
ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ * قَالَ
يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا
ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ

الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ * قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ * فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ * وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ * قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

قال تعالى (ولقد آتينا داود وسليمان علما) علم القضاء والسياسة ، وعلم داود تسبيح الطير والجبال ، وعلم سليمان منطق الطير والدواب (وقالا الحمد لله الذي فضلنا) بالنبوّة والكتاب والملك وتسخير الجنّ والإنس (على كثير من عباده المؤمنين) والمراد بالكثير من لم يؤت علما أو أوتى علما ليس كعلمهما (وورث سليمان داود) نبوّته وعلمه وملكه دون سائر أولاده ، وكان لداود تسعة عشر ابنا وزيد لسليمان على داود تسخير الريح والجنّ والشياطين (وقال) سليمان (يا أيها الناس علمنا منطق الطير) فانا نفهم بقوّتنا القدسية الإلهية اختلاف الأصوات لاختلاف الأغراض التي جعلت لها . ولاجرم أن لكل طائر تنوّعات في صوته لتدل على ما قام بخياله من حزن أو فرح أو جزع وهي تنوّعات معدودات لأغراض محدودات ، ولقد عرف العلماء اليوم كثيرا من لغات الطيور أى تنوّع أصواتها لأغراضها المختلفات ، وفي هذا معجزة لهذا القرآن لقوله تعالى في آخر السورة ــ وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها ــ فتعجب من كلام الله كيف ظهر اليوم أن الأمم تبحث في لغات الطيور والحيوانات والحشرات كالنمل والنحل وتنوّع الأصوات لتنوّع الأغراض فالله أخبر بالغيب يقول انكم لا تعرفون لغات الطيور الآن وعلمتها لسليمان ولكن سيأتي يوم ينتشر فيه علم مخلوقاتي ويطلع الناس على عجائب خلقي ولعمرى إن هذا لمعجزة لهذا القرآن ، وستأتى معجزة ثانية وهى انتقال عرش بلقيس وهذا أمر مستغرب في كل زمان ولكن القرآن جاء فيه ــ وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها ــ وسترى في علم تحضير الأرواح مما أنقله لك هناك كيف تعمل الأرواح اليوم وتنقل الأشياء من أماكنها كأنّ الله يقول لنا إن انتقال عرش بلقيس معجزة ليست بصناعة علم الأرواح وسأريكم هذه الآية بعلم الأرواح لا بالمعجزة لأنكم لستم أنبياء وستأتى معجزة ثالثة وهى قوله تعالى ــ وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم ــ وسأذكر لك فيها مبحث علم الأرواح وماذكرته هناك من أن هذا رمز لما ظهر من عجائب هذا العلم وأن الناس بهذا العلم أيقنوا بالله ، وسأذكر لك معجزة رابعة وهى قوله ــ وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمرّ مرّ السحاب صنع الله الذى أتقن كل شئ ــ وتطلع هناك على ملخص علم الفلك قديما وحديثا من دوران الأرض وثبوتها وعلى محادثة جرت بيني و بين سيدة من علماء أوروبا في هذا المقام ، إن هذه أيضا سرّ قوله ــ سيريكم آياته فتعرفونها ــ في علم الحيوان وعلم الفلك وعلم الأرواح في هذه السورة نفسها . إن هذا زمن ظهور أسرار القرآن وعار على المسلمين أن يتركوا نعمة ربهم ، فاذا قال سليمان ــ يا أيها الناس علمنا منطق الطير ــ فالله يقول ــ وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها ــ بالتعليم لا بالقوّة القدسية كالأنبياء فان ذلك لهم معجزة وأنتم

مأمورون أن تعرفوا آيات الله على مقدار طاقتكم ، ثم قال سليمان (وأوتينا من كل شئ) والقصد من ذلك كثرة ما أوتى كقولك فلان يقصده كل أحد و يعلم كل شئ ، وانما خص منطق الطير بالذكر للتنويه بشأن العلم وحثا لأمّة الاسلام على دراسة هذه العلوم * ومما ورد فى ذلك انه مرّ ببلبل يصوّت و يترقص فقال يقول « اذا أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء » وصاحت فاختة فقال انها تقول « ليت الخلق لم يخلقوا فالبلبل صاح عن شبع وفراغ بال والفاختة صاحت عن مقاساة الألم » والضمير له ولأبيه أوله وحده على قواعد السياسة (إنّ هذا لهو الفضل المبين) الذى لايخفى على أحد (وحشر لسليمان) وجمع له (جنوده من الجنّ والإنس والطير فهم يوزعون) يحبسون يحبس أوّلهم على آخرهم ليتلاحقوا (حتى اذا أتوا على واد النمل) أى أشرفوا على وادى النمل وهو واد بالشام يكثر فيه النمل (قالت نملة يأيها النمل ادخلوا مساكنكم) أجراهم مجرى العقلاء بعد الخطاب لأن القول انما يقال للعاقل (لايحطمنكم) لايكسرنكم والحطم الكسر (سليمان وجنوده وهم لايشعرون) أى انكم لولم تدخلوا وظهرتم لحطموكم ولم يشعروا بكم فسمع قولها ، ولما بلغ وادى النمل حبس جنوده حتى دخلوا بيوتهم (فتبسم ضاحكا من قولها) تعجبا من حذرها وتحذيرها والهداية التى غرسها الله فيها وسرورا بما خصه الله به من فهم مقاصدها واشعارا لقارئ القرآن أن يفرح و ينشرح صدره بالعلم والحكمة لاسيما عجائب النمل وغرائب الحكمة التى أودعها الله فيه ، فلئن فرح سليمان عليه السلام بما أعطاه الله من العلم القدسى الربانى فأنت أيها الذكى تلميذه وتلميذ الأنبياء وقد أمر نبينا ونحن تبع له أن نقتدى بهداهم فلنقتد بهدى سليمان . إن سليمان أعطاه الله علم منطق الطير وعلمه عجائب النمل فعرف عجائب غرائزها وطبائعها وتبسم لما خالج قلبه من الحكمة البديعة والإلهام العجيب وكيف كانت مع صغرها ملهمة من الله عارفة مصادرها ومواردها ، فاذا كان هذا هو هدى الأنبياء فلنقتف آثارهم ولنذكر فى هذه السورة عجائب النمل التى دهش العالم كله منها والمسلم هو النائم ، يقول الله ــ وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها ــ وهذه آية من آياته أعطاها الله لسليمان معجزة وسمع كلام النملة وحذرها وأوامرها وذكاءها وقد وعد الله بأن هذه الآية سنعرفها لا أنه يوحى بها لنا فسليمان علم منطق الطير ولم يقل تعلمنا وأما نحن فان الله قال ــ سيريكم آياته فتعرفونها ــ فذكر انه يرينا ونحن ندرس ، فالله تعالى أخبر انه سيرينا هذه الآيات التى هى بعض ماعلمه لسليمان بطريق الوحى ولكن لاتظن أن علمنا كعلمه فعلمه معجزة ربانية و يدرك من عجائب النمل مالاندرك وفرق بين من علمه الله ومن أمره الله أن يتعلم بالاجتهاد ، وسأسمعك عجائب النمل ليكون ذلك معجزة لنبينا ﷺ لأن الله أرى الناس وعرّف الناس ، فوالله بهذا و بأمثاله يرتقى المسلمون ، و بهذه العلوم يخرج جيل فى الاسلام يحدث فى الأرض هزّة وقوّة عظيمة تنفع أهل الأرض أجمعين ، إن أوروبا تعلمت هذه العلوم ولكنها لاتزال ظالمة والمسلمون سيتعلمونها و يملؤن الأرض رحمة وعدلا ، فبهذا العلم فلينشرح صدرك كما تبسم سليمان من قول النملة ضاحكا (وقال ربّ أوزعنى أن أشكر نعمتك) أى ألهمنى أن أشكر نعمتك (التى أنعمت علىّ وعلى والدىّ وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين) فاعجب لهذا النظم المدهش ، انظر كيف رتب سليمان هذا كله على نعمة العلم بقول النملة ، انظر كيف فرح سليمان وكيف تبسم فرحا بنعمة العلم والحكمة كأنه يقول « العلم غاية مطلبى وقد حصلت عليه ولم يبق بعده إلا ان أطلب الشكر على نعمة العلم بالعمل الصالح الذى ترضاه وليس بعد العلم والعمل إلا أن أدخل فى ضمن عبادك الصالحين من آبائى الأنبياء وغيرهم »

ليعلم المسلمون أن علم هذه الحيوانات من طير وحشرات وسائر الحيوان والنبات نعم عقلية ونعم مادّية ومتى عرفها الانسان وجب عليه أن يقوم بشكر النعمة و ينفع سائر أبناء نوعه حتى يحشر مع الصالحين فى الجنة فلئن قرأ هذه الآيات المتأخرون من أسلافنا وهم عنها غافلون ، فيأيها المسلمون إنّ الله يأمركم أن تقرؤا القرآن على هذا النمط الذى نقوله واعلموا أن هذا زمان ارتقاء الاسلام وعلوّ شأنه وسيكون لهذه الآراء فوز فى مشارق

الارض ومغاربها بل سيقرأ هذا التفسير العقلاء والأذكياء من الشبان وسيكون هنالك دول عظيمة حكيمة أرقى من دول أهل الأرض كلهم بهذه العلوم ويكونون رحمة للأمم لاعذابا على الناس ، ولما دعا سليمان ربه أن يلهمه شكر النعمة وأن يوفقه للعمل الصالح ناسب أن يأتى بعدها بشئ من أعماله الصالحة ، وذلك أن من أعطاه الله العلم والقدرة وسكت ولم يعمل شيأ معاقب لتقصيره ، ولاجرم أن الانسان الموفق يجب عليه رقى النوع الانسانى وحفظ الثغور والعطف على الحيوان ، فوالله لادولة ولاملك إلا بحفظ الانسان ولاحفظ للانسان إلا بحفظ الحيوان ولاحفظ للحيوان إلا بحفظ النبات فلذلك أتى بمسألة واحدة من أعماله الشريفة وهى تفقده للطير . ومعلوم أنه لايتفقد الطير إلا اذا كان متفقدا للانسان الذى هو أرقى منه دلالة على أن الانسان يجب عليه أن يتفقد مايملكه ومافى حوزته . فلذلك أعقبه بما سيأتى من قصص الهدهد وحديث بلقيس . وههنا لطائف فى النمل

﴿ اللطيفة الأولى ﴾

أذكر فيها ماجاء فى كتاب « جمال العالم » الذى نوّهت عنه فى هذا التفسير تحت العنوان الآتى

عجائب النمل

حال النمل عجيب جدا فانها تفعل فعل الملوك وتدبر وتسوس كما يسوس الحكام . فهذا النمل كيف يتخذ القرى تحت الأرض ولبيوتها أروقة ودهاليز وغرفات ذوات طبقات منعطفات وكيف تملأ بعضها حبوبا وذخائر وقوتا للشتاء . وكيف تجعل بعض بيوتها منخفضا مصوبا تجرى اليه المياه و بعضها يكون حولها مرتفعا لئلا يجرى اليه ماء المطر . ومن العجيب انها تخفى القوت فى بيوت منعطفات من مساكنها الى فوق حذرا عليه من ماء المطر . وانى لاظن أن مايفعله قدماء المصريين فى مساكنهم من المنعطفات والدهاليز والأروقة انما كان تقليدا للنمل ومأشبهه من الجرذان . ولكثرة عجائب النمل وغرائبه ورد قوله تعالى حكاية عن سليمان عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ــ حتى اذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لايشعرون ــ فانظر كيف نسب لها العقل والفهم ونداء أخواتها وأمرها لهم بالفرار من الشر ودخولها المساكن لتأويها من أن يحطمها سليمان وجنوده بلاشعور الحاطمين وفى هذه الآية تنبيه على جميع غرائب النمل ليوقظ العقول الى ما أعطيته من الدقة وحسن النظام والسياسة وما أوتيت من حسن الهندسة فى مساكنها ودهاليزها ، فأما مساكنها فهاأنت ذا رأيت نظامها فيما قدمناه ، وأما نداؤها لمن تحت إمرتها وجمعها لهم فانما يشير الى كيفية سياستها واجتماعها وحكمتها فى تصريف أمورها ، فمن ذلك أن الواحدة منها اذا أرادت شيأ عظيما لاتقوى على حمله أخذت منه قدرا يسيرا وكرت راجعة الى أخواتها ، وكلما رأت واحدة منهنّ أعطتها شيأ مما معها لتدلها على ذلك ثم تمرّ كل واحدة من أولئك اللاتى لاقينها فى الطريق التى جاءت منها تلك المبشرة ، فانظر كيف يجتمع على ذلك الشئ جماعات منها وكيف يحملونه ويجرّونه بجهد وعناء فى المعاونة ، فهذه المعاونة فى المطلوب أهم منها فى المرغوب عنه كالمعاونة فى الاتحاد وفى الفرار وهو أهم من الطلب إذ التخلية أفضل من التحلية ، وانما ذكرنا ذلك ليفتح للعقول مجال البحث ولينبه النفوس من رقدتها

﴿ قياس نظام الأمّة على نظام النمل ﴾

لم يكن القصد من تلك القصة أن تكون رواية أو حكاية أو حديثا وانما هى أمثال تضرب لقوم يعقلون فيفهمون حال هذه الكائنات وأن النمل كيف اجتمعت على الفرار كما تجتمع على طلب النافع وأن الأمة اذا لم تصل فى حكمتها الى الحيوان الأعجم فانها ضالة حمقاء تائهة فى الضلال والوبال رجعت عن الانسانية والحيوانية وانتهت الى أفق الديدان والحشرات ــ ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شئ عليم ــ

﴿ دقة النمل فى عمله وحرصه ﴾

ومن حكمة النمل أن الحبوب المخزونة عندها اذا أصيبت بماء أيام المطر تنشرها أيام الصحو وكيف كان القمح لاينبت اذا قطع حبه نصفين وكذا الشعير والباقلا والعدس اذا قشرت والكزبرة اذا قطعت أربع قطع فاذا قطعت قطعتين نبتت بخلاف القمح ، فتأمل كيف عرف النمل جميع هذه الحكمة مع دقتها فانه يقطع حبة القمح نصفين ويقشر الباقلا والعدس والشعير ويقطع حب الكزبرة أربع قطع ثم انها تعلم أن أيام الصيف تنقضى فتغتنم مساعدة الوقت فتعمل ليلا ونهارا باتخاذ البيوت وجمع الذخائر ، ثم تأمل كيف تتصرف فى طلب قوتها يوما شمال القرية ويوما يمينها ثم تراها كأنها قوافل ذاهبة جائية غادية رائحة

﴿ موازنة بين شرائع النمل والأمم المتمدينة ﴾

واذا اجتمعت على شئ ورأت أن واحدة تكاسلت عن المساعدة أو راوغت اجتمعت على قتلها ورمت بها عبرة لغيرها كما فى شرائع المصريين القدماء ، وتقرب منها شرائع الانجليز على ماسمعنا انهم يتركون الجائع القادر على الكسب حتى يموت ومن يساعده يعاقب كما أخبرنى بذلك ثقة

﴿ حكاية عن النمل ﴾

لقد رأى رجل فى زماننا هذا أن النمل يتكاثر على شجرة فى حقوله فعمد اليها وحفر حولها وملأ الحفرة ماء وظن أنه نجا منها وبات ليلا خالى البال منشرح الصدر مطمئنا على شجرته وما كان يتخيل أن للنمل حيلة فوق حيلته وأن هذه الحيوانات أمم أمثالنا فأصبح فرأى الورق مغطى بالنمل فعض يديه ندامة وحسرة ونظر الحفرة فوجدها كما هى مملوءة بالماء ، وبينما هو يتفقد السبب إذ رأى أوراقا متراصة على سطح البركة من شاطئها الى جذع الشجرة والنمل يمرّ عليها كأنها قنطرة الى حيث تطلع على تلك الشجرة

كتبنا هذا الذى تقدّم فى النمل ثم عثرنا فى الكتب الحديثة الافرنجية على ما يأتى وترجمناه مع التلخيص فى القالب العربى المبين ونهجنا نهجنا فى الاستنتاج والاستدلال

أيها الذكى ، لعلك اذا شاهدت الحقول والمزارع ونظرت ما فيها من الحشرات المختلفة الألوان والأشكال والمقادير والغرائز والصفات أعجبك اختلاف مناظرها وأدهشك حسن مناهجها ، منظر لايعبأ به الجاهلون الذين ينظرون مافى السموات والأرض وهم عن آياتها معرضون ، تلك الحشرات والهوام يزيد عدد أصنافها عن عشرات الالوف كما حققه فطاحل العلماء ، وأهم تلك الحشرات النمل إذ فى دراستها تبصرة للانسان وتذكرة وبهجة لعقله وأنس لنفسه كيف لا وأنت اذا شاهدت جسمها رأيته مكوّنا من رأس حوت الدماغ الذى يسع تلك السياسات والعلوم والمعارف التى سنشرحها ووسط كصندوق فيه الرئة وذنب أسطوانى وله ستة أرجل كباقى الحشرات بها يقدر على الجرى السريع والعدو فى طلب المعيشة وجناحين بهما يمكنه الوثوب من مكان الى آخر وخمسة أعين عينان مركبتان على جانبى الرأس مكوّنتان من أعين بسيطة ملتئمة الوضع والتركيب والترتيب بحيث ترى كأنها عين واحدة تعد بالمئات والثلاثة الباقية موضوعة على هيئة مثلث يعلو على هاتين ، وهذه الأخيرات أعين بسيطات لاتركيب فيها . فتأمّل بعقلك واحكم بعدلك وتعجب من حكم لايكاد العقل يصدّقها لولا اجتماع آراء العلماء فى العصر الحاضر عليها ، ويا ليت شعرى كيف تكون العين المركبة مع عدم تمكن البصر من ادراكها لشدّة صغرها حاوية لمائتى عين مثلا وكل منها لها قرنية وقزحية وزجاجية وعدسية محدبة الوجهين وقوام هلامى فى الوسط وأربطة وأعصاب حساسة واصلة الى المخ حتى ترسم المرئيات فى الدماغ عند المدير الحاكم فيه . لعمرى ان هذه العجائب تخرّ لها أعناق فحول العلماء سجدا ويقولون ـ ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ـ نار الجهل فى الدنيا والتقهقر فى المدنية ونار الآخرة التى تطلع على الأفئدة ، ومن ذا الذى يقف فى دياجى الظلمات ويسمع اختلاف أصوات الحشرات ونغماتها المزدوجة فيفكر أن من بينها

ماحوت هـذا الجمال البـديع والعيون الظريفة التي تمثل شكل النجوم المشرقات في دياجي الظلمات ولـكن عيون النمل أبدع في الاتقان وأتقن في الصنع من كواكب السموات إذ تلك العيون المرصعة في رؤس النمل دبرت تدبيرا خفي إلا على ذوى الفطنة وبها اهتدى أحقر شئ فيما نرى وأصغره ودقة الصنع واتقانه تعظم قيم الأشياء عند العقلاء فلادخـل لعظم الجثة وكبر الجسم ، ولهـا قرنان طويلان كالشعرتين دقيقتان بهما تحس الأشياء وتقوم مقام اليدين والرجلين والأصابع في الحل والحط والترحال يسميان (الحاستين) هذا تركيب جسم النمل وهذا وصفه

﴿ في مساكنه ﴾

لعلك أيها الذكى اذا سمعت ماتلوناه عليك وحدقت نظر بصيرتك وتأملت بفراستك تعلم أن هذا الاحكام لم يكن إلا لغاية وهـذا الصنع لثمرة وأعمـال وسياسات والا فبالله ماهذه الأعين الـكثيرة ، وماهذه الأرجل ، وماتلك الأجنحة ، ولم هذان الحساسان ، أخلق عبثا ؟ أم تراه مستعدا لأعمـال عظيمة تناسبه ، أجل لاغرو انك تتربص ثانى الأمرين ، وانى أرى نفسك قد شاقتـك الى معرفة ماترتب على هـذا الصنع من الأعمـال الجليلة وقد استعدت قريحتك لما ألقيه عليك الآن فاقول إن هذه الحشرة بمقدار ما أتقن الله من جسمها أتقنت من صنعها ، وعلى قدركمال احساسها وجماله أدارت سياساتها وممالكها وحروبها وزروعها ، وهل أتاك نبأ البيوت التي تتخذها تحت الأرض وتجعـل لها أعمـدة وبهوات متسعات (صالات) في كل بهوة أبواب مفتحات الى حجر صغيرات تسكن فيها وأخر تخزن فيها الحبوب والغلال و بينها الطرق والمسالك والشوارع بحيث تهتدى بها الى أعلى الأرض ويجتمع من تلك البيوت و بهواتها وحجراتها وأعمدتها قرى كاملة ذات بيوت كثيرة والأغرب من هذا انها قد تملك عدة قرى كأنها مستعمرات تصـل بينها بطرق كما تفعل الأمم المتمدينة وتصل بين مستعمراتها بالسكك الحديدية . ومن العجيب انها لم تقتصر على فنّ واحد من العمارات بل هناك نوع آخر يبنى البيوت فوق الأرض من أوراق الأشجار والأغصان وقشور الخشب المتساقطة من الأشجار العتيقة وتبنى مساكن فوق الأرض كالتي تحتها وترى أمام الناظر كأنها آكام مابين عشرة أقدام الى خمسة عشر قدما ويكثر هذا تحت شجر الصنوبر ، وهناك نوع ثالث ينحت من الأشجار العتيقة بيوتا كما يتخذ الانسان من الجبال بيوتا

ومن يتأمّل صنع قدماء المصريين في السراديب تحت الأرض والمغارات والتجاويف وما بنوا فوقها من الاهرامات والبرابى ومانحتوا من الصخور في جوف الجبال كما يشاهـد بين مصر وحلوان وغـيرها وجد أن الانسان في تحسينه مدنيته يصل الى درجة الحيوان في صناعته فان هذه الأنواع الثلاثة هي التي هدى اليها النمل بفطرته بلا تعليم ولا مدرسة ، وسترى صور بعض هذه البيوت قريبا

﴿ أحواله المعيشية وزراعاته وتربيته ماشيته وحربه وأسره ﴾

وهذه البيوت المنتظمة تستلزم عادة أعمـالا خارجيـة تناسبها وتناسب استعداد هذه الحشرة وكما اختلفت أنواعها في بناء مساكنها اختلفت في طرق معاشها واكتسابها ، فمنها نوع زراع بزرع الارز في أرض صالحة ولوتأملته لوجدت حقلا جميل الشكل حسن الوضع وفلاحين غادين رائحين لهم طرق زراعية يعجز عنها الانسان لاحكامها وحسن هندامها ، ولقد شاهدت صورة رسمها السياح في الـكتب الأجنبية فوجدت للحقل الواحد أربع طرق زراعية هندسية والارز متمايل عليها بحيث لاترى ورقة من تلك الأوراق أصابها أدنى ضرر أووسخ وفي وسط الحقل بهو (صالة) متسعة على هيئة شكل بيضاوى مشاكلة للنظام الذى تسير فيه الشمس وهي الدائرة السنوية البيضاوية وكهيئة أوراق الأشجار وهذا النوع كالأمّة المصرية أمّة زراعية وسترى صورته ، ومنه نوع عمد الى الماشية فتغلب عليها أوّلا بالبأس والشجاعة ثم آنسها وتسمى باللسان الافرنجى (أفد) ونسميها نحن (بقر النمل) وذلك لأن النمل بعد أن يقهرها و يغلبها ويستأنسها و يستحوذ عليها بقوّته يأخذها في مرعى خصيب

وهو ورق الورد واغصانه فيلاحظها وهى تمتص منه حتى تمتلىء ثم تأتى النملة الى واحدة من تلك الجاموس وتمتص مادّة حلوة يستلذها النمل لأنه يميل للحلاوى حتى اذا امتص مافى واحدة ذهب الى أخرى وأخرى حتى يمتلىء ، ذلك عادة هذا النوع وقد فعل النمل فعل الانسان فى استئناس الحيوان والانتفاع بألبانه وغيرها ، وهناك نوع ثالث عمد الى الحرب والقتال وتغلب على حيوانات أخرى فسخرها فى أعماله وشغلها فى فلاحته واطعامه واطعام أولاده فيخرج فى الحروب بنظام و يصدر الأحكام العسكرية الصارمة واذا غلب أخذ الأسرى وفعل كالانسان

﴿ تربية الصغار ﴾

وليس أعجب عند العاقل من تربية النمل لصغاره فلو نظرت لرأيت الاناث وهى تضع بيضا أصفر اللون أو أبيضه فى محال تقرب من مساكن كباره قد خصصت له مراضع ومربيات تلاحظهنّ ليلا ونهارا . ولا يزال فى الطقس والحرارة المناسبتين له حتى يتم له أسبوعان أو أكثر الى أربع ثم نرى كل البيوض قد تفتحت فأخرجت دودا صغيرا لا جناح له ولا رجل بيضاويا شكله محدبات رؤسه يعتنى به المرضعات وتلاحظه المربيات تحمله من مكان الى مكان مواظبات على اطعامه ما يناسب حاله من حار تارة و بارد تارة أخرى وممزوج منها فى الدرجة المناسبة حسبما تقتضيه الحال ، كل هذا والدود يشره فى أكله و يستزيد من طعامه حتى اذا تمّ له بضع أسابيع أخذت حالته تتغير و ينتقل الى طور آخر من الحياة هو طور النوم والسكون والاختفاء فى شكل كرى من حرير تغزله نفس الدودة على نفسها كدودة الحرير فلو رأيت ثم رأيت بعض الدود لم يزل مكتوفا والبعض أخذ يغزل بفمه كما يغزل دود الحرير والعنكبوت والبعض قد نسج على نفسه كرته ونام فى عالم البرزخ الى يوم يبعث من مرقده فيخرقها ، وترى الأمّهات إذ ذاك ملاحظات متيقظات فاذا تمّ النسج ونام الجميع ومضت أيام أخذت تلك العوالم تنهض من قبورها وتقوم من موتها وتنهض من رقدتها وتقطع خيوطها وتقرض حريرها المحيط بها ولذا خلقت لها الأرجل والأجنحة لتستعدّ لحياة جديدة هى الحياة النهائية حياة الجهاد والعمل ولو رأيتها لشاهدت أمّهات قد أشرفن على الأبناء وقد ربطت ربطا محكما وثيقا فأخذت الأمّهات يفككن الأربطة من الصغار و يطلعن الأجنحة والأرجل و يخلصن الناشئة النابتة من تلك الرباطات و يغسلن العيون والوجوه و يمسحن التراب و يزلن الأوساخ لأن النمل يحب النظافة حبا مفرطا ، فانظر وتأمّل كيف كان جسم النمل وخلقته مستعدة لامور عظيمة وقد هدى اليها بغريزته ومن هنا نفهم قوله تعالى ــ ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ــ ومنه يعلم الحشر بطريق الفراسة . وذلك أن هيئة النمل فى شكله وعيونه وحواسه وقواه تناسب هذه السياسات الغريبة والأعمال العظيمة فاهتدى لها . فهكذا فليكن الانسان لما سخر له مافى السموات ومافى الأرض وعشقت روحه العلوم والمعارف ومال بغريزته اليها وجب أن يكون وراء هذا سرّ يناسبه والا فما هذا الاستعداد وما هذا الميل العجيب لاقتناص العلوم وحب الخير . واذا كانت النملة وهى دودة تكمل خلقتها لتناسب الحال المستقبل فى الحياة ولا علم لها بها فهكذا الانسان دبرت روحه فى الحياة وربيت فلابد لهذا من نبأ ــ ولكل نبأ مستقرّ وسوف تعلمون ــ

وهناك نكتة أخرى وهى أن من رأى فى نفسه استعدادا لأمر وشوقا اليه فليعلم أن مقتضى الحكمة ينال مطلوبه لأن الاستعداد داع حثيث والكائنات أطوع للمستعد من غيره وهذا صدّقناه بالبصيرة والنظر

﴿ حكاية عجيبة عن النمل ﴾

قضى عالم من علماء الرومان طول حياته فى النظر فى حال هذه الكائنات الصغيرة فشاهد نملة تشتغل طول يومها فحسب ماحفرته و بنته فى ذلك اليوم ونسبه الى جسمها وشغل الانسان وجسمه فوجدانها لو كانت رجلا مشتغلا هذا الشغل لحفر خليجين كل منهما طوله اثنان وسبعون قدما وعمقه ٤ ر٥ أقدام وأخذ هذا الطين وصنع منه آجرا و بنى به أربع حيطان على الأربع الجوانب للخليجين كل حائط من قدمين الى ثلاثة ارتفاعا ونحو

(١٥) بوصة سمكا وغلظا ويدعك تلك الحيطان من الداخل فتصير ملساء وكل هذه الأعمال بلا مساعدة آخر في النهار كله وذلك كله مع فرض أن الأرض مملوءة بالأعشاب الصغيرة والأخشاب والأشجار وجذوعها الهائلة والأرض وعرة المسالك فيها آكام من الردم ، فاذا فعل هذا رجل كان أعجوبة زمانه وهو عادى بسيط عند النمل — فتبارك الله أحسن الخالقين — وفى الأرض آيات للموقنين —

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

فى ذكر ما كتبته فى كتابى « نظام العالم والأمم » تحت العنوان الآتى

﴿ الجمهوريات فى الحيوان ﴾

(ترجمتها عن اللورد أفبرى)

الحيوان خلق عظيم فيه من دقائق الحكمة وصنوف الجمال مايبهر العقول ، فمنه مايبهج العين بمحاسنه وينعش الفؤاد بمناظره كأبى دقيق وغيره من الحشرات والطيور ، ومنه مايهولنا بعظمته ويبهرنا بعظيم جثته كالفيل والهيكل العظيم والخلق الكبير فى كل جيل ألا وهو (القيطس) ومنه مايسحر العقل بجماله ويخلب الفؤاد بسحر حلاله ويرسل للمفكرة مغناطيس أقطابه ويسلب اللب لدقة صنعته وحكمة خلقته ذلك هو الحيوان الذى توارى عن الأبصار فلا يرى إلا بالمنظار ، وأجلّ الحيوانات لذة وأعظمها فائدة ما ألف الشركات وعاش جماعات ، وهل أريد بما أتلوه عليك ماتجتمع أياما معدودات فى فصل من السنة كالخطاطيف أوتلك التى لها جمهوريات ثابتة لخاصة المكان . كلا . فالأولى يجمعها خاصة الزمان والثانية يؤلفها المكان وانما أردت تلك الدول النظامية والأمم الدستورية والجماعات الشورية كالغربان وكلاب البحر فانها تهب لعقولنا حكما ولأرواحنا وحيا ولنفوسنا علما ولنظامنا دستورا ولأخلاقنا حكما على أنها مع عظم أمرها لن تبلغ عشر معشار ماوهب النحل من الحكمة فى تقدير بيوته وتسديس أشكاله وما أبدع فى نظامه وهندسته ، ومنح الانسان هبة العسل ونصب نفسه ناطور الأزهار وقيم البستان فلوّنت بألوان جميلة يعشقها ونحن له مدينون وهو لا يشعر فقد زينت ونقشت لمنظره وهو غافل . على أن هذه ربما كانت أقل مهارة من النمل كما يشهد بذلك فطاحل العلماء مثل (هبرولورل) و (كوك) و (وسمان) وغيرهم من الفحول إذ قالوا إن نظام جمهورية النمل فى أصناف جنسها وأفراد نوعها وفى دستورها الشامل لطوائف الأمم الخاضعة المستعبدة لرقها والنواميس العامّة على أنواع المخلوقات من الأنعام المناسبة لها لانظير له فى الأمم فيما ذكرنا . ثم ذكر المؤلف كلاما عن نمل بلاده فقال ﴿ إن النمل تبلغ أصنافه ألفا وتزيد ، كل نوع يمتاز عن غيره بصفة وقد لاحظت النمل الشغال فعاش سبع سنين والملكة فعاشت ١٥ سنة ، وكل جمهورية من الجمهوريات لها ملكة أو أكثر ذات جناح قبل أن تطير لحلها فاذا حلت كسرت الأجنحة إذ تعلم انها ستلازم المكان والجناح شغل لافائدة فيه فى الحجرات وفيها ذكران من النمل لاشغل لها والعملة لاجناح لها والصبية الصغار تبقى فى الديار تحفر الحجرات وتشكل السراديب وتهندس الدهاليز والمنعطفات وتمو وهى فيها ، وترتيبهن فى المساكن على درجات السن كما تصف صفوف التلاميذ بالنسبة لأسنانهم . ومن النمل ماعظم جثة وكبر قامة وامتاز قوّة . وهل يقوم ذلك برهانا على أنهم جنود وقوّامون على الأمة . ذلك مايعوزه الدليل ﴾ وقال دابتين ﴿ إن النمل التى كبرت رؤسها وعظمت خراطيمها تمتاز عن الصفوف فى سيرها فتسير بجانبها كضباط العساكر واذا احتملت تلك النملات قوتها رجعت تلك الضباط غير حاملات فربما كان ذلك دليلا على أن أولئك ضباط وذلك محتمل ﴾

﴿ ومن العجيب أن العملة من النمل والنحل لانفتأ أثناء العمل تنظر الى الملكة كأنها تستمطر الرحمات بمنظرها أو تستروح السرور بمشهدها . ولقد شاهدت جماعات النمل وهى خوارج من عش دواخل غيره قد اتخذن

ذلك المشهد مهرجانا للملكة فمددت يدى لعمل أهيئه لهن فأصاب القضاء الملكة فلقيت حتفها فرأيتهن اجتمعن حولها ورفعنها حتى أدخلنها أوسع مكان فى القرية التى أعددتها لهن ولم يعاملنها معاملة مايموت منهن ينبذنه بالعراء فجلسن حولها فلو رأيتهن لقلت انهن باكيات حزينات أوراجيات بشوق عظيم حياتها أوكأنهن يظنن انها حية ستسعى ، وقد تتركب القرية من خمسمائة ألف نملة ﴾

﴿ ومن العجيب أن لاترى نملتين من قرية واحدة تتنافران على أنهن لايتحرجن عن مهاجمة اخوانهن فى الصنف فضلا عن النوع ، فضلا عن كل حيوان ، ولكن حاولت ادخال نملة من نفس الصنف فى عش اخوانها فلم تكد تطأ أرض العش بأرجلها حتى فاجأنها فأخرجنها من رجلها فليس بمكرم لديها إلا أخواتها المشاركات لها فى مرافق الحياة وماعداها من الصنف فمنبوذ مطروح ، ولقد فصلت القرية الى قريتين و بقيت على ذلك سنة وعشرة أشهر ، فلعمرك ما التقى الجمعان إلا وهما متعارفان يتصافحان و يهاجمان ماعداهما بمجرد التقائهما ، بهذا أثبتت المعرفة والتميز فى الأشخاص ، ولن نعرف أكان بعلامة أم لا إلا بتجربة فعرجت على (الكلوروفرم) نخفت أن يميتها فعمدت الى العقار فأسكرتها وما كادت تسكر لولا أن غمست رؤسها فما كان إلا دقائق حتى سكرن وهن إذ ذاك خمسون خمس وعشرون منها من عش وخمس وعشرون من آخر وهما بمشهد من جماعات من إحدى القريتين وهن يطعمن على مائدة أحيطت بماء لئلا يتمزق النمل شذرمذر فما كادت تشعر بالسكارى إلا وأقبلت من كل صوب وأدهشت كما تدهش لسكرانا فأخذن اللاتى من غيرقريتها ووضعنها لدى طرف الماء وأغرقنهن ، أما اللاتى من قريتهن فحملتهن برفق الى العش . فمن هذه ترى أن النمل تعرف بعضها بغير علامة ولاطريق . وهذه عاطفة فى النمل عدمت فى الذئب وغيره فاذا جرح أحدها أومرض طرده أصحابه أوقتلوه . ولقد رأيت نملة كسرت رجلها إذ فقست بيضتها فنامت على ظهرها ثلاثة أشهر والنملات يطعمنها و يسقينها ، وأخرى جرحت بمثل ذلك فنامت أياما ثم خرجت فهاجمها الأعداء من كل صوب فوقعت مغشيا عليها فمر عليها النمل لاتبدى حراكا حتى اذا جاءت نملة وحركتها وجست نبضها ثم حملتها برفق الى عشها . فهذه دلائل العطف فى هذا الخلق الضعيف . النمل والنحل لهما علم بسياسة المدينة ونظام الجمعية ولكنه علم محدود ونظام معدود . وترى النملة اذا عثرت على طعام أسرعت البقية اليه ورأيت الرائد اذا دخل العش خرجوا معه وان لم يكن فى فمه شئ فمن المحقق انه أفهمهم بغير رؤية الشئ ﴾

﴿ من النمل ما يكون له أسرى وهؤلاء يقمن بخدمة السادة حتى اذا رحلن من قرية الى أخرى حمل العبيد السادة من الأولى الى الثانية . ولقد رأيت الصواحب من النمل اذا خرب عشها بحثن عن غيره فاذا سقفت مكانا ورأته إحداهن أحضرت أخرى فحملتها ثم أرتها المكان ورجعا فأخذا غيرهما ثم رجعن فحملن غيرهن وهكذا بالتضعيف حتى تجتمع القرية جميعا ، وهذه ترينا أن ذكاء النمل محدود ، ويدلنا على ذلك مانرى من أن بعض السادة لايأكل إلا اذا ساعدهن العبيد على احضار الطعام فاذا قسم الغذاء بينهن وأفرد كل بمكان و بقى السادة يوما أو بعضه ماتت إذ لاترى من يضع الطعام فى أفواهها . وكم من حشرات اتخذتها لها أنعاما زينة لها وجمالا ومتاعا . تتخذ ألبانها العسلية طعاما تسومها كالأنعام على غصون الأشجار أوترعاها فى الكلأ والحشائش والاب أوتحبسها فى بيوتها وتؤتيها أكلها كل حين بتقدير فتمتص الأنعام من النبات فتحال العصارة فى بطونها عسلا فتمتصه النمل . وأنفع تلك النعم حيوان اسمه (فيس) كأنه بقرها تكلؤها بحمايتها وتحميها برعايتها ولم تكن رعايتها قاصرة على نفس الحيوان فقد تجمع بيوضا فى الخريف وتكلؤها فى الشتاء وتتربص الربيع المقبل ومن الحشرات ماتتخذه النمل دواب تحت الأرض فتبقى أمدا طويلا فتخسر عينيها وتبقى عمياء

أنا لا أطيل الكلام فى هذا المقام إذ هذا الموضوع أوضحته فى مكان آخر انما أقول أسائلك أيها العاقل اذا رأيت النمل وهى فى قريتها تستقل بحركتها وكيف تدرك بغريزتها واذا رأيت هضبة سكنها النمل وهى آلاف

مؤلفة تحفر الحجرات وتشكل الدهاليز وتهندس الطرق وتحفر الأماكن وتجمع القوت وتطعم الأبناء وتصف صفوف المدارس فيها وترفق بحيوانها كل منها موكل بما يناسبه من العمل قائم به ، فلاجرم أن هذه هبة عقلية ولئن قلنا انها غريزة وسليقة فمن ذا الذى يضع حدا فاصلا بين الغريزة والعقل ؟ انه لعسير

فهذه المناظر تهدينا الى أن هذه هبة عقلية مشتقة من عقل الانسان تشبهه كيفا وتنقص عنه كما (المؤلف) أقول هاأنت ذا أيها الذكى القارئ لكتابى هذا نظرت مقال أكابر حكماء العصر الحاضر وفلاسفتهم فتأمل كيف تراهم ينقبون عن أسرار الحكمة الإلهية ويبحثون ونحن غافلون ، وهنا بدائع وملاحظات

﴿ أولا ﴾ إن الله جلت حكمته لم يشأ أن يدع مخلوقا إلا وأعطاه حكمة وعلما لمعاشه وبقائه — قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى — كما ترى فى لون الحشرات والطيور والحيتان وأشكال وسياسات الحيوانات

﴿ ثانيا ﴾ ان علماء أوروبا يبحثون عن عجائب الجزئيات ويطمعون فى استقصائها ونحن نقول لامطمع فى استقصائها ولكن لايريح الأفئدة إلا تعقل الكليات ولن يعرف العقل إلا بعض الجزئيات إذ استقراؤها لامطمع فيه وكليات المسائل عجيبة صادقة وكلها ناطقة بالعدل ، أما الجزئيات فترى المرء يضل فيها . فهاهو (اللورد أفبرى) يضلل من عداه فى لون السمك فقد كانوا يحسبونه بلاحكمة فظهر له أنه بحكمة ونحن زدنا أن عظام الحيوان والأحجار لحكمة

﴿ ثالثا ﴾ يقول الحكماء فى القواعد العامة « ان لكل مخلوق علة ومادة وصورة وغاية ، فعلة اللون غير مادته غير صورته غير غايته وهى مطردة فى كل شئ فقوله ألوان المعادن والأحجار اتفاق كلام غير مسلم إذ له علة وهى التمازج بهيئة خاصة وصورة ومادة وله غاية وهو منفعة الانسان فالتعبير بما قالوه قاصر »

﴿ رابعا ﴾ هذا يفيد حكمته تعالى إذ يقول — وما كنا عن الخلق غافلين —

﴿ خامسا ﴾ قصة النمل وقول الله تعالى — وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون * حتى اذا أتوا على واد النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لايشعرون — الى آخر الآية مما نفهم منه اهتمام الأنبياء بعلم الحيوان ونعلم أن المسلمين مأمورون بالبحث عن هذه الحشرات والله أعلم انتهى ما ذكرته فى كتابى « نظام العالم والأمم »

وقد جاء فى جرائدنا المصرية يوم ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٢٦ م ما يأتى

﴿ حرب بين قبيلتين من النمل ﴾

فى الشهر الفائت جرت معركة هائلة بين قبيلتين من النمل فى حديقة الحيوانات فى لندن اشترك فيها نحو ألف نملة من الجانبين ودامت أربعة أيام وانتهت بمئات من القتلى والجرحى وشهد فيها المشاهدون انتظام الجيشين وهجماتهما وخنادقهما وكشافتهما وأسراهما وخططهما الحربية وهدنتهما الى غير ذلك من أحوال الحرب مما يدهش الناظرين وحمل العالم الطبيعى (السير جون لوبوك) أن يقول ﴿ إن النمل أقرب الحيوانات الى الانسان فى أفعاله ﴾ وتحرير الخبر أن أحد الموظفين فى ادارة تلك الحديقة ألقى خشبة على مستنقع صغير فى الحديقة المذكورة يفصل بين قبيلتين من النمل الواحدة قديمة فيها منذ (٣) سنين والأخرى جىء بها حديثا فكانت تلك الخشبة كجسر (كوبرى) يعبر عليه من مستعمرة النمل الواحدة الى المستعمرة الأخرى ، وحدث أن نملة من القبيلة القديمة عبرت الجسر الى القبيلة الجديدة ودخلت الى عشها ولم ترجع فكان ذلك سببا لإثارة الحرب فقررت القبيلة القديمة الحرب ولكنها لم تضع صوابها وتستسلم لغضبها وحدتها وتندفع بلا نظام لكى تقع فى كمين الأخرى بل اختارت عشرة من أبطالها وأرسلتها للاستكشاف والتجسس فانسلت هذه العشرة على الجسر الى المستعمرة الأخرى ولكنها لم تر واحدة من نملاتها بل فهمت أن هذه كامنة فى عشها غير دارية بما يجول

فى خاطر تلك فعادت الكشافة وأبلغت ماعلمت ، والظاهر أن القبيلة القديمة عقدت مجلسا وقررت الهجوم لأنه بعد بضع دقائق خرجت جنودها صفوفا متراصة كصفوف الألمان والافرنسيس فى معركة المارن و بعض النملات خرجت الى جهة أخرى حيث الرمل الأبيض فأقامت متاريس من الرمل وتحصنت فيها ثم هجمت الصفوف على الجسر وجعلت تعبره ، وكان حينئذ أن نملة من القبيلة الجديدة خرجت فرأت صفوف الأخرى قادمة تتدفق على الجسر فأسرعت الى عشها وأبلغت الخبر الى قبيلتها فما لبثت هذه أن خرجت أيضا صفوفا للقتال وجرت المعركة الهائلة التى لايصدّق هولها إلا شاهد العيان ، دامت المعركة (٤) أيام بلياليها وفى خلالها حدثت هدنة واحدة مدة بضع ساعات ، والظاهر أن نملة لم تستطع ضبط غضبها فخرقت شروط الهدنة واستؤنفت المعركة ثانيا أشدّ احتداما من الأوّل وشوهد عدد عديد من الجرحى تنتفض فى مصارعها و بعضها وقعت فى الوحل وأما القتيلات فكانت مطروحة فى مصارع مختلفة بلا حراك وأما القتال فكان أن القوية تقذف بالضعيفة الى المستنقع وان لم تستطع ذلك كانت تقطع رجليها وتتركها لرحمة الطبيعة ، وفى اليوم الرابع بعد الظهر انكسرت القبيلة القديمة أى انكسار إذ اندحرت على الجسر وفنيت عن آخرها تقريبا وحصونها لم تفدها لأن الطريق بقى مفتوحا لعدوّتها وأما القبيلة الجديدة المنتصرة فأسرت جانبا من عدوّتها لتستعبدها وقتلت البقية والنملات العاملات غير المحاربات نقلت القتيلات الى مكان آخر ونظفت حيها منها وعاد السلام الى نصابه

وقد ظهر أن ذكاء النمل ونظامه فى مدة الحرب لايقلان عنهما فى مدة السلم . ليس هذا الحيوان الاجتماعى العجيب جنديا حربيا قديرا فقط بل فيه المهندس الفنان والحاسب والممرض والجراح والطبيب والزرّاع وهو يدفن موتاه باحترام ، وظهر أنه يحب الهرج والمرج واللعب والسباق حتى السكر ، و يؤكد الدكتور (هرمن ايدمان) العالم المشهور فى مونيخ (ألمانيا) أن للنمل لغة للتفاهم ، أما ان النمل مهندس فنان فمعلوم من أبراج الطين التى يبنيها النمل الأبيض فى شرقى أفريقيا إذ يبلغ ارتفاع بعضها عشرين قدما ومع ذلك ليست ضخمة فهى بنسبة ثخانتها الى ارتفاعها كما لو بنى المصريون (١٢) هرما الواحد فوق الآخر . ولايخفى أن النمل ليس له الآلات والعدد التى كانت للمصريين ومع ذلك ترى أبراجه هذه فى غاية الدقة والاحكام الهندسيين

فى جبال بنسلفانيا إحدى الولايات المتحدة الأميركية أكبر مدن النمل فى العالم ومعظمها مبنية تحت الأرض وأكبرها يشغل ثلاثين فدانا ، تأمل فى (٣٠) فدانا من الأرض وقد حفرت فيها منازل النمل تتخللها الشوارع والمعابر والطرق وكل نملة تعرف طريقها الى بيتها باحساس غريب وشعور بالجهات

يعدّ النمل أعظم بناء على الأرض وأدواته و بعض موادّه فى جسمه ﴿مثال ذلك﴾ انه يصنع بعض موادّ البناء بمضغ نوع من النباتات وجعلها ملتحمة بعضها ببعض بواسطة عصارة لزجة يفرزها من غدة فيه وأغرب دليل على ذكاء النمل أنه يصنع سقفا من أغصان الشجر بخياطة أوراقها بعضها ببعض هكذا النملة البالغة لاتستطيع أن تغزل خيوطا ولكن الطفلة تستطيع لأنها تصنع فيلجة (شرنقة) ولذلك تصحب النملات العاملات طفلاتها الغازلة فيالجها وتدنى النملة العاملة ورقتى الشجرة حافة لحافة وهى حاملة الطفلة بفمها وتقرّب رأسها الى حافتى الورقتين فتشرع الطفلة تغزل حريرها أى خيوطها وتعلقها بالحافتين وفى أثناء ذلك تجعل النملة العاملة تقدم الطفلة على طول الحافتين والخيوط المغزولة تلأمها حتى يتم التحامها جيدا . ولايخفى أن الخيط يخرج عصارة من فم الطفل ولكن هذه العصارة تجمد فى الحال وتصبح خيطا

ترى النمل فى ساعات العمل يعمل بنظام كأن مرشدا يرشده ، ترى نملة ترمم بناء متهدما وأخرى تنقل زبالة وثالثة تنقل الأطفال التى لاتحتمل تأثير النور الى الوكر المظلم ورابعة تأتى بمواد البناء ولكن ليس هناك قائد ولامرشد بل تعمل جميعها من تلقاء نفسها بحكم الغريزة كأنها آلات

للنمل قوّة التمييز الغريبة بدليل أن (السيرجون لو بوك) أخذ بعض نملات ووضعها فى سائل كحلى (سبيرتو)

حتى سكرت ثم طرحها سكرى فلما رأتها رفيقاتها الصاحيات جعلت تنقل منها ما كان من قبيلتها الى بيتها وألقت الغريبات فى بركة الماء

﴿ مسامرة فى النمل ﴾

(من كتاب « علم الدين » للمرحوم أستاذنا على باشا مبارك)

إن النمل كثيرا ما يكون بينه حروب كبيرة ومناوشات كثيرة غير أن طوائف النمل عند تجهزها للحرب ومسيرها للقتال لاتستعمل ما يستعمله الانسان لحروبه من العدد والآلات والأدوات بل تسير للقتال بأنفسها غير مستصحبة شيأ من ذلك معها وتستعمل فى قتالها ماقد يعجز الانسان عنه من المكر والحيل والمكائد ومن النمل نوع يأسر غيره و يستعبده و يستخدمه طول حياته و يتخلص بواسطته من الكد والكدح والعمل لنفسه وقد شاهد بعض علماء الطبيعيين نوعا من النمل يحمل نوعا آخر فى فمه ولكن لم يكن يعلم حكمة ذلك ولاسببه الى أن ظهر الآن أن بعض النمل قد يحتاج الى خدم فيهجم على غيره فيسترقه و يستخدمه فى أعماله وسائر أحوال مسكنه ومعيشته ، ومن يراقب النمل أيام الصيف فى بعض الجهات يجده يغير على بعضه فيأخذ الغالب منه أولاد المغلوب و يسترقها ولا يكون ذلك غالبا إلا فى الليل فيخرج و يصطف صفوفا متقاربة و يقصد الجهة التى يريد غزوها فلا يرجع إلا وقد بلغ مقصوده فيخرب المساكن و يفرق المكامن و يأخذ ما أحب من الذرية ولا يأخذ الكبار لعلمه انها لاتنقاد لحكمه ، فاذا رجع بالذرّية حملها بأفواهه ، واذا خاب أحد من الحزب الغالب ولم يجد أسيرا يسترقه أخذ معه من رمم القتلى ماقدر عليه لينتفع به فى غذائه وترى هذه الفئة الغالبة فى عودتها ومنصرفها الى مساكنها تسير خلف بعضها واحدة خلف واحدة حتى انها قد تشغل مسافة من الأرض يبلغ طولها نحو أربعين مترا وبهذه الصورة تعود الى مساكنها بالظفر والغنيمة فى حال مسرة وطرب ، فاذا وصلت الى منازلها بهذه الأسارى الحديثة السنّ تفرد لها محلات مخصوصة وتربيها مع الصدق والأمانة والحذق وتحفظها من كل مايضرّ بجسمها و يخل بصحتها حتى تبلغ أشدّها ، وهذا النوع المحارب المحب للسلب والنهب لايحب أن يشتغل بشئ سوى الحرب فلذلك يكل بناء بيته وتربية ذرّيته الى ما عنده من الأرقاء والخدم حتى انه اذا احتاج للانتقال من مسكن الى آخر تكفلت خدمه بنقله وقامت بحمله فتراها تحمله بأفواهها كما تفعل الهرّة بأولادها . وقد امتحن بعض المشتغلين بالبحث عن أحوال الحيوانات بعض النمل الذى تخيل فيه الترؤس والامارة والرفاهية والاحتياج الى خدمة الغير له فأخذ جماعة منه وأفردها عن خدمها ثم أحضر لها شيأ مما يتغذى النمل به و يتهالك فى طلبه فوجدها غير طالبة لما أحضر لها حتى مات أكثرها جوعا ثم انه نقل اليها واحدا من النمل الذى توهم فيه العبودية والخدمة فاشتغل بخدمتها وتغذيتها فأكلت ما أحضره اليها مما كان بمرأى منها ولم تكن تحركت اليه من قبل فأكلت وشبعت وانتعشت فعلم من ذلك أن هذا الصنف الغالب المحارب بعد أن يبلغ فى حروبه ماشاء من النصر والظفر والغنيمة ويحصل على ما أراده من العزّ والثروة والسعة قد يستولى عليه حب الراحة والرفاهية واللذة فيأخذ فى الكسل والبطالة و يكل جميع أموره الى ماعنده من الخدم والحشم والأتباع ولايشتغل هو بشئ من الأشياء فيختلّ عنده نظام الجمهور وتدور عليه صروف المقدور بالويل والثبور وتفسد الامور

وطباع هذا النوع مختلفة باختلاف الأماكن و بالنسبة للزوم الخدم وعدم لزومها ، فترى الأرقاء فى بلاد السويد هى التى تبنى المساكن وتقف على أبوابها بمنزلة البوّابين فتفتحها فى أوّل النهار وتغلقها عند دخول المساء اوظهور علامات تدل على المطر ، وقد شوهد فى بلاد الانكليز أن الأتباع والأرقاء عليها جميع الخدم المنزلية الداخلية فقط وفى بلاد السويد عليها بعض الخدم الخارجية أيضا بسبب كثرتها ، وليس جميع النمل قابلا للاستعباد والاسترقاق فان هناك نوعا صغير الجثة لايقبل الضيم والذّل بل يدافع عن نفسه بحماس و يقاتل

أعداءه بشدة بأس وشهامة فتخشاه وتهابه وتتجنبه حتى انها لاتقرب عائلته ولاتتسلط على أولاده بل يرى بعضه ساكنا بالقرب من مسكن جيوش النمل المحاربة مع الامن والاطمئنان من غير أن تناله بمكروه لعلمها بشجاعته وبأسه ، ومن النمل المحارب مالايقتصر فى محاربته على استرقاقه لغيره من النمل بل يزيد على ذلك أن يتخلل النبات فيجد فى خلاله حشرات صغيرة كالبعوض لها ثديان فى ظهرها من الجهة الخلفية يخرج منهما مادة سكرية يحبها النمل حبا شديدا فيمتصها فتكون تلك الحشرات بالنسبة له كالبقر الحلوب بالنسبة للانسان فيصعد اليها فوق أطراف النبات والأعشاب ويركب كل واحد واحدة وفى بعض الأوقات قد يجتمع النمل وعبيده ويتحزب الكل ويسطو عليها دفعة واحدة ويأخذها ويحبسها فى منازله كما يحتبس الآدمى البقر والغنم فيمتص لبنها كما شاء ومتى شاء ويتعهدها بالطعام والغذاء كما يفعل صاحب الغنم والشاة

وأغرب شئ أن هذا النمل يعمل حول بيته جسورا منيعة أوله عند بيته وآخرها بعيد عنه محاط بالحشائش التى ترعى فيها الحشرات المذكورة وقد يتخذ لها أماكن مخصوصة لايمكنها التخلص منها فتبقى فيها كالمحبوسة ترعى فيما أعدّ لها من المرعى وتعطى لبنها للنمل متى أراد ، وفى بعض الأحيان يقع بين النمل وبعضه محاربات عظيمة ومناوشات شديدة كالحروب التى تقع بين قبائل البشر منشؤها عداوة طبيعية أوحوادث وقتية وقد وصف بعض المشاهير من علماء هذا الفن واقعة رآها بين قبيلتين من جنس واحد من النمل فقال «كنت بين قبيلتين عظيمتين كثيرتى العدد وكان مابين محطتيهما قدرمائة خطوة ولم أعلم السبب الذى أوجب ثوران الفتنة وهيجان الشرّ بينهما وانما رأيت عدد المحاربين من الفريقين بلغ فى الكثرة مبلغا عظيما جدا بحيث يتعذر على دولتين من الدول الكبيرة جمع عدد مثله من العسكر . قال ثم رأيت الفريقين أخذا فى الزحف على بعضهما الى أن التقى الجمعان فى قدر قدمين من الأرض فى منتصف المسافة التى بينهما ورأيت خلف كل جيش عددا معدّا للمدد والاعانة كما تفعل الجيوش من اتخاذ المدد فى الحروب ثم حميت الحرب والتحمت الصفوف والتقت الالوف بالالوف — والتفت الساق بالساق — وصار كل من الفئتين ينتفع بما صادفه أمامه فى الأرض من حجر ومدر وغير ذلك فيتترس به ويتحصن خلفه من عدوّه وكان البعض يقاتل ويضرب والبعض يحوز الغنيمة ويضبط الأسرى وكان يرى على الأسارى علامة الحزن والكآبة لاسيما عند مقاربة المحل المعدّ لاعتقالها عند العدوّ ، قال ورأيت محل المعركة قد تغطى برمم القتلى ودماء الجرحى وصار يشم منه روائح كريهة لكثرة مااجتمع فيه من الجيف وكان ابتداء القتال بين الفريقين باثنين برز كل منهما للآخر فتماسكا بالأرجل وصارا يتصارعان ويتغالبان ويجذب كل منهما قرينه الى جهته ثم أتى لكل واحد منهما مدد من قبيلته يجذبه الى ناحيته حتى صار الأوّلان مع ما انضم اليهما من المدد أشبه شئ بحبل طويل يشدّ أحد طرفيه الى جهة والطرف الآخر الى الجهة المقابلة لها حتى يغلب أحد الطرفين فيأخذ غريمه الى جهته أو يحصل الانفصال من غير أن يغلب أحد ثم يعود القتال فاذا دخل الليل انفصل الفريقان وانقطعت الحرب الى الصباح ثم يعود كل الى ما كان عليه وهكذا وكانت سعة ميدان الحرب قدر ست أقدام طولا وقدمين عرضا

فقال الشيخ كنت فيما سلف اجتمعت برجل من أهل السودان فأخبرنى أن ببلادهم نوعا من النمل أبيض اللون يجتمع جموعا كثيرة ويكون منه طائفة كالجند والعسكر وطائفة كالعمال والذكران منه أجنحة وليس لماعداها من العمال والعسكر والاناث أجنحة وتختص العمال منه ببناء المساكن والعسكر بالحفظ والضبط والحراسة ، وأما الاناث فعليها البيض واكثار النسل وتربية الذرية والقيام بأمرها وهى كثيرة البيض الى الغاية حتى كأنها كيس مملوء بيضا فان حجمها مملوء بالبيض قدر حجمها فارغة ألفى مرة ومتى ابتدأت البيض باضت فى الدقيقة الواحدة قدر ستين بيضة وقد يبلغ مقدار ماتبيضه فى اليوم الواحد نحو ثمانين ألف بيضة (كذا قال والعهدة عليه) فقال الانكليزى هذا صحيح كما قاله وقد شوهد هذا النوع من النمل فى جهة رأس الرجاء الصالح وحجم مساكنه

بالنسبة

بالنسبة لحجمه مما يقضى منه بالعجب فان ارتفاع المسكن عن الأرض قد يبلغ نحو عشرين قدما وشكله هرمى شبيه بقمع من السكر عظيم الجرم واسع أسفله ضيق أعلاه فمن رأى هذه المساكن على بعد ظنها كفرا من الكفور أوقرية من القرى الريفية وتكون فى غاية من المتانة بحيث لا يمكن كسرها لشدة صلابتها وداخلها فسيح جدا حتى ان الواحد منها يسع اثنى عشر رجلا يقيمون به وقد يتخذها صيادو الوحوش مأوى يكمنون لاصطيادها و يوجد فى داخلها مجارى مياه تشبه المدافع الكبيرة ممتدة فى الأرض الى عمق ثلاث أقدام أوأربع فلونظرنا الى النسبة بين امتداد قامتنا وارتفاع مانبنيه من المساكن مع النسبة بين قامة النمل وارتفاع مساكنه لوجدناه يفوقنا بكثير فان ارتفاع مسكنه قدرقامته خمسمائة مرة ، فلوكان ارتفاع مسكن الانسان بالنسبة لقامته بهذه المثابة لكان ارتفاعه قدرأكبر هرم من اهرام الجيزة أربع مرات أوأكثر . ومن النمل نوع يتسلط على منازل الناس فيجعل له تحتها سراديب يتوصل منها الى أكل مافيها من الخشب ولايزال حتى يأتى عليه ولايبقى منه إلا ظاهره فتسقط البيوت بأقل حركة فيفقد الانسان بيته فى زمن يسير ، وكثيرا ماتسلط ذلك النمل بهذه الصورة على مدائن عظيمة و بلاد عامرة فأتلفها وخربها عن آخرها واضطرأهلها الى الرحيل عنها الى جهات بعيدة لتسكنها وتبنى بها بلادها ومدائنها ، والعجب أن ذلك النمل لايحتاج فى مثل هذا العمل الى مدد طويلة بل يقضيه فى مدة قصيرة وأيام يسيرة ، وقد حكى بعضهم انه رآه أكل سلما كبيرا من الخشب فى مدة خمسة عشر يوما و يأكل مثل الكرسى والمائدة والدولاب فى أقل من ذلك ، فيرى الانسان هذه الأشياء واقفة بهيئتها على أصل صورتها وحتى مسها بيده صارت ترابا مذرورا وراحت هباء منثورا

قال الشيخ رأيت فى بعض الكتب ماهو أخف من ذلك فكنت أستغرب به فالآن زال استغرابى * حكى الجاحظ فى « كتاب الحيوان » انه فى بعض الأيام كثر النمل فى بعض دروب بغداد حتى ارتحل عنه أصحابه وتركوا مساكنهم للنمل وأن بعض الناس قال لأحد الفارّين من النمل كيف أخرجكم النمل من دياركم ؟ فأخذ بيده وقال هلم معى لأريك ذلك وحمل من طريقه رأس جمل مشويا فلما انتهيا الى بعض تلك الدور كلا ذلك وأمر صاحب المنزل خادمه باحضارطشت كبير منصف بالماء ووضع عظام الرأس الى جانبه فسعى النمل اليها وصار يأخذ النمل و ينفضه فى الماء فبعد مدة يسيرة فاض الماء من الطشت ، فقال له كيف تسكن تلك الديار على تلك الحال فسبحان من خلق الأشياء وعرف الانسان قدره بتلك الآيات ، فهذا جيش من النمل أخرج قوما من ديارهم وأبطل حيلهم وقواهم وأعجزهم ليفهموا قوله تعالى ــ وخلق الانسان ضعيفا ــ و يقفوا بأنفسهم على مواضع الاعتبار وتكون مساعيهم فيما له خلقوا وكل ميسر لما خلق لأجله على حد الأدب مع الخلق وخالقه

قال الانكليزى ومن النمل نوع اذا بنى له بيتا لايجعله هرميا بل يجعله على شكل كروى فى عظم البرميل يصنعه من موادّ صمغية وأجزاء خشبية و بعض حشائش و يجعل فى داخله ضروبا وطرقا كثيرة تفوق الوصف ويكون فى العادة بين فروع الشجر ، وفى سنة ١٧٨٠ من الميلاد ظهر منه نوعان فى المديريات الجنوبية من فرنسا فخرب بسببهما بيوت كثيرة وسقطت أسقف وحيطان متعددة ولم يبق فى (روشفور) شئ من الكتب ولاالخشب حتى انهم الآن يضعون أوراقهم فى علب من التوتيا خوفا عليها ، ومنه مايسكن المزارع فيضر بالزرع ضررا بينا وربما حفرله فيها بيوتا ومغارات وعمقها حتى يبلغ ارتفاع التراب الذى يخرج منها خمسة عشر أو عشرين قدما فتتلف المزرعة ويتركها صاحبها وربما أحرقت أماكن هذا النمل بالنار أوضربت بالمدافع لتخريبها ان أمكن وقد يستعمل اللغم فى تخريبها اذا كانت عميقة ممتدة فى جوف الأرض فقد تبلغ فى العمق الى عشرين قدما فى داخل الأرض ، والكلام فى هذا المبحث طويل والذى ذكرته الآن أقل من القليل بالنسبة لما قيل فى هذا القبيل فان عجائب الخلقة ونفائس الحكمة لاتنحصر فى هذه الحشرات بل هى منبثة فى جميع أفراد الخليقة فقد منح الصانع كل جنس ونوع وصنف من العالم بخواص عجيبة وأمورغريبة تجدها فى الأشياء الكبيرة

كما تجدها في الصغيرة وتراها في حيوان البحر كما نبصرها في حيوان البر ‌• ومن أعجب العجب أحوال حيوانات دقيقة جدا أمكن الاطلاع عليها بواسطة النظارات المعظمة وكانت لا ترى بدونها لفرط صغرها ودقتها و يقال لها عند أرباب الفن (الحيوانات النقعية والفطرية) وتوجد في العصارات النباتية والحيوانية وفي الهواء والماء وغير ذلك وكانت مجهولة عند الأمم السالفة ولم يطلع الانسان عليها ولا انكشف له الغطاء عنها وعلم بعض أسرارها إلا منذ عهد قريب بعد ظهور النظارات لأنها لما فيها من خاصية تكبير الجرم وتعظيمه في نظر الناظر عظمت أعضاء هذه الحيوانات الدقيقة فتيسرت رؤيتها وأمكن للانسان أن يمتحن أحوالها و يعلم كيفياتها . انتهى ما أردته من كتاب ﴿ علم الدين ﴾ وقد جاء في إحدى المجلات العلمية ما يأتي

متفرقات عن النمل

(النمل أعجب الحيوانات)

هل خطر لك أن النمل يفهم الحساب ؟ طبعا لا يفهم الجبر ولكنه يفهم الهندسة لأنه يحسن البناء و يفهم العد أكثر من جميع الحيوانات ، ولعل بعض الهمج لا يفهمونه مثله ، أنبأ (أورماند فرنسيس ولمس) من بريد (جبورت) من ولاية كونكتيكت (أميركا) انه في ذات يوم تعثر بحجر فانقلب الحجر عن عش مملوء من محضن صغار النمل التي شرعت تنقف بيوضها فتناول اثنتين منها لفحصهما وفي الوقت نفسه صعدت النملات الأمهات وكرها مرتاعة وشرعت تنقل صغارها الى مكان أمين حتى انتهت ثم عادت تبحث هنا وهناك كأنها علمت أن عدد الصغيرات ناقص اثنتين ، فلا ريب انها أحصت الصغيرات فوجدتها ناقصة فردهما (أورماند) الى مكانهما فحملتهما نملتان ومضت بهما

﴿ النمل يربي صغاره ﴾

وهل تصدق أن النمل يحسن التمريض والتربية ؟ حالما تبيض ملكة النمل بيوضها تجمع النملات العاملات حولها وتحمل البيوض بأفواهها وتمضي بها الى المكان الدافئ الذي أعدته لها وهناك تشرع تعرف البيوض بحسب حجمها فتضع الكبيرات في صف والصغيرات في صف آخر ومتى نقفت الصغيرات بيوضها وخرجت منها تضعها العاملات في شكل دائرة وتجعل رؤسها متجهة الى خارج الدائرة لكي تسهل عليها تغذيتها وفي المناطق الاستوائية نوع من النمل تأخذ المربيات منه الصغار الى خارج الوكر في يوم الصحو لتعريضها لنور الشمس والهواء الطلق وتسير بها الى هنا وهنالك كأنها تنزهها كما تفعل مربيات الأولاد اللواتي يطفن بهم بالعربات اليدوية ، ثم إن النملات المربيات تبالغ في تنظيف أوكارها ولاسيما أوكار الصغار أكثر مما تفعل ربات البيوت ، فهذه النملات تضع في عشوش الصغار نوعا من الاسفنج تصنعه من المواد الناعمة المختلفة فتى اتسخت خراطيم النملات وعلق الوحل على أفواهها تسرع المربيات الى هذا الاسفنج وتمسكه وتمسح به أفواه الصغيرات وخراطيمها

﴿ النمل أقوى من الانسان ٣٠٠٠ مرة ﴾

لو كان في امكاننا أن نستنطق النمل ونجعله يقول بصراحة وصدق ما في قلبه ، وأن يخبرنا ما هي أعظم المزايا التي يفتخر بها لقال باعجاب ﴿ قوتي ﴾ ولضحك على ضعفنا ، ذلك لأن للنمل قوة عضلية بالنسبة الى حجمه تزري بقوة أعظم المصارعين والرياضيين * روى (المستر د . دي بوا) العالم الطبيعي فقال ﴿ رأيت نملة تحمل حصاة من أسفل العرمة الى أعلاها فوزنت النملة والحصاة وزنا مضبوطا بأدق الموازين وقست ارتفاع العرمة فوجدت بعد الحساب أن الرجل لكي ينافس النملة في رفع الأثقال يجب أن يحمل حملا وزنه نصف طن و يصعد به (٢٥) درجة من درجات (السلالم) الاعتيادية ﴾

لعلك تستغرب ذلك ، فانظر فيما يلي ﴿ النملة في حقلها تحمل بين فكيها حملا أثقل من وزنها ثلاثة آلاف

مرة

مرة من غير عناء ، ولكى تفعل فعلها يجب على كل واحد منا أن يقف على حافة هاوية ويمسك بين أسنانه سلسلة مربوطة بثماني عربات محملة حديدا ﴾ وقد أكد أحد عارفى طبائع النمل أنه اذا كان رجل يزن (١٥٠) رطلا وله قوّة بالنسبة الى وزنه كقوّة النمل لاستطاع أن يحمل على ظهره قاطرتين من أكبر قاطرات السكك الحديدية من غير أن يترنح * وقد روى الاستاذ (رفتون) أن فى افريقيا نوعا من النمل يسمى (بولدوج) يستطيع أن يمشى واثبا وكل وثبة نحو قدم فاذا رام انسان أن يجاريه وجب أن يثب الوثبة الواحدة نحو ٤٤ ١ قدما

﴿ النمل فلاح ﴾

النمل فلاح أيضا ، لعلك تستغرب انه كذلك والحقيقة أن للنمل حدائق يزرعها ويجتنى منها طعامه الذى لايجده فى كل مكان وله اسطبلات يحرس فيها أبقاره التى يحتلب عسلها ، وهناك نوع من النمل يسمى (قاطع الورق فهو يقطع ورق الشجر بمقص فمه الحادّ ويحمله الى عشه وهناك يمضغه حتى يصبح كالعجين ويفرشه على الأرض ، وبعض النمل يبحث عن المشروم (نبات فطرى) فى الحقول وينقله الى حديقته ويزرعه فى الأرض التى أعدها لذلك فينبت نباتا فطريا ويتغذى به

﴿ بقر النمل ﴾

أما بقر النمل المشار اليه آنفا فهو نوع من البعوض النباتى المائل الى الخضرة وهو كثير فى الجناين فالنمل يقنص هذا البعوض ويأخذه الى عشه ويحميه ويغذيه ، وهذا البعوض يفرز مادّة لزجة يستطيبها النمل والعجيب انه لايفرزها مالم يدغدغه النمل بخرطومه ، وقد حاول (دارون) أن يجعل بعوضة تفرز عسلها إذ دغدغها بشعرة فلم تفرز شيأ فلما أطلق عليها نملة دغدغتها فأفرزت العسل

﴿ النمل جراح ﴾

وهل خطر لك أن النمل جراح ماهر ؟ إن عملياته الجراحية عجيبة ، فى البرازيل نوع من النمل القاطع للورق يحسن الجراحة كأمهر جراح فتى جاءت اليه نملة تقاسى من جرح خطر يستدعى بعض الجنود الاختصاصيين الذين لايخطئ فى استدعائهم ثم يضم شفتى الجرح معا ويأمر الجندى أن يمسكهما معا بفكيه ويبقى هذا ممسكا بهما الى أن يخيطهما الجرّاح على طول الجرح بواسطة خيوط يفرزها من نفسه والله أعلم

﴿ للنمل مقبرة ﴾

ومن أغرب الامور أن للنمل عادة ليست فى سائر الحشرات أو الحيوانات وهى انه يدفن موتاه فى مقبرة خاصة وذلك أن بعض النملات ترفع الجثة بواسطة خراطيمها وتتبعها النملات الأخرى فى موكب جليل وتسير جميعا خارج الوكر الى مكان معين تدفن فيه موتاها ، وهناك أعمال أخرى للنمل تدل على حذقه وذكائه وقوّته ، ولو كان يتكلم لكنا نفهم منه أمورا أخرى ربما كانت أعجب وأغرب

﴿ النمل الغازى ﴾

فى افريقيا نوع من النمل تفوّق عن الجراد غزوا فهو يزحف صفوفا كثيفة متراصة متحاذية الى أن يصل الى الحقل الذى يريد غزوه فيحيط به ويحاصره من جميع الجهات وحينئذ لاينجو منه شئ من الحشرات كالخنافس والعقارب والعناكب والديدان والحيات الصغيرة حتى متى انتهى من غزوه لايبقى فى الحقل غيره فان جلا عنه الى حقل آخر تركه نظيفا . انتهت اللطيفة الثانية ﴿رسالة عين النملة﴾

﴿ اللطيفة الثالثة . الكلام على عين النملة ﴾

(كتب يوم الجمعة ٣٠ رمضان سنة ١٣٣٤ هـ ــ ٣٠ يوليو سنة ١٩١٦ م)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

لئن عجب القارئ من هذا العنوان فعجب معناه ، ولئن كان غريبا فأغرب منه مغزاه ، يخيل للسامع انه

عما لايؤبه به ، وماقيمة النملة حتى يحتفى بعينها ، فليبين القارئ من العجائب وغرائب الابداع فيها مايحار فيه لبه ويزداد عجبه ويوقن أن هذه العين التى لايراها البصر ولاتتجه اليها الفطن كمدينة عجيبة مشرقة الأنوار زاهرة باهرة تترقرق جمالا وحسنا ويعلم إذ ذاك كيف سميت فى القرآن سورة باسم النمل ، وكيف ذكر قصة سيدنا سليمان معها وأن ماأذكره فى هذه العجالة غيض من فيض العلم المستمد من تلك العين — ثم لترونها عين اليقين — ثم لتسألن يومئذ عما تعلمون . لنقدم مقدمة قبل هذا المبحث البديع فنقول

بينما أنا منذ شهر فى مجلس غاص بأهل العلم والفضل والأدب من المشايخ وذوى الطرابيش — ثلة من الأولين * وقليل من الآخرين — على تصحيح ورق الامتحان للتلاميذ عاكفين إذ قال قائل منهم ومعه فريع شجرة ذو ورق بديع لطيف منظم إنى كان لى قرين يقول ألا لايستوى نظام هذا الفرع ونظام النمل الفارسى وكيف يستويان وفى هذا الفرع من النظام والجمال مايبهر الناظرين — ومايذكر إلا أولوا الألباب — ثم قال وياليت شعرى لم قارن بين النمل الفارسى والورق فى النظام ، واذا صحت المقارنة فما الدليل على ماقال ؟ فأجبت لقد أخطأ صاحبك المرمى ولم يصب المحز . إن النمل أتقن نظاما وأبدع إحكاما وأهدى سبيلا وأقوم قيلا ولست أحيلك على دقة نظامه ولاحسن اتقانه ولا أعضائه الباطنة والظاهرة ولامدارسه وسياسته وجيوشه ومدنه وزراعته مما سطرناه فى كتبنا ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ و ﴿ جمال العالم ﴾ وغيرهما وانما أحيلك على مسألة عينه العجيبة الغريبة . فقال وماذلك . فقلت انها تتركب من أكثر من مائتى عين كل واحدة منها ذات طبقات خاصة ونظر مستقل بحيث لوعميت إحداهن لنظرت الباقيات نظرا مستقلا صحيحا ، فلم يقع القول منه موقعه من ذى الغلة الصادى وقال كيف السبيل الى معرفتها ، ومن ذا يجترئ أن يدعى هذه الدعوى ، وما الدليل ، فاحتدم بينى وبينه وطيس الجدال واجتمع القوم حولنا زمرا وكانوا أزواجا ثلاثة ، فريق كذبوا ، وفريق يشكون ، وقليل منهم من وافق . فأما أنا فقلت لقد سمعتها أيام تعلمى بمدرسة المعلمين الناصرية من الاستاذ ثم قرأتها فى الكتب الصغيرة الانجليزية لتلاميذ المدارس الثانوية ثم رأيتها بعينى رأسى بالمنظار المعظم وسطرتها فى الكتب المنشورة فقال أوسطهم

والدعاوى ما لم تقيموا عليها * بينات أبناؤها أدعياء

وقيل أيضا إن كنت ناقلا فالصحة أو مدعيا فالدليل

وقيل أيضا ولم أر فى عيوب الناس عيبا كنقص القادرين على التمام

فائت بالبرهان أو بالعيان . فقلت سأريكموها تحت المنظار المعظم كما رأيتها — ثم لترونها عين اليقين — وإذ ذاك أقول

وليس يصح فى الأذهان شئ * اذا احتاج النهار الى دليل

وليس بعد العيان بيان فقالوا لاطاقة لنا اليوم بالحكم عند العيان فقد يخطئ الحس فأرنا كتب القوم وائتنا بنص الكتب الصريح فقرأت — سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم — وقلت سترونها فى كتب القوم وإذن أقول ﴿ فاز من ركب العصا ﴾ فتوجهت الى المكتبة الملكية وقرأنا ما كتبه العلامة (اللورد أفبرى) اذا هو لايروى غلة ولايشفى من علة ، وطالعت مجلات أخرى مع بعض الفضلاء فرجعنا بخفى حنين . فقلت قال تعالى — فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون بالبينات والزبر — واذن كلمت العلامة صديقى محمد بك شوقى بكير المدرس بمدرسة الزراعة العالم بهذه العجائب الذى أطلعنى عليها بالمنظار المكبر المغرم بالعلم العاشق للحكمة فقال لسان الحال

تسائل عن حصين كل ركب * وعند جهينة الخبر اليقين

فأجاب ، لقد اتسع نطاق هذا الموضوع فى كتب القوم وأحضر لى ﴿ كتابين * أحدهما ﴾ كتاب

(درس

﴿ درس علم الحشرات ﴾ تأليف (باكرد) الاستاذ (بردوفسور) فى جامعة براون من صفحة (٢٥٦) الى صفحة (٢٦١) المطبوع سنة ١٩٠٩ م ﴿والثانى﴾ كتاب ﴿علم الحشرات﴾ مع الاشارة الى مباحثه الحيوية والاقتصادية المطبوع سنة ١٩١١ م من صفحة (٣٠) الى (٣٤) وكذلك صفحة (١١٤) و (١١٥) وملخص ما فى كتب القوم هو ما يأتى ﴿ إن جميع الحشرات أعينها مركبة وأقلها تركيبا لاتقل أعينها عن اثنى عشرة عينا ومنها ما يكون كل عين من عينيها مركبة من مائة ثم من ألف ثم تترقى الى سبع وعشرين ألفا وذلك فى حشرة من نوع الفراش فى القطر المصرى وغيره تعيش على العليق وعلى البطاطس وأمثالها تشبه حشرة (أبى دقيق) المعروفة . فأما النملة فان كل عين من عينيها لاتقل عن مائتى عين ولاتزيد عن أربعمائة تقريبا ، وللعلماء فى هذا مذهبان مشهوران ، فأما الأولون فانهم يقولون إن كل عين من تلك العيون تنظر الجسم جملة فاذا كانت عينا النملة مركبتين من ستمائة عين مثلا كانت كل واحدة منها ترى الجسم كما ترى كل عين من أعيننا الجسم الذى تراه الأخرى ، فأما المتأخرون من أهل الفن فقد حققوا الموضوع تحقيقا وكشفوا النقاب عن وجه الحقيقة وحكموا التجربة تحكيما فأيقنوا أن تلك العين انما هى مجموع عيون كل منها ترى جزأ من الجسم بحيث لو عميت لم تبصر الجزء المقابل لها فى الجسم ، وأجمع الأولون والآخرون على أن كل عين ترى مستقلة وعلاقتها مع غيرها المجاورة ، فلما أن أتم قوله قلت — الآن حصحص الحق — واستبان السبيل وظهرت الحجة وقامت آية الله الكبرى وبهر جمال الله خلقه وقلت لأولئك الأجلاء ماظهر وما بطن وأعلمتهم جلية الخبر فسجدوا شاكرين وكبروا الله مخلصين . فقال صديقى محمد بك شوقى بكير لندرس الموضوع حق دراسته لأترجم أهم هذا المبحث وليكن مقالا جامعا حتى يعرف الناس هذا العجب العجاب ، وسأذكر ملخصه موضحا وأعرضه على القارئين مبينا ليقفوا على آيات الله الكبرى — سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها — فيعربوا مسئلة الكحل ﴿ مارأيت رجلا أحسن فى عينه الكحل منه فى عين زيد ﴾ ويقارنوا بين أبى تمام والمتنبى وبين جرير والفرزدق أو يعرفوا المجاز المرسل والاستعارة والكناية وماهم وهذه المسائل وهى انما اختص بها الغربيون ودرسها علماء الزراعة . وما للشيوخ وهذه العلوم . وماهذه العناية بهذا الحيوان الحقير ونحن فى حاجة الى ماينفعنا والناس فى الحرب والضرب . فما هذه السخافات ؟ ولم اهتممت أنت بهذا اهتمامك بأعظم الأشياء فنقول

ليس ينبغى أن يكون الشيوخ محصورى العقول فيما ذكر ههنا ، هاهم أسلافنا كعبد اللطيف البغدادى والجاحظ والرازى والغزالى ، فأولئك الذين هدى الله وكانوا نورا يستضاء بهم ، فاقرأ فى كتاب الحيوان للجاحظ تر الرجل جد وبحث جهد طاقته ولم يدخر وسعا فى سائر أنواع الحيوان ، والمعلم الضيق العطن القليل الفطن واقف كالماء الراكد فى حيز واحد يتبعه تلميذه و يضيق صدره وتموت أمته ، لقد كذب الذين قالوا لاينبغى اتساع دائرة علومه انه لضلال مبين ، ومن أضل ممن يأمر بالجهل و يغرى الناس بالكسل ، فأما العناية بعين النملة و بالنملة فليس بعجب بعد أن سمى الله سورة باسمه فى القرآن ايقاظا للعقلاء ليدبروا هذه الحشرات الصغيرة وليدرسوها ليصلوا لأمرين معرفة الله جل جلاله والاستلذاذ بالعلم والحكمة والوقوف على فوائدها الاقتصادية النافعة فى الحياة الدنيا كما فعل الاوروبيون فيما تقدم فى هذه الرسالة . فاذا رأيت ثم رأيت ملكا كبيرا داخل هذه الأعين كما ستراه قريبا ولما نزل قوله تعالى — مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون — وقالت العرب — ماذا أراد الله بهذا مثلا — وهل يذكر الله هذه المخلوقات الحقيرة نزل — إن الله لايستحى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين —

فأما الاحتجاج بالحرب والضرب فتلك حجة الكسالى والعاجزين البائسين ، فالناس أيام الحرب يأكلون

ويشربون والمدارس مفتحة الأبواب والناس يحيون ويموتون والشمس طالعة غاربة والنجوم مشرقة آفلة والدنيا كما هي . اذا كان الحرب تأثير على سير العلم فهلا أقفلت أوروبا مدارسها وهي اليوم ميدانه . إن الاحتجاج بالحرب خدعة شيطانية . فأما اهتمامي بذلك فليس بدعا . ألا ترى انى لوأغمضت الجفن على القذى وتركت حبل الامور على غاربها لظنّ الناس اننا نقول بلاتحقيق أونكتب بلاتدقيق ومقالة السوء أسرع انتشارا وأعظم أنصارا للحسد الكامن فى نفوس البشر — وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم — ولقد جاءنى من قبل عالم من علماء مكة وهو صديقنا السيد محمد حسين الخياط إذ قال ، لقد قرأت كتابك ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ وقد كان أهداه لى أحد تلاميذى ببلاد جاوه فلما قرأته أرانى هذا الوجود على غير ما كنت أرى وعجبت من مسألة تركيب الماء من الاكسوجين والاودروجين وقولك إن النسبة بينهما هندسية عجيبة ورأيت الحساب المذكور فى كتابك والنظام المدهش فيها بحيث انهما يكوّنان الماء ولونقص أحدهما أوزاد عن النسبة المحدودة لم يكن ماء ولا امتزاج ، وكنت أقول هل رأى المؤلف هذا بعينه ، فها أنت ذا المؤلف هل رأيته . فقلت نعم وسترى بعينى رأسك وتوجهت معه الى مدرسة المعلمين الناصرية وكان المدرّس إذ ذاك صديقنا أحمد بك فهمى العمروسى فأخذ يحلل الماء بطريق الكهرباء وحدثت حادثة مزعجة أن انكسرت الزجاجة وطارت منها شظية خدّدت خدّ العمروسى صديقنا ثم شفاه الله وعرف صاحبنا المسألة يقينا

لقد رأيت من هاتين الحادثتين حادثة عين النملة وتركيب الماء ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ العالم المكى والعالم المصرى انى مطالب بما أكتب وأن المؤلف مستهدف للذم والمدح . فعلى كل من ألف أن يستيقن من علمه لينفع الناس وليثقوا بعلمه — وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهادِ الذين آمنوا الى صراط مستقيم — ولوانى توليت عن هذا الأمر معرضا لم أصل الى معرفة ماوصل الينا الآن ولم أستفد مااستراه من العجائب المدهشة ، على انى كسبت أصدقاء واخوانا نتعاون على البرّ والتقوى

* قال ابن المقفع « أفضل مايعلم به علم ذى العلم وصلاح ذى الصلاح أن يستصلح بما أوتى من ذلك مااستطاع من الناس ويرغبهم فيما رغب فيه لنفسه من حب الله وحب حكمته والعمل بطاعته والرجاء لحسن ثوابه فى المعاد اليهم وأن يبين مافى الدين من الأخذ لذلك والذى عليهم فى تركه وأن يورّث ذلك أهله ومعارفه ليلحقه أجره من بعد الموت » وقال أيضا « مما يدل على علم العالم معرفة مايدرك من الامور وامساكه عما لايدرك وتزيينه نفسه بالمكارم وظهورعلمه للناس من غير أن يظهر منه فخر ولا عجب ومعرفة زمانه الذى هو فيه و بصره بالناس وأخذه بالقسط وارشاده المسترشد وحسن مخالقته خلطاءه وتسويته بين لسانه وقلبه وتحريه العدل فى كل أمر ورحب ذرعه (الصدر) فيما نابه واحتجاجه بالحجج فيما عمل وحسن تبصره »

﴿ عجائب عين النملة وغرائبها ﴾

لقد أبنا فى المقال السابق سبب تسطير هذا المقال فلنشرع الآن فى المقصود ونقول ﴿ من عجب أن يكون لكل نملة ﴿ خمسة أعين ﴾ ثلاثة منها أمامية فى مقدم رؤسها وهذه الثلاثة كأعيننا فى التركيب ، ذلك لأنها ليست تتركب من أعين كثيرة بل كل منها عين واحدة ترى كما ترى أعيننا وهى مركبة من

(١) عدسة محدّبة الشكل ، ولما كانت العدسة لاتقوم بالابصار وحدها أمدّ الله عزّ وجل تلك النملة فزاد لها مادّة أشبه بهذا الزجاج الذى نراه تسمى الزجاجية فكانت شفافة تحت البشرة

(٢) ولما كانت العدسة والمادّة الزجاجية لابد لهما من مادّة أخرى تتمّ بها الوظيفة جعل الله لها شبكية مركبة من خلايا مثنى وثلاث

(٣) ثم يتصل بالشبكية أعصاب يسمونها (ليفية عصبية) وليست الشبكية منعزلة عن العدسة بل لها قضيب يمتدّ اليها ويصلها بها

(٤) و بين الشبكية والأعصاب الليفية خلايا تسمى الخلايا الاضافية
(٥) وفى داخل تلك الاضافية خلايا أخرى
(٦) ملوّنة بالسواد
(٧) ومن الخلايا ما يكوّن قزحية العين

فتأمّل وتعجب فى هذه النملة الصغيرة وازدد عجبا فى عينها الصغيرة البسيطة ثالثة الثلاثة ونحن الى الآن لم نتكلم على العين المركبة وانظر كيف كان للعين عدسة كالعدسة التى فى النظار وجسم زجاجى وشبكية ليفية عصبية وقضيب يصل الشبكية بالعدسة وخلايا اضافية وأخرى ملونة بالسواد وقزحية ، فكل من هذه السبعة له حكم خاص به ومقياس لا يتعدّاه ومقدار لايتجاوزه ولو نقص أو زاد لاختل نظر تلك العين الصغيرة ولو وقفت على نظام الشبكية وحدها وتركيبها من خلايا مثنى وثلاث لقضيت العجب فى هذا الانقسام ، فهذه العين على شدّة دقتها أصبحت ذات أجزاء سبعة والجزء الواحد مركب من خلايا مثنى وثلاث وكل خلية من تلك الجملة لو وقعت تحت المنظار كما رأيت أنا نظيرها تحته لرأيتها مقسمة أقساما تعدّ بالمئات مما يحار فيه العقل وتضل الفكر — ومايعلم جنود ربك إلاهو وماهى إلا ذكرى للبشر —

وهذه الأعين التى سميناها بسيطة خلقت على ﴿ نوعين ﴾ نوع يكون فى جانبى الرأس فى غير النمل من الحشرات وتكون العين كرأس الدبوس ، ونوع يكون فى الرأس من الأمام ، فالأولى وهى الجانبية تكون فى الدودة التى استعدّت لتنقلب حشرة ولم تسكن فى الظلام ولافى مكان كثير الغذاء فان الحكمة الإلهية قضت أن لا يكون عضو إلا لمنفعة ، واذا نال الدود طعامه سهلا فما منفعة العين ؟ واذا كان فى الظلام فالعين عبء ثقيل على عاتقه ويكون ضرّها أكبر من نفعها فرفع الله اصر الأعين عن هذين النوعين وأنعم بها على غيرها من الحشرات — فتبارك الله أحسن الخالقين — وفى الأرض آيات للموقنين — وفى خلقكم ومايبث من دابة آيات لقوم يوقنون —

﴿ جوهرة بديعة ﴾

لقد يضل علماء الحشرات فلايتبينون الذكر من الأنثى فى تلك الحشرات الصغيرة وانما يعلمون ذلك بكبر تلك الأعين فى ذكور بعض الحشرات واقترابها من بعضها دلالة على النشاط والقوّة حتى يبحث الذكر على الأنثى ولولا تلك القوّة والأيد ما استطاع سبيلا للانتاج ولانقرض النسل وذلك خلل النظام

هذه نبذة صغيرة فى عين النمل البسيطة من الثلاث المقدّمات ﴿ سؤال ﴾ ولعلك تقول كيف يحتاج بعد هذه الأعين الثلاث الى الأعين المركبة التى سنشرحها وذوات الأربع من الحيوان والانسان كلها كفاها عينان وأعمالها عظيمة وحاجاتها أعظم ، فما النملة حتى يعوزها عينان مركبتان بعد هذه الثلاث المنظمة العجيبة ، نقول على رسلك ، إن هذه الأعين محدّبة تحديبا حادّا والعدسة ثابتة لاتتحرك والمسافة بين العدسة وشبكية العين ثابتة فلاجرم يجب أن يكون المرئى على مسافة معلومة ثابتة بينه و بين عين الحشرة والتحديب الحادّ يوجب قصر المسافة . ولقد أعموا حشرة بحيث غطوا أعينها المركبة التى سنتكلم عليها بمحلول معتم ووضعت الحشرة بعد ذلك فى صندوق مظلم ذى ثقب واحد مضىء فخرجت الحشرة من ذلك الثقب سوآ كان بعين بسيطة واحدة أو باثنتين أو بثلاث فظنّ بعض العلماء استنتاجا أن هذه الأعين لايتميز بها إلا الضوء فأمامعرفة القرب والبعد والشكل والحركة والسكون واللون وما أشبه ذلك فانه يكون بالعين المركبة

﴿ العين المركبة ﴾

ولئن عجبت من عين النملة البسيطة مرة لتعجبن ألف مرة من عينيها المركبتين . انهما خلقتا على جانبى الرأس وكثيرا ماتملآن ذينك الجانبين وتتركبان من أعين خضر مستديرة أومسدّسة كما فى خلايا النحل فانها

مركبة من أشكال هندسية عجيبة مسدسة محكمة ذكرناها فى كتبنا « كجمال العالم » و « جواهر العلوم » وغيرها ، وقد قدمنا أن هذه الأعين ليست خاصة بالنمل بل انها تشمل سائر الحشرات وتكون العين مركبة من (١٢) عينا فى حشرة تسمى (ليبيزما) ويصل عدد تلك الأعين الى (٢٧٠٠٠) عين فى العين الواحدة فى الحشرة المسماة (اسفنكس كونفولفولاى) وهى أشبه بالفراش الذى يعيش على القطن وتقدم بيانه وهذه أكبر من حشرة القطن حجما كما رأيتها بعينى رأسى فى الرسم . عين النملة كما تقدم مركبة من مائتى عين الى (٤٠٠) عين وليست الأعين الصغيرة متساويات المساحة فيكون حجمها من $\frac{1}{200}$ من البوصة أى ٠٫٠١٦ من المليمتر أو ٠٫٠٠٩ من المليمتر ، واذا كان عينا النملة مثلا مركبتين من ثمانمائة عين على أكثر تقدير فتعجب وانظر تشريح كل عين من هذه الأعين وتأمل فى نفسك وعقلك وتركيبك واعجب من اتقان المبدع الحكيم لأدنى الأشياء واحكامه لها وافهم قوله تعالى — وكل شئ عنده بمقدار — وقوله — وان من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم — وقوله — وما كنا عن الخلق غافلين — بل كيف يقرأ الانسان علم عين النملة ولا يوجه قلبه الى هذا المبدع الحكيم الذى نظر الى النملة وعينها كما نظر الى الشمس وقمرها والنجوم ونورها والجبال والشجر والأنهار ، فانظر كل عين فى التشريح ترها تتركب مما يأتى

(١) من قرنية العين وهى خلية بشرية ذات أديم شفاف محدب الشكل مكسر للضوء وأعلى هذه القرنية تارة يكون أوسع من أسفله وتارة يكون العكس

(٢) وحول أسفل القرنية أهداب تكتنفه تختلف فى نظامها ومقدارها وشكلها باختلاف الحشرات

(٣) ويلى القرنية من تحتها مباشرة مخروط يختلف حجمه باختلاف الحشرات

(٤) ومن تحته عدسة كالبللور مركبة من أربع خلايا أو أكثر ، ومن الحشرات مالا عدسة له ولا مخروط له ويكون أربع خلايا بدلهما

(٥) ثم تكون القضبان وهى حزمة منها ممتدة امتدادا طوليا على محور العين

(٦) وتحيط بها خلايا مستطيلة وهى مكونة شبكة العين

(٧) وهناك منطقة خارجية ملونة بالسواد حول الشبكية كأنها درنات صغيرة فى الخلايا القصيرة حول الشبكية وهذه تسمى منطقة حدقة العين

(٨) ومنطقة أخرى داخلة وخلاياها الملونة طويلة ومستديرة وهى تفصل كل عين عن الأخرى

(٩) لكل عين حزمة من العصب البصرى

(١٠) ولذلك العصب ليف عصبى منفرج عنه داخل فى العين مار

(١١) بالنسيج الأساسى وبالعصب

هذا تشريح كل عين من العيون المكونة للعين الواحدة — فاذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا — نعيما للعلماء وملكا للحكماء ، وهل ملك الحكماء إلا سعادة النفوس وخلاصها من أسر الطبيعة ودناءة الأخلاق وهل دار فى خلد أحد يوما ما وهو يطأ النمل برجله ويدوس عليه بسنابك خيله ويطؤه بأخفاف إبله ويذيقه الموت أفواجا أفواجا أن لكل عين من عينيه نحو (٤٠٠) عين لكل عين قرنية شفافة كالقرنية التى فى ظاهر أعيننا وسميت كذلك لأنها أشبه شئ بالقرن وحولها أهداب كأهداب أعيننا تليها عدسة أو ما يشبهها كالعدسة التى فى أعيننا ثم شبكية كالشبكية فى أعيننا ومنطقتان ملونتان بالسواد لئلا يشع النور من العين حتى يكون محصورا فيها وأعصاب بصرية تصل الى الدماغ ليحكم ادراك النملة على الأشباح التى أمامه ، وما أشبه عينى النملة إلا بتلك الثريات المعلقات فى الأماكن الشريفة بحيث يكون فى كل منها أربعمائة قنديل ، وعلى ذلك ليست تلك الثريات (النجفات) إلا مجموع قناديل مضيئة مشتركة تترقرق حسنا للناظرين ، فهكذا كل عين

مجموع عيون مضيآت مشرقات للنملة هاديات لها ـ سبح اسم ربك الأعلى * الذى خلق فسوّى * والذى قدّر فهدى ـ النملة وسائر الحشرات ضعيفة ، ولقد قضت الحكمة أن لايعطى الشئ إلا بمقدار ، عميت الحشرات التى تعيش فى الظلام وهكذا التى كان عيشها رغدا لاحاجة لها فى طلب الرزق ، فأما أمثال النمل فان لها من المصالح والأعمال مالا حصر له كما أوضحته فى ﴿ نظام العالم والأمم ﴾ و ﴿ جمال العالم ﴾ وغيرها وكان من الحكمة أن لاتجتزئ بالأعين الثلاثة البسيطة بل منحت تلك المئات من العيون بحيث ترى كل عين منها جزأ من الأشباح التى أمامها ، ولقد بحث ملر واكسنر فى هذه الأعين بحثا مدققا فوجدا أن كل عين لاترى إلا ما أمامها . فأما الأوّلون فقد ظنوا انها ترى الشبح كله كما ترى الأخريات ولقد وضع (اكسنر) العين المركبة تحت المنظار المعظم ونظر فيها فلم تر كل عين إلا ما أمامها ، وضرب لذلك مثلا فقال ﴿ هذه الأعين كأنابيب من الزجاج متجاورة ملوّنة بالسواد فهل ترى كل منها إلا ما أمامها ؟ أوليس كون السواد فى كل عين وكل أنبوبة زجاجية يحول دون شعّ النور منها ، ولقد أزال (اكسنر) القرنية والمخروط ليعلم ما حكمتهما وهل تبقى العين مبصرة كما هى أم ماذا يكون ؟ فنظر فيها فوجد الأشباح اقتربت واندمجت وعلم انه لولا القرنية ولولا المخروط ماوضحت الأشباح للنملة ولاختلط عليها الأشباح وضلت سواء السبيل ﴾

يقول (اكسنر) ﴿ إن الحشرات ترى الأشباح وحركاتها بسرعة غريبة فان تلك الخلايا المسودّة لتنقبض وتنبسط على حسب مقتضى الأحوال كما ان انسان العين فى الانسان يضيق ويتسع كذلك تبع كثرة النور وقلته وذلك يعين الحشرات على سرعة الادراك والنظر السريع بحيث لايعوزها حركة العين ولاحركة الرأس فان الشبح المتحرك تصل صورته الى مئات العيون أسرع من البرق وتحس تلك العيون كلها مرة واحدة بتلك الحركة من جهات كثيرة ، فما أسرع فرارها وأبدع خالقها ولذلك ترى الحشرات كالذباب والنمل والنحل سريعة الحركة قريبة الهرب من كل حادث قلّ أوجلّ ﴾ ـ إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أوألقى السمع وهو شهيد ـ أشهد أن الذى أبدع عين النملة وأفرغ عليها من الحكمة مالاعين رأت ولاأذن سمعت ولاخطر على قلب غافل . يعطى الأمة التى أراد حياتها رجالا مفكرين وقادة قادرين وحكماء ماهرين وعظماء مسيطرين ويمدّها بنوره وحكمته ويعطيهم من لدنه علما فيكوّن عيونها الصغيرة المستمدة من النور الإلهى العام المحيط بالكون ثم يكلؤهم برحمته ويجعلهم تحت رعايته حتى تعيش الأمّة فى سعادة وهناء وحبور ، أوليس الذى أمدّ النملة بعيونها هو الذى يمدّ الأمة بحكمائها وعلمائها ـ تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير ـ وهو بالشكر جدير . انتهى يوم الأحد ٢٢ رمضان سنة ١٣٣٤ هـ ـ الموافق ٢٢ يوليو سنة ١٩١٦ م بمدينة اسكندرية بجهة أبوورده

وهذا ماكتبه الاستاذ الفاضل شوقى بك بكير وكيل ادارة البساتين الآن الأخصائى فى هذا الفنّ ﴿ لقد رأيتها وقرأتها فوجدت جميع المباحث العلمية التى فيها صحيحة وأنا مترجمها بمعرفتى ﴾ والحمد لله رب العالمين

النحل بعد النمل

ماكنت أعلم وأنا أكتب تفسير (سورة النحل) عدد عيون النحلة ولذلك لم أكتب شيأ فى ذلك ولم أعلم أن عيونها بحسب الظاهر خمسا كعيون النملة فاعجب لما قرأته الآن من العجائب إذ ثبت أن عيون النحلة خمس منها ثلاث عيون صغيرات مجموعة فى مثلث فى وسط الجبهة ، فأما العينان الباقيتان فهما كبيرتان واقعتان فى جانبى الرأس وهما المقصودتان بالكلام ، ويقولون ﴿ لوكان للانسان هاتان العينان لرأى آلافا من الأشياء ﴾ ويقولون ﴿ إن ملكة النحل لها (٤٠٠ر١) عدسة صغيرة وأما النحلة العادية فان عينها الكبيرة تشتمل على (٤٠٠٠ر٤) عدسة (وهذه الأعداد فى إحدى المجلات المصرية فتأمّل) وقوّتها كقوّة عدسات الملكة ﴾

و يقرّر الاستاذ (كارل فريش) وهو أكبر عالم فى دراسة النحل ان أشعة عين النحلة مثل أشعة (اكس) تخترق الأجسام الصلبة وتريها ماوراءها ، وذلك بما ثبت له من التجارب ، هذا ومن اطلع على ماجاء فى هذا التفسير فى إلقاح النبات كما فى سورة الحجر وفى سورة البقرة والأنعام فى آية — وأرسلنا الرياح لواقح — فى الأولى وآية — إن فى خلق السموات والأرض — الخ فى الثانية وآية — انظروا الى ثمره اذا أثمر — فى الثالثة أدرك أن النمل وغيره من الحشرات تتوقف حياة الانسان على وجودها . ألاترى رعاك الله أنه لولا هذه المخلوقات الصغيرة ما أمكن أن تثمر كثير من الأشجار ، فهذه الحشرات هى الملقحات لها فبها يكون الاثمار والله هو الولىّ الحميد والحمد لله رب العالمين

﴿ اللطيفة الرابعة كيف — قالت نملة ياأيها النمل ادخلوا مساكنكم — الخ وكيف سمع سليمان عليه السلام ذلك ﴾

إنى أعلم انك أيها القارئ لهذا التفسير تقول ان الحكمة والفلسفة ليس فيهما مايؤيد كلام النملة ولا أن سليمان سمعها ، وكيف يسمع من غير متكلم ؟ وكيف تكلم هى النمل والنمل يسمعها ؟ وكيف علمت هى بحضور سليمان وجنوده ، تقول ذلك فى نفسك وتجيب فتقول إن هذا جاء به الوحى فلاقول لنا فيه ولكن اذا سمعت ما أتلوه عليك الآن تدهش من العلم الحديث والحكمة

اعلم أن الله جعل الأنوار مالئة لهذا الوجود ولم يجعل العالم مظلما بل جعله مضيئا وخلق المرآة لتنظر بها مالاتتمكن من رؤيته ، وفوق ذلك جعل من ضوء الشمس صورا تبقى رسومها الى آخر الزمان وخلق الحواس وهو حقا — واسع عليم — فكان مقتضى هذا أن يجعل بنى آدم وجميع الحيوانات تقرأ فى مافى صدور بعضها بحيث يعرف الانسان مافى قلب أخيه والحيوان كذلك . هذا مقتضى الرحمة وسعة النور والجمال ، ولعلك توافقنى انه كان ذلك أرحم بنا وأنفع ، أقول لتعلم أن هذه الأمنية الآن موجودة فعلا فينا وفى الحيوان . إن بيننا معاشر بنى آدم محبة و بغضاء وأمورا كثيرة نشعر بها ، و بعض بنى آدم أضعفوا القوى الظاهرة فانكشف لهم بعض مافى القلوب وعرفوه بلا كلام ولاتعريف ، وهؤلاء قليل فى النوع الانسانى وتوافق الخواطر من هذا القبيل ، أما الحيوانات فانها مطبوعة على قراءة الأفكار بطريق الإلهام ، والناس سيأتى لهم يوم يكون المرء مرآة لأخيه و يحدّثه على بعد عظيم كالتلغراف الذى لاسلك له و يصبح الانسان عند كشفه لما فى نفسه من تلك المنحة عالما بما فى قلب من يريد التوجه له فى المخاطبة القلبية ، فعلى هذا المبحث الجديد يكون قراءة الأفكار عند الحيوانات طبيعية وقد كانت كذلك عند الانسان ولكنه غطاها لما نبغ فى الخطاب والكلام فنامت تلك المزية وهاك ماجاء فى الجرائد المصرية يوم ١٨ ذى القعدة سنة ١٣٤٣ هـ — ١ يونيه سنة ١٩٢٥م تحت عنوان

﴿ التلغراف اللاسلكى وتبادل الخواطر ﴾

بحث الاستاذ (برسى) أحد علماء الطبيعة الانجليز موضوع التلغراف اللاسلكى وعلاقته بتبادل الخواطر فكتب مقالا طريفا ننقله عن صحيفة انجليزية

بدأ العالم المذكور بحثه بالرجوع الى أن أوّل من فكر فى استعمال الكهرباء لنقل الكلام والرسائل هو كاتب انجليزى فى مقال نشره عام ١٧٥٣ فى (سكوتس مجازين) و بعد ذلك بقرن تكلم عالم آخر انجليزى عن التلغراف الكهربائى وذهب فى سياق بحثه الى توقع نقل الرسائل الكهربائية بدون استعمال الأسلاك . ولئن كان موضوع التلغراف اللاسلكى اليوم قديما فى نشأته فسيجىء اليوم الذى يصل فيه المجهود الفكرى الى استعمال التليفون اللاسلكى حتى يتخاطب اثنان فى طرفى الأرض معا دون اتصال الآلتين اللتين يتكلمان بواسطتهما بشئ من الأسلاك البرقية . إن أسهل طريق لتفسير التلغراف اللاسلكى هى استعمال الظاهرة الطبيعية المماثلة لسلك يهتز بتماوجات مؤتلفة مع النغمة الصادرة من سلك آخر على أن يمشى كلتا النغمتين على

وتيرة

وتيرة صوتيـة واحدة ، فالنغمات الصوتية السارية فى السلك الأوّل تنتقل فى الهواء الى السلك الآخر و بفعل تموّجات النغم فى الهواء ينتقل الصوت الى ذلك السلك ، هـذا فى حالة وجود الأسلاك ولـكن فى النقل غـير السلـكى يحصـل المتـكلم على الاهتزازات بواسطة الـكهرباء فتنتقل الأصوات بواسطة الأثير (الهوائى) الى درجة لاسلـكية متفقة فى النغم مع الدرجة الأولى المنتقل منها الصوت ، تنتقل التموّجات الصوتية فى الهواء بمعدل ألف ومائة قدم فى الثانية ، أما التموّجات غـير السلـكية فتسـير فى الهيولى بمعدل ١٨٦ ألف ميل فى الثانية مما يقف أمامه الفـكر البشرى حائرا لأن الخلاف بين السرعتين فى الهواء والهيولى عظيم جـدا ، ويعتقد بعض العلماء اليوم أن تبادل الخواطر هو مستوى القوّة التى تمـكن الشخص من نقل آرائه الى الشخص الآخر بدون أية واسطة مادّية أوظاهرية ، فهل هذا الرأى ممـكن أومحتمل الوقوع ؟ واجابة على ذلك يقول العالم الانجليزى صاحب المقال ﴿ إن نقل الأفـكار قد يحدث فى أوقات شاذة وحالات خاصـة وذلك مالا يعارض فيـه أحد من الباحثين ولـكنه لاينطبق على الحالات العامّة وذلك التبادل قد يرى بوضوح بين الحشرات والحيوانات عنـد اقتراب الحشرة من الأخرى ﴾ ويقول الباحثون ﴿ إن السبب فى ضعف هـذه الملـكة فى الانسان هو عدم استعمالها بعد أن تمـكن من الـكلام والخطابة ﴾ ويرى كثيرون من الطبيعيين وصائدى الحيوانات والطيور أن ملـكة تبادل الخواطر تشتدّ ظهورا كلما اشتدّت حاجة الحيوان أوالحشرة وإذن يظهر ذلك كثيرا بين الحيوانات فى أدنى مرتبة والطيور فى جميع مراتبها . أما الانسان فيتركب من خلايا لاعدد لها ولـكل خليـة من جسمه عمل خاص ولاتتحرّك الخلية إلا تبعا لعمل كيمائى ، ويختلف تفاعل الالـكترونات فى الخلية من هذا الجسم عن الخليـة من الجسم الآخر . وتبعا لذلك نرى كل رأى نتيجة لعـمل الثقوب الخلوية فى المخ وعن ذلك يحدث التفاعل الـكهربائى المضطرب ، وقد يوجـد فى بعض الأحيان توافق بين خلايا مخين وتحريك تلك الخلايا وعند ذلك فحسب يحدث تبادل الخواطر اهـ

فانظر ألست ترى أن هـذا المبحث يقرّب هـذا الموضوع وبه نعرف أن الحيوانات تـكلم بعضها بنقل الأفـكار والنمل من هذا القبيل وأن الانسان مستعدّ لذلك لأنه من جملة مواهبه ولـكن هذه الموهبة تجىء تارة بطريق الوحى الخارق للعادة وتارة بالتمرين وهوماسيجدّ فيه الناس كما رأيت والحمد لله رب العالمين

هذا ما كتبته عند تأليف الـكتاب ، وعثرت عند الطبع على موضوع جميل فى الـكتب الانجليزية ، فهاك ترجمته تحت عنوان

﴿ الحشرات والنمل ﴾

إن الأرض لمزدحمة بالحشرات وانها لـكثيرة فيها مختلفة الحجوم والأشكال والألوان ولها من المنافع العظيمة ومن الأعمـال مالاحدّ له ، فى الأقطار الحارّة تـكثر الحشرات لملاءمة الطقس لها وأن بعضها لشـديد الايذاء والاضرار لنوع الانسان ، وليس من السهل أن يأتى الانسان للحشرات بتعريف جامع مانع وانما يمكن تمييزها عن سواها من الحيوانات بثلاثة أحوال ﴿ الحال الأولى ﴾ انها على اختلاف أنواعها وأجناسـها مكوّنة من (ثلاثة أجزاء) الرأس والصندوق والبطن ﴿ الحال الثانية ﴾ انها لابد أن تمر فى أدوار تـكوينها فى ﴿ أربعة أدوار * الدور الأوّل ﴾ أن تـكون بيضة ﴿ الدور الثانى ﴾ أن تـكون دودة ﴿ الدور الثالث ﴾ أن تـكون (فيلجة) أوشرنقة أى أن تنسج على نفسها نسجا حريريا تنام فيـه أياما كدودة القز ﴿ الدور الرابع ﴾ أن تصير تامّة التـكوين بأجنحة وأرجل تامة الخ ﴿ الحال الثالثة ﴾ أن كل حشرة لها ستة أرجل

هذه هى الخواص التى اشتركت فيها سائر الحشرات ، وربما كان أنبل الحشرات وأهمها وأكثرها فائدة النمل ، واليك وصف بعض أحواله وأعمـاله

﴿ النمل ﴾

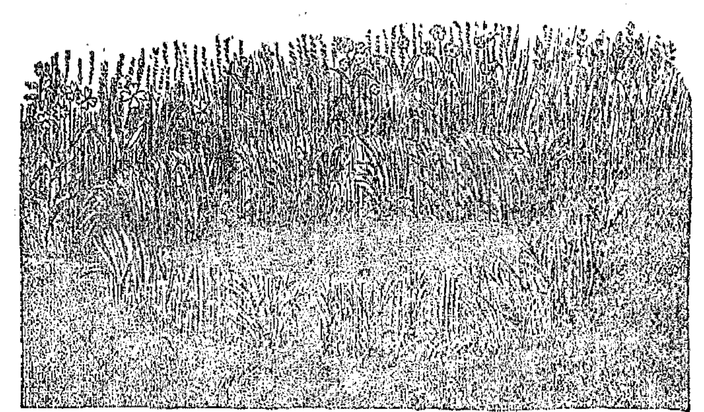
إن النمل لترى فى كل مكان فى الدنيا ، وهى وان اتحدت مظاهرها فى سائر الأقطار تختلف اختلافا بينا فى طبائعها وطرق معايشها فى الحياة

﴿ مساكن النمل ﴾

إن النمل لتعيش جماعات كثيرة العدد فى أماكن مبنية تحت الأرض أو بارزة فوقها كالآكام ومساكن النمل مفصلة تفصيلا عجيبا ومقسمة الى حجرات مختلفات المنافع والأغراض ، نترى حجرات كبيرات ليعيش فيها النمل ، وهناك الأظآر (جمع ظئر) المربيات للصغار يعتنين بهن اعتناء يفوق الوصف اطعاما وتنظيفا وترتيبا كما تربى النساء أطفالهن فى نوع الانسان ، وتحت هذه الحجرات حجرات أخرى جعلها النمل مخازن للبذور والحب إدخارا للقوت فى مستقبل الأيام ، وهذه الحجرات متصلات بطرق شاذة الوضع غريبة النظام كما انها فى خارج تلك المنازل قد صنعت طرقا غريبة توصل الى مداخل مختلفات

﴿ أعمال النمل ﴾

إن من النمل ما اختص بجلب الحشرات النافعة لغذائها كما يفعل الانسان بتربية البقر والاغتذاء بلبنه ، ومنه مايحارب و يجندل الأعداء فى الميدان ويجلب الاسرى و يسخرها فى عمل نافع للغالبين ، ومنه ماهو فلاح حقيقى بزرع الأرض ويحصد الزرع و يخزنه كما يفعل الانسان ، وهاك صورة المزرعة النملية وهى الارز النملى (انظر شكل ١١)



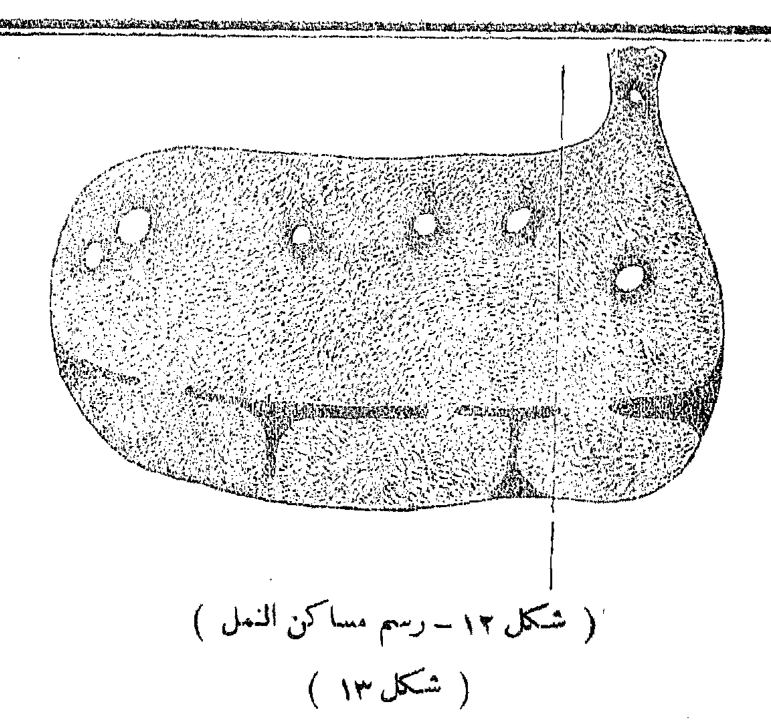
(شكل ١١ — رسم المزرعة النملية وهى الارز النملى)

هذه هى المزرعة النملية بأربع طرق ، وماتراه الآن هو أرز النمل الذى نمو محيطا بالمزرعة . إن فى الجزائر البريطانية نحو (٣٠) نوعا من النمل . وفى العالم كله أكثر من ألف نوع مختلفات الأطوار . إن النمل فى بعض البلدان تبنى مساكنها مجتمعة فيصل ارتفاعها من عشرة أقدام الى خمسة عشر قدما فوق الأرض وتكون بذلك صورة قرية بارزة ظاهرة للناظرين ، وفى أقاليم أخرى تكون النمل قوة مزعجة مهلكة شديدة الخطر على الأحياء ، وقد تكون مستعمرات النمل فى دور الكتب فتختط لها طرقا ومسالك تسلك سبلها وتذلل طرقها فى بطونها ولايتم ذلك إلا باتلاف الورق أكلا وتمزيقا فلايمضى زمان قليل حتى تصبح المكتبة كأنها لم تكن بالأمس عديمة الجدوى فاقدة المنافع . إن منظر النمل عادى نراه فى الحدائق وفى غيرها من الارضين وهن غاديات رائحات عاملات ناصبات كل حين لايظهر عليهن أدنى ملال أوتعب . إن كل نملة عالمة تمام العلم بما عليها من الواجبات قائمة بعملها حق القيام بكل قوة واتقان ، فاذا حل فصل الربيع شمرت النمل عن ساقها وهبت لعملها بلا ابطاء ، فلو رأيت ثم رأيت جماعات كالموج غاديات رائحات بين أشجار الصنوبر التى يغلب بناء بيوتها فيها ، وقد اجتمعت الجموع المائجة فوق تلك القرى والمنازل لاتمام بناء مساكنها و بناء الغرفات

فوق

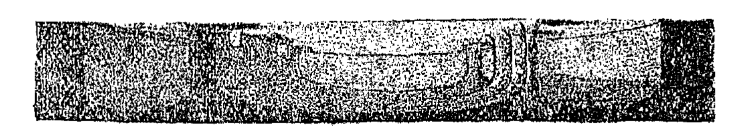
فوق الحجرات ، إن من النادر أن يلتفت الانسان أو يفكر فى اجتهاد النمل فى عمله العجيب ، انظر الى جماعات النمل تحاول انتزاع قطعة من الخشب وتجد كل الجد أن تأخذها لاستعمالها مع انها أثقل من أجسامهن كثيرا ، وكيف تراهن حول قطعة من الخشب كبيرة يحاولن دفعها تارة ورفعها أخرى وجذبها بقوة ليجعلاها فى المكان اللائق وضعها فيه . إن النمل تأبى كل الإباء أن يطلع أحد على أسرارها أو يتطفل عليها لمعرفة نظامها العجيب فى الحياة ، ولو اتفق لك أن اقتربت من أحد مداخلها الموصلات الى منازلها لرأيت الأعمال جارية بأدق ما يتصوّره الانسان محكمة الترتيب وليست فى اتقان أعمالها بأهدى سبيلا منها فى لدغ هذا المتطفل الجالس على الأبواب بحمتها الحادّة النصال . النمل مختلفات الأنواع فلا ترى نوعين يتفقان فى ظواهر الأجسام ولا فى طرق أعمال الحياة . إن النمل فى الجزائر البريطانية أصغر منها فى بلاد أخرى وأكبر النمل فى ذاته صغير . ومن عجب أن يكون صغير الحجم دقيق الجسم وقد امتاز بالذكاء والعلم . ويدهش الانسان من رأس ضئيلة تحوى فكرا قويا متينا . إن للنمل ﴿ خمسة أعين ﴾ ثلاث منهن بسيطات كأنها مثلث واثنتان كل منهما مركبة من مئات العيون كما تقدم قريبا ، وله زائدتان كالشعر تشبه الرجلين أو اليدين ينبتان على جانبى الرأس يحس بهما ويزاول بهما الأعمال كذراعى الانسان ويديه وأصابعه ، وله فكان حادّان جدا وأرجلها الست متصلة بالصندوق . إن بيض النمل يفقس ما بين (١٤) يوما و (٣٠) ويسير فى أشكاله التى قدّمناها وحينما تكون دودة أو فيلجة (شرنقة) تكون خالية من الرجلين والجناحين عاجزة يكفلها النمل الكبير ، ولو رأيت ثم رأيت الآباء يحملن الأبناء فى المهد من حجرة الى حجرة طلبا للدفء والحفظ والقرار . إن الدودة لا تنقلب الى فيلجة إلا بعد أسابيع إذ تنسج فيها على نفسها خيوطا حريرية أشبه بما تصنعه دودة الحرير بل كل الحشرات هكذا ولكن دودة الحرير أظهرهن فى ذلك ثم تنقلب حشرة تامّة فى آخر الأمر وذلك بعد تمام النسج وكونها فيه بأيام قليلة ، ومما تلذ رؤيته أن يشاهد الانسان تلك الفيالج وهى الكرات الحريرية قد أخذت النملات الصغيرة تتحرك من داخلها وقد شق عليها ذلك فترى النملات الكبيرة أسرعت لمساعدتها وحل أربطتها وتنظيف أجنحتها وفك أرجلها من تلك الخيوط . وهذه النملات المساعدات أشبه بالقابلات والأطباء المختصين بالولادة ، فخروج النمل الصغير من النسج الحريرى أشبه بالوضع وعسر الخروج كعسر الوضع والمساعدة هناك محتمة على الآباء فى قرية النمل

إن هذه الدنيا عجب وأى عجب . إن الأمر لعظيم . فما هذا الحنو والشفقة والحب والمساعدة للذرّية النملية التى نطؤها بأرجلنا ونحقرها ـ وما كنا عن الخلق غافلين ـ . فياليت شعرى كيف غفل عن هذا الجمال المسلمون وأوروبا ظفرت به وهم نائمون . اللهم إنك قد وفقتنى أن أؤدّى ما علىّ لأمّة الاسلام فأسألك أن تجعل هذه المباحث عامّة فيهم إنك أنت السميع العليم ، واعلم أن النمل يقطع أجنحته قصدا متى دخل فى أعمال عظيمة كبناء المساكن وهذه صورة مساكن النمل (انظر شكل ١٢) فى الصفحة التالية



(شكل ١٢ – رسم مساكن النمل)

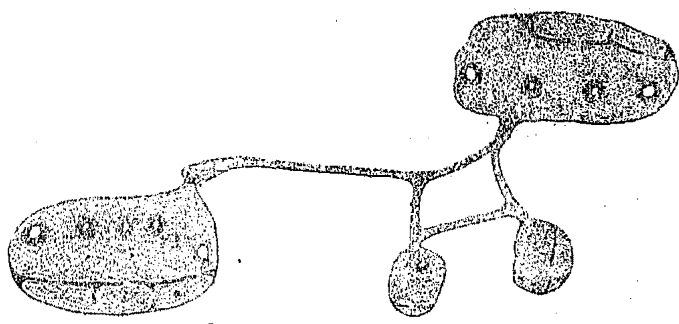
(شكل ١٣)



(شكل ١٣ – هذا مرتفع قدر ارتفاعه الطبيعي مرتين)

إن في شكل (١٢) بهوا كبيرا مرفوعا سقفه على عمد وهذا البهو العظيم المتسع الشكل يفتح فيه ثلاث حجرات صغيرات جدا بالنسبة له وهاك بيانه

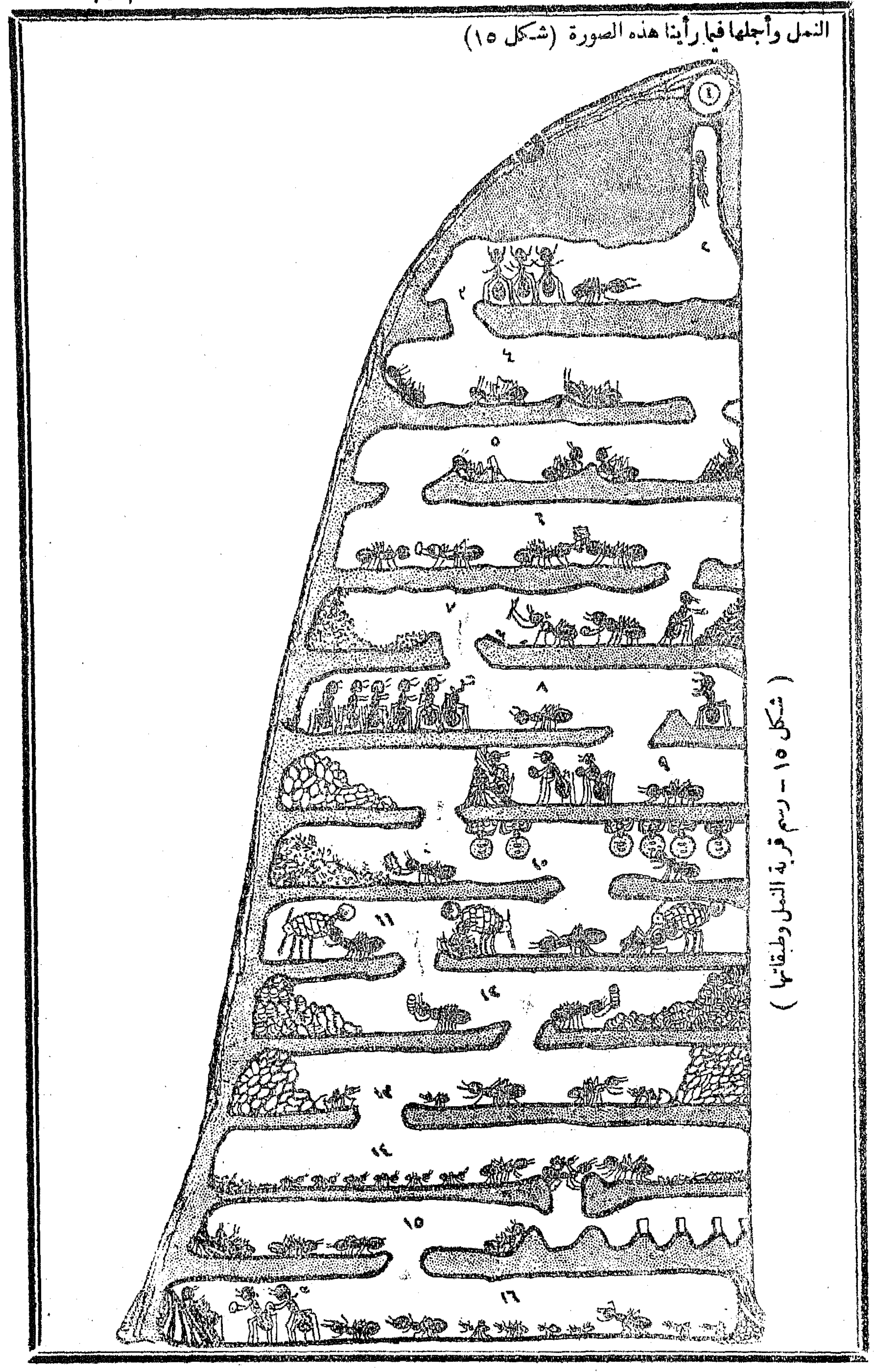
(ا) الأعمدة التي رفع سقف البهو الكبير عليها وحفظه
(ب) البهو الكبير وهو أهم ما في المسكن
(ج) أجزاء من الحائط
(د) الحجرات الداخلة وهي الصغيرة
(هـ) البوابة والمدخل العام (انظر شكل ١٤)



(شكل ١٤ – رسم مستعمرة النمل وهي أربعة مساكن)

(ا) الأعمدة التي رفع السقف عليها (ب) البهو الكبير العظيم الاتساع (ج) الحجرات الثلاثة الداخلة المتصلة بالبهو (د) أجزاء من الحائط (هـ) المدخل الموصل للمسكن (و) الطرق الموصلات من مسكن الى مسكن انتهى ليلة الثلاثاء (٤) اكتوبر سنة ١٩٢٦ م من (لونجمان) الجزء الرابع . هذا وأن أحسن مساكن

النمل وأجلها فيما رأينا هذه الصورة (شكل ١٥)



(شكل ١٥ – رسم قرية النمل وطبقاتها)

﴿ قرية النمل وطبقاتها ﴾

(١) باب القرية (٢) نملة تدخل القرية (٣) الحرس لمنع دخول الغريب (٤) أوّل طبقة لراحة العمال في الصيف (٥) الطبقة الثانية لراحة العمال في الصيف أيضا (٦) مكان تناول الغذاء (٧) مخزن تدّخر فيه الأقوات (٨) ثكنة لجنود النمل (٩) الغرف الملوكية حيث تبيض ملكة النمل (١٠) اسطبل لبقر النمل مع علفه (١١) اسطبل آخر لحلب البقر (١٢) مكان لتفقؤ البيض عن الصغار (١٣) صغار النمل وبيضه (١٤) صغار النمل (١٥) مشى للنمل ، وفي اليمين جبانة لدفن من يموت (١٦) مشى الملكة

واعلم أن ماتقدّم الآن هو شرح لما في الصورة المتقدمة أي شكل ١٥

ثم انه لما اطلع على هذا أحد الفضلاء قال لقد أحسنت صنعا وشرحت صدرا وأشعت للعلم ذكرا . إنك قد شرحت طرق النمل ومزارعه ومساكنه وأفضت فيه ورسمته وأدّيت الواجب في ذلك ، فلم لم ترسم نفس النملة حتى نطلع على أجزائها وأعضائها وندرسها حق دراستها . فقلت له لقد طال المقال وأنا أحبّ الاختصار لأن المقام مقام تفسير فقال عجبا لجوابك وماأقربه الى المواربة ، كيف اعتنيت بالعرض وتركت الجوهر . إنك أريتنا نفس مزارع النمل ورسمت الطرق والمساكن والطرقات والمستعمرات بل ذكرت عدد الأرجل والأجزاء التي ركبت منها النملة وهي ثلاثة وذكرت درجاتها الأربعة في النموّ ، فلم رأيناك رسمت المساكن والمزارع وتحاشيت رسم النملة . فقلت له إن النملة يعرفها الناس ولكنهم قط لم يعرفوا مساكنها ولامزارعها واني أقول لك الحق اني كنت منذ أمد قد رأيت رسم الزراعة في الكتب الانجليزية ثم مضت عشرات السنين وأنا أقول في نفسي أين هذا الرسم ، ولما قرب طبع تفسير هذه السورة وقع الكتاب في يدي مصادفة فسررت جدا ورسمته ، أما النملة فان الناس يعرفونها . فقال . كلا . إن الناس لايعرفون النملة إلا كما يعرفون أجسامهم فهم في كل وقت يفصدون ويروحون ولايفكرون في أجسامهم وعجائبها ، فكل يقول أنا أعرف النمل وهو لايعرفه ، ومن ذا الذي رأى أرجلها الستة أوعضويها الحساسين النابتين في جانبي رأسها ، فرسم هذا الحيوان يجعلنا نعرف أجزاءه ، إن المسلمين أصبحوا في أخريات الأمم بما فرطوا في هذه العلوم ، وياليت شعري كيف يسمي الله تعالى سورة باسم النمل وأخرى باسم العنكبوت والمسلمون يجهلون الحشرات ومنها النمل وهكذا العناكب ، إن رسم النمل والعنكبوت وأمثالها يسهل على المسلم فهم الحيوان ودرسه والذي يخيل لي أنك تخشى اعتراض بعض الفقهاء في التصوير واشدّة حرصك على رضاء جميع المسلمين راعيت المتشدّدين فيهم وأنت اذا فعلت ذلك وراعيته فقد تركت الواجب وكيف تخشى ذلك وقد ألف أحد المفتين بمصر رسالة في جواز ذلك (هذا المقام مستوفى في سورة يونس فراجعه) فقلت له الأمر لايحتاج الى فتوى ولاالى تأليف رسالة ومن أجهل ممن يفترى على الله الكذب ويحرّم ماهو واجب وجوبا عينيا أوكفائيا . إن هذه العلوم إما واجبة وجوبا عينيا لازدياد الشكر لله تعالى ، ومعلوم أن الشكر علم وعمل وهذا هو العلم المحبب في الله المعرّف لقدره فالاطلاع على هذه العلوم يزيد في معرفة الله وفي شكره وهذا واجب على القادر أي ان الزيادة فيه واجبة على من يقدر وأما فرض كفاية من حيث منافعها العامّة كما تقدّم في سورة المائدة مشروحا عن الامام الغزالي مفصلا

ولما ترك المسلمون دينهم وأصوله وعجائب صنعه قيض الله لهم الفرنجة فأذلوهم ليرجعوا للعلوم . فقال زدني في هذا الموضوع . قلت أنت تقول ان المفتي المصري أفتى بالجواز وأنا أقول لك هو واجب ومن حرّم من المسلمين الواجب فهومعتوه ولم يرد في الكتاب ولافي السنة تحريم النظر الى الظلّ . فقال وهل الصورة ظلّ . فقلت إن هذه الصور التي يأخذها المصوّرون لم يصوّرها أحد بل صوّرها الله ، ألاترى انها عبارة عن أشعة شمسية ظلية واصلة الى خزانة المصوّر فيثبتها في لوحة . فهذه الأشعة أو الظلال من الشمس فثبوتها في ورقة لم

يخرجها عن كونها ظلا ولم يخرجها عن كون الله هو نفسه الذى رسمها بشمسه . أليس من عجب أن الناس يحتاجون لفتوى على جواز النظر الى الظل ، واذا جاز لنا النظر الى ظل الأشجار فهل يحرم علينا تكرار النظر اليه . فقال . كلا . قلت هكذا هنا هذا ظل أثبتناه ونظرناه فحكمه لم يتغير

يقول الله تعالى ــ ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال ــ جعل الله الظل ساجدا لربه ، وقال فى آية أخرى ــ ولوشاء لجعله ساكنا ــ أى الظل وقد أسكن الله الظل فى هذا الزمان بالتصوير وانما أسكنه الله فى الأرض ليوقظ الناس للعلوم فان رسم الأشكال يوضح المخلوقات ويظهر عجائبها وأعضاءها وبدائعها ، ومن ذا الذى لايتعجب حينما يرى أن عين النحلة ترى فى المنظار أعينا تبلغ المئات عدا . يراها الانسان رأى العين وقد رأيتها أنا بنفسى . هذا هو الظل الساكن الذى أشار الله له فى القرآن ، فهذه الظلال قد حفظت لتزيد الناس علما بجمال الله وحكمه وبدائعه والمسلمون وحدهم هم النائمون

فقال صاحبى لقد أقمت الحجة على نفسك فلماذا إذن أحجمت عن رسم هذه الصور وانت موقن أن التصوير الذى جرى الكلام فيه هو الجسم . فأما هـذا فليس تصويرا ألبتة وانما هو ظل . فقلت وأزيدك أيضا أن الانسان يرى صورته فى المرآة وهو جائز . قال نعم . قلت فهل اذا دامت الصورة محفوظة فى المرآة يحرم ذلك . قال . كلا . قلت فالناس ببحثهم فى الصور الشمسية قد رجعوا الى البلاهة والجمود الحزن . قال إذن قد اتفقنا فأنا أقول ان التصوير جائز وأنت تقول فوق ذلك إن هـذا لاهو تصوير ولاهو رسم بل هو ظل الله أثبتناه فأنا أنتظر منك أن ترسم لنا أشكال الحيوان متى لزم . قلت إن شاء الله عسى أن يكون قريبا (هذا الموضوع كتب قبل أن أشرحه فى سورة يونس)

هذا ثم ان هـذه اللطائف الأربع وماجاء بعدها الواردة فى عجائب النمل وتركيبه تعرف معنى قوله تعالى ــ فتبسم ضاحكا من قولها ــ وأخذ يدعو الله أن يوفقه . وأنت أيها الذكى اذا اطلعت على هذا فاعلم أنه نعمة لك من الله بسبب القرآن وادع الله أن يلهمك أن ترشد الأمة الاسلامية وتنذر عشيرتك الأقربين وتفهم من حولك من المسلمين حتى لايذلوا وحتى يعرفوا نعـمة الله تعالى . ولما كانت العلوم بها تكون سعادة الحياة ونظام الدول أتبع ذلك بقصة الهدهد كما قدمنا فان الأمم لادول لها ولانظام إلا بالعلم والعلم يتبعه العـمل الذى طلب سليمان أن يوفق له . فانظر كيف أعقبـه الله بقوله (وتفقد الطير) وتعرف الطيور فلم يجد فيها الهدهد (فقال مالى لا أرى الهدهد) لأنه محجوب عنى بساتر أونحو ذلك (أم كان من الغائبين) بل أكان غائبا عنى * وايضاحه انه لما لم يره ظن انه حاضر ولايراه لمانع ما ــ فقال مالى لاأرى الهدهد ــ ثم لاح له انه غائب فأضرب عن ذلك وأخذ يقول بل أهو غائب . ثم قال (لأعذبنه عذابا شديدا) كنتف ريشه وجعله مع ضده فى قفص (أولأذبحنه) ليعتبر به غيره (أوليأتينى بسلطان مبين) بحجة تبين عذره . والمعنى انه يفعل معه أحد الأولين على تقدير عدم الثالث (فمكث غـير بعيد) زمانا غير مديد أومكثا غير طويل كما تقول عن قريب . فاما رجع سأله عما لقى فى غيبته (فقال أحطت) علمت شيأ من جميع جهاته (بما لم تحط به) يعنى بحال سبأ التى لم تحط بها . وفى هذا الخطاب من الهدهد مكافحة لسليمان دلالة على أن الأنبياء وغير الأنبياء فى الأرض قد يخفى عليهم مايعرفه غـيرهم . ونظير ذلك ماتقدم فى (سورة الكهف) من قول الخضر لموسى مامعناه « ماعلمى وعلمك وعلم الخلائق بالنسبة لعلم الله إلا كما أخذ الطائر بمنقاره من هذا البحر » فهناك أفاد أن علم الخلائق قليل بالنسبة لعلم الله وهنا أفاد أن أعاظم علماء الأرض قد يجهلون مايعلمه أحقر المخلوقات . كل ذلك ليعرف الناس أقدارهم وليتعلم الانسان من كل أحد وأن ذلك حض من الله للأمم الاسلامية أن يعلموا سائر الناس وأن يشغلوا كل واحد فيما اختصه الله به من القوى والادراك والعمل كما سخر سليمان الهدهد لمعرفة الخبر فسليمان يعجز عن الاتيان بخبر سبأ وعظماء الدول الاسلامية المستقبلة يجب عليهم أن يوزعوا الأعمال على الناس ويشغلوا كلا بما يناسبه . واذا كان سليمان استعان بالهدهـد فليستعن عظماء أمة الاسلام بجميع الشعب وليعلموه وليعملوا كلا مختصا

عما خلق له وقد أوضحنا هذا فى (سورة البقرة) عند قوله تعالى ـ لايكلف الله نفسا إلاوسعها ـ فعلى عقلاء أمة الاسلام أن يستخرجوا كنوز الآراء وجواهر الأعمال من جميع الأفراد من انسان وحيوان فالنمل مزية ليست فى الهدهد . وللهدهد مزية ليست فى الانسان ، ولكل انسان مزية ليست فى غيره وهكذا الحيوان ومنها ما قاله الهدهد لسليمان (وجئتك من سبأ بنبأ يقين) بخبر محقق ، وسبأ هو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان * وسئل صلى الله عليه وسلم عن سبأ فقال رجل له عشرة من البنين تيامن منهم ستة وتشاءم أربعة ، ولما قال الهدهد ـ بنبأ يقين ـ قال سليمان وماذاك قال له (إنى وجدت امرأة تملكهم) وهى بلقيس بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان ، وسيأتى فى سورة سبأ تحقيق أمرها وأمر سبأ أجمعين وهى من نسل يعرب بن قحطان والضمير فى ـ تملكهم ـ لسبأ (وأوتيت من كل شئ) يحتاج اليه الملوك (ولها عرش عظيم) أى سرير كبير * ويقال انه كان من ذهب وفضة مرصع بأنواع الجواهر قوائمه من ياقوت أحمر وأخضر ودر وزمرد وعليه سبعة أبيات وعلى كل بيت باب مغلق (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله) فهم كانوا يعبدونها (وزين لهم الشيطان أعمالهم) عبادة الشمس وغيرها من الأفعال والاعتقادات التى لاتليق (فصدهم عن السبيل) سبيل الحق والصواب (فهم لايهتدون) اليه ، وقوله (ألايسجدوا) بدل من أعمالهم أى فزين لهم الشيطان أعمالهم ثم بينها بامتناع سجودهم لله أى زين لهم عدم السجود الخ * وقرئ ـ ألا ـ بالتخفيف وهى للتنبيه ويا للنداء أى ياقوم واسجدوا فعل أمر (لله الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض ويعلم ماتخفون وماتعلنون) وصف الله بما يوجب تفرده بوجوب السجود له وذلك انه يظهر الخبء وهو كل ماخفى فى غيره ، فاشراق الكواكب وانزال المطر وانبات النبات وايجاد المخلوقات كل ذلك اخراج لما اختبأ عن الأنظار بالظلام والسحاب وباطن الأرض وحالة الامكان فان العالم كان خبئا فى حال الامكان فظهر بالايجاد ، وكما أنه يظهر ما اختبأ يعلم مايخفى ويظهر فقدرته عامة فى كل ممكن وعلمه عام فى الممكنات والواجبات والمستحيلات ثم ذكر عظمة الله وأبان فضلها على عظمة عرش بلقيس فانه اذا شملت قدرته كل شئ وأحاط علمه بكل شئ فلاجرم يكون عرشه أعظم العروش ولذلك قال (الله لاإله إلاهو رب العرش العظيم) ولقد نكر عرشها وعرف عرش الله اشعارا بما ذكرناه ، وتقدم فى ﴿هود﴾ وفى ﴿يونس﴾ معنى العرش وعظمة عرشها بالنسبة الى ملوك الدنيا وعظمة عرش الله بالنسبة الى جميع المخلوقات (قال سننظر) سنتصرف ونتأمل (أصدقت أم كنت من الكاذبين) لأننا لانأخذ القضايا مسلمة ولانعمل إلا بعد تجربة واختبار وامتحان كما هو شأن ملوك الأمم المدبرين للممالك العظيمة (اذهب بكتابى هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم) تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه (فانظر ماذا يرجعون) ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول (قالت ياأيها الملؤا) بعد ما ألقى اليها (إنى ألقى الى كتاب كريم) لكرم مضمونه ومرسله ولغرابة شأنه لأن الهدهد ألقاه من كوة على نحرها فهذا وجه الغرابة فقيل لها ممن هو فقالت (إنه من سليمان) ان الكتاب من سليمان (وانه) أى المكتوب أوالمضمون (بسم الله الرحمن الرحيم) المقصود (ألاتعلوا على) ألاتتكبروا على ولاتمتنعوا من الاجابة (وائتونى مسلمين) منقادين وهذا الكتاب فيه وصف الله بصفات الكمال والأمر لهم بعدم الكبرياء والطاعة (قالت ياأيها الملؤا أفتونى فى أمرى) أشيروا على فيما عرض لى (ماكنت قاطعة أمرا) قاضيته وفاصلته (حتى تشهدون) تحضرون (قالوا نحن أولوا قوة) بالأجساد والعدد (وأولوا بأس شديد) نجدة وشجاعة (والأمر اليك) أيتها الملكة فى القتال وتركه (فانظرى ماذا تأمرين) تجدينا مطيعين لأمرك (قالت) بلقيس مجيبة لهم على ما أظهروا من الميل الى المقاتلة بما أظهروا من قوتهم المادية وعددهم وعددهم قائلة لهم إن سليمان إن قاتلناه ربما دخل بلادنا فأضر بالأنفس والأموال والقرى والضياع وهذا قوله تعالى (قالت إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة) بنهب أموالهم وتخريب ديارهم واهانتهم وأسرهم (وكذلك يفعلون)

يقول الله إن هذه هي صفة الملوك الفاتحين وهوالحاصل الآن في مصر والشام و بلاد العراق وطرابلس والجزائر ومراكش ، فكل هذه البلاد لجهل أهلها دخل الفرنج بلادهم وأذلوهم وقهروهم والجهل عام وعسى الله أن يرجع لهذه الأمة مجدها واستقلالها ، ثم قالت (وانى مرسلة اليهم) رسلا (بهدية) أدفعه بها عن ملكى (فناظرة بم يرجع المرسلون) من حاله حتى أعمل بحسب ذلك ومرادى بذلك أن أختبره أملك هو أم نبي فان كان ملكا قبل الهدية ورجع وان كان نبيا لم يقبل الهدية ولم يرضه منا إلا أن نتبعه في دينه و بلقيس قالت ذلك لأنها كانت لبيبة عاقلة قد قاست الامور وسبرتها فأهدت له وصفاء ووصائف، وألبست الغلمان لبس الجوارى بأن جعلت في أيديهم الأساور من الذهب وفي أعناقهم أطواق الذهب وفي آذانهم أقرطة وشنوفا مرصعات بأنواع الجواهر وحملت الجوارى على خمسمائة رمكة والغلمان على خمسمائة برذون وأهدته حقا فيه درّة غير مثقوبة وجزعة معوجة الثقب و بعث اليه لبنات من الذهب ولبنات من الفضة وتاجا مكللا بالدرّ والياقوت وأرسلت له المسك والعنبر والعود اليلنجوج ودعت المنذر بن عمرو ومعه أشراف قومها وكتبت مع المنذر كتابا تذكر فيه الهدية وقالت ان كنت نبيا ميز بين الوصفاء والوصائف وأخبرنا بما في الحق قبل أن تفتحه واثقب الدرة ثقبا مستويا وأدخل في الخرزة خيطا من غير علاج وأمرت الغلمان والجوارى أن يتشبه كل منهما بالآخر وقت مخاطبته لهم وقالت للرسول إن نظر اليك نظر غضب فهو ملك فأنا أعزّ منه وان قابلك ببشاشة ولطف فهو نبيّ فلما وصلوا الى معسكره وعظم شأنه تقاصرت اليهم نفوسهم واستصغروا لبنات الذهب والفضة في جانب ماراؤا من الابهة والعظمة فوضعوها في فرج قد تركها النبي سليمان على قدر ما أحضروا من اللبنات ، فلما وقفوا بين يديه تلقاهم بالبشر والقبول والأنس وسألهم عن حالهم وأعطوه الكتاب فقال أين الحق فلما رآه قال إن فيه درّة ثمينة غير مثقوبة وخرزة معوجة الثقب فأمر الأرضة فأخذت شعرة ونفذت في الدّرة وأمر دودة بيضاء فأخذت الخيط ونفذت في الجزعة ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الأخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم ردّ الهدية (فلما جاء) الرسول (سليمان) وحصل ماتقدم ذكره من ثقب الدّرة وغيره (قال) للمنذر بن عمرو ومن معه من أشراف قومها (أتمدّونن بمال) وأنا لم أرسل للمال والمال زائل انما أرسلت لأعلم الناس الحكمة وأهديهم الصراط المستقيم (فما آتانى الله) من النبوّة والملك كما رأيتم بأعينكم (خير مما آتاكم) لأنكم لم تؤتوا إلا ملكا أقل من ملكى وأنا أوتيت الملك والنبوّة (بل أنتم بهديتكم تفرحون) ولايفرح الأنبياء والمؤمنون إلا بفضل الله و برحمته ، فبذلك فليفرح العقلاء هو خير مما يجمعون من المال (ارجع اليهم) أيها الرسول (فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها) لاطاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة بهم على مقاتلتها (ولنخرجنهم منها) من سبأ (أذلة) بذهاب ما كانوا فيه من العزّ (وهم صاغرون) أسرى مهانون (قال يا أيها الملؤا أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين) لأطلعها على بعض ما أنعم الله به علىّ من العجائب النبوية والآيات الإلهية لتعرف صدق نبوّتى ولتعلم أن ملك الدنيا في جانب عجائب الله وبدائع قدرته يسير وأن حكمة الله أوسع مما يشاهده الناس من آثارها من مجرى العادة وأيضا لأختبر عقلها حين أنكر عرشها ، ولما كانت الأرواح الأرضية والسماوية جميعا ﴿قسمين﴾ قسم نورانى إلهي وقسم ظلمانى أرضى والأوّل أوسع علما وقوّة والثانى محدود العلم والقدرة لافرق في ذلك بين الأرواح التي في أجسامها في الأرض والأرواح التي جردت من مادّتها سواء أكانت خارجة من عالمنا هذا أم لم ترد له بل عاشت في عالم الأرواح ولم تسكن أرضنا . هذه قاعدة مطردة تجدها في كتب الأنبياء وفي علم الأرواح الحديث الذى ملأ الأقطار وشرحناه مرارا في هذا التفسير بحيث ان الروح الذى كان في أرضنا وخرج من جسمه يصبح وقوّته وعلمه على مقدار أخلاقه وصفاته رفعة وضعة وهكذا جميع الملائكة منهم من هم في أعلى مقام ومنهم من هم أقرب الى عالمنا ــ وما منا إلا له مقام معلوم ــ فكل روح غلبت عليها الآراء الأرضية والأحوال المادّية يقلّ علمها

وقدرتها على مقتضى ذلك ، وكل روح تجرّدت من أخلاق أهل الأرض والأحوال المادّية وكانت ذات أخلاق إلهية وحب عام ورفعة شأن واقتراب من النور الأعلى كانت همتها وعلومها أوسع على مقدار ما اتصفت به من ذلك — وأن الى ربك المنتهى — ولايشفى غلتك فى هذا إلا أن تطالع ﴿كتاب الأرواح﴾ الذى ألفته فى ذلك ، اذا عرفت ذلك فانك تفهم قوله تعالى (قال عفريت من الجنّ) أى خبيث مارد قوىّ داهية وكان مثل الجبل يضع قدمه عند منتهى طرفه (أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك) أى مجلس قضائك وكان يقضى كل يوم فى الغداة الى نصف النهار (وانى عليه) على حمله (لقوىّ أمين) على مافيه من الجواهر وغيرها فلما سمع سليمان ذلك قال أريد أسرع من ذلك لأنه يعلم أن فى الأرواح من هو أقدر على احضاره فى أقرب من ذلك كما علمت مما فصلناه لك لأنهم درجات كما فهمت (قال الذى عنده علم من الكتاب) وهو الذى صفت نفسه من ظلمات هذه الأرض وتباعد عن الكبر والحسد والظلم وجميع مافى عالم المادّة وهو مغرم بالعوالم العلوية فهو أرقى من ذلك العفريت من حيث اشراق نفسه وصفاء باطنه ، هذه صفات الذى عنده علم من الكتاب فسواء أكان هو جبريل أو ملك آخر أو آصف بن برخيا الذى هو صديق يعرف اسم الله الأعظم أو سليمان نفسه وسواء دعا الله بقوله « ياذا الجلال والاكرام » أوقال « ياحى ياقيوم » كما قالت عائشة أوقال « يا إلهنا وإله كل شئ إلها واحدا لاإله إلا أنت إئتنى بعرشها » أوغير ذلك فالأصل واحد هى نفس مشرقة ملكية أوانسية توجهت الى الله بأى اسم كان أو بهمتها فالمدار على الهمم والنفوس الصافية ولاصفاء إلا بالتعالى عن أحوال المادة فلا يهمك التفصيل بتعيين الذى أحضره ولابالدعاء الذى دعا به وقد أدركت سرّ الحقيقة

خذ ما تراه ودع شيأ سمعت به * فى طلعة الشمس مايغنيك عن زحل

فدع زيدا يقول فى المجالس بأن سليمان مد عينيه ونظر الى اليمن ودعا آصف فبعث الله الملائكة فحملوا السرير يجرون به تحت الأرض حتى نبع من بين يدى سليمان ، ودع عمرا يقول خرّ سليمان ساجدا ودعا باسم الله الأعظم فغاب العرش تحت الأرض حتى ظهر عند كرسى سليمان فقال ما قال (أنا آتيك به قبل أن يرتدّ اليك طرفك) أقول قد عرفت الحقيقة وستعرف أن هذه القصة من أكبر معجزات سيدنا محمد ﷺ والقرآن فاق ماسأنقله لك فى شأن نقل الأمتعة من أماكنها بطريق غير طريق المعجزات وانما هو بطريق الأرواح واستحضارها أصبح معروفا ، إن هذه القصة ذكرها الله فى القرآن وقد علم أن الأمم ستعرف هذه العجائب فاودع هذه المعجزة فى الكتاب ليزيد المسلمون علما وحكمة وليبحثوا عن عجائب صنع الله ، فلئن نقل عرش بلقيس بطريق المعجزة التى لايهتدى اليها الناس فسترى كيف تنقل الأرواح الأمتعة من أماكنها على أيدى أكابر الحكماء والفلاسفة فى أوروبا ، ولترى أن هذا القرآن فيه أصول العجائب أودعها فيه لهذا الزمان حتى لاينفر المسلم من علم الأرواح وعلم الأرواح يقصد منه تقريب نفوسنا وتمرينها على ذلك العالم الجيل حتى لاننفر من الموت ولاننفر من الأرواح اذا وردت اليهم وتفرح بالموت وتفرح بلقاء الله ، فليجدّ فى هذا العلم المسلمون حتى يهتدوا بهدى سليمان ، وهل ذكرها الله فى القرآن إلا لهذا ؟ إن سليمان عليه السلام أوحى اليه أن يوجه همته الى احضار عرش بلقيس بطريق العوالم اللطيفة الروحية فحضر العرش (فلما رآه مستقرا) حاصلا بين يديه (قال) وقد تلقى النعم بالشكر على مقتضى سنن المخلصين من عباد الله تعالى (هذا من فضل ربى) تفضل به علىّ من غير استحقاق والاشارة الى التمكن من احضار العرش فى مدة ارتداد الطرف من مسيرة شهرين بنفسه أوغيره (ليبلونى أأشكر) بأن أراه فضلا من الله بلاحول منى ولاقوة (أم أكفر) فلاأشكرها وأنسب العمل لنفسى فلامال ولاجاه ولاذكر حسنا فى هذه الدنيا ولاعلم ولاحكمة إلاوالله يبتلى العبد بها لأن ذلك كله تربية للخلق ، فالنعم الجسمية والنعم الروحية والعقلية كلها مواهب يمتحن الله الناس بها فمن ضل بها هوى ومن شكرها ارتقى (ومن شكر فانما يشكر لنفسه) لأن ذلك يستجلب لها دوام النعمة (ومن كفر فانّ ربى غنىّ)

عن شكره (كريم) بالانعام عليه (قال نكروا لها عرشها) بتغيير هيئته وشكله (ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لايهتدون) الى معرفته والى الايمان بالله ورسوله حينما ترى أن عرشها تقدّمها وقد خلفته مغلقة عليه الأبواب موكلة عليه الحراس فتى عرفت انه هو عرشها كان ذلك داعية للايمان فمعرفة العرش مقرونة بالايمان لأن المعجزة مقرونة بسبقه لها الى سليمان فالمدار على العقل والذكاء والفطنة (فلما جاءت قيل أهكذا عرشك ؟) وذلك لامتحان عقلها وللتشبيه عليها لأنهم ذكروها عنده بسخافة العقل (قالت كأنه هو) ولم تقل هو هو لاحتمال أن يكون مثله وذلك من كمال عقلها ، ولما ظنت انه أراد بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها قالت (وأوتينا العلم) بكمال قدرة الله تعالى وصحة نبوّتك (من قبلها) من قبل هذه المعجزة (وكنا مسلمين) منقادين خاضعين لأمر الله ولأمر سليمان (وصدّها ما كانت تعبد من دون الله) أى صدّها سليمان أوالله عما كانت تعبد من دون الله وحال بينها و بينه (إنها كانت من قوم كافرين) يقول الله تعليلا لعبادتها غيرالله التى صدّها عنها أنها نشأت بين قوم يعبدون الشمس ولم تعرف إلاعبادتها ، وعبادة الشمس وعبادة الكواكب قد شغلت عقول الأمم أجيالا وأجيالا لأن الله أكبر من كل شئ ، فاذا كانت الشمس إلها فلايبحث الناس عن أكبر منها ، ولما نزل الاسلام والديانات التى حرّمت عبادة الكواكب بحث الناس فى أمر الكواكب فرأوا الشمس أقل شأنا من غيرها وأن الله تعالى يريد ايقاظ العقول وترقية النفوس البشرية بمثل هذه الديانات التى ترتفع عن المادّة من حيث الخلق ومن حيث العبادة وقد تقدّم هذا فى سورة الأنعام . الى هنا تمّ اختبار عقلها وعرف انها ذكية ، هنالك تبدّى له أن يعرف ساقيها لأنه قيل له ان رجليها كحافر حمار ، ولما كان الله تعالى لطيفا حكيما لا يكشف الستر ولا يفضح فكانت هذه الأخلاق شنشنة الأنبياء والحكماء والملوك العظام فلايفضحون أحدا ولايخزونه بل يتلطفون فيما يريدون . بنى قصرا من زجاج أبيض وأجرى من تحته الماء وألقى فيه حيوانات البحر ووضع سريره فى صدره فجلس عليه فلما أبصرته ظنته ماء راكدا فكشفت عن ساقيها وهذا قوله تعالى (قيل لها ادخلى الصرح) القصر (فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال انه) إن ماظننته ماء (صرح ممرّد) مملس (من قوارير) من زجاج وليس بماء فحينئذ سترت ساقيها وعجبت من ذلك وزاد علمها أن ملك سليمان من الله تعالى واستدلت بذلك على التوحيد والنبوّة (قالت ربّ إنى ظلمت نفسى) بعبادة غيرك (وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) أى أخلصت له التوحيد والعبادة وهل تزوّجها هو من بعد أن اتخذ الحمام والنورة لأجلها فأزيل شعر رجلها وأحبها حبا شديدا وصار سليمان يزورها كل شهر بأرض اليمن فى حصونها أم لم يتزوّجها بل زوّجها الى ذى تبع ملك همدان وليس فى معرفة الحقيقة كبير فائدة ولكن الرأى الثانى أصح . انتهى التفسير اللفظى للقسم الثانى من السورة ، وهنا ﴿أربع لطائف﴾

(١) فى الهدهد الذى أحاط بما لم يحط به نبىّ علما

(٢) وفى قول بلقيس ـ ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون ـ

(٣) وفى قول سليمان ـ فما آتانى الله خير مما آتاكم ـ

(٤) وفى قوله تعالى ـ قال عفريت من الجنّ ـ الخ

﴿اللطيفة الأولى فى الهدهد الذى أحاط علما بما لم يحط به نبىّ مع ذكر بعض أنواع الطيور وأن هذه تشمل عجائب الأسرار فى ـ طس ـ﴾

تفقد فعل ماض والطير مفعول والفاعل ضمير يعود على سليمان ، وقد قلنا فى هذه السورة ان السين هى أوّل حروف سليمان والطاء أوّل حروف الطير ، فهنا ﴿اسمان﴾ وهما سليمان والطير وفعل هو تفقد ونحن أمرنا بالاقتداء بالأنبياء . ألاترى الى قوله تعالى ـ فبهداهم اقتده ـ نبينا أمر بالاقتداء بهم وسليمان من المقتدى بهم فأنا مأمور بالاقتداء بهم والاقتداء لا يكون فى الأسماء وانما يكون فى الأفعال والفعل تفقد ، فهذه الحروف

الأربعة التاء والقاف والدال هي السر المصون والجوهر المكنون هي الحروف التي وقعت بين الطاء والسين طاء الطائر وسين سليمان وهما المرموز لهما بما في أول السورة ـ طس ـ . علم الله أن أمة الاسلام ستنام حوالى (٩٠٠) سنة . نامت الأمم الاسلامية بعد العصور الأولى . ثلاثة قرون هي التي نبغت فيها الأمم الاسلامية فحركت أهل الأرض كلهم وماج المسلمون شرقا وغربا ثم ناموا ، ولكن كان فيهم أولوا بقية في العلم والدين فظهروا وبهروا وقتا دون وقت وبقية الأمم الاسلامية نائمون هائمون على وجوههم جاهلون بجمال ربهم عاكفون على الرئاسات وطلبها والأموال وجمعها وقد أيقظ الله حولهم أهل أوروبا والصين واليابان وأهل أمريكا الذين لم يكونوا منذ (٤٠٠) سنة إلا أمما دبت فيهم الهمجية والجهل العميم وبقي المسلمون بين هؤلاء وهؤلاء لاهم في العير ولافي النفير فأنعم الله عليهم ﴿ بنعمتين ﴾ نعمة الكوارث والحوادث والأوصاب الحالة فيهم من الأمم المحيطة بهم والطيارات المحلقة فوقهم والمدافع الموجهة اليهم واستنزاف ثروتهم وضياع ملكهم وتعييرهم بالجهالة والتعدي على الدين وعلى المجد وعلى الملك ، ونعمة العلم الذي يدلف اليهم من الأمم حولهم ومن المؤلفين الذين يقومون بنشر الحكمة والعلم بينهم ليوجهوا هممهم الى ما أحاط بهم ، واعلم أن الكوارث والمصائب الحالة بالأمم الاسلامية لا تفيدهم مالم يذكرهم بها المذكرون ويرشدهم لها المرشدون ، ومن المنذرات المبشرات هذا التفسير ، وهاأنا ذا أذكر المسلمين بقوله تعالى ـ وتفقد الطير ـ وقد بينت انى مأمور أن أتفقد تفقد سليمان الطير . ولما خاطب الهدهد قال له ـ وجئتك من سبأ بنبأ يقين ـ إذن التفقد يكون من نتائجه اليقين وما الذي جاء به ؟ جاء به الطير المتفقد ، وتفقد ابراهيم النجوم والشمس والقمر بعد أن كسر الأصنام فقال الله للقوم فيه ـ وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين ـ وتفقد رسول الله ﷺ النبات والطير ليعلم أصحابه كما في حديث البخاري إذ أخذ يسألهم عن شجرة شبه المسلم فأخذوا يتفكرون في شجر البوادي فلم يصب في الاجابة إلا ابن عمر ولكنه خجل أن يجيب فأجاب ﷺ بأنها النخلة لأنها تموت اذا قطع رأسها ومن رأسها تشرب ، ثم قال ابن عمر لأبيه لقد وقع في قلبي انها النخلة فأسف عمر على أنه لم يقله لرسول الله ﷺ فأما تفقد رسول الله ﷺ للطير فانه ضرب لها مثلا إذ قال « لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصا وتروح بطانا » . فهذا التفقد للسموات في قصص ابراهيم ونحوه والشجر البوادي والطير من رسول الله ﷺ وللطير من سليمان ، كل ذلك تذكير لنا أن نتفقد كل شئ فلا نذر كوكبا ولاشمسا ولاقمرا ولاطيرا ولاحجرا ولاشجرا إلا تفقدناه وهذا أمر واجب وهذا الوجوب يختلف باختلاف الأشخاص وانما قلت انه واجب لأنا مأمورون بالشكر ومأمورون بالنظر ومأمورون بالفكر ولاشكر إلا بعلم ولاعلم إلا بنظر ولانظر إلا بالتفقد . اذا ظن المسلم انه بقوله أنا آمنت بالله أو أيقنت بالله قد أتم ماعليه فهو مغرور سرى له هذا الغرور من شيخه الذي لقنه العلم فأوقفه عند حد محدود فحصر عقله وكبله فكبلت الأمة كلها وأحاطت بها الأمم وزملتها ودثرتها وأنامتها ، فبعض شيوخ العلم وبعض شيوخ الطرق يلقنون تلاميذهم ﴿ ألا تقرؤا الكتب غير مالقنا كم ﴾ ونحن نقول . كلا . أيها المسلمون تفقدوا كل شئ ، ألم يتفقد سليمان الطير ، ولماذا أنزل الينا هذا القول ؟ ولماذا رمز الله لنا بالطاء والسين في أول السورة ؟ لماذا يقول الله لنا في أول السورة ـ طس ـ يقول لنا ذلك لأنه علم أننا سنكون أمة نائمة مئات السنين وسيأتي علينا هذا الزمان زمان العرفان والنور فيسأل الشبان قائلين لم ذكر الله ـ طس ـ وهذان الحرفان لامعنى لهما فأي فائدة في ذكرهما فنحن نجيب بأن أمثال هذه الحروف جعلت أشبه بالمفاتيح لفتح ما أغلق على المسلمين أجيالا وأجيالا واكتفائهم بكتب موروثة وعلوم محصورة وقد عمي أكثر الناس عن قوله تعالى ـ واشكروا لي ولا تكفرون ـ والشكر لايتم إلا بعلم والعلم عام وعن قوله تعالى ـ وقل رب زدني علما ـ فاذا كان النبي ﷺ أعلم الخلق بربه وأمر بازدياد العلم فما بالك بنا نحن فنحن مأمورون بازدياد العلم من باب أولى ، ولهذا كله الرمز بالحروف الأربعة

الواقعة بين الفاعل سليمان ومفعوله الطير

﴿ كيف يتفقد مؤلف هذا التفسير ﴾

أنا الى الآن لم أتم تفقد نفسى ولاتفقد العالم وأقول تفقدت نفسى وتفقدت السموات والأرض وما بينهما وماتحت الثرى وهذا مذكور فى هذا التفسير ، فأما نفسى فانى عجبت لها ، رأيتها لاتقف عند حد تهتز طربا لبهجة النجوم والشمس والقمر وتفرح بعلوم الليل والنهار والشجر والنجم وما فى باطن الأرض من المعادن والعجائب ، لم أجد لها نظيرا فى عالم الحيوان ، فكل طير قانع بما خلق له كما ستراه هنا ، فترى الطيور الدجاجية تحضن أولادها وتعتنى بصغارها مثل الحجل والحمام ، وترى الطيور ذات الأرجل الكفية كالبط فرحة بالحبوب والحشيش وكذا الأوز والبجع ، وترى الطيور الشاطئية تمد منقارها وعنقها الطويلين لتغتذى بالزواحف المائية مثل أبى قردان واللقلق فتفرح بذلك ولا تطلب غيره وهكذا الطيور المتسلقة المغتذية بالثمار والطيور التى تنقر الخشب تكتفى بالحشرات والطيور الدودية كذلك وهكذا الطيور الجارحة تأكل الطيور الأهلية والسمك وليس لها همة فوق ماعندها ، أرى هذه الطيور كل غاد ورائح يطلب ماخلق له فرح بما عنده عاكف على مالديه وأرى الزواحف كالسلاحف قانعة بما عليها من الدرقة التى تأوى اليها متى دهمها خطر أوأحست بعطب وهذه هى قلعتها وحصنها . وأرى التمساح من الزواحف اشتدت عنايته بما هو غاية أمنيته وهى بيضه الذى يدفنه فى الرمل على الشاطئ . وأرى الحرباء فرحت بما لديها من القدرة على التلوّن ومجاراة ماحولها فى لونه لتحفظ بذلك نفسها وهكذا مما لاتسعه هذه المقالة

تفقدت نفسى فوجدتها مخالفة لهذه الحيوانات فلكل حيوان خاصية لايتعداها وهو بها فرح وهو بها فخور أما هذه النفس فانى وجدتها تسعى لتعرف كل شئ . فياأيتها النفس أخبرينى هل أنت كل شئ حتى تبحثى عنه ؟ فأجابتنى قائلة نعم أنا قبسة من نور ربى . أنا مرسلة الى هذه الأرض وكل نفس من نفوس بنى آدم قد أرسلت الى هذه الأرض ووضعت فى هذه الأجسام وهذه الأجسام ماهى إلا آلات بها تصطاد المعانى من هذه العوالم وهذه العوالم بها غذاؤنا وشرابنا ولباسنا ومساكننا وحصوننا وبتحصيل ذلك تقوى عضلاتنا بالحركات وتقوى عقولنا بالتفكير وتبتهج نفوسنا بالجمال والزينة

ثم اننا نذر هذه الأجساد فى الأرض ونذهب الى العوالم العليا وكل قد أخذ من الأرض زادا علميا وأخلاقيا على مقدار همته وهناك تكون الدرجات على مقتضى الهمم لاغير

هذا كلام نفسى لى وهذا كله رمز الطاء والسين فى أوّل السورة فطاء الطير وسين سليمان يفتحان لنا باب التفقد كما تفقد سليمان الطير وتفقد رسول الله ﷺ كل شئ فكان قبل صلاة الليل يقف وهو ينظر النجوم ويقرأ — إن فى خلق السموات والأرض — الخ وتفقد الأمم أمة أمة فأرسل لهم رسله يدعونهم الى الاسلام وبعد ارسال رسله أخذ يحاربهم ثم تمم أصحابه عمله فتفقدوا الأمم وجاسوا خلال أرضهم من بلاد فرنسا الى بلاد الصين ثم ناموا ونحن أبناؤهم فأخذت الأمم تتفقدنا كما كان آباؤنا يتفقدونهم فأصبحنا عند تلك الأمم كالطير عند سليمان فسليمان تفقد الطير وآباؤنا تفقدوا الأمم وهذه الأمم أخذت تتفقدنا وقد قالوا ﴿ إن أبناء العرب من الأمم الاسلامية الآن قد رجع كثير منهم الى سكنى القفار الموحشة والصحراء الكبرى ولايعلمون أن آباءهم كانوا ملوكا لهم دول عظيمة ﴾ هذا من تفقدهم لنا . واعلم هداك الله أن هذا التفسير من مقدمات نهضات عظيمة ستريح الأرض ربما وتقوم أمم عظيمة لايدرى إلا الله مقدار عظمتها يعلمون أن هذه العوالم كلها كتاب من الله كتبه لنا ونحن قراؤه

﴿ تذكرة بما اتفق لى أيام تلقى العلم ﴾

إن الذى كان له الفضل فى مدرسة (دار العلوم) هو المرحوم على باشا مبارك وزير المعارف وقد كان يدخل

الدروس بمدرستنا فرحا بنجاحه فى اقامة هذه المدرسة . ولقد قال مرة ﴿ ليكن فى يد كل منكم (كناشا) يكتب فيه كل مايعنّ له من بناء شامخ أوطيرسائح أونور باهر أوجمال ظاهر أوحادثة غريبة أومسألة عجيبة فان ذلك يكون عدّة له وحكمة تنفعه وقد انتفعت بهذا ﴾

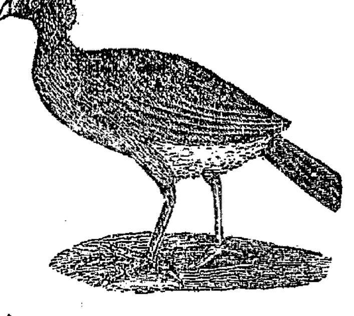
ومما قاله أيضا ﴿ إن العلم لاحدّ له وليس العلم قاصرا على مافى الكتب فجدّوا فيه وتعلموا وادرسوا الدنيا بعقولكم ﴾ أقول وأنا أوصى بهذه الخصلة فانها خير معوان على الحكمة العامّة ومن حافظ على هذه الخصلة من صغره وهو ذوميل طبيعى للحكمة والعلم والكتابة فانه يهنأ بالحكمة والعلم ويكون نورا لأمّته ويكون انشاؤه نعمة عامّة للأمة ويرقى أمته على مقدار همته ثم هو يحس فى نفسه بسعادة وحبور وسرور لايعلمه إلا هو وربه ولأقتصر على هذا فى معنى الطاء والسين فى أوّل السورة ، ولأخص تفقدى فى هذا المقام بما هو أليق به وهى الطيور فأتفقدها من ﴿ وجهين * الوجه الأوّل ﴾ أن أذكر بعض عجائبها الظاهرة فأذكر بعض الطيور ثم ماهو شبيه بها

﴿ الطيور ﴾

الطيور حيوانات فقرية تضع بيضا يخرج منه صغارها بعد التفريخ وحيث انها ترتفع فى الهواء خلق الله تركيب بنيتها مناسبا لذلك فشكل جسمها بأعظم شكل مناسب لشق الهواء بسهولة وخلق لها أجنحة بدل الأطراف المقدّمة وليس لها أسنان وفمها منته بمنقار وعلى ذلك تزدرد أغذيتها من غير مضغ ولذا جعل الله معدتها قوية جدا وهى (القوانصة) وجعل لها حوصلة فيها تلين الحبوب قبل وصولها الى القوانصة وبما أوجد فيها من قوّة الإلهام تصنع أعشاشها وترقد على بيضها وتحنّ على صغارها ومنافعها كثيرة فمنها مايستعمل لحمه غذاء وبيضه كذلك ، ومنها مايدفع مضارّ عظيمة كتبديد الحشرات والديدان المضرّة بالمزروعات وتنقسم الى جملة رتب

(١) ــ ﴿ الطيور الدجاجية ﴾

وهى تشمل الطيور الأهلية التى تستعمل لحومها وبيضها غذاء وتشمل الدجاجة المعتادة وهى أكثر الطيور الدجاجية نفعا من أجل لحمها الذى يستعمل غذاء وبيضها الكثير الذى يحصل فقسه صناعة فى معامل مخصوصة تسخن الى حرارة مناسبة كما يحصل ذلك اذا احتضنت الفرخة بيضها ، والدجاجة تعتنى بصغارها بحيث اذا طرأ عليها خطر تجمعها تحت أجنحتها وتدافع عنها بقوّة وأما الديك فلا يهتم بأمرها ، والفراخ الرومية والهندية تنسب للطيور الدجاجية ، وكذا القبج وذكره يسمى حجلا وهو يعرف أيضا بدجاج البرّ (انظر شكل ١٦)

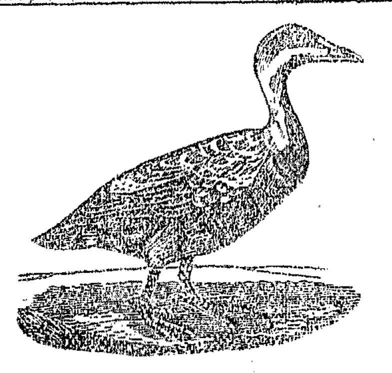

(شكل ١٦ ــ القبج المعروف بالحجل)

والحمام الذى يعيش أزواجا وأنثاه تبيض بيضتين تستولى حضانتهما هى والذكر بالتبادل ، وكذا اليمام والسلوى المعروف عند الناس بالسمان والطاووس وهو أجمل الطيور ويتميز بذنبه الطويل المزين بريش لماع مرغوب فيه جدا وهو غالى الثمن

(٢) ﴿ الطيور ذات الأرجل الكفية ﴾

هى طيور يوجد بين أصابع أرجلها غشاء يصير أرجلها كمجاذيف وجسمها مستطيل يشبه السفينة وريشها مغطى بمادّة زيتية تمنعها من البلل بالماء فلايثقل جسمها فتعوم بسهولة وترغب وجودها فى الماء ، ومنها البط ويستعمل لحمه غذاء وغذاؤه الحبوب والحشائش ومنه نوع يسكن الأجزاء القطبية يسمى ايدر (انظر شكل ١٧ فى الصفحة التالية) يوجد أسفل بطنه ريش ناعم تحشى به الوسائد الخفيفة ، والأوز المعتاد لايخالف البط إلا قليلا فى الجسم والطباع . ومنها البجع وهو طير ظريف أبيض يقتنى زينة فى الفساقى

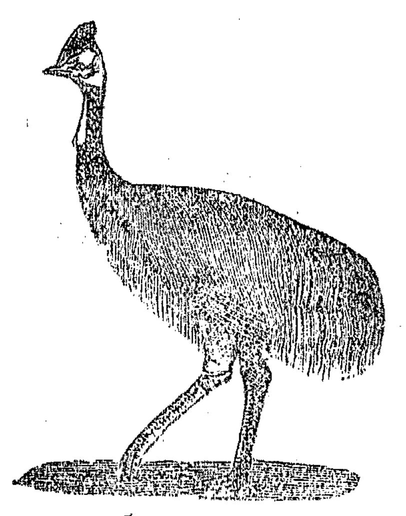
شكل



(شكل ١٧ ـ رسم الايدر)

(٣) ﴿ الطيور الشاطئية ﴾

هي طيور أرجلها طويلة عارية عن الريش وعنقها ومنقارها طويلان جدا وهذا يساعدها على سرعة الجرى فى مياه المزارع لتتغذى بالزواحف المائية والأسماك والديدان و بعضها يتغذى بالحبوب والحشائش ومنها أبوقردان وأبومغازل واللقلق الذى يفترس الزواحف التى على شاطئ النيل بكثرة ولذا كان محترما جدا عند قدماء المصريين حتى كان عقاب من قتله الاعدام ، والنعامة وهى أكبر الطيور فيصل علوّها الى مترين ونصف وتسكن صحارى أفريقيا وريشها يستعمل للزينة مرغوب فيه تضعه نساء الافرنج فوق البرانيط ، والكزوار (انظر شكل ١٨) وهو طير يسكن الهند ورأسه مزينة بقلنسوة



(شكل ١٨ ـ صورة الكزوار)

(٤) ﴿ الطيور المتسلقة ﴾

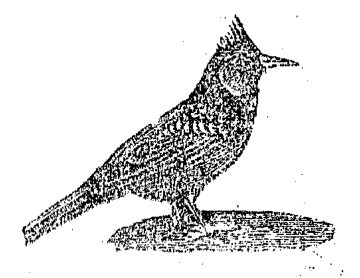
هي طيور تتسلق على فروع الأشجار بسهولة لتتغذى بالثمار أو بالحشرات التى على الأشجار ولذلك خلق الله أصبعين من أصابعها متجهتين الى الأمام وآخرين الى الخلف وهى مشهورة ببهاء ريشها وغلاء ثمنه وتشمل الببغاء وهى بأنواعها مشهورة بخاصية حكاية الأصوات ، ونقار الخشب (انظر شكل ١٩) ومنقاره قوىّ يشق به قشور الأشجار ليأكل الحشرات



(شكل ١٩ - صورة نقار الخشب)

(٥) ﴿ الطيور الدورية ﴾

هى طيور صغيرة بعضها مشهور بجمال صوته و بعضها ببهاء ريشه وهى تنتقل من اقليم الى آخر ومعظمها يتغذى بالحشرات ، ومنها البلبل المشهور بحسن صوته ، والعندليب والخطاف المشهور بعصفور الجنة وهى تبدّد الحشرات الموجودة فى الهواء ، والقنبر (انظر شكل ٢٠) وهو طير يبتدئ فى التغريد فى فصل الربيع وهو من الطيور التى تغرّد حال طيرانها ، والغراب والهدهد يتغذيان بالديدان



(شكل ٢٠ - صورة القنبر)

(٦) ﴿ الطيور الجارحة ﴾

هى طيور لاتعيش إلا بالسلب والنهب ، ولذا خلق الله جسمها معدّا لذلك فجعلها قوية منقارها كلابىّ وأرجلها منتهية بأظافر كلابية حادّة وطيرانها شديد وحاسة بصرها قوية جدا بها تدرك فريستها من بعد وهى تقابل الحيوانات الكاسرة من الحيوانات الثديية ، ومنها النسر ويسمى (ملك الطيور) لقوّته وشجاعته فيرفع فريسته بين مخالبه ، والعقاب طائر كبير عنقه خال عن الريش ، والصقر طائر فى قامة الدجاجة وهو أجل الطيور الجارحة شكلا وأكثرها شجاعة وخفة ولذا كان يعلم الصيد فى القرون الوسطى ، والحدأة (انظر شكل ٢١) وهى مشهورة بشراهتها وخطفها لصغار الطيور الأهلية والسمك ، والبوم والمصاصة من الطيور الجارحة أيضا لكنها قليلة القوّة أعينها واسعة يدخل فيها بالنهار ضوء شديد يحدث غطشتها ولذا لاتطير إلا ليلا ولايسمع لطيرانها صوت ولذا تستولى على فريستها أثناء نومها بسهولة وهى نافعة جدا لأنها تبدّد الحيوانات القرّاضة الصغيرة والحشرات المضرة والزاحفات (شكل ٢١)

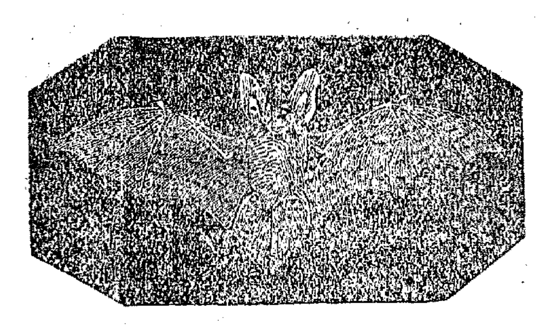


(شكل ٢١ - رسم الحدأة)

هـذا ما أردت ذكره من الطيور ليكون تذكرة للذاكرين . فاذا رأى المسلم الطير فى شواطئ البحار أوفوق رؤس الجبال أوفى الحدائق الغناء فانه لايأنس بها أنسا علميا إلا اذا عقل الفرق بينها و بعض خواصها كالذى ذكرناه هنا . ومتى عرف ذلك وغيره أصبح فى بهجة وصارت العوالم حوله جنة أعدّت له فى الدنيا وله فى الآخرة مزيد

(٧) ﴿ الحيوانات الثديية ذات الأيدى الجناحية ﴾

أما مايشبه الطيور فهو «الخفاش» وهومن الحيوانات الثديية ذات الأيدى الجناحية أوالوطواط و يتميز بوجود ثنية من الجلد ممتدّة بين أطرافه المقدّمة والخلفية على شكل أجنحة بهايطير كالطيور (انظرشكل ٢٢) وهوحيوان ليلى يهرب من الضوء بالنهار لضعف بصره وقدعوّضه الله قوّة فى إحساسه و يتغذى بالحشرات ولذلك هونافع وهذه صورته

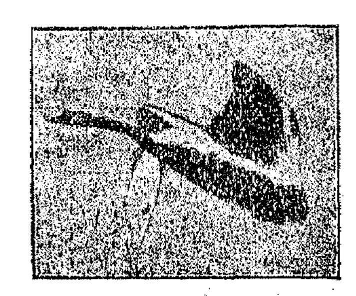


(شكل ٢٢ ــ صورة الخفاش . انتهى من كتاب المختصر المفيد)

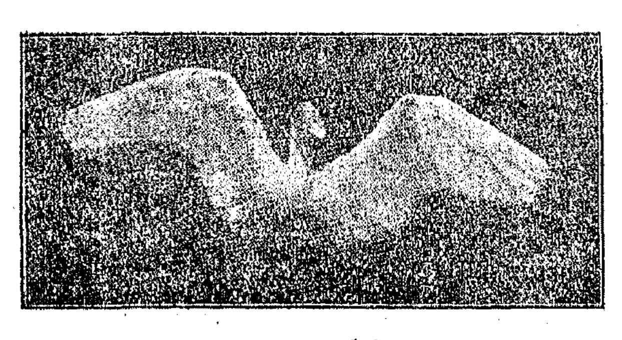
﴿ الوجه الثانى ﴾ أتفقد طيران الطيور كى يفتح باب الطيران فى الأمم الاسلامية ليشاركوا الأمم فى الطيران وقد جاء فى ﴿ مجلة الجديد ﴾ مانصه

﴿ طير الأوز العراقى الذي هو معجزة من معجزات الطبيعة ﴾

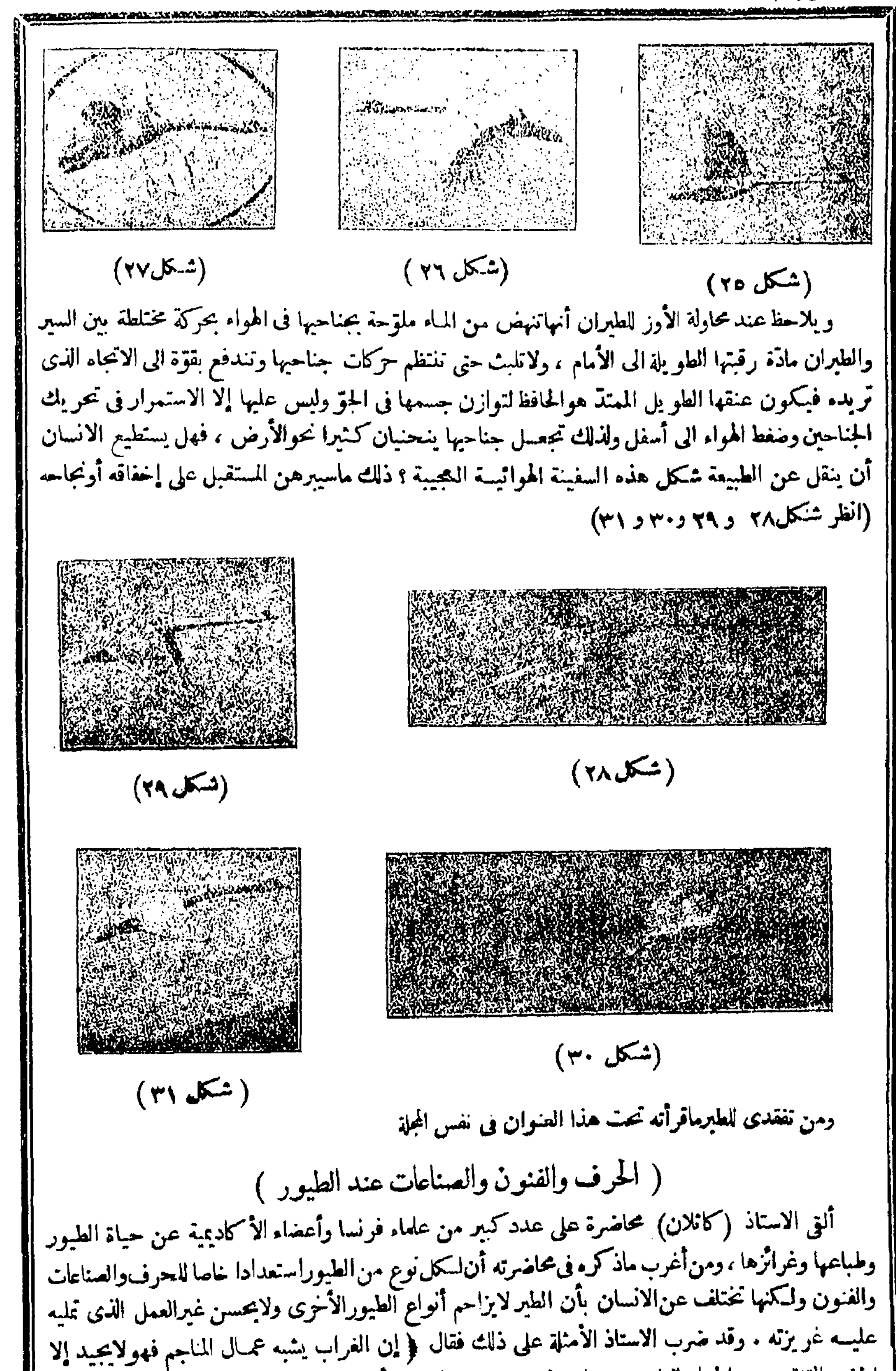
ليس عجيبا أن تعوم الأوزة فان تكوين جسمها على شكل قارب ، ولكن مايثير الدهشة عند العلماء كيف انها تستطيع أن تحلق فى الجوّ بهذا التكوين العجيب بل تطير بكل سرعة وسهولة مع انه لوصنعت آلة ميكانيكية على مثالها لكان من المستحيل أن تطير بالنسبة لتركيبها المربك . ولما كان العلماء والمخترعون يقتبسون على الدوام من مدهشات الطبيعة و يصنعون على مثالها فقد توجه التفات بعض العلماء الى دراسة طريقة الأوز فى الطيران لاقتباس ما يمكن أن يكون له فائدة عظيمة فى تقدّم الطيارات (انظرشكل ٢٣ و ٢٤ و٢٥ و ٢٦ و٢٧)



(شكل٢٣)



(شكل ٢٤)



(شكل ٢٥) (شكل ٢٦) (شكل ٢٧)

ويلاحظ عند محاولة الأوز للطيران أنها تنهض من الماء ملوحة بجناحيها فى الهواء بحركة مختلطة بين السير والطيران مادّة رقبتها الطويلة الى الأمام ، ولاتلبث حتى تنتظم حركات جناحيها وتندفع بقوة الى الاتجاه الذى تريده فيكون عنقها الطويل الممتدّ هوالحافظ لتوازن جسمها فى الجوّ وليس عليها إلا الاستمرار فى تحريك الجناحين وضغط الهواء الى أسفل ولذلك تجعل جناحيها ينحنيان كثيرا نحوالأرض ، فهل يستطيع الانسان أن ينقل عن الطبيعة شكل هذه السفينة الهوائية العجيبة ؟ ذلك ماسيبرهن المستقبل على إخفاقه أونجاحه (انظر شكل ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ و ٣١)

(شكل ٢٨) (شكل ٢٩)

(شكل ٣٠) (شكل ٣١)

ومن تفقدى للطيرماقرأته تحت هذا العنوان فى نفس المجلة

(الحرف والفنون والصناعات عند الطيور)

ألقى الاستاذ (كانلان) محاضرة على عدد كبير من علماء فرنسا وأعضاء الأكاديمية عن حياة الطيور وطباعها وغرائزها ، ومن أغرب ماذكره فى محاضرته أن لكل نوع من الطيور استعدادا خاصا للحرف والصناعات والفنون ولكنها تختلف عن الانسان بأن الطير لايزاحم أنواع الطيور الأخرى ولايحسن غير العمل الذى تمليه عليه غريزته . وقد ضرب الاستاذ الأمثلة على ذلك فقال « إن الغراب يشبه عمال المناجم فهولايجيد إلا الحفر والتنقيب ، والحمام الزاجل بما عرف عنه من الميل للأسفار الطويلة يماثل المولعين بالرحلات من

بني الانسان والبلبـل بتغريده يؤدّى بين الطيور فنّ الغناء والطير المسمى (روسيرول) يشبه البوهيميين فى التشرد وعدم الاستقرار فى مكان ، فتراه يوما يعاشر نوع (الكنارى) من العصافير وتجـده فى يوم آخر قريبا من خلية نحل ﴿ على أن الطيور لم تحرم من مهرجين ومضحكين إذ يقول الاستاذ (كاتلان) ﴿ إن بين العصافير فصيلة زرقاء اللون دأبها الاتيان بحركات بهلوانية مضحكة ﴾ ويلحق بذلك ماقرأته أيضا وهو

﴿ هجرة الفيران من انجلترا بقيادة فأر أعمى ﴾

يروى التاريخ كثيرا عن مهاجرة الفيران وانتقالها على شكل قطعان كبيرة من بلد الى آخر وتدميرها ماتجده فى طريقها حتى تأتى على الأخضر واليابس ، وقد حدث أخيرا فى انجلترا على أثر نزول الأمطار الغزيرة فى منطقة (لى) أن هاجرت الفيران فى تلك المنطقة فسارت فى طريق (ايدمونتون) صفوفا متلاصقة يقودها فأر أعمى ، وكان لهذه القطعان الثائرة الجائعة منظر يلقى الرعب والجزع ، فخلا لها الطريق من المارّة وركاب البسكليت حتى الكلاب المعروفة بجرأتها وشجاعتها لم تملك أنفسها من الخوف والتنحى عن الطريق لهذا الجيش المغير وانتهت هذه الهجرة عند غابة شاسعة صادفتها الفيران فى سيرها فتفرّقت فى نواحيها ومسار بها اهـ

(سرّ من أسرار الطاء والسين)

(هذا السر قد تبين يوم السبت (١١) مايو سنة ١٩٢٩ م)

إن هذه السورة قد ذكر الله فيها أمّتين من الأمم وهما أمة النمل وأمة الهدهد والنمل من دواب الأرض والهدهد من أنواع الطير الذى يطير بجناحيه ، أفليس هذا كالتطبيق على آية الأنعام إذ يقول الله تعالى ـ وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ـ فمن دواب الأرض النمل التى تبسم سليمان ضاحكا لما سمع قولها ، ومن الطائر ذى الجناحين الهدهد الذى سأل عنه . إن الله يوقظ المسلمين بهذا فيقول لنا استيقظوا أيها النائمون . هذا نبيّ من أنبياء بنى آدم وهذه أمم أمثالكم ولجلالة قدر هذه الأمم اهتمّ لها هذا النبى لايقاظكم . ألاترون انها أمم أمثالكم والمثلية فى هذا المقام يجب أن تسترعى أسماعكم . فهل هذه المثلية تمرّ عليكم مرور النسيم على الحصباء . ألم يأن لكم أن تعرفوا أن دراستها واجبة كدراسة الأمم حولكم والأمم الاسلامية التى تعيش وتموت وهى جاهلة نظام الحشرات كالنمل ونظام الطيور كالهدهد ونظام أمم الأرض الأخرى ولولا جهلها لا مستعدّة للطامّة الكبرى والذلة والوقوع فى براثن الاستعمار كما جهلت الدولة العباسية أمر أمة التتار المجاورة لها أيام (قطب أرسلان) وكما جهل المصريون قدرة الفرنسيين أيام احتلالهم أرضهم كما تقدّم مناذلك فكان هلاكهم على يديهم ـ وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ـ

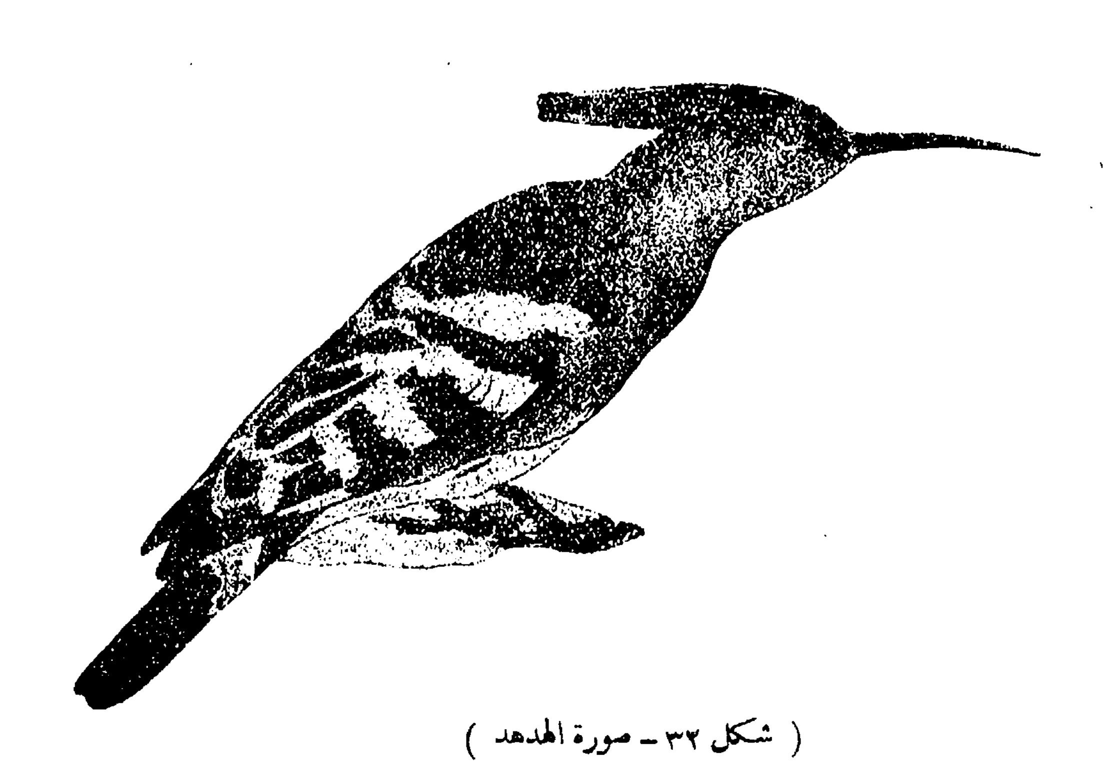
اللهم انك بحرفى الطاء والسين المشيرين للطائر ولسليمان قد أيقظت فينا ذكرى جهلنا بعوالم الطير وعوالم الحشرات فقد تقدّم قريبا فى ﴿ رسالة عين النملة ﴾ أن فى أوروبا علما يسمى (أنتومولوجى) أى علم الحشرات فهذا العلم اليوم يدرسه القوم فى أوروبا ونحن نستمدّ من علومهم كما تقدّم (سترى إن شاء الله صورة النمل مع صورة العنكبوت فى سورة العنكبوت للموازنة بينهما)

وأما الطيور التى تفقدها سليمان وخاطب منها الهدهد فان الأمم حولنا درستها دراسة تامة ، لماذا هـذا ؟ لأن حياتنا لاتتم إلا بمعرفة خواصها وأحوالها . ألاترى الى ماذكرته لك فى أوّل سورة يوسف ، أذكرك بما كتبته هناك وانى قد كنت مفكرا فى أمر الدودة التى كانت تفتك بالبرسيم والذرة وغيرها وانى كنت أرى (أبا قردان) فى إبان صغرى يأكل هذه الدودة ـ أكلا لما ـ وأخذت أجمع آراء الفلاحين وأنا مدرس بالمدارس الأميرية وكتبت مقالة فى ﴿ مجلة الملاجئ العباسية ﴾ سنة ١٩١٢ م فأصدرت الحكومة بعد ذلك أمرا بعدم صيد (أبى قردان) ثم درس رجال الزراعة بقية الطيور فأصدروا أمرا بتحريم صيدها ، ومنها الهدهد الذى

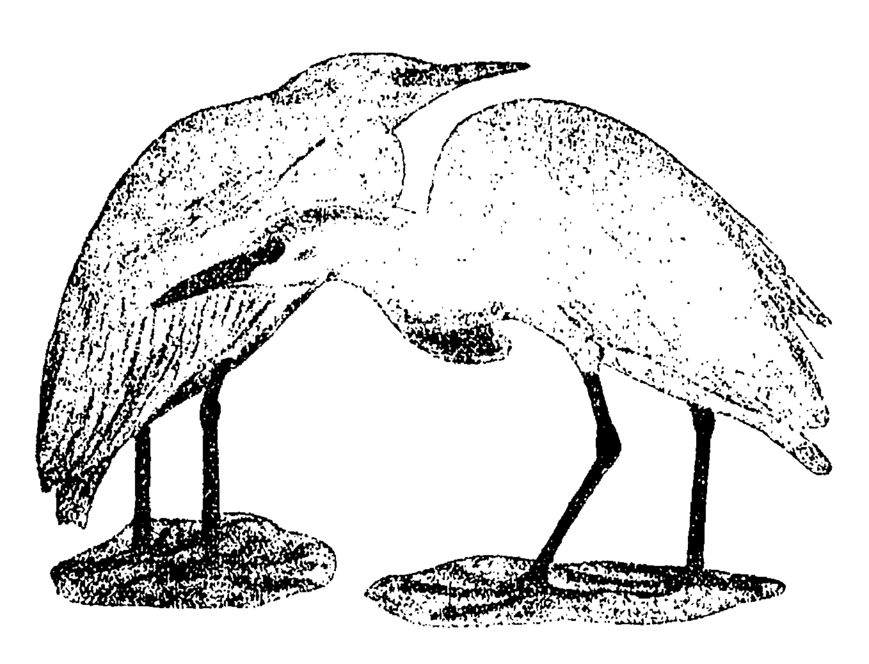
خاطبه سليمان عليه السلام

سبحانك اللهم و بحمدك ، أنت الذى جعلتنا وجعلت الطيور وجعلت الحشرات أمما مشتركة فى العمل ، أنت أشركت معنا الهدهد وأباقردان والزقزاق الشامى والزقزاق البلدى وغيرها ، جعلت هذه كلها شركاء لنا فى زرعنا أى انها مساعدات لنا على زرعنا . فلولا هذا الهدهد وأبو قردان وأنواع من العصافير وغيرها مما تقدم مصوّرا مشروحا فى أوّل (سورة يوسف) مانم لنا زرع ولادرّ بيننا ضرع

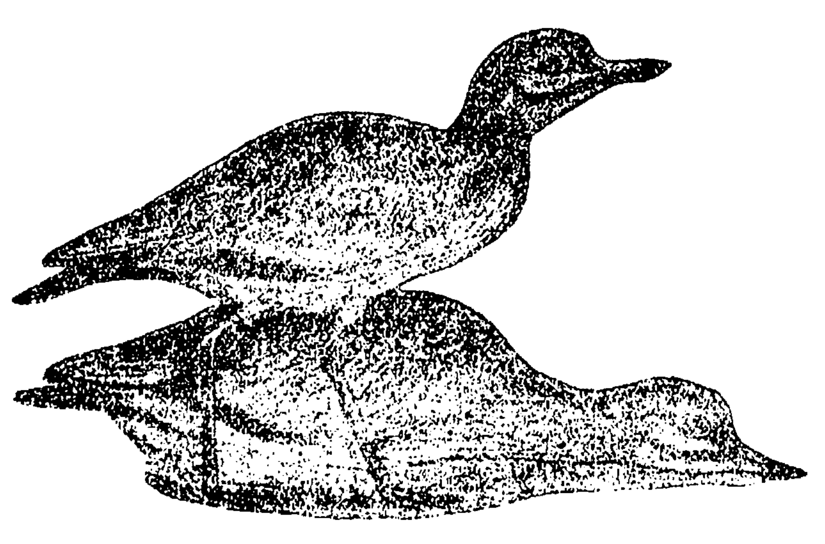
اللهم أنت المحمود على النعم . أنت معلم الجهال ومعلم العلماء . أما العلماء فهم الأمم التى سبقتنا بالعلم وانتفعت بعلوم آبائنا وهم الأمم الغربية والأمريكية وأمة اليابان ونحوها . وأما الأمم الجاهلة فهم أكثر المسلمين الحاليين هذه الأمم التى نفرت من العلم وقنعت بالجهل وكذب عليها صغار الشيوخ فرمزت لهم بهذين الحرفين ـ طس ـ فرأوا الطاء فى أوّل الطير والسين فى أوّل اسم سليمان عليه السلام فاستيقظوا الى علوم الطير وعلوم الحشرات ورأوا أن الهدهد وأبا قردان والكروان والزقزاق البلدى (انظر شكل ٣٢ و٣٣ و ٣٤ و٣٥) التى تقدمت هى وغيرها فى (سورة يوسف) هى المساعدات للناس فى حفظ زرعنا ، وقد منعت حكومتنا المصرية الناس من صيدها لحفظ زرعنا . إذن خطاب سليمان للهدهد إيذان بما فيه وفى أمثاله من المنافع وانه مساعد لنا فى حفظ زرعنا لأنه يأكل الدود الآكل لزرعنا ، فله علينا الحفظ والكرامة بل يحرم قتله هو ومامعه من الطيور لأن قتلها قتل لنا وان لم يتضح بأجلى بيان فيما علمنا إلا فيما كتبناه فى هذا التفسير . هنالك عرفنا يا الله حكمة انزال قصص سليمان مع الهدهد وأن له ولجميع الطيور شؤنا لاتعرف إلا بالدراسة كما للحشرات ولجميع دواب الأرض وأن المسلمين لاحياة لهم اذا جهلوا الأمم حولهم من بنى آدم ومن دواب الأرض ومن طير السماء هذا سرّ من أسرار الطاء والسين والحمد لله رب العالمين



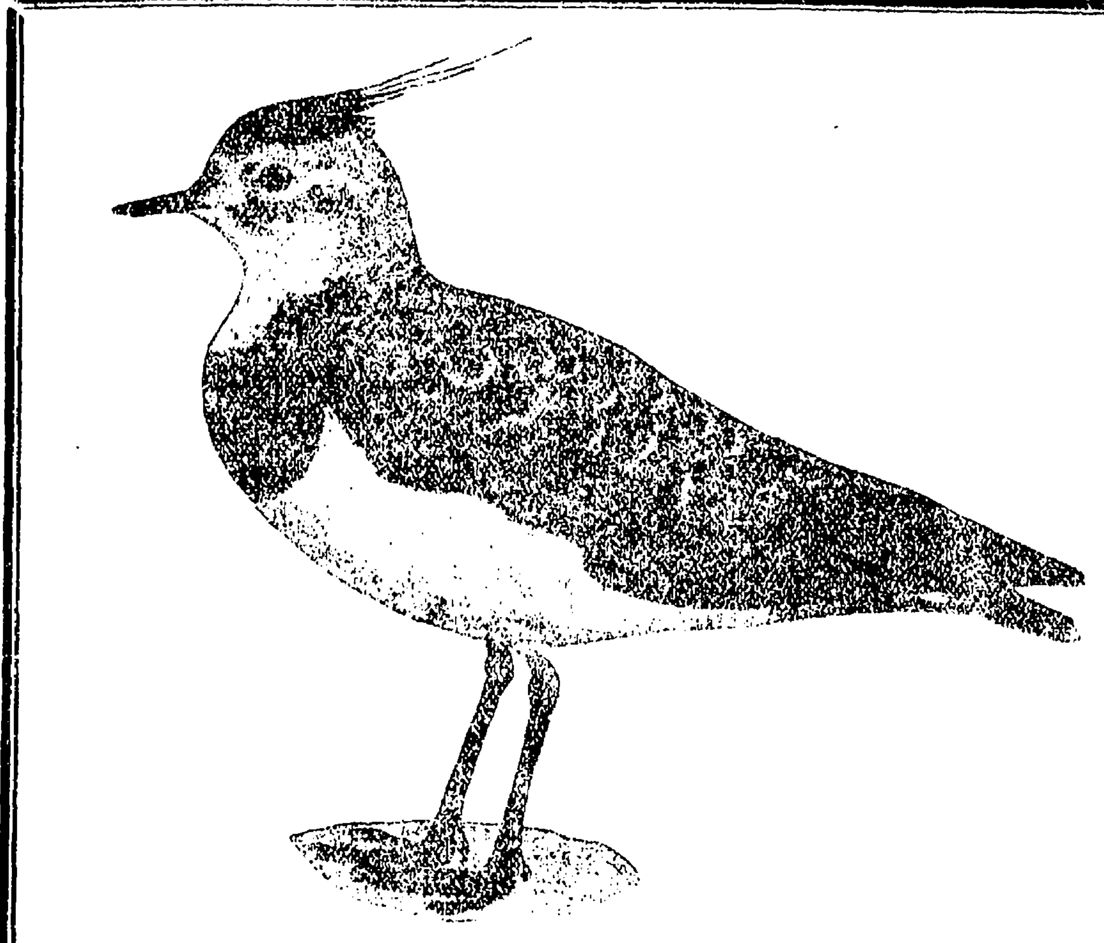
(شكل ٣٢ ـ صورة الهدهد)



(شكل ٣٣ – صورة أبي قردان)



(شكل ٣٤ – صورة الكروان)



(شكل ٣٥ ـ صورة الزقزاق البلدى)

﴿ تحريم صيد هذه الطيور ﴾

أيها المسلمون هذه الطيور المذكورات هنا مع الهدهد وهى (الكروان والزقزاق البلدى وأبو قردان) هذه الأربعة من طيور تبلغ فوق الثلاثين عدا تقدم ذكرها فى (سورة طه) هى التى تأكل الدود ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ هى تساعدنا فى زرعنا ، فهل يليق بالمسلم أن يعيش و يموت وهو لايعلم ماينفعه من الطيور ومايضره وتكون حياة الطيور وموتها تابعين للصادفة العمياء والناس يعيشون بلاعلم ولاهدى ولا كتاب منير

هذه الطيور آكلات للدود و بأكلها الدود يمو زرعنا و بنمو زرعنا نعيش وهنالك نعبدالله ونقوم بالأعمال النافعة ومالايتم الواجب إلا به فهو واجب . هل يرضى المسلم أن يكون هوالمختص بالجهل دون الأمم . الناس فى الشرق والغرب يدرسون هذه الطيور وحكوماتهم الناهضة تحرم صيدها ، وأنا أقول إن هذه الطيور متى ثبت نفعها لزرعنا حرم صيدها حتما ، واذا خالف فى هـذا مذهب من المذاهب فخلافه هنا يزول متى ثبت ضرر هلاك ذلك الطير . هذه مسألة واحدة من آلاف المسائل فى هذه الحياة نام عنها المسلمون قرونا وقرونا جهلا وغفلة عن خطاب سليمان عليه السلام للهدهد اذ اعتبره أمة من الأمم ، وكم فى الجوّ وفى الأرض وفى أضواء الكواكب وفى العناصر من علوم قصر فيها المسلمون تاركين قوله تعالى ـ قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون ـ وقوله تعالى ـ وقل ربّ زدنى علما ـ انتهى

﴿ من أعجب أسرار الطاء والسين ـ طس ـ ماخطرلى ليلة الاثنين ١٣ مايو سنة ١٩٢٩ م ﴾

سبحانك اللهم و بحمدك ، أنت المنعم ، أنت المعلم ، اللهم أيدتنا وعلمتنا فلك الفضل ولك النعمة ولك الحمد جعلت مابين الطاء والسين علوما وعلوما ، ومنها ما أذكره الآن وهو أن تفقد سليمان للطير وكلامه مع الهدهد

بعد أن سمع كلام النملة يفتح لنا باب السياسة والعلم على مصراعيه ، ولأذكر من ذلك ﴿ أمرين * الأمر الأوّل ﴾ ان الأمم لاتكون اسلامية حقيقية إلا اذا فطنت لعمل النملة ولعمل الهدهد ، أما عمل النملة فانها حافظت على دولتها من المفاجأة ولومن غير قصد فحذرت قومها من سليمان وجنده ، والحق يقال أن الأمم التى لاعيون لها ولاجواسيس تتخلل الأمم كلها فتعرف الخطرفتتوقاه أحقرمن النمل وأولئك أضلّ من الأنعام . فياويح أمة اسلامية تنزلت عن النمل فى سياستها بترك الحذر . ألم يقل الله ــ خذوا حذركم ــ وأكد ذلك بأن النملة حذرت قومها من نبىّ من أنبياء الله لايقصد اضرارها ، أما عمل الهدهد فانه كشف أحوال أمة أخرى . إذن لابد من ﴿ أمرين ﴾ محافظة على الدولة وكشف لأحوال الأمم الأخرى والعلوم ﴿الأمر الثانى﴾ ان مخاطبة الهدهد لسليمان كانت بغاية الحرية فانه يقول له (وهو مالك ذبحه ونتف ريشه وحبسه واذلاله) ــ أحطت بما لم تحط به ــ الخ فهذه الخصلة تدل على حرية تامة ولم ينزل الله هذا إلا ليعلم أهل الأرض قاطبة أنه لا يمكن استخراج قوى النفوس الانسانية إلا اذا كانت متمتعة بحرية الرأى كما تمتع الهدهد بذلك ، فأما اذا صغرت نفوس الناس من الضغط والذل فى أى أمة فان الانسانية العامّة يعتريها النقص بمقدارمافقدت من قوى كانت كامنة فى تلك النفوس فحرمت ثمرتها كما أوضحته فى كتابى ﴿ أين الانسان ﴾ وعلى المسلمين أن يبثوا هذه الحرية ويستخرجوا آراء المسلمين بها ثم يعاونوا عليها فى الأرض كلها اهـ

﴿ الكلام على الهدهد تفصيلا وعلى فنّ الطيران فى عصرنا الحاضر ﴾

ذكر الله الهدهد وانه أخبرسليمان بما لم يحط به علما ، وهذا فتح لباب فنّ الطيران وهذا الفنّ هوسلطان الأمم اليوم ، ياعجبا ، هدهد يذكره الله فى القرآن ويخبرسليمان وهونبىّ بما لم يحط به علما ، فمابالك بنا نحن الذين لاعلم عندنا فنحن أحرى أن نحرص على المواصلات بيننا بكل طريق وسبيل ممكن ومنه فنّ الطيران

إن منشأ فكرة الطيران كانت عند الأمم كلها قديما ، وانى أذكرك أيهاالذكى بما مرّ فى سورة المائدة عند ذكر الغراب وابن آدم وأن الهواء أخف من الماء (٨٠٠) مرة والبخار أخف من الماء (١٧٢٨) مرة ولذلك نرى السحاب يرتفع فى أعلى الجوّ ، ولاجرم أن قاعدة (أرشميدس) لها السلطان على هذه العوالم فانك ترى أن الجسم فى الماء يخف بمقدار حجمه من نفس الماء ، ومعنى هذا أن الحديد والنحاس والحجارة وغيرها اذا غمست فى الماء فقدت من وزنها مقدارحجمها من الماء وعلى ذلك لايعوم السمك على وجه الماء إلا اذا نفخ الكرة الهوائية الداخلة فى جسمه حتى يكبر حجمه ويكون وزنه قريبا من مساواة وزن حجمه من الماء فاذا ضغط السمك كرته الهوائية فخرج الهواء صغرجسمه فصارأثقل من مقدارحجمه من الماء فنزل الى أسفل وهذه القاعدة هى التى استخرج العلماء بها الوزن النوعى للأجسام فيقال هذا المعدن وزنه النوعى (٥) أو (١٠) أو (١٣) وهكذا أى انه أثقل مما يساوى حجمه من الماء بهذه المقادير ، وهذه القاعدة نفسها تسرى على مايطير فى الهواء ، فما البالون الآتى ذكره إلا على هذه القاعدة أى أن يكون الجسم الطائرفى الهواء أخف منه كما أن السمك يكون أخف من الماء حتى يعوم . إذن هذه قاعدة واحدة فى الهواء والماء ولكن النوع الانسانى لم يقف عند هذا الحدّ فقال كلا . لابد لى أن أقلد الطير ، الطير جسمه ثقيل فعلىّ أن أطير بجسمى الذى هو أثقل من الهواء مئات المرات وعلىّ أن أدرس الطير فى الجوّ وأعلم كيف تمكن من الطيران وجسمه أثقل من الهواء ، ولكم تغزل الشعراء وأدخلوا فى غزلهم انهم يطيرون الى أحبابهم بأجنحتهم ويقول شاعرهم

أسرب القطا هل من يعير جناحه * لعلى الى من قد هويت أطير الخ

ولقد ورد فى قصة حسن الصائغ المصرى وصف الطيران الخيالى بالأثواب والريش وهكذا ، وفى آداب اليونان انهم كانوا يشيرون الى استخدام الأجنحة وتقليد الطير . وفى الآثارالمصرية من صورهم بصورة أناس

ذوى أجنحة ثم انتقل الخيال الى العمل

(١) ففى القرن السادس عشر حاول رجل ايطالى الطيران فسقط وكسر عظامه ومات

(٢) وفى القرن السابع عشر فعل مثله رجل ألمانى فمات

(٣) ومثله مستر (كيزفرنسوس) فى القرن الثامن عشر فلم ينجح

(٤) ومثله عباس بن فرناس صاحب الصحاح كما هو معلوم

ههنا دخل النوع الانسانى فى الجد والعمل بعد الخيال وأخذوا يدرسون الطيور فأول من درس الطيور وحركاتها (بورلى) سنة ١٧١٣ فدرس حركات عدة أنواع من الطيور وعضلاتها الصدرية فأفتى بعجز الانسان عن الطيران ، ولما يئس الناس من ذلك رجعوا الى فكرة المناطيد المبنية على نظرية الخفة والثقل التى ذكرناها وقنعوا بما نقله (جان بيار بلانشاد) الفرنسى فى أواخر القرن الثامن عشر الذى قطع بحر المانش من (دوفر) الى (كاليه) فى المنطاد سنة ١٧٨٥ م ولكن الانسان لم ييأس من فكرة المشاكلة للطيور فقام (ليليا نتال) يمتحن قوة الطيور ثانيا فظهر له أن هناك سرا آخر غير قوة العضلات فى الطائر وهو أن يحوم الطائر فى الجو فاذا قدر الانسان أن يصعد الى الجو بقوة رافعة وأخذ يحوم فان ذلك يفتح له باب الطيران ، وذلك بعد أن درس الطيور عشرين سنة ولكنه مع صحة نظريته قد مات ضحية التجارب سنة ١٨٩٦

ومن المعلوم أن الانسان كله أشبه بجسم واحد ، فماذا حصل ؟ تنبه لهذا العمل الشابان الأمريكيان (ويلبور وأورفيل رايت) وأخذا يصنعان الطيارة المنبسطة الأجنحة المسيرة بالقوة ويحسنانها حتى سنة ١٩٠٥ فطار أحدهما فى الهواء مسافة (٢٤) ميلا فى مدة ثمان وثلاثين دقيقة ، فهذا أول النجاح فى الطيران

وقد اشترت حكومة الولايات المتحدة ﴿ طيارة رايت ﴾ بمبلغ ٢٥ ألف دولار للمخترعين معا . هنالك ظهر فن الطيران وشاع فى سائر أنحاء العالم فظهر أن طيران الطير فى الجو له نظام خاص ، فان الطير مايجرى أولا على الأرض ثم يطير قليلا قليلا ويصعد وذلك لأنه برفع جناحيه يخلو المكان من الهواء فيحل محله هواء آخر مما يحيط به ، فهذا الهواء بهجومه على جناحى الطائر يرفعهما الى أعلى فاذا أعاد الكرة مرة أخرى ورفع الجناحين زادت قوة الرفع بالهواء الهاجم على الجناحين . إذن سر الطيران راجع لأمر عجيب أى حسن السياسة والنظام فخفض الجناح ورفعه أشبه بالمراوح التى يحرك بها الهواء والهواء بعد الرفع يهجم فيعطى قوة وهذه القوة تضرب طيرين بحجر ، أولا ترفع الطائر بضغطها على الأجنحة الى أعلى ، وثانيا تدفعه الى الأمام لأن الهواء الهاجم انما يأتى من الخلف لأن الطائر حينما يخفض جناحه يرجع الهواء الى خلف فاذا رفع الجناح هجم الهواء الخلفى على الجناح بمقدار دفعه ، فهو إذن يرفعه الى أعلى ويدفعه الى الأمام معا . إذن يأس الناس من الطيران أولا ناشئ من اعتقادهم أن قوة العضلات هى السبب ونجاحهم ثانيا بسبب ما عرفوه فى سنة ١٩٠٠ ان هناك سرا غير القوة الجسمية كالسر الذى عرفوه فى البخار وحسن استعماله ، فههنا الارتفاع فى الجو والسرعة الى الأمام جاآ معا بالحكمة فى استعمال الهواء وحسن النظام الذى وضعه الله فى الطير . فلما عرفه الانسان فعل مثل ذلك ولذلك نجد الطيارة يجب أن تجرى على الأرض أولا ثم تأخذ فى الارتفاع قليلا قليلا بما تفعله بحركاتها من الأمام كما تفعله أجنحة الطيور

﴿ الاحتفال بهذين المخترعين فى هذه الأيام ﴾

جاء فى الأخبار العامة هذه السنة ما يأتى

فى ١٧ ديسمبر سنة ١٩٢٨ احتفلوا بمضى (٢٥) سنة على تجربة الأخوين (ولبر) و (أورفيل رايت) فى فن الطيران . ولد (ولبر) المذكور فى ١٦ ابريل سنة ١٨٦٧ فى بلدة (ملفيل) بولاية (انديانا) من أعمال الولايات المتحدة الأمريكية . وولد أخوه (أورفيل) سنة ١٨٧١ ولما أتما علومهما الثانوية فتحا دكانا لاصلاح

الدراجات (العجلات) ثم اعتنيا بأمر الطيران . وفى ١٧ ديسمبر سنة ١٩٠٣ طار أحدهما بطيارة من صنعهما مسافة ٢٦٠ ذراعا فلبث فى الجوّ ١٧ ثانية فكان بذلك أوّل انسان طار بطيارة أثقل من الهواء . وفى ٥ اكتوبر سنة ١٩٠٥ طار (أورفيل) بالقرب من بلدة ديتوت مسافة ٢٤ ميلا بسرعة ٣٨ ميلا فى الساعة ولكن الأغنياء لم يتقدّموا لمساعدتهما بالمال فذهب (ولبر) سنة ١٩٠٨ م الى فرنسا . وفى ٢١ سبتمبر فاز بجائزة (ميشلن) بعد ما طار مسافة (٥٦) ميلا فذاع صيته حالا . وفى سنة ١٩٠٩ طار فوق (نيويورك) مسافة ٢١ ميلا فى ٣٣ دقيقة و ٣٣ ثانية . وفى سنة ١٩٠٩ منحهما الكنغرس (مجلس الأمة الأمريكية) وساما ضرب لهما خاصة ثم اشترت الحكومة طيارتهما بستة آلاف جنيه

وقد توفى (ولبر) سنة ١٩١٢ ولايزال أخوه (أورفيل) حيا وهو رئيس المهندسين فى شركة طيران كبيرة

إذن الطيران بالطيارات التى هى أثقل من الهواء ابتدأ من سنة ١٩٠٣ فى شهر ديسمبر واشتهاره فى (٢٥) ديسمبر سنة ١٩٢٨ والطيارة الأولى بقيت ١٧ ثانية فى الجوّ والطيارة الآن أى بعد (٢٥) سنة تبقى محلقة فى الجوّ ٦٠ ساعة ، وسرعة الطيران الأولى لاتزيد عن (٣٨) ميلا فى الساعة والآن تبلغ (٣١٩) ميلا فى الساعة وذلك فى الطيارة المائية التى ركبها الكابتن (دارسى كريج) الانكليزى فى نوفمبر سنة ١٩٢٨

إذن الناس من سنة ١٩٠٣ ابتدءوا عصرا جديدا ، وينتظر الناس أن يكون الطيران شائعا سنة ١٩٣٦ ثم إن البالون (غراف زبلين) بلغ طوله ٧٦٢ قدما والبالون الانجليزى المنتظر اتمامه طوله ٧٢٠ قدما ويمكنه أن يجتاز (٩٠٠٠) ميل من غير أن ينزل الى الأرض وهو يحمل مائة مسافر . والبالون الأمريكى الذى يبنى الآن طوله ٧٨٠ قدما ويسير فى سرعة ٨٥ ميلا فى الساعة ، فالبالونات متقدّمة لأنها تستطيع ان تحمل مائة مسافر ، أما الطيارات فلم تصل اليها ، نعم الآن يشتغل مهندس ألمانى بعمل طيارة من هذا القبيل ، ويظن الناس اليوم أن زيادة السرعة فى الطيران ربما تصل الى خمسمائة ميل فى الساعة بعد أن تدرس طبقات الجوّ العالية دراسة تامّة

اللهم إنا نحمدك على العلم والحكمة التى بها فهمنا قولك فى (سورة الملك) - أولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن مايمسكهنّ إلا الرحمن إنه بكل شئ بصير - فهذه الحكمة وهى ردّ الفعل فى الهواء وضغطه على الجناحين بعد خفضهما هى الداخلة فى قوله تعالى - إنه بكل شئ بصير - فهو الذى أبدع هذا الشكل من الحكمة وأودعه الطير وقلده الانسان . كل ذلك لمناسبة الهدهد الذى جرى من سليمان الى بلقيس فى بلاد اليمن والحمد لله رب العالمين

﴿ جوهرة فى قوله تعالى بعد آية الهدهد - الله لاإله إلا هو رب العرش العظيم - ﴾

من اللطائف البديعة إنى كنت راكبا فى قطار السكة الحديدية المتوجه الى المرج لعمل فى الحقل فقابلنى رجل من المرج فقال ألاتتذكرنى . أنا الذى كنت أطالع التفسير مع فلان فى بلدة المرج فتذكرته فقال أريد أن أسألك ؟ لم يقول الله - الله لا إله إلا هو ربّ العرش العظيم - تارة ويقول تارة أخرى - ربّ العرش الكريم - فقلت له إن الملك قد يكون عظيم العرش عظيم الملك دولته مشرفة على أمم كثيرة ولكنه غير كريم ، أما الله فانا نشاهد أن ملكه واسع وعرشه عظيم ، ومن طبع الملك العظيم فى أهل الأرض انه يذهل الملك عن تفقد الامور الصغيرة فليس فى قدرة ملك من ملوك الأرض أن يبادر الى إجابة كل مريض وكل فقير وكل يتيم وكل عجوز وكل أرملة ، بل يكل ذلك الى نوابه فى الأقاليم ، فملوك الأرض كلما اتسع ملكهم كثرت حاجات الناس اليهم ، وعلى مقدار ذلك يكون ضعفهم عن القيام بها فهذا مستحيل عقلا وعادة ، فأما الله فانه مع سعة ملكه وعظمته فانه تجلى لكل امرئ فى نفسه فشكا اليه أمره وأغاثه وأعانه ولبس ذلك فى ظاهره

فحسب بل يتجلى له فى داخله وقرارة نفسه ويحدثه ويسأله فيجيبه مرة ويؤجل الاجابة مرة أخرى ثم هو يلازمه فى الحياة وبعد الموت ولايفارقه ، ونراه يكون مع الطير ومع الحشرات ومع دواب الفلوات ولايذر دودة فى جحر ولاطيرا على شجر ولاذئبا فى فلاة ولامخلوقا دقّ أوجلّ إلا وهومعه يناجيه فى سرائه وضرائه . فهذا هو الكريم الحقيق وهذا معنى قوله تعالى فى سورة المؤمنين — فتعالى الله الملك الحق — لأن الملك الحق هو الذى يتصف بهذا . إن الملك الحق هوالذى يتفقد رعاياه فى سرّهم وعلانيتهم وهذا بعض السرّ فى قوله تعالى فتعالى الله الملك الحق لاإله إلاهو رب العرش الكريم — فهذا هوالكريم الحقيقى وهذا هوالملك الحقيقى . أما ملوك الأرض فملكهم ليس حقا بل ملوكهم مجازيون ، ومن آيات رعايته ودلائلها المشاهدة أن كوكب الشمس نراه النحلة والنملة والملك والصعلوك وساكن الأرض والمريخ وبقية السيارات وغيرها كأنها له وحده وكأنها لاتقابل غيره وكذلك القمر . فاذا كانت الشمس التى لاتعقل هذا عملها فكيف بالخالق الحكيم ؟ فهومع الجميع سرا وجهرا . واذا كان ابن سينا والغزالى يقولان ﴿ إن ذا العقل الكبير يكلم رجلا ويكتب بيده ويسمع بأذنه رجلا آخر ولايلهيه واحد من هذه الشؤن عن الآخر ﴾

فهذا فتح باب أن نعرف أن العقول الكبيرة كالملائكة تسع خلائق كثيرة فى آن واحد ، فالله إذن أوسع وأعلم وهوالحكيم العليم . فاذا سمعت الله يقول فى سورة المؤمنين — أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لاترجعون — فهومن هذا الباب لأنه كريم ومن أجل كرمه انه لما خلقنا لم يرد بذلك مجرّد وضعنا فى الأرض مدّة ثم يهلكنا ، نعم لاحرج على الخالق ولكنه لايفعل ذلك ويقول لنا اطمئنوا ياعبادى أنا خلقتكم ورزقتكم وابتليتكم بالشرّ والخير وعلمت سركم وجهركم وحافظت عليكم وأجبت دعاءكم وأنعمت عليكم بنعم لاتحصونها ، ولكن أهم من هذا كله انكم لاتفنون فأنتم تعيشون أبدا سرمدا ، واذا كنتم أنتم تأنفون أن توصفوا بالعبث فهل أرضى بالعبث فى صنعى ؟ ومن أين اتصفتم بصفة الأنفة من العبث إلا بالفيض من آثار قدرتى وعلمى ، فإذن أنا أبقيكم فى دارأخرى ولذلك أتى بها بصيغة الاستفهام الانكارى فقال — أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لاترجعون — ثم وصف نفسه بالعلوّ والعظمة ووصف عرشه بالكرم وليس من الكرم أن يخلق أرواحنا ثم يهلكها بلامزية ولامنفعة كأنها موج البحار أوهبات النسمات أوخطرات الأوهام ، إذن نحن نرجع لله بعد حين

فلما سمع ذلك الرجل قال هذا كاف واف فقلت الحمد لله رب العالمين . ولما كان ذلك السؤال قبيل طبع هذه السورة ألحقته بها ، وأنا أحمد الله على التوفيق . تم الكلام على اللطيفة الأولى

﴿ اللطيفة الثانية فى قول بلقيس — ماكنت قاطعة أمرا حتى تشهدون — ﴾

هذه الآية تدل على ما كان عند العرب من أمر الشورى وانها قديمة العهد ، ومن عجب أن الأمة العربية بعد الاسلام فى هذه الأجيال القريبة نسيت مجد آبائها الأقدمين ونسيت مجدالاسلام ، يقول الله — وأمرهم شورى بينهم — وينقل الكتاب عن أسلافنا أن مجالسهم كانت شورية . فياعجبا . لا أخلاق الآباء اتبعنا ولاالدين نهجنا . إن أمة العرب اليوم قد انحلت عراها واختل أمرها ، وأذكر لك حادثة واحدة . ذلك أنه منذ خمسة أعوام وأنا أكتب فى تفسير هذه السورة كانت تدورالحرب بين أمير نجدالذى احتل مكة وبين على بن الحسين الذى هو ملك جدّة . فالأوّل يريد اخراج علىّ منها والثانى يدافع عنها . وقد حضر وفد ينوب عن مسلمى الهند يحمل تفويضا منهم ليفاوض المتحاربين فمنع الملك على الوفد من السفر الى مقابلة ابن السعود أمير الوهابيين . ولما طلبوا منه أن تكون مكة وبلاد الحجاز محكومة بالقوانين الشورية وبالنظام الدستورى وأن يحكم البلاد مجلس شورى يديره رئيس ويكون أعضاء المجلس بالانتخاب أبى على الوفد ذلك وقال ان البلاد لايوافقها ذلك . فتعجب من أمم الاسلام اليوم كيف أصبح بعضها لايلوى على دين ولاعلى مجد سابق بل أكثرهم

مستبدون

مستبدّون ظالمون . ومن آيات الله أن يجعل الاشراق بعد الظلام وقد بزغ فجر الحرّية فى الاسلام وستشرق شمسه على الأقطار كلها ، واذا كان المسلمون اليوم فى أدنى درجات الانحطاط بالنسبة لغيرهم فما ذلك إلاعلامة على سرعة تبدّل الحال ـ تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير * الذى خلق الموت والحياة ـ والضد يتبع ضدّه فكما يتبع النهار الليل هكذا سيتبع العدل الظلم والرفعة الضعة ومن يعش يره والله مقلب الليل والنهار انتهت اللطيفة الثانية

﴿ اللطيفة الثالثة فى قوله تعالى ـ فما آتانى الله خير مما آتاكم ـ ﴾

هذه الآية والآيات السابقة كقوله تعالى ـ فتبسم ضاحكا من قولها وقال ربّ أوزعنى الخ ـ دلالة على أن نعمة العلم هى كل شئ وهى كل نعمة ، ألاترى الى سليمان وقد دعا الله فيما تقدّم لما سمع كلام النملة وفرح بالنعمة كيف أخذ بعد ذلك يتفقد الطير ويكلم الهدهد وينظر فى شأن الملك واسلام الأمم المجاورة له ، انظر كيف ذكر قصة بلقيس وهداها واحضار عرشها بعد أن نال نعمة العلم بعجائب الحيوان كالنمل ، فهو أوّلا منح نعمة العلم ثم منح نعمة هداية الناس فلاملك إلابعد العلم ولاهداية للناس إلابعد العلم ، وانظر كيف يقول بعد حديث النملة ـ ربّ أوزعنى أن أشكر نعمتك ـ ويقول بعد أن رأى عرش بلقيس ـ هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ـ فكأن الانسان فى جميع أحواله مختبر ، فبالعلم مختبر وبالنعم مختبر وبالكرامة الإلهية مختبر والأنبياء بالمعجزات مختبرون وهذا كله من قوله تعالى ـ ونبلوكم بالشرّ والخير فتنة ـ فلافرق بين نبىّ ولا مؤمن ولله الأمر من قبل ومن بعد ـ

﴿ جوهرة فى قوله تعالى ـ إنّ الملوك اذا دخلوا قرية ـ الخ مع قوله تعالى ـ فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ـ ﴾

حضر الىّ صاحبى العالم الذى اعتاد أن يتحدّث معى فى أهمّ ما فى هذا التفسير فقال إن هذه السورة اشتملت على آيتين مرتبتين ترتيبا ذكريا عجيبا . فأولاهما تدل على أن الملوك اذا دخلوا فاتحين بلادا أفسدوها وأذلوا الأعزة فيها وهى قوله تعالى ـ إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزّة أهلها أذلة وكذلك يفعلون ـ

والآية الثانية قوله تعالى ـ فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ـ يظهر لى أن ورود هاتين الآيتين من حيث الترتيب مقصود وكأنه يقول سبحانه « إن هؤلاء الظالمين لابد أن تخرب بيوتهم وتصبح خاوية على عروشها » وما أحسن الافاضة فى هذا الموضوع حتى تتجلى الحقيقة ناصعة فان هذا الزمان زمان ظهور الحقائق الواضحة . أما الاجمال فلا يكفى أولى الألباب . فقلت إن هذا المقام يعوزه البحث فى أصل نشأة هذا العالم ونظام ذرّاته والسير فى الموضوع من الذرات الى الأجسام الى الأمم بحيث تكون العلوم مستخدمة فيه وهذه سنة فى الأسلوب خطرت لى هذه الليلة (مساء الأربعاء ٢ يناير سنة ١٩٢٩ م) فقال وماهذا الأسلوب الذى خطر لك . فقلت إن هذا الانسان لم يكن على هذا النمط إلا لما فى تركيبه من القبول لهذه التنوّعات السياسية . فإذن لنتجاذب أطراف الحديث فى أصل نشأته ونشأة العوالم التى ركب منها . فقال قل موجزا . فقلت إن الانسان والحيوان مركبان من مادّة نارية مضطرمة . فقال أريد أن أفهم ما تقول . فقلت قد قدّمت فى سورة البقرة « مم يتركب النبات » ولاجرم أن النبات غذاء الحيوان والنبات والحيوان غذاء الانسان . فتى عرفت العناصر التى تركب منها النبات فى (سورة البقرة) أدركت الاضطراب فى السياسة وفى النظام الاجتماعى

﴿ مزاج هذه الدنيا محرق ﴾

(١) العناصر محرقة مثل البوتاسا والبوتاسيوم

(٢) المعادن فيها قوّة تحكم العناصر

(٣) النبات له نفس تضبطها وهو مختلف باختلافها

(٤) الحيوان كثير الاختلاف والنفس حوّلت تلك الأحوال الى عواطف
(٥) الانسان بعقله حوّلها الى عواطف أعلى
(٦) وهكذا آراء فلاسفة كالفارابى وأفلاطون فى مدنيته
(٧) ثم ماحال الأمم المغاوية والغالبة
(٨) هو فى ذلك لم يرتق عن الحيوان

قال صاحبى ، ياعجبا ، أىّ مناسبة بين علم السياسة وعلم الكيمياء . إن العناصر المذكورة فى سورة البقرة عند آية الطير وابراهيم تعرف بعلم الكيمياء ولامناسبة بين هذا العلم وعلم السياسة ونظام الدول . فقلت خير لنا أن لانطيل وأن نهجم على الموضوع حتى تظهر لك جلية . قال إذن لتبينها هنا بطريق يخالف طريق مافى (سورة البقرة) بعبارة أوضح لتكون هنا فائدة غير ماهنالك . فقلت نعم ، العناصر التى يتركب منها النبات هى النيتروجين (الاوزوت) الذى تتركب منه العضلات فى الحيوان . والكربون الذى يتركب منه الدهن فى الحيوان أيضا والادروجين الذى يدخل فى الماء مع الاكسوجين . فهذه الأربع معروفة فى النبات والحيوان . ويضاف اليها (١) البوتاسا (٢) الصودا (٣) الجير (٤) المغنيسيا (٥) حمض الفوسفوريك (٦) حمض الكبريتيك (٧) سلكا (٨) كلور (٩) أوكسيد الحديد ، هذا ماذكرته هناك

(١) البوتاسا من البوتاسيوم وهومعدن أبيض فضى اللون اذا قطع غير أن سطحه يسودّ سريعا واذا ألقى فى الماء يشتعل بنور بنفسجى وهنالك تتكوّن البوتاسا

(٢) الصودا من الصوديوم وهومعدن فضى اللون لين اذا ألقى فى الماء الحار أوأحمى قليلا يشعل بنور لامع أصفرفاقع ، وكل أملاح الصوديوم اذا أشعلت تكسب اللهب لونا أصفر

(٣) الجير هوأوكسيد الكالسيوم والكالسيوم المذكورهو فلز ذو لمعان أصفر يتغير بسرعة فى الهواء الرطب إذ يتكوّن طبقة سنجابية من الكالسيوم على سطحه ، واذا سخن على صفيحة من البلاتين التهب فيحترق بلهب شديد اللمعان وهو يحلل الماء على الدرجة المعتادة . ثم ان أوكسيد الكالسيوم المذكور وهو الجير المعروف يحصله الناس بحرق كربونات الجير فى فرن يسمى فى مصر (قمينة) ويسمى الجير الحى ومتى حصلنا الجير الحى المذكور بالحرق، وندّيناه بالماء فانه يسخن الماء ويصيرله بخار ثم يتشقق ويزداد حجما واذا كان ذلك الماء كافيا استحالت قطع الجير الحى الى مسحوق أبيض يسمونه (الجير المطفأ)

(٤) وأماحمض الفوسفوريك فهومركب من الفوسفور مع غيره ، والفوسفور «قسمان» أصفروأحمر أما الأصفرفهوسريع الاشتعال ولذلك يجب حفظه فى الماء لئلا يشتعل من حرارة الهواء الاعتيادية وأما الأحمر فلايشعل بسهولة ولذلك يمكن حفظه فى الهواء مثل سائرالموادّ وهولايوجد إلا مركبا مع الكلس والصخور وهو يكون مع التراب والتراب يدخل النبات والنبات يدخل الحيوان فالفوسفورجزء من عظامها فهو يتكوّن مع الاكسوجين ويكون فيهاحمض الفوسفوريك وعظام الرجل الواحد يستخلص منه خمس رطل فوسفورخالص

(٥) المغنيسيا هومركب المغنسيوم مع الاكسوجين فالمغنسيوم معدن فضى اللون لين قابل لأن يسحب شريطا وخيوطا ولا يكون صرفا فى الطبيعة بل مركبا مع أجزاء أخرى مثل المادّة الفحمية (الكربون) ومع المادّة الرملية (السليكا) والمغنسيوم اذا أشعلناه يعطى نورا لامعا أبيض صافيا . وبخار المغنسيوم أسود وهو يصعد منه بدون احتراق

(٦) حمض الكبريتيك هومركب من الكبريت مع غيره . والكبريت موجود فى الطبيعة صرفا فى جوار البراكين وقد يكون مركبا وهوجامد أصفراللون قصم ذو رائحة خاصة سريع الاشتعال وعند الاشتعال يكون غازا قوىّ الرائحة معطسا خانقا ساما وله ألفة شديدة للمعادن . والكبريت يتكوّن مع الاكسوجين

فيكون

فيكون حامض الكبريتيك الذى يقال له فى التجارة (روح الزاج) الذى يستعمل فى الصابون

(٧) والسليكا هى مادة مركبة من السليكون مع الاكسوجين والسليكون مادة بلورية سوداء ويستحضر بازالة الاكسوجين من السليكا ، والحجر المسمى بالكوارتس أودب الملح المتباور انما هو سليكا صرف والرمل والصخور الرملية كلها سليكا صرف أو ممزوج ببعض المواد الأخرى وهكذا بعض الأحجار الكريمة مثل الجشت واليصب واليشم وهو الحجر اليمانى والعقيق والياقوت وحجر الصوان والخلقيدونى سليكا ، وأنواع الرمل الملونة سليكا ملونة بأوكسيد الحديد أو مواد أخرى وهو موجود فى قشر جميع أنواع القصب والخيزران وسوق الحبوب والحشائش وذلك سبب ايذاء حروف السكاكين بها ، والسليكا موجود فى أكثر المياه الطبيعية فى حال الذوبان وبكثرة فى مياه الينابيع الحارة فى (سيلانده) والزجاج والخزف الصينى والفخار والآجر سليكات ، والزجاج يصنع باحماء مزيج من الرمل الأبيض (السليكا) والكلس أو الصودا أو البوتاسا مع أوكسيد الرصاص

(٨) أما الكلور وهو (الكلورين) فهو لا يكون حرا فى الطبيعة ويكون فيها مركبا من الصوديوم وهو ملح الطعام ، والكلور الذى هو الجزء المتمم للملح غاز مقطس لونه مصفر مخضر رائحته مقطسة خانقة يحدث سعالا شديدا وهو سام

(٩) أما أوكسيد الحديد فهو الاكسوجين متحدا بالحديد والحديد قليل جدا فى النبات وهو معروف فلا نطيل به

فلما سمع صاحبى ذلك قال هذا من علم الكيمياء وقد أطلت فيه وانى أخاف أن قراء هذا التفسير تنبو طباعهم مع علمى بأنك تحاشيت فى هذا المقام أن تأتى بما يصعب من اوصاف هذه العناصر ونحن الآن فى تفسير آيتين من كتاب الله تعالى آية — إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها — الخ وآية — فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا — . إن هذا المقام يحتاج الى الحصر وجمع العلوم بحيث تكون هذه الكيمياء منسجمة مع ما سيأتى بعدها ويكون الموضوع هيئة واحدة لا انفصام لها حتى تأخذ بمجامع القلوب لأن هذا المقام حقيقة غريب واذا انتظم شمله والتأمت أطرافه واستوفيت تفاصيله سرى فى العقول الانسانية كلها لا الاسلامية وحدها وحصلت به فكرة نافعة لهذا العالم الانسانى . فقلت له إن الأمر فى هذا المقام سهل فاننا نقول إن جميع النباتات مركبات من هذه التسعة ومثلها الحيوان والانسان لأن هذين على مقتضى النبات ، فاذا رأيت الذرة والقمح والشعير والقطن والبرسيم وأمثالها فاعلم علما ليس بالظن أن أزهارها وأوراقها وأغصانها وعروقها الضاربة فى الأرض كلها مركبات من هذه العناصر

(١) فاستحضر أمامك قطعة من البوتاسا إن هذه البوتاسا منها مانسمى بالبوتاسا الكاوية ومحلولها يستعمل فى تحضير الصابون اللين أى (الصابون البوتاسى) وانظر كيف يشتعل اذا ألقى فى النار ، فهذا جسم نارى لاغير

(٢) وأحضر أيضا قطعة من الملح فان فيها الكلور وهى المادة المقطسة وفيها الصوديوم وهى المادة المحرقة

(٣) وقطعة من الجير الحى

(٤) والعيدان الفسفورية التى يوقد بها الناس إذ تلتهب بالحك ، قد جعل الفوسفور متحدا مع مادة أخرى فى أعلى العود وبه يكون الالتهاب

(٥) وقطعة من الكبريت الذى تقدم لك وصفه

(٦) وقطعة صخر رملية

اذا جمعت هذه أمامك فقل إن أمامى كل نبات وكل حيوان ، ماهى النباتات على الأرض ؟ هى مواد محرقة مواد كلها مهلكة . اللهم إنك أنت الحكيم وأنت العليم وأنت الجليل . يا الله رأينا جمالك فى الدنيا قبل الموت

رأينا فى هذه المادة حكمتك و بدائعك وجمالك . لماذا هذا ؟ لأنك صنعت قطننا وذرتنا وقمحنا من موادّ محرقة ، ولماذا كانت محرقة مهلكة ؟ لأنها مخلوقة وسائر العناصر التى تبلغ نحو (٨٠) من ذرات ضوئية وماهى إلا نقطة تسمى (الكترونا) تكون فى المركز ثابتة وهى كهرباء موجبة وأخرى تدور حولها وهى تسمى بروتونا وهى كهرباء سالبة وتدور السالبة حول الموجبة ستة آلاف مليون مليون مرة فى الثانية الواحدة و باختلاف عدد الكترونات والبروتونات تكون هذه صوديوما وهذه كبريتا وهذه فوسفورا وهكذا

اتضح الأمر وظهر وعرفنا أن هذه القطع التى أمامنا الآن وفيها ملح الطعام المشتمل على جسمين مهلكين وفيها البوتاسا الخ كلها عبارة عن كهرباء اختلفت أجزاؤها فاختلفت أوصافها فكانت النتيجة انها جميعها موادّ محرقة ؟ لماذا لأنها مركبات من كهرباء أومن نور الحركة السريعة والحركة توجب الحرارة والحرارة تكون كهرباء وتكون نورا وهكذا

إن من الأجسام الداخلة فى النباتات الكبريت والكبريت يتركب البارود منه ومن ملح البارود ومن الفحم ، فن ملح البارود ٧٨ فى المائة ومن الكبريت عشرة ومن الفحم ١٢ إذن البارود دخل فى تركيبه الكبريت ، ذلك الكبريت الذى دخل فى النبات كما سيأتى وصفه . ومقادير أجزاء البارود عند الدول الآتية مايأتى بيانه

	فرنسا	ألمانيا	انجلترا
ملح البارود	٧٥٫٠٠	٧٤٫٠٠	٧٦٫٠٠
كبريت	١٢٫٥٠	١٠٫٠٠	١٠٫٠٠
فحم	١٢٫٥٠	١٦٫٠٠	١٤٫٠٠

هذا تركيب البارود عند هذه الأمم . إذن الكبريت الذى دخل فى القطن وفى القمح وفى الذرة وفى البرسيم دخل فى البارود . المادة التى تركب منها غذاء الانسان وغذاء الحيوان نار مشتعلة فكيف اطمأنت هذه النار وكيف سكنت ، وما الذى أسكن هذه النار وأقرها حتى أصبحت طعاما لنا وشرابا وفاكهة وأبا متاعا لنا ولأنعامنا ثم كيف تكون هذه الأرض نارا ملتهبة أوكهرباء مذبذبة وتصبح مخضرة وكيف تكون حركات ذراتها ستة آلاف مليون مليون مرة فى الثانية فما الذى كسر تلك الحرارة وأخمدها وثبتها فانقلبت حالا الى عناصر فيها تلك الخواص المحرقة ؟ ما الذى أخمد تلك النار المتقدة . إن خواص الكلور وخواص الصوديوم وخواص البوتاسيوم وخواص الكبريت كلها ترجع الى الحرارة والاحتراق ولكن هذه بالنسبة لحرارة الكهرباء فى ذراتها قليلة انها محرقة جدا فان الحركة السريعة فيها أعظم والحركة تتبعها الحرارة . أما الجواب على ذلك فانه يظهر لى أن هذه العناصر فيها قوّة من عالم آخر غير العالم الأرضى سكنتها فأخضعت تلك الذرات المشتملات على القوّة الموجبة والقوّة السالبة الكهربائية وهذه القوّة نسميها نفسا معدنية و بها حفظت تلك الحركات وانقلبت الى خواص عرفناها فى الصوديوم والبوتاسيوم والفوسفور والكبريت . ثم إن هذه العناصر أيضا دخلت فى النبات

﴿ الكلام على النبات ﴾

فانظر الى (البوتاسا) فهى فى شعر القطن (٥٫٠٠) فى المائة وفى بذره (٣٣٫٣) فى المائة وفى خشبه (٣٢٫٩) فى المائة . وقد دخلت فى عود القمح (٣٢٫٩) فى المائة وفى حبه (٣١٫٥٤) فى المائة وفى تبنه (١٥٫٦٤) فى المائة . وهكذا بقية العناصر لها نسبها كلها مذكورات فى (سورة البقرة) فارجع اليها عند الطير وابراهيم . فاذا قرأت هذا الموضوع هناك وضممته الى ماهنا عرفت أن مطعوم الانسان والحيوان عبارة عن هذه القطع التى أحضرتها أمامك الآن وأكثرها محرقة مهلكة . فياليت شعرى ما الذى قلب وضعها

﴿ والجواب على ذلك ﴾ أن هناك نفسا نباتية كنا فيما مضى نعدّها أقل من النفس الحيوانية ولكن الكشف

الذى تقدّم فى (سورة الحج) على يد عالم هندى أبرزلنا أن النبات يحس ويتحرك فبناء عليه أصبحنا نعجب من كهرباء موجبة وسالبة اختلفت مقادير جزئياتها وحركاتها فأعطتنا عنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا أعنى انها فى المعادن ، أعطتنا فوسفورا محرقا وكبريتا محرقا وبوتاسيوما كذلك وان تنوّعت الصفات وهنا ارتقت فى الاعطاء فانها أعطتنا الغذاء كالبرّ والفاكهة كالتفاح والدواء (كالسنامكى والخروع) والداء كشجرة تسمى (الداتوره) والسام والمخدّر كالأفيون عند كثرته أوعند قلته ، وأعطتنا الحلو والحامض والمز والحريف ، وأعطتنا ما لا يتناهى من العجائب والحكم مما لا يحصره العدّ ، وياليت شعرى من أين جاءنا ذلك الذى سميناه نفسا هنا فى المعدن وفى النبات . فقال صاحبى انها كامنة فى المادّة كمون ماء الورد فى الورد . فقلت واذا كانت هذه التى سميناها نفسا نباتية وماقبلها التى سميناها نفسا معدنية انما ظهرت بعد الكمون فى تلك الذرات الكهربائية فلماذا لم تبرز أرضنا حرارة كحرارة الشمس وتستغنى عن حرارة الشمس ؟ إن أرضنا لاتنال حياة الحيوان ولا نموّ النبات إلا بماء وحرارة ولكن الحرارة تأتى من الشمس والنجوم لا من الأرض والماء يستحيل حصوله إلا بضوء الشمس المثير البخار المجرى للهواء الحامل للسحاب الممطر على الأرض الجارية بسببه الأنهار فلا نهر ولا سحاب ولا رياح إلا بالشمس . واذا احتاجت أرضنا الى «أمرين» وهما اصلاح الظواهر بالحرارة واصلاح البواطن بنفس مدبرة ورأينا انها عجزت عن اصلاح أسهل الأمرين وهو ظواهر الأجسام بالانضاج فمن باب أولى تعجز الأرض عن أن تضم بين جوانحها أعظم الأمرين وهى النفوس المدبرة فثبت بهذا البرهان أن المادّة ليست فيها نفوس مطلقا لانباتية ولاحيوانية ولا ماسميناه نفوسا معدنية لأنها محتاجة جدّ الاحتياج الى حرارة الشمس ولاصلاح ماعليها من حيث ظاهره . إذن للنبات نفوس جاءت من عوالم أخرى نجهلها كل الجهل وهذه النفوس المجهولة لنا كل الجهل تحل فى النبات عند استيفاء شرط الانبات وتعدل تلك الذرات وتستخرج بها وفيها أفانين الصور والأشكال والثمرات العجيبة

« الذرات فى عالم الحيوان »

ثم اذا وجهنا نظرنا تلقاء الحيوان ألفيناه مركبا مما تركب منه النبات لأنه غذاؤه وحكم المركب حكم أجزائه فهذه البوتاسا وهذه الصودا وماعطف عليها كلها داخلات فى أجسام الحيوان ولقد أتت بالعجب العجاب فيه أكثر مما فى النبات . فاذا رأينا الكبريت قد دخل فى البارود (بارود الحرب) غيرما تقدم مع الفحم وملح البارود بهيئة خاصة بحيث يكون نقيا مع فحم نباتى خاص فهناك يأتى بالمقصود من الحرب وهكذا اذا رأيناه أى الكبريت مع أخويه مستعملا فى المخاليط المضيئة والمفرقعة والمحرقة فى الحرب وفى السواريخ التى جعلت لاحراق مراد العدوّ القابلة للاحتراق بترتيب غيرما تقدّم وأجزاء بحيث تختلف عما قبلها فتكون ثلاثة أجزاء من البارود المحبب و(٤) من البارود الترابى و(٢٨) من الكبريت وهب هذا الساروخ يكون متقدا . واذا أريد بالسواريخ إنارة الأماكن لترى ليلا يكون من ملح البارود (٨) أجزاء والكبريت (٢) ومن الأنتيمون جزء واحد والضوء إذن يكون شديدا . وقد تظهر السواريخ بهيئة مطر فهذه تكون بأجزاء بهيئة غيرما تقدم . واذا نظرنا الى نفس الكبريت الذى جعلناه مثالا هنا فى النبات واقتصرنا على القطن ألفيناه كما تقدّم داخلا فى شعره بهيئة حمض الكبريتيك نحو (٨) فى المائة تقريبا وفى بذره (٢) فى المائة وفى الخشب (٥) فى المائة . إذن الكبريت الذى أعان على أنواع البارود والسواريخ وكشف الأماكن واحراق العدوّ هاهوذا أعان فى النبات أى فى القطن خاصة على حصول شعر القطن . ذلك الشعر المركب من شعرات هى أنابيب مفرطحات مركبات من مادة (سليولوز) وهذا الشعر يخلط بحامض النتريك وبحامض الكبريتيك يكون هو قطن البارود الذى اذا سخن احترق بحيث لا يترك فضلة وهذه المادة جعلت مع موادّ أخرى وصبت فى قوالب فصارت مفرقعات فالكبريت كما دخل فى المفرقعات المعدنية دخل فى المركبات النباتية

﴿ الحيوان ﴾

ثم انه هو وجميع المواد الأخرى يدخل فى جسم الحيوان . إن الحيوان يغتذى بالنبات و يتشكل و يتمثل بمادته فيحصل هناك تنوّع لاحدّ له ، فبينما نرى الحية السامّة المتغذية بالمواد العفنة والأسد الضارى المغتذى بلحم الحيوان والنمر والطيور الكاسرة نرى أنعاما ودواب وطيورا مغرّدة سارّة وأخرى مرقشة الصور جميلة الهيئة متقنة الأجسام ونرى الجوّ والبحر والبرّ ملئت أنواعا يخطئها العدّ وكلها مختلفات الصور والادراكات والأعمال والأمكنة والأغذية وهكذا . كل هذه لم تخرج عن كونها مركبات من المواد المحرقات المتقدّمة ، وهنا يرد نفس السؤال المتقدّم ؟ لم أصبحت المادة الكهربائية التى هى الكترونات (كهربائية موجبة) و بروتونات (كهربائية سالبة) تجرى حول الأولى . أقول لم أصبحت هذه فى الصوديوم حرارة وفى النبات أغذية وأدوية ثم أصبحت فى الحيوان اليوم حسا وحركة وحياة وتعقلا لامور المعاش وأجهزة للعنكبوت داخلة فى جسمه منها يستخرج نسيجه الذى يستعمله لاصطياد الحشرات كالذباب مثلا وفى النحل لاصطناع العسل وحفظ الولد ونظام الجمهورية وفى حيوان المرجان لاحداث جزائر وجزائر تعدّ بعشرات الآلاف فى البحر (انظر صور جزائره فى آخر سورة الفرقان فيما تقدم) وهكذا كيف انقلبت تلك الحركات الذرية الضوئيـة الكهربائية اتحادا بين أنواع الذرّات الميكروسكوبية المحدثة للجدرى وللحمى فتعاونت تلك الحيوانات التى لاترى على اهلاك نوع الانسان أوأنواع أخرى كالخيل والأنعام وهكذا . أقول ﴿ والجواب على ذلك ﴾ عين الجواب المتقدّم فى النبات . ان الأرض والمواد التى فيها ليس عندها شئ كامن فيها يصنع هذه العجائب كالقوى المخيلة فى أدمغة الجبرالتى بها تعرف الطرق والمسالك وتحيط بها علما يقصر عنه الانسان ، واذا كانت أرضنا كما تقدّم لم تجد فى عناصرها حرارة تغنيها عن حرارة الشمس للحياة ولاضياء ينير السبل فكيف قدرت هذه المواد أن تحدث لنا نفوسا درّاكة تعطى حيواننا الأمرين معا نظام تركيبه وهدايته الى معاشه والى سبله فى حياته . فاذا كانت الأرض عجزت عما به الاضاءة والانضاج فما أعجزها وأضعفها عن أن تأتى لنا بالقوّة النامية الحيوانيـة والادراك والتدبير ومعرفة الطرق وتربية الذرية . كلا . ثم كلا . إن هناك نفوسا ليست من هـذه المادة رفعت القوة التى فى العناصر فنوّعت حرارتها التى كانت محرقة فى الكبريت ومفرقعـة فى القطن الى حسّ فى الحيوان وتبصر فيه وادراك وهداية بالنجوم والشمس والقمر

﴿ الانسان ﴾

ههنا نأتى الى عالم الانسان ونقول فيه ماقلنا فى الحيوان ولكننا نرى فيه عجائب لاتحصى ، ففيه الأنبياء والحكماء والملوك وفيه النصابون واللصوص والسفاكون ، أقول لاغرابة فمادته معروفة ، إياك أن تنسى أنه هو نفسه فوسفور ومامعه فهو كالنبات وكالمفرقعات المتقدمة ، فهذه النفس التى دخلته من عالم أعلى من عالمنا يجب أن تكون على شاكلة الجسم ، ذلك لأن الظرف يلائم المظروف كما ان الصدف ملائم للجوهر فيه ، هنالك يظهر لك لم كان البون بين الناس عظيما ، فهذا ملك وهذا شيطان ، ذلك لأن الاختلاف فى الانسان أعظم من الاختلاف فى الحيوان وفى الحيوان أعظم من الاختلاف فى النبات وفى النبات أعظم من الاختلاف فى المعادن إن المسافة هنا شاسعة جدا فالنفوس الحالة فى الأبدان إما أن تغلب هى فتقلب القوى الهائلة فى الذرات التى علمت انها كهرباء كلها الى منافع وفضائل . وان غلبت قوى الذرات أنزلت النفس الى مراتبها وغلبت طباعها

إن بين نفوسنا و بين المادة مشاكلة . إن المادة كهرباء كما قدمنا وهى شديدة الحركات ونفوسنا يظهر أنها من عالم ألطف جدا فغرّها سراب هذه الكهرباء فخدعت بها فدخلتها فحبست فيها وأخذت تسعى طوعا أوكرها . وهاهى ذه تجاهد وقد حوّلت تلك القوى المادية المهلكة الى حسّ وحركة وخيال وقوّة مفكرة وقوّة حافظة وأخذ العالم ينطبع فى قوى هذه النفس انطباعا وكأنها نور أشرق من لدن الحضرة الإلهية . ولما

نزل

نزل الى الأرض وغمرته المادة أخذ يتطلع كرة أخرى الى الملأ الأعلى فظهرت فى لوحة نفسه صور السموات والأرضين على مثال كان طبعه الإلهى الذى نسيه فهو من نور إلهى ، وهنا يقع التفاضل ، فالنفوس الضعيفة تتصوّر العالم كله اجمالا ولكنها لاتدبر هذا التصوّر التفاتا ولاتعقله بل تهمله والنفوس الكبيرة تعلم علما ليس بالظن أن هذه القوّة والقدرة خلقت فينا لندرس بها هذا الوجود والافلماذا نراها حاضرة عندنا ولماذا نرانا فى عذاب واصب فى هذه الأرض لاراحة لنا ، كل ذلك لنعلم اننا مخلوقون لعالم أعلى ولن ندركه إلا اذا عرفنا قيمة أنفسنا التى لاتفتأ تذكرنا بمجدنا الأثيل وعلمنا الرفيع وشرفنا الأعلى

هاهوذا الانسان هو المركب من تلك العناصر المحرقة والنفس الحالة فيه ليست من هذا العالم بما قدّمنا من البرهان لأن هذا العالم الأرضى لم يقدر أن يستضئ بضوء لنفسه من نفسه فهو عن ضوء العقل أعجز . إذن نفوسنا من السموات أى من عوالم أشرف من الأرض . هذا هو البرهان الذى اطمأنت له نفسى . هذا هو البرهان الذى أبنى عليه مايأتى

﴿ أوّلا ﴾ أذكر نظام الانسان فى مدنيته

﴿ ثانيا ﴾ أتبعه بغاية ماوصل اليه بعقله وذكائه فى اجتماعه وسياسته

﴿ ثالثا ﴾ أذكر كيف كانت الأمم المغلوبة لغيرها يسرع اليها الفناء

﴿ رابعا ﴾ أذكر أن الأمم الغالبة تلحقها فى ذلك مع ذكر شواهد التاريخ

﴿ خامسا ﴾ أبين أن الانسان فى ذلك لم يبلغ شأو الحيوان فى الابداع حتى انه عجز عن أن يصنع ماصنعه المرجان من احداث أرض تنفع الانسان والحيوان

﴿ سادسا ﴾ أتبع ذلك بخطاب عام للأمم الاسلامية كلها شرقا وغربا

كل ذلك تفسير لهاتين الآيتين ـ إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها ـ الخ وقوله تعالى ـ فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ـ فههنا إذن ﴿ ستة أمور ﴾

﴿ الأمر الأوّل فى ذكر نظام الانسان فى مدنيته ﴾

(سياسات الانسان)

هل لك أيها الذكى أن أسمعك كلام العلامة الفارابى الذى لخصته فى كتب كثيرة مثل كتاب ﴿ نهضة الأمّة وحياتها ﴾ أذكر لك الآن ماملخصه ﴿ إن من الناس من قالوا انما الحياة هى اللذات فعكفوا عليها وتركوا ماوراءها وهؤلاء يسمون ذوى الحياة الحسية ، وآخرون يقولون إن المدار فى الحياة على الكرامة فلنعش على الكرامة والعظمة لأن المقصود من الحياة ذلك ، وآخرون يرون أن الحياة يجب أن تكون بالغلبة فيفعلون فعل الاسود والنمور وآخرون قالوا إن الانسان مدنى بالطبع وهؤلاء انقسموا ﴿ قسمين ﴾ قسم مدينته فاضلة وقسم مدينته فاسقة فأهل المدينة الفاسقة هم (١) إما اجتمعوا بطريق النسب والعصبية وغلبوا غيرهم (٢) أو بطريق اللغة فأهل اللغة الواحدة يستعبدون سواهم (٣) واما بالوطن فأهل الوطن الواحد يستعبدون سواهم (٤) واما بالدين فأهل الدين الواحد يذلون سواهم ويدوسونهم (٥) واما بالمعاهدة فالدول المتعاهدة المتعاقدة تستعبد غيرها (٦) واما بالمصاهرة فالأمم التى يتصاهر ملوكها أوذووا الأمر فيها يكونون عونا على من سواهم (٧) واما بالاستعباد فالأمة تستعبد أخرى وهما معا يستعبدان أخرى وهكذا (٨) واما بملك جامع يجمعهم فيكونون حربا على من سواهم

هذه هى التى ذكرها الفارابى فى كتاب ﴿ أهل المدينة الفاضلة ﴾ وجعل هؤلاء كلهم أهل مدينة فاسقة خارجة عن الحق ، واياك أن تظنّ أن الاجتماع الذى اجتمعه المسلمون من هذه المدينة الفاسقة لأن المسلمين الأوّلين كانوا يعرفون لماذا يخضعون الأمم ، كانوا يخضعونها للرابطة الانسانية الدينية وليعلموهم فلما انحطت

مدارك المسلمين نسوا أن الفتوح للدين ولرقى الأمم فأذلوا الأمم فطردهم الله من ديارهم ، هذه آراء أهل المدينة الفاسقة فى نظر الفارابى ، وعلى هذا القول تكون الأمم المعاصرة لنا كلها فاسقة لأنها اجتمعت بالوطن و بالعصبية أو بالمعاهدة فانك ترى أن الانكليز تعاهدوا مع اليابان على الروسيا سابقا فهزموها فهذه غلبة بالمعاهدة وكذلك اجتمعت أوروبا سابقا أيام حرب (البوكسر) فى الصين على حرب هذه الأمة ولم تنل أوروبا كلها منها حظها وهاهى ذه الآن غلبت أوروبا كلها . والمقصود من هذا المقال أن الأمم الحالية فى رأى العلامة الفارابى فاسقة وذلك انها ليست تراعى إلا أنفسها وتريد الخير الخاص مع اذلال غيرها واهلاكهم ، وهذه الخصلة بعينها هى التى كانت فى نفس المادّة لأنك علمت أن المواد المعدنية الداخلة فى النبات وطباعها نارية وهذه الطبيعة النارية هذبها أوّلا القوّة المعدنية ثم القوّة النباتية ثم القوّة الحيوانية ، فلما جاء الانسان بقيت فيه طبائع النار وهاهوذا آخذ بالتهذيب شيأ فشيأ ، ههنا أقف وقفة لأنظر معك أيها الذكى . لقد تبين من هذا كله أن الانسان الحالى لاتزال فيه طبيعة النار المتقدة وهذه النفس التى نزلت من السماء وهبطت الى الأرض ودخلت هذه الهياكل الجثمانية لم تزل طبائعها تقترب من طباع الآساد وطباع الكبريت والفوسفور والكلور ، إن المادة أشبه بجهنم فهى جهنم الصغرى والله كوّنها بهندسة ونظام دقيق قد استبان لك فى دقة الحساب إذ يدخل العنصر الواحد فى أنواع من النبات بأوزان تختلف باختلاف النبات كالبرسيم وكالقمح وكالقطن فترى ذلك فى (سورة البقرة) فى الجدول هناك عند آية الطير وابراهيم إذ يكون الوزن مختلفا باختلاف النبات ولولا هذا الوزن لم يكن قطن نلبسه ولا برّ نأكله ولابرسيم تأكله الدواب ، فالحساب فى ذرات هذه كلها جار بلاخطأ ولوحصل أى اختلاف فى الحساب لم تكن هذه الحياة ولاهؤلاء الأحياء . إذن الله فعل مع المادة التى نعيش فيها مثل ماسيفعل مع النار يوم القيامة . إن الجبار يضع قدمه فى النار (كما فى الحديث) فتقول قط قط . فهاهوذا سبحانه وضع النفوس المعدنية والنباتية والحيوانية فانتظمت أحوالها . ولقد هذبت هذه المادة تهذيبا حسنا وسارت سيرا مستقيما بسبب حساب الذرات الذى هو أوفق هذه النفوس التى نزلت للأرض من عوالم أخرى ، فالله على صراط مستقيم قال تعالى — وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه — الخ وقال — مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم — ولاجرم أن الدواب والنبات كلها موزونات ذراتها بوزن لاعوج فيه ولولا ذلك ماعاشت ولانما الحيوان ولاالنبات ولا وجد فى الأرض ، ويقال فى الصراط « انه أدق من الشعرة وأحدّ من السيف » وصراط الله كذلك لأنه لولا هذا الحساب ماكان حىّ ولذلك ذكره عقب ذكر الدواب ونحن نقول — اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم — وصراط الذين أنعم عليهم هو صراط الله وصراط الله هو الذى عرفته فى نظام هذا الوجود . إذن وصلنا الى المقصود . هذه أرواح بنى آدم جاءت الى الأرض وجعلهم خلفاء أرضه . لم يجعل الله عقولنا كعقول الحيوان بل فتح لنا باب الفكر وقال انظروا فنظر الفارابى هذا النظر فى نوع الانسان وقال انهم فساق ، ثم أذكر آراء العلامة الفارابى فى سياسة الانسان

﴿ أهل المدينة الفاضلة ﴾

وقد ذكرت هذا المقال فى مواضع من هذا التفسير وأنا أجمله هنا الآن . قاس مجموع الأمّة على نظام الجسم الانسانى وأخذ يشرح الجسم كالأعضاء وأعصاب حسّ وأعصاب حركة ويتكلم على أعضاء الهضم وأن الفم يخدم المعدة والمعدة تخدم الأمعاء وهكذا ويلخص كل ذلك فى أن الأعضاء منها خادم ومخدوم والقلب كالوزير للدماغ وهو مجلس القوّة الحاكمة واستنتج من ذلك كله أن كلا من أبناء الأمة يوضع فى مركزه الذى استعدّ له فكما استعدّت العين للابصار والأذن للسمع والمعدة للهضم والدماغ للتفكر هكذا يجب أن يكون أرباب الرأى هم الحكام وأرباب القوّة هم الجيوش وهكذا ، وأبان أن التركيب اذا اختلّ اختلت المدينة وصارت فاسقة ، و يرى أيضا أن أهل الأرض كلهم يجب أن ترتب دولهم على هذا المبدأ بحيث تكون كل

دولة فى مركزها الخاص بهاقتصادا وعملا ويصبح الناس كلهم أمة واحدة فان خالفوا ذلك كانوا فساقا ولكنه لم يوضح تعليمهم العام بل تركه لمن يفهم ذلك بعده ، وأنت ترى أن آراءه تستمد من نفس الطبيعة وتنحو النحو الذى أثبته لك فى هذا المقام

سبحانك اللهم وبحمدك أنت الذى ألهمت الحكماء فعبروا عن صراطك المستقيم بماشاهدوه فى عجائبك ، قاس الفارابى نظام الأمة على نظام الجسم الانسانى وهكذا جميع الأمم وان كان قوله اجماليا ، وأنا قلت هنا انك أنت أخضعت المادة بالنفوس التى أنزلتها الى الأرض وهذه النفوس من النور الذى أبدعته فنفوسنا نور إلهى ولذلك يسمونها بالجزء الإلهى فينا ، ونحن الآن لم نصل الى الدرجة التى بها نسعد فى الحياة لأنك أنت على صراط مستقيم ونحن لم نسر على صراطك الذى نقوله كل صباح ــ اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم ــ ومن أعظم المنعم عليهم أولئك الذين تكون مدنيتهم على هذا النمط ويكونون فى السلام الذى نقوله فى التشهد ﴿ السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ وأنت تقول لنا ــ ولاتفسدوا فى الأرض بعد اصلاحها ــ وتقول لنا ــ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علوّا فى الأرض ولافسادا ــ فجعلت الدار الآخرة مرتبة على عدم العلوّ فى الأرض وعدم الفساد فيها ، فقولنا فى الصلاة ﴿ السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ تدخل فيه تلك الحال التى يكون الناس فيها أمة واحدة إذ يكونون مصلحين فى الأرض غير مفسدين وهم منعم عليهم لايريدون العلوّ بل يكون الملك والعرش للمنفعة العامّة وخدمة المجموع لا للأغراض الخاصة التى هى شأن أمم الأرض قاطبة اليوم

أنا قلت لك ان العلامة الفارابى لم يبين تعليم الأمم ولم يفصله ولكن الذى تعرّض للتعليم هوأفلاطون فى جمهوريته التى جعلها على لسان (سقراط) أستاذه فأنا أورد جملا منها الآن ثم أتبعه بما أراه فى زماننا

﴿ آراء أفلاطون فى سياسة الانسان ﴾

ذكر أفلاطون فى المقالة الخامسة من جمهوريته أن التعليم لايختص بالرجال بل يعم الرجال والنساء معا وقال إن التفاوت بين الرجل والمرأة راجع للتفاوت فى التعليم وبذلك يشاركن الرجال فى الحرب والوظائف المدنية ويتعلمن الموسيقى والرياضة البدنية كالرجال سواء بسواء ، وهنا ذكر كلاما لاينبغى لأنه لايوافق حالنا ولاديننا . وقال فى المقالة السادسة ﴿ إن معرفة الوجود الحقيقى لاتكون إلا للفيلسوف لأنه هو وحده الذى يحتقر الظواهر ، وهو وحده الذى ينفر من الكذب ، وهو يحقر مايستعظمه الجمهور من متاع الدنيا إذ لايريد إلا التشبه بالنظام الأزلى ﴾ وأخذ يذكر تربية الحكام فقال ﴿ يجب أن يكونوا قادرين على العلم والعمل فيصطفى أذكى أهل المدينة وأكثرهم حافظة وأصبرهم على التعب ويمتحنون فى الأشغال الفكرية والجسمية ويؤخذ أفضلهم للرئاسة ﴾ ثم قال ﴿ وهذا الجدّ والنصب والتعب لابد منه لمن يريد أن يرتقى الى معرفة أعلى العلا وهومعنى الخير المحض (وهوالإله فى كلام أفلاطون) ثم قال ، إن الخير للمعانى كالشمس لبقية الموجودات منها يستمدّ كل موجود وبقاؤه ولايعرف إلا بها ﴾ ولاطريق لها عنده إلا العلم الإلهى الذى له ﴿ طريقان ﴾ طريق الجمع وهوالاستقراء أى الارتقاء من المعانى المفردة الى ماهوأرفع منها الى أن يبلغ الى جمعها تحت معنى عام ، والثانى طريق التحليل والتقسيم بين المعانى الجامعة الى أن ينتهى التحليل الى المعانى المفردة ﴾ انتهى من ترجمة الاستاذ (سنتلانه)

ولعلّ بعض هذه المعانى غامض فأوضحه قائلا ﴿ انه يقول إن الله سبحانه كالشمس فكما أن الشمس بها ظواهر الحياة وبها هدايتنا لطرقنا هكذا الله به قوام الحياة وبه هومعرفة المعنى فهو لحى وهو الهادى وعقولنا إن لم تستمدّ منه لم تعرف شيأ كأن أجسامنا إن لم يحيها هو لم تحى ﴾ وطرق الاستدلال التى ذكرها هى فى العلم الإلهى من فنّ الفلسفة بحيث يدرس الانسان هذه الدنيا إما بالتحليل والتقسيم واما بطريق

الاستقراء ، ومن اطلع على هذا التفسير عرف مجمل مايقوله . وذكر فى المقالة السابعة مسألة المعرفة وضرب للناس مثلا بالمغارة التى تحت الأرض وفيها أناس مغلولون منذ صباهم معتقلون فيها فى رقابهم أطواق من حديد تمنعهم كل حركة ولم يروا إلا ما أمامهم من النور إذ لايلتفتون يمنة ولايسرة ووراءهم نار على ربوة وهى تنير المغارة وبين المغارة والنار طريق وبجانب الطريق حائط على طوله وقد كثر المارّون بهذه الطريق وهؤلاء المارّون يحملون تماثيل مختلفة وأنواعا من البضائع ثم ان أصحاب المغارة أشبه بنا الآن لأنهم لم يروا من أنفسهم إلا الظل ولم يروا نفس الأشياء وهذا الظلّ للتماثيل والأمتعة ، ثم ان هؤلاء اذا تحدثوا فانهم يجعلون لتلك التماثيل أسماء ويحكمون بأنه ليس فى الوجود سواها فاذا انطلق أحدهم من المغارة فانه يستحيل أن يقدر على مقابلة الأنوار إلا تدريجا فهنالك يتعوّد ذلك المنطلق منهم على أن يرى ظلّ الأشياء أوّلا فى الماء ثم يرى نفس الأشياء ثم ينظر السماء ليلا أوّلا فيرى الكواكب ثم يرى القمر ثم الشمس ثم يعلم انها سبب الفصول والأعوام وسبب كل مايحدث على الأرض وكل مايراه فى المغارة ثم يرجع الى أهل المغارة ليهديهم الى ما هدى اليه شفقة منه عليهم وهنالك يتعوّد على الظلمة شيأ فشيأ حتى يقدر أن يعيش معهم ثم يحدّثهم فيسخرون منه وينسبونه للجهل وربما تحدّثوا بقتله ثم قال فهذه حال الناس فى الدنيا بالنسبة الى حقيقة المعرفة فالمغارة هى هذا العالم المحسوس والنار ضوء الشمس والأسير المغلول الذى خرج من المغارة هى النفس اذا ترقت الى عالم المعانى فاذا بلغت النفس أقصى العالم المعقول فهنالك تعرف بعض معنى الخير المحض (يريد الله) فاذا شعرت بذلك عرفت أن الخير المحض (يريد الله) هو علة كل ما فى هذا العالم من الجمال والخير ، ومتى أدرك الانسان ذلك صغر لديه كل ما فى هذا العالم وتعذر عليه توجيه همته الى الامور السخيفة التى هى مطمع أبناء جنسه وشغل أعمارهم فى هذه الدنيا اهـ

ثم قال (أفلاطون) ومن هذا يستدل على أن المعرفة لاتحصل للنفس دفعة واحدة كما يفتخر به بعض الناس إذ يقولون «نحن ندخل المعرفة مرة واحدة فى النفوس الخالية منها كما يفعل بالمكفوف البصر بأن يرجع له الابصار ، والحق على خلاف ذلك وهو أن كلامنا له قدرة طبيعية على ادراك العلم وله كذلك آلة معه لهذه الغاية والحيلة فيه أن يحوّل هذه الآلة والنفس أجمع من مشاهدة مايفنى الى مشاهدة ماهو موجود فى الحقيقة الى أن يتعوّد شيأ فشيأ على مشاهدة ماهو كالشمس فى الوجود وهو الخير المحض (يريد الله) ثم قال أفلاطون وعلى هذا فليس الأمر أن نحصل على الابصار إذ الابصار حاصل لكل منا لكن آلته لم تنظر حيث يجب أن تنظر فينبغى تقويمها لكى تنظر حيث يجب»

ثم رتب على هذا كيف تكون تربية الحاكم الفيلسوف ليستعد للحياة النظرية والعملية معا فقال بعد الفراغ من التربية المفروضة على جميع أصحاب الرئاسة وهى الموسيقى والرياضة البدنية يصطفى منهم من هم أقوى جسما وأصح عقلا وأصبر على المشاق وأتقى وأنقى وأكثر قوّة على التعرّض للمخاطر وابتعادا عن الملاذ والشهوات فيعلمون أوّلا علوم الرياضيات الحساب والهندسة والموسيقى ، فهذه العلوم مع الاحتياج اليها فى العمل تعوّد النفس على مراقبة الأشياء الدائمة التى لايلحقها التغير لاقترابها من الوجود المحض (الله)

ثم يتلو هذا التعليم الرياضة الحربية مدّة عامين أو ثلاثة ثم الرياضات من جديد حتى يبلغ التلميذ من عمره ثلاثين سنة ثم يتعلم العلم الإلهى فيبحث عن علل الأشياء وجوهرها العقلى وهذا هو البحث عن الوجود ، قال أفلاطون «إن هذا العلم لبقية العلوم كالشخص للظلّ وكالعلم لمجرّد الظنّ ، ويستمرون فى هذا العلم خمس سنين ثم يدربون فى العلوم الحربية وغيرها ، ثم اذا انتهوا من ذلك كله يقلدون أمر المدينة بصفة حكام وذلك اذا بلغوا من العمر خمسين سنة» انتهى

وقال فى المقالة الثامنة «فذكرت أن هذه هى المدينة الفاضلة وهؤلاء هم حكامها فاذا فسدوا نزلت مدينتهم ورجعت فاسقة فتكون أوّلا عسكرية وهى الخاضعة للقوّة الغضبية ، أما المدينة الفاضلة فهى خاضعة للقوّة

العاقلة ، ثم حكومة الجمهور ثم حكومة الجبر والفسق وهي حكومة الفرد »

ثم أبان أن هؤلاء المتعلمين هـم الأشراف وحكومتهـم تسمى (حكومة الأشراف) ثم قال « إن فساد المدينة الفاضلة ينشأ من فساد النسل وتنازل الأولاد في أخلاقهم وأفكارهم عن شرف آبائهم ، ومن ذلك ما يقع بينهم من تفرّق الآراء والتشاجر وكثرة الفتن ويكون مآل أمرهم انهم يقسمون المكاسب والأموال فيما بينهم ويسخرون بقية أهل المدينة لخدمتهم بعد أن كانوا لهم حراسا وحكاما فيغلب عليهم حب السلطان والمال وينفرد كل واحد برأيه ، فاذا تمادى الأمر على ذلك وفترت الثروة وانتشر فيهم حب الترف والاسراف والحرص على المال فقد ينقص بقدر ذلك من احترامهم للفضائل ويزداد اعجابهـم بالأغنياء واحتقارهم للفقراء ، إذن تتبدّل هيئة المدينة شيأ فشيأ وتصـير الرئاسة الى الأقل وهم الأغنياء . إذن تكون المشاركة في الحكومة على قدر المكاسب وانه لاحق في الرئاسة إلا لأصحاب الأموال دون غيرهـم وعلى ذلك تنطبع أخلاق أهل المدينة بحب المال والبخل وعدم المروءة والحرص ثم يدوم الأمر على ذلك فيصبح المال في يد زمرة قليلة من الأغنياء ويزداد الفقراء يوما فيوما لأجل مايؤخذ منهم من الربا ومايباع من مكاسبهم لخلاص الديون ويزداد الأغنياء بقدر ذلك ثروة وقدرة واذن تكون المدينة « فريقين » الفريق الأكبر هم الفقراء والأقل هم الأغنياء الذين بيدهم زمام الامور فينهمكون في اللذات والاسراف ويتبع ذلك الكسل وضعف الأبدان وفساد المزاج وعدم الصبر على المتاعب والمشاق فاذا رآهم الفقراء على تلك الحال وشعروا بغلبة عددهم ووفور قوّتهم على قوّة الأغنياء لايلبث الأمر أن تشب نيران الفتنة والثورة في المدينة فربما يغلب الفقراء فيأخذون في قتل الأغنياء واجلائهم عن المدينة (وقد حصل هذا فعلا كما قدمته في سورة النحل ببلاد الترك وبلاد الروسيا حرفا بحرف هو بعينه فقد أخرج بنوعثمان وقتـل القيصر وانتهت هذه الفتنة) ونهب أموالهم فتصير الحكومة اليهم ويستبدّون في المدينة بالأمر وهذه هي الحكومة الجمهورية (ديموقراطيا) وهنالك تمام الحرية وازالة عنان الأحكام والموانع والفروض الواجبة فيتبع كل من الأفراد هواه ويصير الأمر كالفوضى بينهم لاحاكم ولامحكوم ولاثبات ولااتحاد وتستمر الحال على هذا المنوال الى أن يسقط اعتبار الأحكام من نظر الجمهور وهذا افراط في الحرية فلابين الراعي والرعية حاجز ولابين الأب وابنه قيد وينحل كل رباط فيحصل إذ ذاك العكس ، فالشئ اذا جاوز الحدّ انقلب الى ضده ، والافراط في الحرية يوقع الأمة في العبودية التامّة ـ جزاء وفاقا ـ

هنالك عند تفاقم الأمر يصبح الأمر بيد واحد مستبدّ برأيه ولايعتمد إلا على قوّة سلاحه فيطغى ويجور ولايأمن أحد ظلمه وهذه هي الحكومة الجبرية وهي آخر هيئات الحكومات التي تتغير اليها المدينة الفاضلة وهي أخسها مرتبة وأضرها عاقبة على الأمة

وفي المقالة التاسعة ذكر أفلاطون أخلاق النفس الجبرية المشاكلة للمدينة الجبرية فقال انها النفس العديمة العفة والحياء المنطلقة في ميدان الخلاعة والظلم والاستبداد لاستيلاء النفس الشهوانيـة فيها على النفس العاقلة فهي أشبه شئ بنفس السكران والمجنون ، فاذا كثر مثـل عدد تلك النفوس في المدينة كانوا للجبار المتسلط عليها من أقوى الدعائم للاستمرار في ظلمه وسعادة هـذه النفوس وسعادة الجبار المتسلط عليها لامعنى لها إلا الشقاء المستمر بل هم أشقى الناس وأحقهم بالشفقة وأهل مدينتهم أشقى أهل المدن ، فاذا رتبنا الهيئات الخمس المذكورة وجعلنا الموازنة بين مالكل منها من السعادة جملة وأفرادا عرفنا أن مراتب السعادة تتناقص فيها على قدر تنازل المراتب فأعلاها درجة في السعادة (مدينة الأشراف) فالمدينة سعيدة وأفرادها سعداء وهكذا بالترتيب الى آخرها وهي الهيئة الجبرية فهي أقلها سعادة وأكثرها شقاوة ، ثم قال « ان أسعد الناس وأفضلهم وأعدلهم هو من ملك نفسه ونظمها على هيئة (مدينة الأشراف) وأشقى الناس هو أظلمهم وأخبثهم وهو الذي على هيئة (المدينة الجبرية) فهو ظالم لنفسه وغيره ولم يترك للعقل ولاللعدل مجالا »

والمقالة العاشرة التي هي آخر الكتاب ذكر فيها انه يجب الحجر على الشعراء والمشخصين وغيرهم من الصنائع التي شأنها تمثيل الأهواء والعواطف المموهة لأن في عملهم اغراء النفوس وحملها على مايشاهد أو يسمع من أنواع الشهوات والغضب والفسق والحزن المفرط والضحك المفرط وغيرذلك من أنواع العواطف المناقضة لاعتدال النفس ومايجب حفظه من رئاسة النفس العاقلة ، قال لأنه ليس من أنواع المجاهدة ماهوأعظم خطرا وأعسر مباشرة من الجهاد الموقوف عليه أن يكون المرء فاضلا لا خبيثا فلا ينبغي أن تغفل عن العدل ولاعن معيشة الفضائل لأجل شئ آخر سواء كان الكسل أوالمال أوالسلطان أوجزيل الشعر . انتهى ما ذكره أفلاطون ترجمة الاستاذ سنتلانه

ثم أنا ذكرته مجملا سابقا وهنا فصلته تفصيلا أوسع لما سأورده هنا ، فهاأناذا أيها الذكي ذكرت لك مبدأ الأمر وهوهذه العناصر التي في أرضنا ومنها الصودا والبوتاسا والكبريت التي هي من جملة مافي النبات والحيوان والانسان من العناصر وانها محرقات ملتهبات كما ان الاكسوجين أيضا ملتهب وهو من أهم أجزاء تلك المواليد وأن هذه النفوس النباتية والحيوانية تصرفت في هذه الطبائع فحولتها الى ماهوأكمل ، ثم إن هذه النفس الانسانية أكمل وقد لعبت بها هذه المادة فرجعتها الى أخلاقها والنفس تارة تكمل لأنها من عالم أعلى وتارة تسفل لأنها انحطت الى هذا العالم المضطرب المحترق ثم ذكرت لك أخلاق النفوس البشرية في كلام الفارابي وأن المدينة الفاضلة نتيجة كمال هذه النفوس ككمال النظام في الجسم الانساني وقلت انه لم يبين التعليم بيانا واضحا وأتبعته بكلام أفلاطون وان كنت أجلته في غيرهذا المكان لأنه ذكر التعليم وأوضحه وفي كلامه الاصول التي سأبني عليها إن شاء الله ماحصل في أمتنا الاسلامية ومافي ذلك من العجب والعلم والحكمة وبدائع الأقدار وعجائب التصريف الإلهي في هذا النوع الانساني وكيف يتشابه الأولون والآخرون انتهى

﴿ التعاليم الاسلامية ﴾

(ماذا أصاب أمتنا الاسلامية من الأهوال السياسية بمخالفتها في التاريخ وتطبيق الآية على السابق وعلى اللاحق)

وإذ فرغت من الكلام على الأمر الأول وهو ذكر نظام الانسان في مدينته وعلى الأمر الثاني وهو ذكر غاية ماوصل اليه بعقله وذكائه في اجتماعه وسياسته أبين ﴿ الأمر الثالث والرابع ﴾ اللذين فيهما أن الأمم المغلوبة لغيرها يسرع اليها الفناء وأن الأمم الغالبة تلحقها في ذلك الفناء وأذكر شواهد التاريخ على ذلك كما وعدت ، ولأقدم مقدمة في ذلك فأقول

لاجرم اننا الآن في تفسيرآيتين من كتاب الله تعالى وهما ـ إن الملوك اذا دخلوا قرية ـ الخ وقوله تعالى ـ فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ـ فلأبين مايناسب كلام أفلاطون من القرآن . اللهم انك أنت الذي خلقت هذه المادة وأنت الذي جعلتها محترقة مضطربة وأنت الذي خلقت أرواحنا والقوى المعدنية والنباتية والحيوانية وجعلت هذه النفوس من عندك مهيمنات على هذه الأرض واصطفيت من هذه النفوس الانسانية ألطفها وأمرتها أن تفكر تارة باجتهادها وتارة بأن توحي اليها ، فالحكماء بالجد والتفكير والأنبياء بالوحي ، وأنزلت العلم على قلوب حكماء في الصين والهند و بابل وقدماء المصريين وقد تشابهوا في أصولهم وكان من بقيتهم الوارث علم قدماء المصريين (أفلاطون) ومن معه من الحكماء ، ثم إن هذا الفيلسوف ألف كتبه ومضى اليك ولم يقدرعلى ايجاد أمة من الأمم بل بعده بعشرات السنين ذهبت دولته وهي اليونانية وحلت محلها دولة الرومان وورثوا ديارهم وعلومهم وتمسك بها أمثال (سنيكا وشيشرون) الفيلسوفين الرومانيين وتسلطت هذه الدولة على أمم كثيرة ثم فسقت ، ولكنك قبل أن تخربها أردت أن تظهر أمة أخرى بشكل عجيب فعمدت الى بلاد قليلة النبات لاعلم عند أهلها فهم في فقرهم أبعد الناس عن كل علم وتهذيب واصطفيت واحدا منهم وقلت له

والشعراء

ـ والشعراء يتبعهم الغاوون * ألم تر أنهم في كل واد يهيمون * وأنهم يقولون ما لايفعلون ـ فهذه الآية قد فسرها (سقراط) الذى زالت وولت أمته ودولة أمة اليونان بعدها فقد قال فى المقالة العاشرة المتقدم ذكرها بوجوب الحجر على الشعراء والمصورين والمشخصين الخ لأن هؤلاء يفتحون على الأمة أبواب الفسوق والعصيان فتضعف الأبدان والعقول وتصبح مدنهم فاسقة ، وقلت له ـ واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ـ وهذا اجمال يفصله ما تقدم فى مقالات (سقراط) قبل المقالة العاشرة كما سمعته من المدينة الغضبية وهى العسكرية والمدينة الجبرية وهى حكومة الفرد المستبد ومن المدينة التى تحت حكم الأغنياء ، وكيف ينتهى أمر هؤلاء بضعف الأجسام وضعف العقول بالانهماك فى الشهوات فيذهب ملكهم ويضيع مجدهم ، فهذه المدينات الأربع [1] التى ذكرها أفلاطون وان كان فى بعضها نظر ماسأوضحه بعد هى التى ذكرها الله فى القرآن بهذه الآية . وقلت له ـ أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون ـ ، وقلت له ـ ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون ـ ، وقلت له ـ إذ قال له قومه لاتفرح إن الله لايحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولاتبغ الفساد فى الأرض ـ وقلت له ـ فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ماأوتى قارون إنه لذو حظ عظيم * وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولايلقاها إلا الصابرون * فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين * وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر لولا أن منّ الله علينا لخسف بنا ويكأنه لايفلح الكافرون * تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علوّا فى الأرض ولافسادا والعاقبة للمتقين ـ

فهذا كلام لمن اصطفيته من هؤلاء الذين لاعلم عندهم ولامدنية فلما اطلعنا على خلاصة فلسفة الأمم السابقة ألفينا تفسير هذه الآيات قد حضر فى العقول من عندك قبل نزول القرآن كأنك أنزلت هذه المعانى أوّلا ثم أنزلت القرآن لنطلع الآن عليها ونجعلها شرحا لها كما أنك خلقت النبات قبل خلق الحيوان ليكون مرعى له وخلقتهما معا قبل خلق الانسان ليكونا سعادة له ، فهذا الدين أنت أنزلته على نبيّ أميّ وأمته أميون حتى اذا قرؤا كتب الأمم السابقة دهشوا وقالوا ياعجبا يار بنا يقول أفلاطون فى جمهوريته فيما تقدم هنا ﴿ إن أولئك الملوك المستبدّين فى شقاء فى حياتهم وهم معرّضون لزوال الملك بعد ضعف أجسامهم وعقولهم ﴾ هذا من جهة ومن جهة أخرى ان هذه الأموال والنعم الظاهرة التى يعظمها الجمهور عند طائفة من الناس وهم الفلاسفة عذاب واصب لأنهم اطلعوا على الخير المحض ، وهؤلاء الفلاسفة يجعلون حياتهم كلها تقوية لعقولهم بالعلم الرياضى والإلهى ولأجسامهم بالتمرين الحربى ، فالعظمة والسعادة إذن ترجعان الى شئ غير المال وهو قوّة العقل بالعلوم جميعها لاسيما معرفة الخير الأعظم وهو الله ومعرفة الخير الأعظم لاتأتى الى الناس بغتة فلابد من ممارسة العلوم العقلية والصناعات العملية هذه فى وقت وهذه فى وقت آخر حتى يقوى العقل ويقاوم الانسان جميع الشهوات وتسلم لصاحبه مقاليد المدينة ويتولى نظام الأمة . إذن ما كان يفكر فيه الحكماء جاء به نفسه القرآن ، فهمه المسلمون أم لم يفهموه ، عقلوه أولم يعقلوه ، فكم وضع الله من بذور فى الأرض فخرجت زرعا نضرا والناس لايعقلونه ، فاذا رأينا أمما اسلامية ماتت وأخرى حية وهم جميعا لايعلمون هذه العلوم فليس هذا بدعا فهذه أعمال الله ، ينزل الخير ولكن هذا الخير ينتظر أصحابه وهم قراء هذا التفسير وأمثاله ومن على شاكلتهم بل انهم حين يقرؤن هذا يزيدون دهشة واستغرابا لهذا الاتحاد العجيب بين العلوم المخزونة عند الأمم وبين الدين المنزل على النبى ﷺ

فهذه هى الآيات التى أنزلتها يا الله على من اصطفيته من أمة العرب فأصبحت المدينات الأربع التى هى

(١) الرابعة هى الديموقراطية التى يذمّها سقراط ولايوافقه المؤلف اهـ

أدنى من مدينة الأشراف منطبقة فى الأغلب على هذه الآيات فاذا كان هذا الفيلسوف يقول ان بنى آدم جميعا لايرون من الخير ولاالحقائق إلا صورها ولايعرف الحقائق حق معرفتها إلا الذين تدرجوا فى العلوم وقتا فوقتا كأن يتعلموا العلوم الرياضية أوالإلهية سنين ثم تناولهاسنون أخرى يتعلمون فيهاالأعمال الحربية تقوية لأبدانهم و يعيدون الكرة هكذا دواليك ، فهؤلاء فى نظره هم الذين يعرفونك أنت و يديرون ملكك على صراطك المستقيم فاذا كان هذا رأيه على علاته فها أنت ذا يالله قلت ـ أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض ـ الخ وقلت ـ الله لاإله إلا هو الحى القيوم ـ الخ وقلت ـ ألابذكر الله تطمئن القلوب ـ فلا اطمئنان لدولة إلا بمعرفتك أنت ، وقلت أيضا ـ وأعدّوا لهم مااستطعتم من قوّة ـ وقال علماء الاسلام باستحباب السبق والرمى لتقوى الأبدان وهكذا ، وقد جمعت ذلك كله فى قولك ـ وزاده بسطة فى العلم والجسم ـ . هذه يا ألله آيات دينك المنزلة على النبى الأمى وهذه آراء حكماء خلقتهم قبله وكلها مجهولة عند عامة هذا الانسان فالعامّة لايعرفون إلا الترف والنعيم والغلبة والراحة و يظنون انها هى أهم السعادات فجاء العقل الذى خرج من بين هذه الحواس المغلولة فى وسط هذا الانسان المحبوس فى مغارة (أفلاطون) وقال أيها الناس أنتم غافلون ، أنتم لاتعرفون من السعادات إلاظلها ولامن العلوم إلاصورها ، أما حقيقة السعادات وحقيقة العلوم فليس لها سبيل إلا بالعقول ثم جاء الوحى مؤيدا لذلك كل التأييد بل أصبح ماوهبته للعقول غذاء وتقوية وشرحا لما أنزلته بالوحى فاصطلح العقل والوحى فى هذا التفسير وتعانق القديم والحديث واطلع عقلاء المسلمين على خلاصة علوم الأمم فسيصبحون أمّة لانظير لها فى السابقين والحمد لله رب العالمين

ههنا يا الله عرفنا اتجاه الفلسفة اليونانية الأفلاطونية والقرآن الذى أنزلته على نبيك العربى فماذا وجدنا ؟ وجدنا أن هذا الفيلسوف لم يكوّن أمّة وانما تآليف نقلتها أمة الرومان فالعرب فأمم أوروبا وهاهى ذه تدور بين الأمم فى أمريكا وأوروبا والشرق الأقصى ، ووجدنا أن نبيك العربى بالوحى خلقت على يده أمة وصلت مشارق الأرض ومغاربها ، فلننظر الآن ماذا كان يفهمهم حتى ارتقوا ، هاهوذا القرآن والحكمة اتفقا على أن المال والاستكثارمنه مضعف للأمم مزيل للملك ، فانظرأيها الذكى ماذا جرى ؟ أحلت الغنائم وهذه الغنائم فى الحكمة سبب ضياع المجد والعقل والسعادة كماأجمع عليه الدين والفلسفة كماعلمت فقال الله لهم ـ لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم ـ إذن أخذ الغنائم قد اشتم منه رائحة الغضب السماوى ، وتقدّم عند تفسير هذه الآية أن محمد بن اسحق قال « لم يكن أحد من المؤمنين ممن حضر بدرا إلا وأحب الغنائم إلا عمر بن الخطاب وسعد بن معاذ ، ولذلك قال ﷺ لونزل عذاب من السماء لما نجا منه غيرعمر بن الخطاب وسعد بن معاذ » هذا الذى ذكرته هناك . إذن هذه المسألة قد اختبأ فيها غضب من الله ولايظهر أثره إلافى وقته أى حينما تظهرذرّية غير صالحة وتستعمل هذه الغنائم فى شهواتها و يجعلون الأمم عبيدا لهم ولا يكونون نافعين للأمم بل آكلين أموالهم باسم الدين ولذلك ورد فى حديث البخارى الذى ذكرته عند تفسير الآية أيضا أن النبى ﷺ قال ﴿ إن أخوف ما أخاف عليكم مايفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها فقال رجل يارسول الله أو يأتى الخير بالشر ﴾ الحديث ، فارجع اليه فى سورة الأنفال فى أوّلها . إذن رسول الله ﷺ صرّح بهذا وعلم ماستلاقيه أمته من هذه الغنائم وفتوح البلدان فانه أظهر للذى سأله عن ذلك أن فتوح البلدان وان كان خيرا فانه يكون شرا على نفوس استعظمته ووضعته فى غيرموضعه بخلاف الصالحين . إذن رسولك ﷺ علم الأمة معنى القرآن وهوأن الغنائم ليست للذات بل هى لنفع الأمم لاغيروان حادت عن هذه الجادة انقلبت عذابا واصبا ماله من دافع ثم سمعنا رسولك ﷺ يقول فى رواية الترمذى عن عائشة أن النبى ﷺ قال لها « إن سرّك اللحوق بى فيكفيك من الدنيا كزاد الراكب ، واياك ومجالسة الأغنياء ولاتستخلقى ثوبا حتى ترقعيه » وقال عروة فما كانت عائشة تستجد ثوبا حتى ترقع ثوبها وتنكسه * وفى حديث الترمذى أيضا

عن

عن علىّ « قال بينا نحن جلوس مع رسول الله ﷺ إذ طلع علينا مصعب بن عمير رضى الله عنــه ما عليه إلا بردة مرقعة بفرو فلما رآه ﷺ بكى للذى كان فيه من النعمة ، ثم قال كيف بكم اذا غدا أحدكم فى حلة وراح فى أخرى ووضعت بين يديه صحفة ورفعت أخرى وسترتم بيوتــكم كما تستر الــكعبة قالوا يارسول الله نحن يومئذ خير منا اليوم نــكفى المؤنة ونتفرّغ للعبادة ، فقال بل أنتم خير منــكم يومئذ » وعن عائشة رضى الله عنها قالت « كان يأتى علينا الشهر مانوقد فيه نارا انماهوالتمر والماء الا أن نؤتى باللحيم » أخرجه الشيخان والترمذى * وفى رواية « ماشبع آل محمد من خبزالبرّ ثلاثا حتى مضى لسبيله » * وفى رواية « ما أكل آل محمد أكلتين فى يوم إلا إحداهما تمر » * وعن ابن عباس رضى الله عنهــما قال « كان رسول الله ﷺ يبيت الليالى المتتابعة وأهله طاويا لايجدون عشاء وكان أكثرخبزهم الشعير » أخرجه الترمذى وصححه

فهذه هى التعاليم يا الله التى أنزلتها على نبيك الأمى فألفيناه يفسرالقرآن بقوله وفعــله و يقول لهم إن فى الغنائم لداء دفينا وذكرهم بالعذاب و بكى و بكى معه أبو بكر وجاء عمرفطلب أن يعرف سبب بكائهماحتى يبكي أو يتباكى فاذا هى نفس الغنائم ، هذه هى الأحوال النبوية فى العصرالأوّل ، فماذا جرى بعد ذلك ؟

﴿ الــكلام على تخريب الفاتحين للممالك وكيف يجازون بزوال ملــكهم بعد ذلك من ابن خلدون ﴾

وصلنا الآن من المقدّمات فى الفصلين الثالث والرابع الى المقصود منهما وهوأن الملوك يذلون أهل البــلاد وهؤلاء الظالمون أيضا تخرب بيوتهم ، ولأذكرلك مجملا من كلام العلامة ابن خلدون فى تاريخه فى الجزء السابع فانظرماذا يقول وهاك نصه

قال ، لمــافرغ شأن الردّة من افريقيا والمغرب وأذعن البربر لحــكم الاسلام وملــكت العرب واستقلّ بالخلافة ورئاسة العرب بنوأمية اقتعدوا كرسى الملك بدمشق واستولوا على سائرالأمم والأقطار وأثخنوا فى القاصية من لدن الهند والصين فى المشرق وفرغانة فى الشمال والحبشة فى الجنوب والبربر فى المغرب و بلاد الجلالقة والافرنجة فى الأندلس وضرب الاسلام بجرانه وألقت دولة العرب بكلــكلها على الأمم ثم جدع بنو أمية أنوف بنى هاشم مقاسميهم فى نسب عبد مناف والمدّعين استحقاق الأمر بالوصية وتــكرر خروجهم عليهم فأثخنوا فيهم بالقتل والأسر حتى توغرت الصدور واستحكمت الأوتار وتعدّدت فرق الشيعة باختلافهم فى مساق الخلافة من علىّ الى من بعده من بنى هاشم ، فقوم ساقوها الى آل العباس ، وقوم الى آل الحسن . وآخرون الى آل الحسين فدعت شيعة آل العباس بخراسان وقام فيها اليمنية فــكانت الدولة العظيمة الحائزة للخلافة ونزلوا بغداد واستباحوا الأمويين قتــلا وسبيا وخلص منهم فى الأندلس عبــد الرحمن بن معاوية بن هشام فجدّد فيها دعوة الأمويين وانقطع ماوراء البحر عن ملك الهاشميين فلم تخفق لهــم به راية ، ثم نفس آل أبى طالب على آل العباس ما أكرمهم الله به من الخلافة والملك فخرج المهدى محمد بن عبد الله المدعو بالنفس الزكية فى بنى أبى طالب على أبى جعفر المنصور وكان من أمرهم ماهو مــذكور واستلحمتهم جيوش بنى العباس فى وقائع عديدة وفرّ ادريس بن عبد الله أخوالمهدى من بعض وقائعهم فى المغرب الأقصى فأجاره البرابرة من (أوربة) و (مغيلة) وقاموا بدعوته ودعوة بنيه من بعده ونالوا به الملك وغلبوا على المغرب الأقصى والأوسط و بثوا دعوة ادريس و بنيه من بعده فى أهله من زناتة مثل (بنى يفرن) و (مغراوه) وقطعوه من ممالك بنى العباس ، واستمرت دولتهم الى حين انقراضها على يد العبيديين ولم يزل الطالبيون أثناء ذلك بالمشرق ينزعون الى الخلافة و يبثون دعاتهم بالقاصية الى أن دعا أبوعبد الله المحتسب بأفريقيا الى المهدى ولد اسماعيل الامام ابن جعفر الصادق فقام برابرة كتامة ومن اليهم من صنهاجه وملــكوا افريقيا من يد الأغالبة ورجع العرب الى مركز ملــكهم بالمشرق ولم يبق لهم فى نواحى المغرب دولة ووضع العرب ما كان على كاهلهم من أمر المغرب ووطأة مضر بعد أن رسخت الملة فيهم وخالطت بشاشة الايمان قلوبهم واستيقنوا الوعد الصادق أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده

فلم تنسلخ الملة بانسلاخ الدولة ولا تقوّضت مباني الدين بتقويض معالم الملك وعد من الله ولن يخلف في تمام أمره واظهار دينه على الدين كله فتنافس حينئذ البربر في طلب الملك والقيام بالدعوة اليه الى أن ظفروا من ذلك بحظ مثل كتامة بأفريقيا ومكناسة بالمغرب ونافسهم في ذلك زناتة وكانوا من أكثرهم جمعا وأشدهم قوة فشمروا له حتى ضربوا معهم بسهم فكان لبني يفرن بالمغرب وأفريقيا على يد صاحب الحمار ثم على يد يعلى بن محمد وبقيه ملك ضخم ، ثم كان لمغراوة على يد بني خزر دولة أخرى تنازعوها مع بني يفرن وصنهاجه ثم انقرضت تلك الأجيال وتجرد الملك بالمغرب بعدهم في جيل آخر منهم فكان لبني مرين بالمغرب الأقصى ملك ولبني عبد الواد بالمغرب الأوسط ملك آخر فقاسمهم فيه بنو توجين و بطن من (مغراوه) حسبما نذكر ونستوفي شرحه ونذكر أيامهم و بطونهم على الطريقة التي سلكناها في أخبار البربر والله المعين لارب سواه ولا معبود إلا إياه انتهى ما أردته منه والله أعلم

ولا ريب أن هذا الاجمال هو الذي جاء به نبينا ﷺ فانه خاف من فتوح البلدان ومن الغنائم وقد تحقق ماخافه والحمد لله رب العالمين

﴿ سر ارتقاء العرب ثم انحلال دولتهم ﴾

قلت لك آنفا ان الله لما أعظم دولة الرومان واستفحلت وعلم انها ستنحل عمـد الى أمة بدوية فاصطفى أفضلها وعلمه ثم وازنت بين ما أوحى اليه وماجاء على قلوب الحكماء لأن المادة منه والحكمة منه والوحي منه — فأينما تولوا فثم وجه الله — وانما الجاهل هو الذي ضاق عقله فلم يتسع إلا الى بعض هذه ، فالعقول والاجرام والدين كلها من الله بل الخير والشر كله منه وكلاهما عند العقول سواء في الافادة والتعليم ، أقول فلما أخذت دولة الرومان تنحل كان الله قد أعدّ أمة أخرى خرجت من البادية لتعليم الناس وأباح لها الغنائم لأن هذه الغنائم ساعدتها في فتح البلدان وطيرهم بالمال و بالرجال فذهبوا الى الهند والصين والى أمم الفرنجة وأصبحوا كلهم تحت حكم أمة واحدة ، لم يرد الله بهذا في حكمته إلا أمرا واحدا هو نشر الدين في هذه الأصقاع لأن هذه الأمم في عالم متأخر وهي أرضنا التي علمت انها عالم كله نيران متأججة وهو على صراط مستقيم فليس من العدل عنده أن يجعل أمة واحدة تقود العالم كله لأن ذلك ليس هو العدل الذي أنزله في الارض ، فلابد لكل أمة أن تستخرج مواهبها ، وهل تستخرج مواهبها بتسليط أمة واحدة عليها لذلك أرسل الله نبيا أميا ﷺ وذلك بعد أن عجزت الفلسفة والحكمة في الأمم عن اسعاد الأمم ، إن الفلاسفة اجمعين عجزوا أن ينشروا علما واحدا في العالم كله يجمع الأمم ، ولم يتسنّ اسقراط وأفلاطون المعتبرين عند جميع الأمم أكبر جبابرة العقول أن يوجدا أمة تنشر هذه التعاليم فاختار الله أمة العرب وطيرها في البلاد شرقا وغربا ووضع لها مع ذلك داء دفينا وهو المال وفتوح البلدان وألهم رسوله ﷺ أن يحذرهم المال ويخوفهم الفتنة بالمال ، فلما توفاه الله أخذوا هم يتبعون سنته ، ولقد سمى المسلمون أبا بكر خليفة وهكذا من بعده فهم خلفاء لاملوك ، إذن مال الله ليس لهم بل هم خلفاء على عباده وجميع الناس خلفاء على أموالهم وتسلطهم على الأمم أوّلا و بالذات لتعليم الدين فلم يزل الدين يتمكن في قلوب الأمم وشيطان الطمع يوسوس في قلوب العرب بحيث يكون الخلف منحرفا عن السلف — فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا —

هنالك دالت دولة العرب وحلت محلها دول أخرى ثم ذهبت وحلت أخرى محلهم ، لماذا كل هذا ؟ لأن الله يقول — وتلك الأيام نداولها بين الناس — فلم يخص العرب بالملك بل هو سخرهم كما يسخر النحل والحشرات لالقاح النبات والنحل انما تسعى للعسل ، وكما سخر الذكور والاناث لانجاب الذرية وهم انما اجتمعوا للشهوة لاغير ، فهذه الشهوة قد سخرهم الله بها حتى ولدوا الذرية ثم ذهبت وضعفت وحل محلها ماهو أعلى وأغلى وهو الاتحاد والعطف عليهم والمعاشرة وتدبير المنزل ، هكذا اذا كان بعض من كانوا ساعين في فتوح البلدان

لا

لايريدون إلا عرض الدنيا فان عملهم أنتج تلقيح أفكار الأمم بالدين الاسلامى مع العلم بأن الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين ما كانوا يريدون إلا اعلاء كلمة الله ، ولولا ذلك ما أذابوا مهجهم فى الحروب ولاتوغلوا فى الأمم شرقا وغربا . إذن أنت يا الله هكذا أردت ، حذرت من المال وحذرهم نبيك ﷺ وطيرتهم فى الشرق والغرب فنشروا الدين ثم أخذت تسلب من الأبناء مامنحته الآباء لتمهد الأسباب لترك آبائنا العرب البلاد لأهلها كما انك حكمت بموت صاحب الشريعة ﷺ لما أتممت الدين فقلت له ولهم — اليوم أكملت لكم دينكم — فهو ﷺ مات لما أتم ما أوجبته عليه والعرب ماتت دولتهم لما أتمت ما خلقت لأجله لأن الدين لك أنت والأرض لك — ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين — إذن كل ماحصل فى أمم الاسلام مصداق للقرآن والحديث ولفعل النبى ﷺ ولكلام الفلاسفة اليونانيين والمسلمين

﴿ نبذة من أسباب ذهاب دولة أمة العرب مصداقا للآيات والأحاديث ولقوله ﷺ لما أخبرهم بأنهم يغدون فى حلة ويروحون فى أخرى وانهم توضع أمامهم صحفة وترفع أخرى ﴾

جاء فى « الرحلة الأندلسية » ماملخصه انه قد كثر زواج ولاة الأندلس من العرب وأمرائهم من الاسبانيين وأوّل من تزوّج منهم عبد العزيز بن موسى بن نصير فقد تزوّج بالسيدة (ايلونا) أرملة لذريق ملك القوط بعد أن مات أثر جروحه فى واقعة شريس التى تغلب عليه فيها طارق بن زياد وتزوّج الأمير محمد بن عبد الله ابن محمد بن عبد الرحمن الأوسط باسبانية اسمها (ماريه) ورزق منها بولده عبد الرحمن الناصر ، وتزوّج الحاكم ابن الناصر بن أبى عامر بنت (سانكو) ملك بافاريا وولدت له ابنه عبد الرحمن وكانوا يسمونه سانكو الصغير لميله الى ملاذه وجرأته على الدين فى سيرته الشخصية ، وتزوّج المأمون بن الناصر سلطان الموحدين باسبانية اسمها حباب وخلف منها ابنه الرشيد ، وتزوّج السلطان محمد بن أبى الحسن بن الأحمر بالسيدة (ثريا) الاسبانية وولدت له ابنه أبا عبد الله وكانت أم عبد الحق بن أبى سعيد سلطان بنى مرين اسبانية . قال وقد فشا الزواج والتسرى بالاسبانيات من القوط وغيرهم بين الأمراء أوالرؤساء من العرب وكان لهذا العنصر الجليل شئ من التأثير فيهم ظهرت نتائجه الخبيثة عند ضعف الدولة كما كانت سببا فى استكانة هشام المؤيد الى حاجبه ابن أبى عامر ، تلك الاستكانة التى ساعدت عليها فى أوّل الأمر أمه فلما اختلفت مع المنصور وهو قوى الارادة لم تقدر على كسر حدته فلما كبر ولدها ظهر أثرها فيه فأصبح جبانا لايسمى الا الى لذاته وقضى فى حياته على الدولة الاموية وهذا من أسباب ضعف العرب فى أوروبا كما كان من أسبابها كذلك ضعفها فى بنى العباس بالشرق إذ كانت أم المستعين بالله العباسى صقلبية وأم المهتدى رومية وأم المقتدر تركية وكانت كثيرة التدخل فى أمور الخلافة مدة ولدها وتجتمع بالوزراء والقوّاد فى مجلسها وتصدر اليهم أوامرها من غير علم ولدها فلذلك أخذت الدولة تضعف فى الشرق واستبد الاتراك بدولة بنى العباس كما ذهبت دولة بنى أمية بالاندلس بنظير ذلك فيما علمت ، و بعد ذلك ظهرت التربية الاجنبية فى عبد الرحمن بن أبى عامر فبه قضى على الدولة العامرية وفى الرشيد بن مأمون بضعف الموحدين وفى عبد الحق بن سعيد المرينى ملك المغرب بضياع الملك من بنى مرين وفى أبى عبد الله ابن الاحمر بالقضاء على حكم العرب فى الاندلس

وقد كان الزواج بالاسبانيات ليس خاصا بالامراء بل تعدّاهم الى العامّة بل نسبوهم اليهنّ على غير عادة العرب فقالوا ابن الرومية وابن القوطية بل هذا التلقيح ظهر أثره فى البربر فرقى من أخلاقهم وقلل من حدتهم

هذه أحوال أمم العرب شرقا وغربا ، فهل تعجب بعد هذا البيان اذا تذكرت ماقدمته لك فى (سورة طه) عند قوله تعالى — وقل رب زدنى علما — إذ ذكرت لك هناك انقسام الدولة العباسية فى الشرق الى دول مختلفة أوضحتها هناك بعد انحلالها ، وكذلك لاتعجب اذا عرفت ماأذكره هنا من انحلال الدولة الاموية بالاندلس وانقسامها الى عشرين دولة صغيرة مثل (اشبيليه . جيان . سرقسطه . الثغر . طليطله . قرمونه

الجزيرة الخضراء . مرسيه . بلنسيه . دانيه . طرطوشه . لاوده . باجه . مالقه . بطليوس . لشبونه . جزائرالبليار . قرطبة) راجع كتاب ﴿ الرحلة الأندلسية ﴾ لصديقنا البتنوني . فهذه النبذة التاريخية ملخصة منه . هذا مصداق الأحاديث المتقدمة والآيات وآراء الفلاسفة ، فالنبي ﷺ قد أخبر به وجعل المال والغنائم سببا للحرمان اذا استعملت للشهوات وتذكر حديث الرواح فى حلة والغدو فى حلة وقوله تعالى ـ وأترفناهم فى الحياة الدنيا ـ وآراء أفلاطون اذا أصبحت أخلاق الأبناء على خلاف أخلاق الآباء وهى المدينة التى انحرفت عن مدينة الأشراف وهى كذلك المدينة الفاسقة عند الفارابى ، إذن ماحصل لأمم العرب قبلنا هو مقتضى قواعد الدين والحكمة وانى أحمد الله حمدا كثيرا على ماعلم وألهم وأسعد فله الحمد فى الأولى والآخرة وله الحكم واليه ترجعون

ههنا اطمأنت النفس للعلم وعرفت الحقيقة بقدر الطاقة البشرية ، وما كان يخيل لى مرة فى أول حياتى أن أطلع على هذا الجمال والبهاء والحكمة وأن أصل الى بهجة الحكمة والعلم بمقدار طاقتى بحيث يكون شرابا صافيا وطريقا معبدا يسير به أهل العلم فى حياتى و بعد موتى وعليه يبنون مستقبلهم فى هذه الحياة و يعرفون نظائره من المؤلفات فى زماننا حتى يحيوا ما اندرس من معالم العلم والدين و يوقظوا أمما خلت ودولا هلكت فالله كما أذهب ملك كثير من الأمم الشرقية فأنامهم أجيالا هولامحالة معيد لهم مجدهم لأنه جعل العالم دولا ـ وتلك الأيام نداولها بين الناس ـ وهو يقلب الليل والنهار ، فهاهوذا قد أعد العدة ومهد الطرق لخلق أمم جديدة فى الشرق . فهو كما مهد لذهاب دولهم بأن أمر مترفيهم بالاندلس من الأمويين والعباسيين ففسقوا فيهم فحق عليهم القول فدمر دولهم تدميرا . هاهوذا سبحانه أخذ يهيئ الأسباب لارجاع شباب دول أخرى من أبنائهم قد ناموا أمدا طويلا ومن تلك الأسباب هذا التفسير وأمثاله فسيقرؤه و يقرأ أمثاله رجال وشبان وستقوم أمم وأمم أعلى كعبا وأرقى وأشرف دولا من الأمم السابقة فى الشرق إذ يعتبرون بما حل بآبائهم و يظهر فيهم مؤلفون يعلمونهم ما كان يجهله آباؤهم واذ ذاك يعرفون معنى قول النبي ﷺ « و يل للعرب من شر قد اقترب » ويعرفون أيضا قول النبي ﷺ لمن جاء يسأله عن الساعة أن ذلك حين تلد الأمة ربتها وحين يتطاول الرعاء فى البنيان وهذا هوالذى حصل فعلا فى الشرق والغرب كما علمت فان الاماء ولدن الملوك كما رأيت فى بنى العباس و بنى أمية وهكذا نساء الاجانب على وجه العموم فكان ذلك سببا فى فساد الدول الاسلامية وضياعها فاذا علموا ذلك فهموا أن جوابه ﷺ للسائل عن الساعة جاء على الاسلوب الحكيم إذ يسأل السائل عن الساعة العامة فأجابه هو عن الساعة التى تضيع فيها دولة العرب وقد عرفت المعجزة فى ذلك كما كتبته فى كتابى ﴿ التاج المرصع ﴾

وههنا آن أن ألقى اليك ماعقدت له هذا المقال فى الامر الثالث والرابع وهو لب الامرين وماتقدم انما هو مقدمات لهذا اللب وهو ـ ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها ـ الخ وأن ـ بيوتهم خاوية بما ظلموا ـ كما قاله أبو نصر الفارابى فى المدينة الفاسقة التى لم تكن على سنن الجسم الانسانى الطبيعى وكما قاله أفلاطون فى المدينة التى مالت عن سنن مدينة الاشراف فأسمعك الآن فصولا تؤيد ما تقدم من كلام العلامة ابن خلدون وهما مطلبان ﴿ المطلب الأول ﴾ كيف يحصل الفساد والخراب فى الأمم المغلوبة ﴿ المطلب الثانى ﴾ كيف تقع الأمم الظالمة فى سوء أعمالها وتذهب دولهم

﴿ المطلب الأول . كيف يحصل الفساد والخراب فى الأمم المغلوبة على أمرها تفسيرا لقوله تعالى ـ إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها ـ الخ ﴾

(فصل) قال العلامة ابن خلدون مانصه

(١) إن من عوائق الملك حصول المذلة للقبيل والانقياد الى سواهم

(٢) وأن الأمة اذا غلبت وصارت فى ملك غيرها أسرع اليها الفناء

(٣) وأن الأمم العربية (لما تركت الدين ورجعت الى قسوتها الأولى) اذا تغلبوا على أوطان أسرع اليها الخراب

(٤) وأن العرب (أى بعد أن تركوا الصبغة الدينية) أبعد الأمم عن سياسة الملك

(٥) وأن الظلم مؤذن بخراب العمران

هذه هى الفصول التى ذكرها ابن خلدون مبرهنا عليها بحوادث وسأذكرها لتعلم لماذا ذهبت دول آبائنا فى الشرق وفى الاندلس وتعلم قوله تعالى — إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم واذا أراد الله بقوم سوأ فلامردّ له ومالهم من دونه من وال — وهنالك تفرح بنعمة العلم إذ تقف على الحقائق وتنفع الأمم الاسلامية بعلمك وعملك واجتنابك مافعله المتأخرون ، فقال رحمه الله تعالى فى الأول

﴿ الفصل الأوّل فى أن من عوائق الملك حصول المذلة للقبيل والانقياد الى سواهم ﴾

وسبب ذلك أن المذلة والانقياد كاسران لسورة العصبية وشدّتها فان انقيادهم ومذلتهم دليل على فقدانها فما رئموا للمذلة حتى عجزوا عن المدافعة ومن عجز عن المدافعة فأولى أن يكون عاجزا عن المقاومة والمطالبة واعتبر ذلك فى بنى اسرائيل لما دعاهم موسى عليه السلام الى ملك الشام وأخبرهم بأن الله قد كتب لهم ملكها ، كيف عجزوا عن ذلك وقالوا — ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها — أى يخرجهم الله تعالى منها بضرب من قدرته غير عصبيتنا وتكون من معجزاتك ياموسى ، ولما عزم عليهم لجؤا وارتكبوا العصيان وقالوا له — اذهب أنت وربك فقاتلا — وما ذلك إلا لما آنسوا من أنفسهم من العجز عن المقاومة والمطالبة كما تقتضيه الاية ومايؤثر فى تفسيرها وذلك بما حصل فيهم من خلق الانقياد ومارئموا من الذلّ للقبط أحقابا حتى ذهبت العصبية منهم جملة مع انهم لم يؤمنوا حق الايمان بما أخبرهم به موسى من أن الشأم لهم وأن العمالقة الذين كانوا بأريحاء فريستهم بحكم من الله قدّره لهم فأقصروا عن ذلك وعجزوا تعويلا على ما علموا من أنفسهم من العجز عن المطالبة لما حصل لهم من خلق المذلة وطعنوا فيما أخبرهم به نبيهم من ذلك وما أمرهم به فعاقبهم الله بالتيه وهوانهم تاهوا فى قفر من الأرض مابين الشأم ومصر أربعين سنة لم يأووا فيها لعمران ولانزلوا مصرا ولاخالطوا بشرا كما قصه القرآن لغلظة العمالقة بالشأم والقبط بمصر عليهم لعجزهم عن مقاومتهم كما زعموه ، ويظهر من مساق الآية ومفهومها أن حكمة ذلك التيه مقصودة وهى فناء الجيل الذين خرجوا من قبضة الذل والقهر والقوّة وتخلقوا به وأفسدوا من عصبيتهم حتى نشأ فى ذلك التيه جيل آخر عزيز لايعرف الاحكام والقهر ولايسام بالمذلة فنشأت لهم بذلك عصبية أخرى اقتدروا بها على المطالبة والتغلب ويظهر لك من ذلك أن الأربعين سنة أقل ما يأتى فيها فناء جيل ونشأة جيل آخر ، سبحان الحكيم العليم ، وفى هذا أوضح دليل على شأن العصبية وانها هى التى تكون بها المدافعة والمقاومة والحماية والمطالبة وأن من فقدها عجز عن جميع ذلك كله . ويلحق بهذا الفصل فيما يوجب المذلة للقبيل شأن المغارم والضرائب فان القبيل الغارمين ما أعطوا اليد من ذلك حتى رضوا بالمذلة فيه لأن فى المغارم والضرائب ضيما ومذلة لاتحتملها النفوس الأبية إلا اذا استهونته عن القتل والتلف وأن عصبيتهم حينئذ ضعيفة عن المدافعة والحماية ، ومن كانت عصبيته ضعيفة لاتدفع عنه الضيم فكيف له بالمقاومة والمطالبة وقد حصل له الانقياد للذل والمذلة كما قدّمناه ومنه قوله ﷺ فى شأن الحرث لما رأى سكة المحراث فى بعض دور الأنصار « مادخلت هذه دار قوم إلا دخلهم الذل » فهو دليل صريح على أن المغرم موجب للذلة ، هذا الى مايصحب ذل المغارم من خلق المكر والخديعة بسبب ملكة القهر فاذا رأيت القبيل بالمغارم فى ربقة من الذل فلاتطمعن لها بملك آخر الدهر ، ومن هنا يتبين لك غلط من يزعم أن زناتة بالمغرب كانوا شاوية يؤدّون المغارم لمن كان على عهدهم من الملوك وهو غلط فاحش كما رأيت إذ لو وقع ذلك لما استتب لهم ملك ولاتمت لهم دولة ، وانظر فيما قاله (شهر براز) ملك الباب

لعبد الرحمن بن ربيعة لما أطلّ عليه وسأل (شهر براز) أمانه على أن يكون له فقال « أنا اليوم منكم يدى فى أيديكم وصفرى(١) معكم فرحبا بكم وبارك الله لنا ولكم وجزيتنا اليكم النصر لكم والقيام بما تحبون ولا تذلونا بالجزية فتوهنونا لعدوّكم » فاعتبر هذا فيما قلناه فانه كاف

هذا ماقاله العلامة ابن خلدون فى الفصل الأوّل . فأما ماقاله فى الفصل الثانى وهو أن الأمّة اذا غلبت وصارت فى ملك غيرها أسرع اليها الفناء فهذا نصه

﴿ الفصل الثانى فى أن الأمّة اذا غلبت وصارت فى ملك غيرها أسرع اليها الفناء ﴾

والسبب فى ذلك والله أعلم مايحصل فى النفوس من التكاسل اذا ملك أمرها عليها وصارت بالاستعباد آلة لسواها وعالة عليهم فيقصر الأمل ويضعف التناسل والاعتمار انما هو عن جدّة الأمل ومايحدث عنه من النشاط فى القوى الحيوانية فاذا ذهب الأمل بالتكاسل وذهب مايدعو اليه من الأحوال وكانت العصبية ذاهبة بالغلب الحاصل عليهم تناقص عمرانهم وتلاشت مكاسبهم ومساعيهم وعجزوا عن المدافعة عن أنفسهم بما خضد الغلب من شوكتهم فأصبحوا مغلبين لكل متغلب طعمة لكل آكل وسواء كانوا حصلوا على غايتهم من الملك أولم يحصلوا وفيه والله أعلم سرّ آخر وهو أن الانسان رئيس بطبعه بمقتضى الاستخلاف الذى خلق له والرئيس اذا غلب على رئاسته وكبح عن غاية عزّه تكاسل حتى عن شبع بطنه ورى كبده وهذا موجود فى أخلاق الاناسى ، ولقد يقال مثله فى الحيوانات المفترسة وانها لاتسافد اذا كانت فى ملكة الآدميين فلايزال هذا القبيل المملوك عليه أمره فى تناقص واضمحلال الى أن يأخذهم الفناء والبقاء لله وحده واعتبر ذلك فى أمة الفرس كيف كانت قد ملأت العالم كثرة ولما فنيت حاميتهم فى أيام العرب بقى منهم كثير وأكثر من الكثير يقال ان سعدا أحصى من وراء المدائن فكانوا مائة ألف وسبعة وثلاثين ألفا منهم سبعة وثلاثون ألفا رب بيت ، ولما تحصلوا فى ملكة العرب وقبضة القهر لم يكن بقاؤهم إلا قليلا ودثروا كأن لم يكونوا ، ولاتحسبنّ أن ذلك لظلم نزل بهم أوعدوان شملهم فملكة الاسلام فى العدل ماعلمت وانما هى طبيعة فى الانسان اذا غلب على أمره وصار آلة لغيره ، ولهذا انما تذعن للرق فى الغالب أمم السودان لنقص الانسانية فيهم وقربهم من طبيعة الحيوانات العجم كما قلناه أومن يرجو بانتظامه فى ربقة الرق حصول رتبة أوافادة مال أوعز كما يقع لمماليك الترك بالمشرق والعلوج من الجلالقة والافرنجة بالأندلس فان العادة جارية باستخلاص الدولة لهم فلايأنفون من الرق لما يأملونه من الجاه والرتبة باصطفاء الدولة والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

هذا ما قاله العلامة ابن خلدون فى الفصل الثانى . فأما ماقاله فى الفصل الثالث وهو أن الأمم العربية (أى التى تركت الدين) اذا تغلبوا على أوطان أسرع اليها الخراب فهاك نصه

﴿ الفصل الثالث فى أن العرب اذا تغلبوا على أوطان أسرع اليها الخراب ﴾

والسبب فى ذلك أنهم أمة وحشية باستحكام عوائد التوحش وأسبابه فيهم فصار لهم خلقا وجبلة وكان عندهم ملذوذا لما فيه من الخروج عن ربقة الحكم وعدم الانقياد للسياسة وهذه الطبيعة منافية للعمران ومناقضة له فغاية الأحوال العادية كلها عندهم الرحلة والتغلب وذلك مناقض للسكون الذى به العمران ومناف له فالحجر مثلا انما حاجتهم اليه لنصبه أثافى للقدر فينقلونه من المبانى ويخربونها عليه ويعدّونه لذلك والخشب أيضا انما حاجتهم اليه ليعمروا به خيامهم ويتخذوا الأوتاد منه لبيوتهم فيخربون السقف عليه لذلك فصارت طبيعة وجودهم منافية للبناء الذى هو أصل العمران هذا فى حالهم على العموم وأيضا فطبيعتهم انتهاب مافى أيدى الناس وأن رزقهم فى ظلال رماحهم وليس عندهم فى أخذ أموال الناس حدّ ينتهون اليه بل كلما امتدّت أعينهم الى مال أومتاع أوماعون انتهبوه فاذا تمّ اقتدارهم على ذلك بالتغلب والملك بطلت السياسة فى حفظ أموال الناس وخرب العمران وأيضا فلأنهم يتلفون على أهل الأعمال من الصنائع والحرف أعمالهم لايرون

(١) كذا بالأصل

لها قيمة ولاقسطا من الأجر والثمن . والأعمال كما سنذكره هي أصل المكاسب وحقيقتها واذا فسدت الأعمال وصارت مجانا ضعفت الآمال في المكاسب وانقبضت الأيدي عن العمل وابذعر الساكن وفسد العمران وأيضا فانهم ليست لهم عناية بالأحكام وزجر الناس عن المفاسد ودفاع بعضهم عن بعض انما همهم ما يأخذونه من أموال الناس نهبا أومغرما ، فاذا توصلوا الى ذلك وحصلوا عليه أعرضوا عما بعده من تسديد أحوالهم والنظر في مصالحهم وقهر بعضهم عن أغراض المفاسد وربما فرضوا العقوبات في الأموال حرصا على تحصيل الفائدة والجباية والاستكثار منها كما هو شأنهم ، وذلك ليس بمغن في دفع المفاسد وزجر المتعرض لها بل يكون ذلك زائدا فيها لاستسهال الغرم في جانب حصول الغرض فتبقى الرعايا في ملكتهم كأنها فوضى دون حكم والفوضى مهلكة للبشر مفسدة للعمران بما ذكرناه من أن وجود الملك خاصة طبيعية للانسان لا يستقيم وجودهم واجتماعهم إلا بها وتقدم ذلك أول الفصل ، وأيضا فهم متنافسون في الرئاسة وقل أن يسلم أحد منهم الأمر لغيره ولوكان أباه أوأخاه أوكبير عشيرته إلا في الأقل وعلى كره من أجل الحياء فيتعدد الحكام منهم والأمراء وتختلف الأيدي على الرعية في الجباية والأحكام فيفسد العمران وينتقض * قال الاعرابي الوافد على عبدالملك لما سأله عن الحجاج وأراد الثناء عليه عنده بحسن السياسة والعمران فقال « تركته يظلم وحده » وانظر الى ماملكوه وتغلبوا عليه من الأوطان من لدن الخليقة كيف تقوض عمرانه وأقفر ساكنه وبدلت الأرض فيه غير الأرض ، فاليمن قرارهم خراب إلا قليلا من الأمصار وعراق العرب كذلك قد خرب عمرانه الذي كان للفرس أجمع والشام لهذا العهد كذلك وأفريقية والمغرب لما جاز اليها بنو هلال وبنو سليم منذ أول المائة الخامسة وتمرسوا بها لثلثمائة وخمسين من السنين قد لحق بها وعادت بسائطه خرابا كلها بعد أن كان ما بين السودان والبحر الرومي كله عمرانا تشهد بذلك آثار العمران فيه من المعالم وتماثيل البناء وشواهد القرى والمداشر والله يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين . انتهى ما قاله العلامة ابن خلدون في الفصل الثالث وأما ماقاله في الفصل الرابع وهو أن العرب (أي الذين تركوا العمل بالدين) أبعد الأمم عن السياسة فهذا نصه

﴿ الفصل الرابع في أن العرب أبعد الأمم عن سياسة الملك ﴾

والسبب في ذلك انهم أكثر بداوة من سائر الأمم وأبعد مجالا في القفر وأغنى عن حاجات التلول وحبوبها لاعتيادهم الشظف وخشونة العيش فاستغنوا عن غيرهم فصعب انقياد بعضهم لبعض لايلافهم ذلك وللتوحش ورئيسهم محتاج اليهم غالبا للعصبية التي بها المدافعة فكان مضطرا الى احسان ملكتهم وترك مراغمتهم لئلا يختل عليه شأن عصبيتهم فيكون فيها هلاكه وهلاكهم وسياسة الملك والسلطان تقتضي أن يكون السائس وازعا بالقهر والا لم تستقم سياسته ، وأيضا فان من طبيعتهم كما قدمناه أخذ مافي أيدي الناس خاصة والتجافي عما سوى ذلك من الاحكام بينهم ودفاع بعضهم عن بعض ، فاذا ملكوا أمة من الأمم جعلوا غاية ملكهم الانتفاع بأخذ مافي أيديهم وتركوا ماسوى ذلك من الاحكام بينهم ، وربما جعلوا العقوبات على المفاسد في الأموال حرصا على تكثير الجبايات وتحصيل الفوائد فلا يكون ذلك وازعا وربما يكون باعثا بحسب الأغراض الباعثة على المفاسد واستهانة مايعطى من ماله في جانب غرضه فتنمو المفاسد بذلك ويقع تخريب العمران فتبقى تلك الأمة كأنها فوضى مستطيلة أيدي بعضها على بعض فلا يستقيم لها عمران وتخرب سريعا شأن الفوضى كما قدمناه فبعدت طباع العرب لذلك كله عن سياسة الملك وانما يصيرون اليها بعد انقلاب طباعهم وتبدلها بصبغة دينية تمحو ذلك منهم وتجعل الوازع لهم من أنفسهم وتحملهم على دفاع الناس بعضهم عن بعض كما ذكرناه واعتبر ذلك بدولتهم في الملة لما شيد لهم الدين أمر السياسة بالشريعة وأحكامها المراعية لمصالح العمران ظاهرا وباطنا وتتابع فيها الخلفاء عظم حينئذ ملكهم وقوى سلطانهم * كان رستم اذا رأى المسلمين يجتمعون للصلاة يقول أكل عمر كبدي يعلم الكلاب الآداب ، ثم انهم بعد ذلك انقطعت منهم عن الدولة أجيال نبذوا

الدين فنسوا السياسة ورجعوا الى قفرهم وجهلوا شأن عصبيتهم مع أهل الدولة ببعدهم عن الانقياد واعطاء النصفة فتوحشوا كما كانوا ولم يبق لهم من اسم الملك إلا أنهم من جنس الخلفاء ومن جيلهم ، ولما ذهب أمر الخلافة وامحى رسمها انقطع الأمر جملة من أيديهم وغلب عليهم العجم دونهم وأقاموا بادية فى قفارهم لايعرفون الملك ولاسياسته بل قد يجهل الكثير منهم أنهم قد كان لهم ملك فى القديم وما كان فى القديم لأحد من الأمم فى الخليقة ما كان لأجيالهم من الملك ودول عاد وثمود والعمالقة وحمير والتبابعة شاهدة بذلك ثم دولة مضر فى الاسلام بنى أمية وبنى العباس لكن بعد عهدهم بالسياسة لما نسوا الدين فرجعوا الى أصلهم من البداوة وقد يحصل لهم فى بعض الأحيان غلب على الدول المستضعفة كما فى المغرب لهذا العهد فلا يكون مآله وغايته إلا تخريب مايستولون عليه من العمران كما قدمناه والله يؤتى ملكه من يشاء اه

هذا ما قاله العلامة ابن خلدون فى الفصل الرابع ، وقال فى الفصل الخامس مانصه

﴿ الفصل الخامس فى أن الظلم مؤذن بخراب العمران ﴾

وهنا ذكر أن الناس اذا اغتصبت مكاسبهم وقهروا على ماملكوا وانتهبت من أيديهم كسلوا عن العمل وانقطعت آمالهم وقعدوا عن العمل لعلمهم أنه ذاهب من أيديهم ، وضرب لذلك مثلا ما ذكره المسعودى فى أخبار الفرس عن الموبذان صاحب الدين أيام بهرام بن بهرام وماعرّض به للملك فى انكار ما كان عليه من الظلم إذ سمع البوم وسأل بهرام الموبذان عن معنى كلامها فقال له انه يعلمه وأن الأنثى لما طلبها الذكر شرطت عليه أن يقطعها عشرين قرية من الخراب فقال لها إن دام بهرام أقطعتك ألف قرية فتنبه الملك فقال له الموبذان لايتمّ الملك إلا بالشريعة ولا تتم الشريعة إلا بالملك ولاعزّ للملك إلا بالرجال والرجال بالمال والمال متوقف على العمارة والعمارة بالعدل والعدل ميزان منصوب بين الخليقة وأفهمه أنه قد انتزع الضياع من أهلها فهلكت الرعية وضاع الجند وهرمت الدولة فاتعظ الملك وعدل فانتظم ملكه . وهكذا أخذ يبين أن الدولة العظيمة لايظهر فيها أثر الظلم دفعة واحدة بل يكون بالتدريج ثم يظهر بعد حين كالأمراض الدائمة ـ والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لايعلمون ـ انتهى المطلب الأول

﴿ المطلب الثانى ، كيف تقع الأمم الظالمة فى سوء أعمالها وتذهب دولهم تبيانا لقوله تعالى ـ فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ـ وفى هذا المطلب جوهرتان ﴾

(الجوهرة الأولى ما قاله العلامة ابن خلدون أن من عوائق الملك حصول الترف وانغماس القبيل فى النعيم)

قال وسبب ذلك أن القبيل اذا غلبت بعصبيتها بعض الغلب استولت على النعمة بمقداره وشاركت أهل النعم والخصب فى نعمتهم وخصبهم وضربت معهم فى ذلك بسهم وحصة بمقدار غلبها واستظهار الدولة بها فان كانت الدولة من القوّة بحيث لايطمع أحد فى انتزاع أمرها ولامشاركتها فيه أذعن ذلك القبيل لولايتها والقنوع بما يسوغون من نعمتها ويشركون فيه من جبايتها ولم تسم آمالهم الى شئ من منازع الملك ولاأسبابه انما همتهم النعيم والكسب وخصب العيش والسكون فى ظلّ الدولة الى الدعة والراحة والأخذ بمذاهب الملك فى المبانى والملابس والاستكثار من ذلك والتأنق فيه بمقدار ماحصل من الرياش والترف ومايدعو اليه من توابع ذلك فتذهب خشونة البداوة وتضعف العصبية والبسالة ويتنعمون فيما آتاهم الله من البسطة وتنشأ بنوهم وأعقابهم فى مثل ذلك من الترفع عن خدمة أنفسهم وولاية حاجاتهم ويستنكفون عن سائر الامور الضرورية فى العصبية حتى يصير ذلك خلقا لهم وسجية فتنقص عصبيتهم وبسالتهم فى الأجيال بعدهم بتعاقبها الى أن تنقرض العصبية فيأذنون بالانقراض وعلى قدر ترفهم ونعمتهم يكون اشرافهم على الفناء فضلا عن الملك فان عوارض الترف والغرق فى النعيم كاسر من سورة العصبية التى بها التغلب ، واذا انقرضت العصبية قصر القبيل عن المدافعة والحماية فضلا عن المطالبة والتهمتهم الأمم سواهم ، فقد تبين أن الترف من عوائق الملك والله يؤتى ملكه من يشاء اه

فهذا

فهذا هو تفسير قوله تعالى – إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها – وقوله تعالى – فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا – وبهذا تم الأمر الرابع من الامور الستة المذكورة

﴿ الأمر الخامس ﴾ فى أن الانسان وان قلد الحيوان فى صناعاته فان هناك من الأعمال ماعجز عن نظيره الانسان فيجب عليه أن يجد فيه

﴿ الأمر السادس ﴾ خطاب الأمم كلها شرقا وغربا ، وهذان الامران ستراهما فى آخر هذه السورة عند قوله تعالى – سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم – الخ

ولكن هنا أتم الكلام على نظام الأمم الاسلامية الذى ظهر فى التاريخ ونقلته عن ابن خلدون ، فماذا فعل الله تلقاء هذا ؟ علم الله قبل أن يرسل نبينا ﷺ أن أمم العرب والأمم التى معها ستقوم دولهم بالعصبية لأن استعداد أهل الأرض إذ ذاك لم يتجاوز هذا المقدار من الفضائل وعلم أنهم سيجوبون الأرض شرقا وغربا وانهم سينشرون الدين ثم تنطوى دولهم واحدة بعد الأخرى ، فماذا أعد لأهل الأرض ؟

﴿ أولا ﴾ أوحى الى رسوله ﷺ أن يخبرهم بأن فتوح البلدان سيكون فتوح شر وغاية الأمر انهم مسخرون وأخبرهم بأنه يخاف عليهم من ذلك الفتوح وأن البطنة والترف سيهلكهم ، فعل الله ذلك كله معهم

﴿ وثانيا ﴾ خلق أمما أخرى وأعدها لعمارة الأرض وأرسلهم من جزيرة هؤلاء فى الأرض ليعلموا الأمم لما علم بعلمه القديم أن فارس والروم قد قتلتهم البطنة ، هكذا هذه الأمم الاسلامية أعد لها أمما تحل محلهم اذا أضناهم الترف وأهلكهم النعيم كما أخبر الصادق ﷺ وماتلك الأمم التى أعدها الله لعمارة الأرض واستعمارها

﴿ الجوهرة الثانية ذكر بعض الممالك التى أعدها فاحتلت بلاد بعض المسلمين لما ذهبت دولهم ﴾

ذكرت لك أيها الذكى فيما تقدم هنا اجمال الكلام على ممالك الاسلام وانهم ذهبت دولهم دولة بعد أخرى من عرب وغيرهم وقلت لك انهم على وتيرة واحدة (حرص على الدنيا . ترف وشهوة . ظلم الرعية . ذل الرعية ذهاب الدولة) فها أناذا أذكر لك الممالك التى كان أعدها الله لتحتل بعض بلاد الاسلام وهذه الممالك التى سأذكرها لك امتازت بأنها لاتجعل الأحوال موقوفة على الملوك بل الشعب قائم بترقية نفسه بخلاف تلك الممالك فقد كان المدار غالبا عندهم على الملوك فان مالوا للعلم والاصلاح مالوا اليهما والافلا فكانت الشعوب تتبع المصادفات وهكذا لايتزوجون الأجانب لئلا يفسد النسل فتضيع الدولة وتذهب هباء منثورا ، وهكذا لايأمنون الأجانب فلايولونهم الوظائف العالية فى بلادهم بخلاف الأمم الاسلامية كالتركية ، فلأذكر لك دولة انكلترا وفرنسا الخ

﴿ دولة انكلترا ﴾

كانوا فى أول أمرهم كالوحوش ومساكنهم حقيرة يقيمونها تارة من الأعواد وأوراق الشجر وتارة من الطين وكان عملهم صيد الحيوانات بها يعيشون وحالهم كأجلاف العرب وكانوا يسجدون للصخور والحجارة وينابيع الماء وأول ظهور أمرهم كان قبل المسيح (سنة ٥٥ ق . م) على مايقول السيد أحمد ابن السيد زينى دحلان ثم لم يزل أمرهم يظهر ويقوى ولم يستقلوا إلا (سنة ٨٢٧ ب . م) وسنة ٢٤٣ ﻫ وكان دخولهم فى النصرانية قبل الهجرة بست وعشرين سنة وهم فيهم الكاثوليكية والبروتستانت والدهرية وهم مجتمعون من قبائل شتى ، وفيهم جماعة من (الكلتيين) ولهم جزيرتان منفصلتان (بريطانيا) و (ايرلنده) وصارت دولتهم عظيمة واستولوا على الهند سنة ١٧٥٧ م أى سنة ١١٧٢ ﻫ وتم استيلاؤهم على الهند سنة ١٨١٦ م أى سنة ١٢٠٨ هجرية وذلك بعد حروب كثيرة ، واستولوا على جبل طارق الذى فى المغرب سنة ١١١٦ ﻫ إذ انتزعوه من الأسبان فى ذلك التاريخ والاسبانيون قبل ذلك انتزعوه من المسلمين سنة ٨٦٧ ﻫ وهذا الجبل مفتاح البحر الأبيض المتوسط وهو مقابل للجزيرة الخضراء التى هى من بلاد الأندلس ويسمى جبل طارق وطارق هو طارق بن زياد مولى موسى بن نصير وموسى مولى عبد العزيز بن مروان الذى هو أخو عبد الملك

ابن مروان ووالد عمر بن عبد العزيز فسمى الجبل باسم طارق المذكور لأنه نزل بالمسلمين عنده لما قصد فتح الأندلس ولذلك يسمى (جبل الفتح) والعامة يسمونه (جبل الطار) وهكذا دخلوا مصر بعد ذلك

﴿ دولة الفرنسيس ﴾

أما دولة الفرنسيس فقد ابتدأ ملكهم (سنة ٤٢٠ ب ٠ م) قبل الهجرة بمدة (٢٦٢) ذلك ابتداء نظام ملكهم ، وقبل ذلك كان لهم ملوك لم ينتظم أمرهم ولم يكمل استقلالهم بل كانوا تارة يستقلون وتارة يحتلهم غيرهم ، ومبدأ أمرهم كان قبل الميلاد بخمسة قرون وكانت اليونان تحكمهم ولما غلب الرومان اليونان حكموهم فلم يكن ملكهم مستقلا وكانوا يعبدون الأصنام المصورة على صورة الكواكب فهى أشبه بديانة أهل الهند عباد الأوثان ثم دخلوا فى النصرانية (سنة ٤٩٦) وأوّل من دخل منهم فيها الملك (كاويس) وهم كاثوليكية و بعضهم على المذهب البروتستانى ، ومنهم من لايتدين بدين بل كثير منهم من ينكرون الصانع وقد حصل بينهم و بين الانجليز حروب دامت (١١٦) سنة من سنة ١٣٣٧ م أى سنة ٧٣٨ هـ والصلح كان سنة ١٤٥٣ م أى ٨٥٧ هـ وهذا يسمى حرب المائة سنة

واستولت الفرنسيس على الجزائر بأفريقية سنة ١٢٤٦ هـ وفى سنة ١٢٩٦ أدخلوا المماكم التونسية فى حمايتهم وقد استولوا على مراكش فى أيامنا هذه

﴿ دولة هولاندا و يقال لهم الفلمنك ﴾

هذه كانت تحت حكم اسبانيا ودار الحرب بين الدولتين مدّة ثمانين سنة واستقلوا سنة ٩٨٧ هـ وفى تلك السنين استولوا على بلاد جاوه وكان دخولهم النصرانية فى الزمن الذى دخل فيه غيرهم من أوروبا

﴿ دولة اسبانيا ﴾

كانت تابعة لدولة اليونان فالرومان ثم بعض ملوك أوروبا ثم استولى المسلمون على أكثر ممالكهم لما فتحوا الأندلس فكان الأندلس تحت يد اسبانيا الى (سنة ٩٢ هـ) فانتزعه المسلمون منهم و بقى معهم ملك ضعيف فى آخر الأندلس ووقعت بينهم حروب كثيرة ثم انتزعوا الأندلس من المسلمين شيأ فشيأ الى أواخر (سنة ٩٠٠ هـ) ثم أخرجوا من بقى من المسلمين بالأندلس فى (سنة ١٠١٠) واستقلوا بالملك ، وكانوا أوّلا يعبدون الأصنام ودخلوا فى النصرانية فى الزمن الذى دخل فيه غيره . انتهى من كتاب السيد أحمد ابن السيد زينى دحلان المترجم عن اللغات الافرنجية

هذه هى الدول التى أردت ذكرها هنا لأن هؤلاء أكثر من يحتلون اليوم بلاد الاسلام ذكرت دولهم ليعلم المسلمون أنهم لما جعلوا الممالك مغانم واقتتلوا على ذلك لأجل الترف والنعيم فى العصور المتأخرة أبعدهم الله عن الملك وأجلس غيرهم على عروشهم وذلك قوله تعالى ـ واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القول فدمرناها تدميرا ـ

﴿ استعمار الفرنجة لبلاد الاسلام وهل يدوم ؟ ﴾

اعلم أن الله عزّ وجل كما قدّمنا قد أعدّ الأمم العربية لفتح البلاد لما أصبحت الأمم القديمة لاتصلح لادارتها ولما فسدت الأجيال العربية والامم التى حلت محلها أعدّ أمما أخرى كالانجليز وكالفرنسيس ، ولكن هذه الأمم سلكت مسالك العرب فى القرون المتأخرة ، وانما أرسل هؤلاء فاحتلوا بلاد الاسلام ليوقظ فيهم روح الحمية ـ لعلهم يعقلون ـ والزمان سيستدير دورته ، وهاهى ذه الأمم الشرقية آخذة فى الرقى مجدّة لأخذ مكانتها تحت الشمس ـ وهم من بعد غلبهم سيغلبون ـ والله غالب على أمره ولكنّ أكثر الناس لايعلمون ـ

ولكن هنا أخاطب الأمم الاسلامية فأقول ، هاأنتم أولاء قرأتم تاريخ أسلافكم واطلعتم على ماحلّ بهم فى الشرق والغرب وظهر لكم هذه الخصال

﴿ الخصلة الأولى ﴾ إن الترف والتنعم هما المقصودان لكل من طلب الملك فى الأمم الاسلامية المتأخرة فى الأندلس وفى بلاد الشرق

﴿ الخصلة الثانية ﴾ إن هذا الترف والتنعم حملهم على ظلم الرعية كما فى آية ـ إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها ـ

﴿ الخصلة الثالثة ﴾ ان تلك الأمم المظلومة تذل بهذه الأعمال

﴿ الخصلة الرابعة ﴾ ان الأمم الظالمة تضعف قواها الجسمية والعقلية بسبب الغفلة والكسل والاتكال على عمل غيرهم

﴿ الخصلة الخامسة ﴾ ان هؤلاء المالكين ينقرضون أيضا

﴿ الخصلة السادسة ﴾ أن أمما أخرى تحل محلهم

﴿ الخصلة السابعة ﴾ ان هؤلاء يحصل لهم ماحصل للسابقين حذو النعل بالنعل

ونتيجة ذلك أن الأمم ماهى إلا كدود مخلوق فى جثة الميت وهذا الدود لمافنى جسمه يأكل بعضه بعضا حتى اذا بقيت فى آخر الأمر دودتان أكلت أقواهما أضعفهما ثم ماتت الآكلة بالجوع . هذا تاريخ الأمم المتأخرة الاسلامية

﴿ لطيفة فى هذه الأيام ﴾

فى هذه الأيام حصل أمر مهم لابد من ذكره فى التفسير لأنه يناسب هذا المقام لأن الله عز وجل قد أيد هذا التفسير تأييدا عظيما ، ذلك انه فى يوم ٢٤ ابريل سنة ١٨٢٩ دعانى الاستاذ أحمد زكى باشا لحفلة شاى جمعت علماء الشرق وعلماء الغرب ، فلأذكر ما دار فيها لأنه أكبر شاهد على ماوصل اليه جيلنا العربى من التضرّع للأمم وهذا نص الخطبة

أنتم تعلمون أيها السيدات والسادات انى أغتنم كل فرصة سانحة لأكون واسطة التعارف بين أكابر الافرنج وأفاضل العرب ولى فى ذلك مطمح بعيد المدى وهو أن يكون هذا التفاهم سببا فى خلق جوّ جديد من الصفاء والوفاء بين الشرق والغرب ، فهذه الغيوم التى نشكو من تواليها لابد لها من الانقشاع ، وتلك الارهاقات التى نعانيها من سياسة البطش والاستعمار لامناص لها من التبدد والزوال ، أما الامتيازات الأجنبية التى تجعل أكبر عزيز فى بلادنا مهانا فى عقرداره ومهضوم الحق بازاء الآفاق الطارئ عليه فقد انقضى زمانها ودالت دولتها فى كل البلاد (ماعدا مصر)

هذه الامتيازات هى العقبة الكبرى فى سبيل التفاهم بيننا و بين أوروبا لأنها أكبر سبة لكرامتنا القومية ولماضينا المجيد ، ولادواء لهذه العلل القاسية إلا عن طريق أهل الرأى المجرّدين عن الهوى وهم أفاضل الافرنج ذوو الأخلاق الطاهرة والضمائر الحية ، أولئك الذين لاتعميهم مصالحهم الشخصية فيصوّروننا بأشكال لاتنطبق على الواقع ولكنها ترجع بالفوائد المادّية عليهم وحدهم دون غيرهم ، هؤلاء المستشرقون والمستعربون هم القادرون على بث الدعوة بين قومهم ليحملوهم أخيرا و بعد تمادى الزمان على الاعتراف بأن العرب جديرون بأن يتبوّؤا مركزهم تحت الشمس لأنهم على الأقل مساوون لبعض الأمم العائشة فى النصف الشرقى من أوروبا

لقد كان من دواعى اغتباطى أن يجتمع فى هذه الفترة القصيرة سيدات من كرام العائلات الشرقية والافرنجية بجانب رجال من الطراز الأوّل على ضفاف البحر الأبيض المتوسط للتعاون على انشاء قنطرة أدبية فوق ذلك البحر المجيد لتسهيل التواصل والتعاون بيننا و بين أوروبا الرشيدة ، أتوجد فرصة لتحقيق هذا الغرض من التى أتاحها لى الزمان فى هذه الساعة ، ثم أخذ الاستاذ زكى باشا فى تقديم المحتفل بهم الى الحاضرين حسب ترتيب أسمائهم فى الحروف الهجائية فذكر أوّلا الاستاذ جيل بيهم فالاستاذ أنجلو جو يدى فالدكتور شخت فالسيد عبدالرحمن القصبى فالسيد العرفى فالمستركراين فالاستاذ ليتمان فالاستاذ مارجوليت فالاستاذ نايلنو فالاستاذ

يهودا ذاكرا عن كل منهم ما كان فيه الغناء والكفاء لتعريف الحاضرين بهم ، الى أن قال

ياسادة العرب . ويا أفاضل الافرنج ، مفروض عليكم أن تتضافروا على تحقيق الأماني الكبار التي يترمقها أبناء الشرق على العموم ويحنّ اليها العرب بنوع خاص

فياسادة العرب ، ويا أفاضل الافرنج ، مفروض عليكم أن تتضافروا لتحقيق هـذه الغاية بقلوب يعمرها الايمان بحقوق الانسانية على الانسان ، مفروض عليكم أن تتعاونوا هنا وفي ما وراء البحار على تهيئة الرأى العام في ديار أوروبا وأمريكا لادراك هذه الحقيقة التي نفعت الحلفاء في أيام الحرب والتي سيحتاجون اليها بلاشك كلما تجدد الخطب واشتدّ الكرب

مفروض عليكم أن تتواصلوا بالقول وبالعـمل الى تحقيق تلك الأمنية العالية الشريفة وهي المجاهدة في ديار أوروبا وأمريكا حتى يعرف أهلوهما بأن العرب جديرون بالرعاية والاحترام ، جديرون بالحرية الصحيحة جديرون بالاستقلال التام

ولى كل يوم موقف ومقالة * أنادى ليوث العرب ويحكموهبوا

ثم دعي للكلام حضرة أسعد لطفي بك رئيس نقابة موظفي الحكومة فألقى كلمة نوّه فيها بما للمستشرقين من الفضل في خدمة العلم واللغة العربية وختمها بالترحيب بهم وشكر الحاضرين على تلبية الدعوة ، وبعد ان انتهى أسعد بك من كلمته وقف الاستاذ (ليتمان) المستشرق الألماني فاستهلّ الكلام بقوله ﴿ نحن الغربيين متشكرون جدا لسعادة زكي باشا لهذه الحفلة التي جاءت فريدة في مجموعها ولوانها جاءت على الحركرك (كذا) ثم قال اننا ونحن في ألمانيا نقول ألمانيا فوق الجميع وأنتم أيها المصريون تقولون في وطنكم مصر فوق الجميع ولكن كلمتنا في هذا الاجتماع هي العلم والتفاهم بين الأمم الشرقية والغربية فوق الجميع ﴾

وبعد ذلك دعي للكلام الاستاذ (مارجليوث) المستشرق الانجليزي المشهور وهو في العقد الثامن من عمره فحيا الحاضرين وشكرهم على حفاوتهم واحتفائهم وخص بالشكر العلامة زكي باشا على هـذا الاجتماع الذي سيبقى ذكراه في الأفئدة طول العمر على مر السنين مستشهدا بأحد أبيات المتنبي اهـ وانما ذكرت هـذا لأنه اجتماع جمع من عظماء الشرق والغرب وكنا نحن أبناء العرب نطلب المساعدة من علمائهم في اخراجنا من ذل الاستعباد ، ذكرت هـذا ليعرف أبناؤنا بعدنا ذلك فيحترسوا

﴿ الذى أراه في اسعاد هذه الأمم الاسلامية في المستقبل ﴾

أيها المسلمون إياكم أن يزعجكم مانقلته عن ابن خلدون في قوله ﴿ ان الأمم العربية لاتتسلط إلا على البسائط وانها مادخلت أمة إلا أسرع اليها الفساد وانها خربت أمما وأمما كما تقـدم ﴾ فانه هو نفسه قال ﴿ ان ذلك ما حصل إلا بعد أن تناسوا الدين ورجعوا الى طبيعتهم ﴾ ثم ان الله مافعل ذلك إلا تحقيقا لوعده إذ قال ــ وتلك الأيام نداولها بين الناس ــ ثم هو سبحانه وعدنا خيرا فقال ــ ولاتكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون * اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون ــ اننا وصلنا الى أدنى مراتب الاسلام في قرون وقرون سواء أكنا عربا أم تركا ، فهذه الأمم كانت تجهل الدين جهلا تاما ، وهاهوذا وعد الله عزّ وجـل باحياء أممنا قد ظلّ ابانه وأقبلت أيامه

﴿ اجتماع الأمم بالعلم بعد الاجتماع بالعصبية ﴾

لقد تبين لكم من تاريخ الدول الاسـلامية من كلام ابن خلدون أن قوامها لم يكن إلا على العصبية فلا مهدى إلا بالعصبية ولاملك إلا بها ، وقد تقدّم أن العصبية تضمحل وتضعف بالترف والترف من نتائج الملك إذن الاجتماع بالعصبية والقرابة أمره زائل بالبرهان العملي . لقد وضح الصبح لذى عينين وجاء الحق وزهق الباطل ، إذن هذه القرون ذهبت ولم تفز الانسانية من الدين الاسلامي في سياستها بطائل ، ومامثل المدنية المقامة

على

على العصبية والنسب إلا كمثل العشق المبنى على جمال الظاهر فانه ذاهب متى قضى العاشقان شهوتهما وكسر سورة العشق والهيام بفتور الشهوة وعلى مقدار ضعفها يقل العشق ثم يزول بتاتا . فأما الحب المبنى على العلم فلا حد لدوامه ، فحب الشاب لفتاة لمجرد النظر الظاهر ليس كحب المتعلم للعالم الذى بهره بعلمه وسحره ببديع بيانه فيابعد مابينهما . ان الاجتماع الانسانى المبنى على الألفة أوالنسب أو المعاهدة أوالتغلب أونحو ذلك مما ذكره الفارابى ورجماتراه فى آخر تفسير السورة . كل هذا لاثبات له فان هؤلاء تنحل رابطتهم متى خنعوا للترف وخضعوا للذات فأولئك تذهب مدنيتهم هباء منثورا

﴿ الطريق الأقوم لسعادة الأمم الاسلامية المستقبلة ودوام ممالكها ﴾

انما السبيل لذلك أن تسعى كل أمة من الأمم الاسلامية حالا الى تعليم جميع أفراد الأمة رجالا ونساء وأن يتعاون جميع أهل العقل وذوى الوجاهة وأرباب الأموال فى تثقيف الشعب كله ، فاذا وقع كتابى هذا فى يد رجل ذى منزلة سامية فليفكر فيما أقول وليسمع حالا مع أمثاله وأصحابه وأهل الوجاهة وأرباب الأموال وليشمروا عن ساعد الجد وليعلموا الشعب كله وليفتحوا دور التعليم ولتكن هناك مدارس ليلية يتعلم فيها الفلاح والصانع مبادئ القراءة والكتابة ولتكن لهم مناهج بها يدرسون ماينفعهم فى صحة أبدانهم وطرق معاشهم ومعادهم وليعرفوا ماحولهم من الخيرات فى الأرض ، وسيكون منهم أفراد ممتازون خلقهم الله فى كل قطر فهؤلاء يتعلمون مايوافق عقولهم ويناسب أمزجتهم من العلوم والصناعات وهؤلاء يكونون عماد الأمة يقودون هؤلاء العامة فى أمور دينهم ودنياهم ، وقد قدمت أمثال هذا القول فى كثير من فصول هذا التفسير مثل ما ذكرته عند قوله تعالى ـ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ـ فى آخر البقرة ، وهذا واجب على كل أمة وقعت تحت الفرنجة ، أما المستقلون فأمرهم معلوم فهم جميعا قد استيقظوا والله معين لكل مجد

إن ما أكتبه الآن متى عرفه المسلمون لايقف فى طريقه مدفع ولانار . إن العلم أمر روحى والعقائد متى رسخت فلن يعيقها عائق ولن يصدها صاد بل تأخذ مجراها وتنتهى الى نهاياتها ، فاذا قرأ المسلمون علوم الأمم المحيطة بهم وأشرب حبها قلوبهم فهنالك يظهر جيل جديد مغرم بجمال الله ، مغرم بارتقاء الانسانية ، مغرم بالسلام العام ، عالم ما يقوله فى صلاته ـ الحمد لله رب العالمين ـ لارب المسلمين وحدهم ، واذا كان الله مربى العالمين فلنكن متخلقين بأخلاقه ولنطلب منه أن يهدينا الصراط المستقيم والصراط المستقيم هو صراط الله الذى عرفناه فى السموات والأرض من القيام بالقسط والعدل والنظام والاحكام العام لا الخاص وحينئذ يكون كبار الأمم مشوقين لأن يقلدوا النظام العام فهم كحملة العرش أوكالملائكة الذين يقومون بنظام هذه العوالم كلها وهذه الحال هى الأنسب لما نرى من جمال الكواكب ولما نرى من عموم أنوارها وهذا كله فعل الله الذى نطلب منه الهداية لصراطه . إن المسلم خاق لحياة أعلى من حياة هذه الأمم ومتى قرأ الناس هذا التفسير وأمثاله أشرأبوا الى هذه الحياة وعملوا لها ولن يقف الاصلاح بعد ذلك لأن العشق العام فى الأرض للنجوم وللعوالم وللأنوار وللكشف الحديث ولاستخراج مافى الأرض والهواء من النعم الإلهية يزداد جيلا فجيلا ، ثم ان هذه الحال لايخاف زوالها لأن زوالها سببه الترف والنعيم ، والترف والنعيم انما يكون عند القوم الذين جمعتهم العصبية كالممالك الاسلامية بعد العصور الأولى ، والترف مهلك ولكن الأمم الذين يعرفون هذه العلوم ويدركون هذا الجمال وتكون لهم حكومات انتخابية يصطفون فيها أرقاهم عقولا وأذكاهم وأصلحهم يدبرون أمورهم مع عموم التعليم وانتشاره وعموم الحركة العلمية والصناعية مع سن قانون يحرم البطالة والاستجداء من الناس لايخاف عليهم ما كانت تخافه الأمم السابقة فأين الترف والنعيم والبطالة والكسل والاتكال على مايجبى من الناس بالعسف والظلم فلاظلم اليوم ولااغتصاب للأموال بل هو نظام ثابت وكل مغرم بعلمه أو بصناعته قائم بواجبه هنالك يكون العدل والحب والحق والسعادة اهـ

﴿ عبرة تاريخية فى آية ـ إن الملوك اذا دخلوا قرية ـ الخ ﴾

اعلم أيها الذكى أن هذا النوع الانسانى لايزال فى مبدأ تطوره انه أشبه بالأطفال أو المراهقين الذين يختصمون ويتقاتلون ويرجم بعضهم بعضا بالحجارة وهم أبدا فى هرج ومرج ، هذا هو نوع الانسان ، ذلك النوع الذى امتلأت نفوسه بالبر والاحسان والرحمة ثم غطى ذلك كله الشهوات واللذات فاستحلى ما كان مرا ، واستحسن ما كان قبيحا ، فترى طائفة منه يجتمعون ليدبروا الحيل لأخذ أموال الناس فى ظلام الليل البهيم وهم اللصوص وآخرون يتربصون فى طريق السابلة فيقفون فى القفار والأودية بعيدا عن العمران وهم بمنجاة من القانون والشرطة ويعبثون بالمارة قتلا وسرقة ونهبا ، وقد تكون تلك الفئة أكبر وأكبر حتى تكون جيوشا جرارة يقودها ملك كما اتفق للسلطان سليم ، ذلك الرجل المسلم الذى قرأ كتاب الله عز وجل ، فهذا الملك لم يحجزه الدين ولا العقل عن إذلال بعض الأمم الاسلامية وهم فى ديارهم آمنون . إن هذا الانسان لاتزال طباعه وحشية ونفوس كثير منه سبعية لايحترمون الانسانية العامة ولا الاخوة الآدمية ولا الاخوة الدينية الخاصة

لقد رأينا ملوك أوروبا قد أجمعوا كيدهم وأتوا صفا لمحاربة المسلمين فى دارهم أيام صلاح الدين الأيوبى وأشد من هؤلاء همجية وأكثرهم وحشية من يفتكون بأمة ويميتون آلافا من الناس وهم على دينهم وهم شرقيون مثلهم بلا إثم ارتكبوه ولا ذنب جنوه إلا انهم أحياء مسلمون ، ذلك هو السلطان سليم سلطان الأمة التركية وهو من بنى عثمان فقد انقض على مصر سنة ١٥١٧ أفرنكية والبلاد كانت بلادا صناعية زراعية وكان لها أسطول قوى يحمى تجارتها بينها وبين الهند وهكذا بينها وبين اوروبا ، فهؤلاء الترك لما دخلوها شنقوا سلطانها (طومان باى) بمصر بعد ماقتلوا السلطان الغورى ببلاد الشام وشتتوا شمل المصريين وأخذوا أعظم العمال فى البلاد وهم ألف صانع وحملوهم الى الاستانة وفصلوا مابين مصر وأوروبا والهند فأصبحت البلاد زراعية واستحالت ضعيفة بعد أن كانت قوية وماتت الصناعة فيها ولحقها البوار وحل بها الكساد وصار الناس ﴿ طبقتين اثنتين ﴾ طبقة الفلاحين للعمل وطبقة الموظفين للعظمة والمال والجاه . أما طبقة الصناع فهى ليست ذات بال ، ولقد سرت الروح الزراعية فى البلاد وأهملت الصناعة واستولى الحكام على أهم موارد البلاد وهم ظالمون ، وسرى ذلك الداء فى الأمة أربعمائة سنة ، ولازال لهذا الخلق بقية باقية فى البلاد الى وقتنا هذا ، كل ذلك من همجية الانسان الأولى وقسوته وطغيانه ، فهذا ملك مسلم لم يمنعه دينه من تغيير طباع أمة قد خلقنا الله فيها فى هذا الزمان وأرادت أن تجارى الأمم ولكنها بطيئة التقدم بما ورثت من صفات وضعها فى أبناء بلادى السلطان سليم الذى أعظم أمر الحكام فلهم السطوة والثروة وسواهم لاهو فى العير ولا فى النفير . وامتد هذا الخلق فى أهل بلادى فى عصرنا الحاضر إذ استقلت البلاد استقلالا اسميا ومع ذلك بقى هذا الخلق فى أهلها فمنعهم من التخلص من قيود الاحتلال . مثلا نجد رئيس حكومة ايطاليا (ماسولينى) راتبه (٣٠) جنيها شهريا . وهذا مثل ضربته لنظرائه فى أوروبا ولكن مصرفيها اليوم أى سنة ١٩٢٨ م نحو (٦٠) وزيرا يتناول كل منهم معاشا قدره (١٥٠٠) جنيها فى العام وابتلعت الوظائف مالية حكومة البلاد فصارت تقرب من نصفها وهذا سبب الخلق الذى ورثناه من سلاطين آل عثمان لما حكموا البلاد

وكما أثر سلاطين آل عثمان فى أخلاق أمتنا المصرية أثروا فى قوتها العلمية فان الفاطميين أسسوا الأزهر وعلموا فيه مذاهبهم (٢٠٠) سنة أى مدة بقاء دولتهم بمصر . وفى نظير الأزهر أسس (نظام الملك) المدرسة النظامية فى بغداد لتعليم الدين الاسلامى على مذهب أهل السنة ليقاوم التعليم الشيعى فى مصر لاسيما ما كان منه فى (دار الحكمة) أو (دار العلوم) التى أسسها الحاكم بأمر الله بمصر . ولما تغلب صلاح الدين الأيوبى على الفاطميين (سنة ٥٦٧ هـ) أبدل تعليم المذاهب الأربعة بتعاليم الشيعة فى الأزهر ودعا للخليفة العباسى وأدخلت فيه العلوم الرياضية والنجوم وغيرها وحج اليها الطلاب أفواجا من أقاصى البلدان . ولما زالت الدولة الأيوبية ودخلت

مصر فى حكم المماليك أولا ثم فى حكم الأتراك أخيرا انحط شأن اللغة العربية والعلوم وكان آخر انحطاط وتدهور لها فى القرن الثامن عشر المسيحى ، ثم أخذت تسترد البلاد بعض مكانتها أيام محمد على باشا ، ولازالت فى ارتفاع وانخفاض للآن تمشى ببطء وتتعثر فى أذيال الخجل بين الأمم وهذا زمان نهوض الأمم جماء فلابد من نهوض هذه البلاد ، وإنما ضربت هذا المثل وهومثل المصريين مع الترك لأبين لك بكل جلاء ووضوح كيف يكون إفساد الملوك اذا دخلوا قرية ، وكيف يجعلون أعزة أهلها أذلة ، فالافساد فى مصر شمل القوة العقلية والقوة الصناعية وقوة العفة ، فعلم الرياضيات ونحوها والطب وأمثالها أفنيت من الأزهرالشريف وهكذا الصناعات وهكذا ماتت العزة القعساء والهمة الشماء وهى العفة والتبرى من الترف فان الترف مادخل أمة إلا أفسدها فكثر فى مصر الحكام المترفون المنغمسون فى اللذات واستمر ذلك الخلق حتى لصق ببعض أهل بلادى الآن * والدليل على ذلك مرتب الوزراء الضخم المتقدم ذكره ، قال تعالى اليوم ـ أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الأرض بغير الحق و بما كنتم تفسقون ـ

فعلى الأذكياء قراء هذا التفسير أن يكونوا قادة للأمم الاسلامية وليعلموا أهل البلاد صغيرا وكبيرا بالتدريج وليجدّوا فى إفهام الشعب هذه المعانى وليمرنوهم على الصناعات والعلوم وليمنعوهم من الترف والنعيم كما كان الترك قبل انقلابهم الأخير إذ اختصوا بالحرب والعظمة على الناس فانغمسوا فى الترف على طول الزمان لتملكهم رقاب الأمم واستنزافهم أموالهم ـ إن الانسان لظلوم كفار ـ

إن المسلمين فى المستقبل غيرهم بالأمس ـ والله يعلم وأنتم لاتعلمون ـ والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لايعلمون ـ

﴿ اللطيفة الثالثة فى نقل عرش بلقيس ونحوه ﴾

لأنقل لك من ﴿ كتاب الأرواح ﴾ شذرة تناسب هذا المقام ، قد جاء فى صفحة ٥٥ مانصه

والبك الآن شرح كيفية مخابرة الموائد وفقا لتعليم الأرواح ذاتها المنقول فى ﴿ كتاب الوسطاء ﴾ للعلم الفيلسوف (الآن كاردك) وهاهوذا

(س) هل السيال العام عنصر الأشياء كلها ؟

(ج) نعم كل مافى الكون مركب من العنصر الأصلى

(س) هل من مناسبة بينه و بين السائل الكهربائى ؟

(ج) إن الثانى مركب من الأول

(س) فى أى حالة يظهر السيال العام على بساطته الأصلية ؟

(ج) لا تظهر بساطته الأصلية إلا فى الأرواح النقية ، أما فى عالمكم فهومتقلب أبدا متغير تتركب منه المادة الكثيفة المحيطة بكم ، انما السائل الذى يقرب منه بالأكثر فى أرضكم هو السائل المغناطيسى الحيوانى

(س) كيف يتمكن الروح من تحريك الجماد ؟

(ج) يمزج جزأ من السيال العام بالمائع الحيوى المنبعث من أعصاب الوسيط

(س) هل تنهض الأرواح المائدة بأيديها الجسمة على نوع القول ؟

(ج) بل عند مايريد الروح أن يحرك مائدة يحييها حياة اصطناعية بواسطة السيال العام والسائل المنبعث من الوسيط و بعد ذلك يجتذبها ويحركها بقوة مابه من السائل الخصوصى المنبعث منه بفعل الارادة وعند ما يكون الجرم الذى قصد تحريكه ثقيلا جدا يستعين بأرواح أخرى تأتى لمساعدته

(س) هل الأرواح التى تأتى لمساعدته أدنى منه وتحت أمره ؟

(ج) الغالب هى أرواح مقارنة له

(س) هل لكل الأرواح كفاءة على إتيان تلك الأعمال ؟

(ج) لاتأتى هذه الأعمال إلا أرواح سفلية لم تتجرد بعد من المؤثرات المادية

(س) لسنا نجهل أن الأرواح العلوية لاتتنازل لعمل مالايليق بها فقط نسأل عما اذا كان لهذه الأرواح المجردة عن الماديات مقدرة على انشاء هذا العمل اذا أرادت

(ج) لها القوة الأدبية كما لغيرها القوة الطبيعية فاذا افتقرت الى هذه تستخدم من يملكها كما تستخدمون أنتم العتالين لرفع الأثقال

(س) يظهر من قولك أن العنصر الحيوى مستقر فى السيال العام وبما أن الجسم الروحانى مركب من هذا السيال فبدونه لايستطيع الروح أن يأتى عملا فى المادة الهيولية

(ج) نعم وهو يحيى المادة الجمادية بنوع ما حياة اصطناعية فتطيعه منقادة لاشارته ، فالروح إذن لايحرك المائدة أو يرفعها بقوة ذراعه بل المائدة الحية تتحرك من نفسها لاشارته

(س) فما دخل الوسيط فى هذا الحادث

(ج) قد قلت لكم إن المائع الحيوى الذى لايملكه إلا الروح المتجسد أى الوسيط يستعيره الروح الذى لم يتجسد ويمسكه بمقدار من السيال العام وبهذا المزيج يحيى المائدة وهذه الحياة مؤقتة تتلاشى مع العمل وأحيانا قبل نهايته ان كان السائل المنبعث من الوسيط ضعيفا

(س) هل يستطيع الروح أن يعمل بمعزل عن الوسيط ؟

(ج) كلا . فقط يعمل أحيانا من غير علم أى ان من الناس من ينبعث منهم هذا السائل الحيوانى من غير علم منهم فيستعيره الروح ويحدث تلك الأعمال البديهية من دون وجود وسيط ظاهر يساعده على عمله

(س) هل المائدة التى أحياها الروح تعقل ماتفعل

(ج) لاعقل لها أكثر مما للعصا التى تشيرون بها لأن مابها من الحياة الصناعية تجعلها فقط منقادة لحركات الروح فلاتتوهموا أن الطاولة المتحركة روح لأنه ليس لها من ذاتها فكر ولاارادة

(س) ما العلة المتغلبة فى الحوادث الروحانية ، أهى الروح أم السوائل ؟

(ج) الروح هى العلة والسوائل هى الواسطة الآلية ووجود كليهما ضرورى

(س) ما وظيفة ارادة الوسيط فى هذه الحوادث

(ج) وظيفته احضار الأرواح ومساعدتها على تنفيذ السوائل

(س) هل فعل الارادة ضرورى بوجه الاطلاق ؟

(ج) انها تساعد على العمل وتزيده قوة ولكن ضرورتها ليست بمطلقة لأن الحوادث تتم أحيانا رغما من هذه الارادة حتى بدون علمها ، وهذه برهان على كون علة الحوادث ليست فى الوسيط

(س) لماذا ليس لكل الناس هذه الخاصية

(ج) لاختلاف الامزجة وللصعوبة التى يلقاها الروح فى تركيب السوائل فبعض الوسطاء لاينبعث منهم المائع الحيوى إلا بفعل الارادة وغيرهم يتدفق منهم بسهولة طبيعية فيستعيره الروح ويعمل فيه بدون علم منهم ، لهذا ليس لكل الوسطاء قوات متساوية

(س) أيستقر الروح الفاعل بالمادة داخلها أم خارجا عنها

(ج) يعمل فى كلا الحالتين لأن الروح ينفذ فى الجماد ولايعوقه عائق عن الدخول فى أحصن الاماكن والنفوذ فى أكثف المواد

(س) كيف يعمل الروح عند طرقه الموائد

(ج) مطرقته السائل الممتزج الذى يستعمله فى التحريك وفى الطرق فعند مايحركها ينقل اليكم النور مرآى تحريكها وعند مايطرقها ينقل اليكم الهواء صوت طرقتها

(س) لايصعب علينا ادراك ذلك عند مايطرق الروح الجماد ، ولكن كيف يستطيع أن يسمعنا أصواتا وألفاظا مركبة

(ج) بما أنه يعمل فى الجماد لايعسر عليه العمل فى الهواء أيضا ، وأما الألفاظ المركبة فيقلدها كما يقلد باقى الأصوات

(س) تقولان الروح لايستعمل يديه فى تحريك الموائد مع انه قد شوهد فى جملة حوادث نظارية ظهور أصابع تمرّ على ملامس الارغن لضرب الألحان ، أليس ههنا حركة الملامس متأتية عن ضغط الأصابع لها

(ج) يتعذر عليكم بعد ادراك طبيعة الأرواح وكيفية فعلها إلا بأمثلة متقاربة لاتملأ أذهانكم فلاتتصوروا طرائق أعمالها مشابهة لطرائقكم ، أما قلت لكم ان فعل الروح مناسب لطبيعته وأن سوائل الجسم الروحانى تنفذ فى المادّة وتحييها حياة صناعية ، فعند مايضع الروح أصابعه على دساتين الارغن يضعها حقا بل يحركها ولكن ليست القوة العضلية هى التى تضغط على الملامس بل الملامس التى يحييها كما يحيى المائدة تتحرك من نفسها بفعل ارادته وتحدث الصوت ، وقد يحدث أمر يصعب عليكم فهمه وهو أن بعض الأرواح السفلية المتأخرة لا يزال غرور الحياة متركبا عليها فتظن بنفسها انها تعمل كما لو كان لها جسم مادّى فلاتدرى بعلة ما تأتيه من الأعمال كما لايدرى الفلاح بأصول الألفاظ التى يركبها ، فاذا سئلت هذه الأرواح كيف تضرب على الارغن أجابت انها تضرب بأصابعها لجهلها بالعلة الحقيقية فيحدث الفعل فيها غريزيا دون أن تدرى بأصوله وهكذا قل عن الألفاظ التى تسمعها

(س) يظهر فى بعض الحوادث الروحانية ماهو مناف لكل النواميس الطبيعية المعروفة . أفلايجوز الاشتباه فى صحتها ؟

(ج) السبب فى ذلك بعد الانسان عن معرفة كل النواميس الطبيعية فلوعرفها كلها لأصبح روحا علويا ففى كل يوم تظهر اكتشافات جديدة تكذب من ظن بنفسه انه قد بلغ منتهى المعرفة ولم يبق شئ خافيا عليه ، فبهذه الاكتشافات المستجدة ينبه الله الانسان انه لايثق بأنوار علومه إذ سيأتى يوم فيه يعود علم العلماء خزيا لهم . ألاترون يوميا أجراما تتغلب حركتها على قوة الجاذبية كقلة المدفع المقذوفة فى الهواء والمنطاد المتطاير فى الفلاة كفاكم تكبرا يابنى البشر . الأحرى بكم أن تقرّوا بضعفكم وعجزكم عن ادراك كل شئ

قال شيرمحمد لما سمع هذا القول . هذا رجوع الى ماقيل فى القرون الأولى والأعصر المظلمة من أن الأرواح لها قدرة على رفع الأثقال وعظائم الأعمال بأسباب يزعم القوم انها طبيعية . قلت نعم ولاعار على العلم اذا كشف اليوم ما أنكره أمس وهذا ياشير محمد رجوع منك الى مبدأ الترفع والاستكبار عن القول بصحة ماقيل فى الأعصر الغابرة ولكن علينا أن نخضع للعلم وندع الكبرياء فالدليل واضح والصدق راجح

وليس يصح فى الأذهان شئ * اذا احتاج النهار الى دليل

قال إذن هات القصة الثالثة عسى أن تكون أوفى حجة وأهدى سبيلا وأقوم قيلا وأرجح بيانا وأقوى تبيانا وأعز مراما وأرفع مقاما . قلت روى العلامة (والاس) الانجليزى فى صفحة ٧٢ من الكتاب المذكور مانصه بالحرف الواحد

﴿ أعجب مارأيت من وساطة الآنسة (نيشول) ايجادها زهورا وفواكه داخل غرفة محكمة الغلق ففى أوّل مرة بدا على يدها هذا الحادث كانت فى منزلى بصحبة بعض من أخصائى فبعد أن تناولنا الشاى لأننا كنا فى فصل الشتاء دخلنا حجرة صغيرة مغلقة باحكام وماقعدنا برهة من الزمان حتى لاح على المائدة التى جلسنا

حولها كمية وافرة من الزهور منها شقائق النعمان والخزامى والاقحوان الأصفر وخلافها من الزهور الربيعية وكل أوراقها غضة ناضرة مكللة بالندى الرطب فيبستها كلها وحفظتها باعتناء بعد أن علقت عليها شهادة ممضاة من الحضور . وحوادث كهذه تكررت أمامى مئات من المرار وفى محلات شتى وظروف مختلفة ، فتارة جاءتنا الزهور بكميات وافرة وطورا مصحوبة ببعض ثمار يطلبها الحضور . وفى إحدى الجلسات طلب صديق لى الى الروح إحضار دوار الشمس فما مضى هنيهة حتى رأينا انه انحطت على المائدة هذه الزهرة وعلوّها ستة أقدام وجرثومتها مكسوة بكومة من التراب . وفى جلسة أخرى حضرها المسيو أواف ترولوب والكولونل هارفى وقد قصد هؤلاء الأشراف قبل اقامة الجلسة أن ينبشوا الغرفة جيدا فى كل أنحائها وأوعزوا الى مدام ترولوب بأن تفحص جيدا كل قطعة من ثياب الآنسة (نيشول) ثم جلسنا حول المائدة والمسيو ترولوب قابض على يد الوسيطة و بعد مضى عشر دقائق استنشقنا جميعا اريج زهور فأوقدنا حالا الشمعة فوجدنا أذرع المسيو ترولوب والآنسة نيشول مكسوة بزهر النسرين اه

وأغرب المنقولات التى تحدثت بها مؤخرا المجلات الروحانية منقولات الزهور على يد الوسيطة (حذروت) ومنقولات الآثار القديمة والنباتات حتى الأسماك و بعض الطيور الحية على يد الوسيط الشهير بايلى . وقد شهد هذه الغرائب كثير من مشهورى العلماء فى استراليا وايطاليا وألمانيا وخلافها من الممالك الاوروبية التى تجول فيها الوسيطان المذكوران * روى المعلم الفيلسوف (الآن كاردك) فى «كتاب الوسطاء» حادثا نقليا شاهده عيانا والأسئلة التى طرحها على الروح الذى أتمّ الحادث والملاحظات الأصولية التى علقها روح علوى على أجوبته كما يأتى

(س) نرغب اليك فى أن تفيدنا لم لاتقوى الروح على احضار المنقول إلا عند إلقاء الوسيط فى السبات المغناطيسى

(ج) السبب فى ذلك طبيعة الوسيط ومزاجه فما أستطيع عمله مع هذا وهو نائم أستطيع انشاءه مع آخر وهو يقظان

(س) لم تتأخر طويلا فى إحضار المنقول وتهيج بشدّة رغبة الوسيط فى ذلك

(ج) إطالة الوقت ضرورية لى لمزج السوائل ، أما تهييجى لرغبة الوسيط فمن باب التسلية والمزاح

(ملاحظة الروح العلوى) لم يصب فى جوابه ولاأدرك غاية تهييجه لرغبة الوسيط فظنها بابا من التسلية مع ان مفهومها إثارة رشح السائل الحيوى بزيادة وهذا ناتج عن الصعوبة التى يلقاها الروح فى هذا الحادث عند مالاتكون وساطة الوسيط بديهية

(س) هل للحضور تأثير فى انفاذ عملك

(ج) إن انكار الحضور ومقاومتهم تربكنا فى العمل جدا فلهذا نؤثر بسط مالدينا أمام ناس مؤمنين خبراء باصول الروحانية

(س) من أين أحضرت الزهور والحلاوى

(ج) قطفت الزهور من البساتين

(س) ومن أين أخذت الحلاوى ، أما درى البائع بنقصانها

(ج) إنى آخذ الحلاوى من حيث أشاء ولايتضرّر البائع بذلك لأنى أضع له بدلها

(س) والخواتم التى أحضرتها أليست بذات قيمة فكيف لايتضرر صاحبها بخسارتها

(ج) أخذتها من محل لايعرفه أحد بنوع الايحصل لأحد ضرر من ذلك

(ملاحظة الروح العلوى) ليس الجواب بمستوفى الشروط والروح يحاول فيه اقناعكم باستقامته وعدم تضرر أحد بسرقته والحال أن الشئ لايعوض إلا بمثله وذى قيمة واحدة فلو أمكن للروح ابدال الشئ بنظيره ما

احتاج

احتاج الى أخذ الأوّل بل استعمل الشئ الثانى مكانه

(س) هل تقوى على احضار زهور من كوكب آخر (ج) كلا . هذا مستحيل

(ملاحظة الروح العلوى) أجاب بالصواب وذلك لاختلاف السوائل المحيطة بكل من الكوكبين

(س) هل تستطيع إحضار زهور من خط الاستواء

(ج) أستطيع نقل الشئ من أىّ بقعة من الأرض كانت

(س) هل تستطيع ردّ الأشياء التى أحضرتها وارجاعها الى مكانها

(ج) كما استطعت إحضارها هكذا أستطيع إرجاعها

(س) هل تشعر بتعب فى انشاء العمل

(ج) لا يكافئنى العمل تعبا طالما أنا مأذون فيه انما نلقى العناء الشديد فى أعمال لا يؤذن لنا فيها

(ملاحظة الروح العلوى) لايشاء أن يقرّ بما يعانيه من التعب الجسيم من عمل كهذا مادّى على نوع القول

(س) ما الصعوبات التى تلقاها (ج) أخصها سوء السوائل وعدم ملاءمتها لعملنا

(س) كيف تحضر المنقول ؟ هل تمسكه بيدك (ج) كلا بل أخفيه فىّ

(ملاحظة الروح العلوى) بل هـذا غلط لأن الروح لايخفى المنقول فى شخصيته بل يمزج شيأ من سائل جسمه الروحانى الشديد التمدد والانبساط بجزء من السائل الحيوى المنبعث من الوسيط ، و بهـذا المزيج يستر المنقول و يحمله

(س) هل يعسر عليك إحضار شئ ثقيل الوزن

(ج) لافرق لوزن المنقول عندنا وانما نؤثر جلب الزهور لطيبها ولطافتها

(ملاحظة الروح العلوى) هـذا صحيح فانه يستطيع إحضار ماوزنه مائة ومائتا كيلو دون أن يرتبك بهذا الثقل ، فقط بما أن كمية السائل الممزوجة يجب أن تكون مناسبة لجسم المنقول ﴿ و بعبارة أخرى ﴾ بما أن القوّة هى بموازنة المدافعة ينتج أن الروح لايحضر زهورا أوأشياء خفيفة إلا لعدم وجوده فى الوسيط أوفى نفسه المائع الضرورى لنقل ماهوأثقل منها

(س) هل يتوقع أحيانا اختفاء أشياء سببها الأرواح

(ج) نعم قد يتوقع ذلك ويمكن استرجاع الشئ بالتوسل الى الروح فى ردّ ما أخذه

(ملاحظة الروح العلوى) هذا صحيح وقلما يردّ الروح ماأخذه ولكن بما أن فعلا كهذا يستدعى ظروف النقل ذاتها فينتج أن وقوعه نادر جدا وضياع الشئ يتأتى عن طيشكم لاعن فعل الأرواح

(س) أليس من المنقولات مايصوغها الروح من نفسه بما يأتيه من التغييرات فى السيال العام

(ج) أنا لا أستطيع ذلك ولكن روح أرفع منى لا يعجز عنه

(س) كيف أدخلت هذه الأشياء الغرفة وهى محكمة السدّ

(ج) أدخلتها معى وأنا محتضن لها بجوهرى ولا أستطيع أن أشرح أكثر من ذلك

فلما أن سمع ذلك شير محمد رأيته استبشر وفرح وابتهج وانشرح وقال ياسيدى إن مثلى أنا وطلاب العلم فى هذا المقام كمثل صبية صغار مات عائلهم وهم لاسند عندهم ولالبد ولاحول بيدهم ولاقوّة ، يفترشون الثرى على الجبوب و يلتحفون السماء بعـد الغروب فقال لهم قائل أيها الصبية المعدمون واليتامى المملقون هل جاءكم نبأ عما تملكون من القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوّمة والأنعام والحرث مما تركه أبوكم فى قرية تبعد عنكم بأميال وأنتم لاتعلمون فقالوا مالنا بهذا من علم انما نحن صعاليك محقورون وصغار منهوكون ، وفقراء محرومون ، وأذلة معدمون . ولـكن هذا الكلام قد ترك أثرا فى أفئدتهم ، ومزج

الفرح بترحهم ، فأنشأوا يتساءلون ويسألون الركبان ، من كل غاد ورائح ، عن هـذا النبأ العظيم ، وهم بين تصـديق وتكذيب وتقريب وتبعيد ورجاء ويأس وأمل وقنوط حتى اذا جاء من بيده الحل والعقد وقال هلموا يا أبنائى فانظروا ، هـذه أرضكم وخيلكم وأنعامكم ، فقرّوا عينا ، وانشرحوا صدرا ، وطيبوا نفسا ، واصبروا قليلا لنبلوكم حتى تبلغوا سن الحلم فان آنسنا منكم رشدا دفعنا اليكم أموالكم وعسى أن تعرفوا قيمها وتقوموا بحقها ولا تتهاونوا فى حفظها وعسى أن تكونوا من المفلحين

ذلك يأستاذى مثلنا وقد عشنا فى الدنيا جاهلين وقرأنا كتب المرسلين فسمعناهم حدثونا بحديث البقاء بعد الموت وذكروا عوالم ملأ السهل والجبل والبر والبحر تكتنفنا أنى توجهنا وتعيش معنا أنى عشنا وتلقى الينا علما وتدلى الينا بحكمة وأن منها من ترفع الأثقال من مكان الى مكان . أوليس من العجب أن حديث بلقيس وسيدنا سليمان فى هذه السورة له اتصال بهذا الحديث . ومن ذا الذى كان يدور بخلده أو يخطر بقلبه أو يهجس له أن العلم يكشف لنا جواز نقل عرش بلقيس من اليمن الى الشام قال تعالى ـ قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإنى عليه لقوى أمين * قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربى غنى كريم ـ الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ـ بعد أن كانت تلك القصص مما نسمعه ونؤمن به لفظا ولا نعـقل له معنى . اتضح الأمر وظهر وتجلى للعيان وعلمنا أن ذكر مثـل هذه القصص لاستيقاظ الأمم بعلم الأرواح ليرقوا شعوبهـم وأن البحث فى تلك الأحاديث من أقوى أسباب ارتقاء العقول وارتفاع الأمم ليكون الشك سببا للبحث والبحث مقدمة الوصول وانظر كيف يقول الله تعالى ـ ليبلونى أأشكر أم أكفر ـ ولاجرم أن غرائب عالم الأرواح نعمة علمية ، فمن الناس من يستمسك بها ومنهم من لايبالى ويقول لاخـير فيما لاطعام فيه ولا لباس ولالذة ولا جاه ، فمالنا وما للأرواح والآخرة والأولى ـ إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ومايهلكنا إلا الدهر ومالهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون ـ

ثم قال شيرمحمد ، ياسيدى سيقول السفهاء من الناس هل كان ـ الذى عنده علم من الكتاب ـ محضرا للأرواح . قلت ان قال قائل هـذا فقل له ذلك لاعلم لنا به وهذا مقام لانصل اليه وانما مقامنا أن الكشف الحديث أظهر وجود مخلوقات حية عاقلة روحية تصديقا للقرآن لها قدرة على حمل الأثقال ، فهذا مانرمى اليه ليثق من لايؤمن بالقرآن أن ذلك حق ، فأما ماعدا ذلك فمالى به يدان ولست أدخل فى هـذا الميدان مع من لايعقل البرهان . فقال حسن . انتهى مانقلته من كتابى ﴿ الأرواح ﴾ وبهذا تم الكلام على القسم الثانى من السورة والحمد لله رب العالمين

(القِسْمُ الثَّالِثُ)

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ * قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ * وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ * قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ * وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ *

فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ * فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ * أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ * فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

قال تعالى (ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله) بأن اعبدوه (فاذا هم فريقان يختصمون) مؤمن وكافر يختصمون فى الدين (قال ياقوم لم تستعجلون بالسيئة) بالبلاء والعقوبة (قبل الحسنة) العافية والرحمة (لولا) هلا (تستغفرون الله) بالتوبة اليه من كفركم ومعاصيكم (لعلكم ترحمون) لاتعذبون فى الدنيا (قالوا اطيرنا) تشاءمنا (بك وبمن معك) إذ تتابعت علينا الشدائد فتفرقت كلمتنا وحبس القطر عنا وذلك بشؤمك وشؤم من معك (قال طائركم عند الله) أى مايصيبكم من الخير والشر مكتوب عنده ، وسمى طائرا لأنه لاشئ أسرع من نزول القضاء المحتوم ، ويقال ﴿ طائركم عملكم لسرعة صعوده ﴾ وقوله (بل أنتم قوم تفتنون) تختبرون بتعاقب السراء والضراء وهذا اضراب عن بيان طائرهم وهو مبدأ ماينزل بهم من الشر الى ذكر سببه (وكان فى المدينة تسعة رهط) تسعة أنفس وهو من الثلاثة الى العشرة والنفر من ثلاثة الى تسعة (يفسدون فى الأرض ولايصلحون) شأنهم الافساد الخالص عن شوب الصلاح (قالوا) قال بعضهم لبعض (تقاسموا بالله) أى أحلفوا به (لنبيتنه وأهله) لنباغتن صالحا وأهله ليلا (ثم لنقولن لوليه) لولى دمه (ما شهدنا) ماحضرنا (مهلك أهله) أى قتل صالح وأهله فما ندرى من قتله ولامن قتل أهله (وإنا لصادقون) ونحلف إنا لصادقون (ومكروا مكرا) غدروا غدرا حين قصدوا قتل صالح ومن آمن معه من قومه (ومكرنا مكرا) دبرنا تدبيرا بأن عجلنا الهلاك لهم (وهم لايشعرون) بذلك ، ثم أبان ذلك فقال (فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم) أهلكنا التسعة * يروى انه كان لصالح فى الحجر مسجد فى شعب يصلى فيه فقالوا زعم انه يفرغ منا الى ثلاث فنفرغ منه ومن أهله قبل الثلاث فذهبوا الى الشعب ليقتلوه فوقعت عليهم صخرة من جبالهم فطبقت عليهم الشعب فهلكوا وهلك الباقون فى أماكنهم بالصيحة ، والى هلاكهم أشار سبحانه بقوله (وقومهم أجمعين * فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا) بظلمهم وكفرهم (إن فى ذلك لآية) لعبرة (لقوم يعلمون) قدرتنا (وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) الكفر والشرك فلذلك خصوا بالنجاة (ولوطا) واذكر لوطا ثم أبدل منه قوله (إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون) تعلمون أنها فاحشة لم تسبقوا اليها وهو إما من بصر القلب ، ولاريب أن اقتراف الفاحشة من العالم بها من أقبح الذنوب ، واما من بصر العين لأنهم كانوا يأتونها و بعضهم يبصر بعضا ، ولاجرم أن فاحشة العلانية أقبح من فاحشة السر ، ثم بين تلك الفاحشة وعللها بالشهوة إيماء لازدرائها ومنافاتها الكمال متى خلت من الحكمة فى خلقها وهى أن يطلب منها النسل فقال (أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء) اللاتى خلقن لذلك (بل أنتم قوم تجهلون) تفعلون فعل من يجهل قبحها أو يكون سفيها لايميز بين الحسن والقبيح أو تجهلون العاقبة (فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا

آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون) يتنزّهون عن أفعالنا و يعدّونها قذرا (فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين) قدّرنا كونها من الباقين فى العذاب (وأمطرنا عليهم مطرا) هى الحجارة أى أمطرنا على شذاذهم والمسافرين منهم (فساء) فبئس (مطرالمنذرين) مطرهم . انتهى التفسير اللفظى للقسم الثالث من السورة والحمد لله رب العالمين

﴿ جوهرة فى قوله تعالى أيضا ـ إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها ـ مع قوله تعالى ـ فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ـ أيضا ﴾

اعلم أن الأمم الاسلامية أصابها ما أصاب الأمم فانهم ظلموا فخسروا البلدان التى فتحوها مصداقا لحديث « إن أخوف ما أخاف عليكم مايفتح عليكم الخ » . ان الله عزّوجل بالمرصاد لكل أمة والله عزّوجل لما أنزل القرآن جعله نورا مبينا وأمر المسلمين أن يكونوا خيرأمّة أخرجت للناس فيجعلوا العالم كله أمما متعاونة فلاظالمة ولا مظلومة . ولقد ظهر فى أوروبا وفى الشرق من الآراء مايناسب ماذكرناه ليزول الظلم من أهل الأرض وهوالذى كان يأمربه نبينا ﷺ إذ يأمربالعتق والرحمة ويقول الله الله ـ فلااقتحم العقبة * وماأدراك ما العقبة * فك رقبة * أواطعام فى يوم ذى مسغبة * يتيما ذا مقربة * أومسكينا ذا متربة * ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ـ . إن المسلم هوالذى يوصى غيره بالصبر و بالرحمة العامّة . وليعلم المسلمون أن أهل الأرض مستعدّون لذلك . فاذا بلغ المسلمون ذرى المجد فى العلم والعمل فليرقوا الانسانية والدليل على أن الأمم قابلة لذلك ﴿ لطيفتان ﴾

﴿ اللطيفة الأولى فى رأى فيلسوف الصين « كونفوسيوس » فى دولية العالم ﴾

معلوم أن تعاليم (كونفوسيوس) الفيلسوف كانت ترشد الشعب الصينى العظيم وتكوّن مصيره ومع انه قد مضى عليها ألوف السنين يقول دارسوها انهاتحوى من الآراءوالنصائح والنظريات ما يكاديكون عصريا ﴿ مثال ذلك ﴾ ما اقتبسه (المسترالفرد مارتن) من هذه التعاليم عن دولية العالم وهو بالترجمة كما يلى

﴿ عند مايسود مبدأ الدولية يصيرالعالم بأسره جمهورية واحدة وتنتخب الأمم أفاضل ذوى مواهب ومقدرة فيتكلمون عن الاتفاق الحقيقى و يثقفون الوئام العالمى ويصبح الناس والحالة هذه لاينظرون الى والديهم بأنهم والدوهم فحسب ولا الى أولادهم بأنهم أولادهم فحسب ، وسيعين المتقدّمين فى السنّ معاشا حتى وفاتهم ويدبر عملا لرجال تقعدهم الشيخوخة ويقدّم للأحداث مايساعدهم على النموّ والتقدّم فى مراحل الحياة . أما الأرامل والأيتام والمقطوعون والعجزة من تأثيرالأمراض فكلهم تتكفل بهم الحكومة وسيضمن لكل رجل حقه ولكل امرأة شخصيتها ﴾ انتهت اللطيفة الأولى

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

فى ذكر ماجاء عن أحد الضباط الأوروبيين إذ مدح الأمير عبد الكريم بعدانخذاله . وهذا نص ماجاء فى جريدة الاهرام بتاريخ ٦ مارس سنة ١٨٢٩ م

﴿ عواطف كريمة ﴾

(كبتن كننج فى شعره)

عرفنا من قبل الكبتن كننج رجلا أبيا همامًا أعجب بشجاعة الريفيين وساءه مايلقى حقهم من باطل أعدائهم فانتدب يسعى للسلم بين عبد الكريم وأعدائه سعيا لم يقصرفيه ولكن خيبه ظلم السياسة وكبرياؤها فهل عرف قومنا أن هذا الرجل الانكليزى الشريف شاعر رحيم القلب على النفس ، يستعرض فى شعره الماضى والحاضرليشيد بذكر العظماء و يقضى حق البطولة أنى وجدها ؟ وهل عرفوا أن لعظماء التاريخ الاسلامى من شعره المكان الأوّل والنصيب الأوفر ؟ طلع علينا (الكبتن كننج) منذ عامين بطائفة من شعره سماها

(موت

(موت أكبر وقصائد أخرى) خص بمعظم صفحاتها جلال الدين أكبرشاه ملك الهند العظيم فمثل هذه العظمة على سرير الموت محتضرة ، وما أوسع هذا مجالا لقريحة شاعر كبير القلب ذكيّ الفؤاد

ثم نشر هذا العام طائفة أخرى من شعره عنوانها (أبوعبد الله وقصائد أخرى) وهى مائة وخمسون صفحة من الشعر الجيد تستغرق قصة أبى عبد الله آخر ملوك غرناطة أربعا وثلاثين ومائة صفحة منها ، وقد أعطى فيها الشاعر للتاريخ نصيبه وللانسانية حقها وأن النفس الكبيرة التى تقدّر البطولة وتحدب عليها فى بأسائها هى التى وقفت بالكبتن كننبج على أبى عبد الله فى أيام نحسه كما وقفت به من قبل على جلال الدين أكبر فى سرير موته ، وكذلك قطعة عن جنة العريف فيها للشعر والقلب العطوف مجال واسع وأعظم مافى الكتاب من بعد ﴿ قصيدتان * إحداهما ﴾ فى رثاء المرحوم سعد باشا زغلول وكان الشاعر قد رآه حين قدم مصر منذ سنة ونصف ، وفى هذه القطعة يصف بلفظ موجز وقع المصاب فى مصر ومكانة الزعيم الفقيد من قلوب أمّته ، ثم يهيب بالمصريين ألا تيأسوا وسيروا على سنة زعيمكم فالمستقبل وضاء أمامكم ، وحسبنا من نبل الأخلاق والانتصار للحق أن يقف الشاعر هذا الموقف من رجل مات وهو فى نضال سياسى تخاصم فيه الانجليز (قوم الشاعر) ﴿ والقطعة الثانية ﴾ نظمها حين أحدق بالزعيم الريفى عبد الكريم نحسه فاضطره الى الاستسلام لعدوّه ، والشاعر يمثل فيها ريفيا محتضرا يفتقد زعيمه العظيم . انتهى الكلام على القسم الثالث من السورة

(القِسْمُ الرَّابِعُ)

قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ءَاللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّنْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَءِلٰهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ * أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَءِلٰهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَءِلٰهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ * أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَءِلٰهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَءِلٰهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ * بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ * لَقَدْ وُعِدْنَا هٰذَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ * وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ * وَيَقُولُونَ مَتَى هٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ

رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ * وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ * إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ * إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ * فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ * إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ * وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ * وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ * وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ * أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ * وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ * مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ * وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ * وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ *

اعلم أن الله عزّ وجل لما قص فى السابق من هذه السورة نبأ داود وسليمان وقوم لوط وثمود وقد ورد ما استبانت به عظمة الله وانعامه على عباده من علم وحكمة لداود وسليمان واطلاعه عليه السلام على عجائب الخليقة وبدائع الحيوانات فى الجوّ وفى التراب وابتهاجه بمعرفة غرائزها وطبائعها وعجائبها وإلمامه بمراتب الجنّ والشياطين والملائكة وماخوّلهم الله من قدرة وعلم ، وكيف رتبهم مراتب ونظمهم صفوفا كل فيما استعدّ له من عفاريت يقدرون على الأعمال بمشقة وملائكة يزاولونها بسهولة تبعا لنفوسهم ومراتبها فى الحياة والرقى ، ومن نصر واعتلاء على أهل الكفر كما فى قصة ثمود وقوم لوط إذ أهلك الله الكافرين وردّ كيدهم اليهم وأوقعهم فى حفرة حفروها وداهية لغيرهم طلبوها . لما قصّ الله ذلك وعرفت منه وفضله العظيم استبان به

ان

أن النفوس الطاهرة الراقية تنال العلم والنصر فلاجرم يستحق سبحانه الحمد على انعامه وهؤلاء الأنبياء المخلصون سلموا من الأذى ونصروا على أعدائهم ، هاتان نتيجتان لما تقدم ، انعام من الله وأمان للذين اصطفاهم ولاجرم أن ذلك يرجع الى أصل الموضوع وهو التوحيد ، فالنعم الواصلة للمخلصين من الأنبياء وغيرهم والسلامة الموجهة اليهم لأنهم وحدوا الله وساروا على نهجه فى الأعمال الشريفة وتخلقوا بأخلاقه ، فإذن وجب أن نبين آيات من آياته وعجائب من بدائعه ليلحق الخلف بالسلف ويقرأ الناس فى سطور هذه الكائنات آيات الجمال كما قرأها سليمان فى عالم الحشرات والطيور وعالم الجن والملائكة ليحذو حذوه فى شكر الله وليكون هذا العلم ابتلاء لهم وامتحانا حتى اذا عرفوا الموهبة شكروا النعمة والتحقوا بالمقربين كما قال سليمان ـ رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى ـ وكما قال ـ ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربى غنى كريم ـ هذا هو المقصود من ذكر هذه الآيات الآتية

وهى (١) خلق السموات والأرض (٢) وانزال الماء من السماء (٣) وانبات النبات (٤) وابداع الحدائق البهجات (٥) وجعل الأرض قرارا بحيث أمكن الاستقرار عليها فاستقر عليها الانسان والحيوان (٦) وخلق الأنهار الجارية فى خلالها (٧) وخلق الجبال التى ينزل المطر منها فى الأنهار (٨) وابداع حواجز بين الماء الملح والعذب بحيث لايختلطان (٩) واجابة دعاء من اضطر الى الله والتجأ اليه من كل مكروه (١٠) وكشف الضر عن الانسان (١١) وجعل الناس سكانا للأرض بالوراثة عن السابقين فيتصرفون فيها قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل وأمة بعد أمة (١٢) وهداية الناس بالنجوم والعلامات فى ظلمات الليالى بالبر والبحر وفى مشتبهات الطرق كما يقال طريقة عمياء وظلماء للتى لامنار بها فأودع فى قلوب البشر علوما بها عرفوا طرق البحار ومسالكها ومدارات النجوم وألهموا أن تكون لهم الابرة المغناطيسية لتدلهم على جهة الشمال تقريبا ومتى عرفوها عرفوا سائر الجهات بها (١٣) وارسال الرياح مبشرات قبل المطر ليستعد الناس لنزولها فرحين مستبشرين (١٤) ولاجرم أن من قدر على هذا قادر أن يعيد الخلق كما بدأه (١٥) ومن تأمل هذا عرف أن الله يرزق الناس بأسباب علوية وسفلية معا ، فالعالم كله متفق فى أعمال نتائجها متوافقة فقد اتحدت الأسباب السماوية والأرضية وتعاونت على رزق الانسان والحيوان ولايصح هذا الاتحاد إلا اذا كان الصانع واحدا ولو تعدد لكان لكل إله عمل من هذه الأعمال لم تكن النتيجة كما هى حاصلة بهذه الوحدة لأن اختلاف المدبرين يقتضى اختلاف النتائج والنتائج متحدة متعاونة . إذن الإله واحد (١٦) ولاجرم أن ذلك يدل على أن الله يعلم مافى السموات ومافى الأرض ولايعلمه سواه لأن هذه النتائج الصادقة لايستخرجها إلا العالم بها ولايعلمها سواه ، فإذن لايعلم الناس متى يبعثون (١٧) بل انهم فوق ذلك تكامل علمهم فى الآخرة واستحكم بدلائل وحجج قاطعة ومع ذلك هم متحيرون فيها شاكون بل هم فوق ذلك عمى عنها لايدركون دلائلها لاختلال بصائرهم وهذا وان ذكر انه لمن فى السموات والأرض ليس القصد منه إلا الذين كفروا

هذه المسائل السبعة عشر هى من قوله تعالى ـ وقل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ـ الى قوله ـ بل هم منها عمون ـ واعلم أن هذه النعم المذكورة تذكرة للمسلمين وتبصرة لهم أن يعرفوا نعم الله تعالى ويفقهوها ويدرسوها ويعملوا بها كما فعل سليمان عليه السلام فانه لما علم علم الحشرات طلب من الله ان يلهمه الشكر على ذلك العلم ، ولما نال الملك فى الأرض ووصل الى أقصى مايرام من العلم جعل هذا اختبارا فهكذا فليكن حال المسلم فليدرس السموات والأرض والمطر والنبات والأشجار والبحار ويتوجه الى الله وعلى المسلمين أن يكونوا علماء بالنجوم وبالطرق فى البر والبحر بالعلوم المختلفة وأن يذللوا الطبيعة بالدراسة لا بالمعجزة كسليمان عليه السلام وأن يكونوا مصلحين فى الأرض حتى تلحقهم كلمة رسول الله ﷺ إذ قال بأمر الله الحمد لله على ما أنعم على عباده وحيا كل مصطفى من عباده النافعين لخلقه الهادين لهم المرشدين الصادقين فلتكن فى

عبادهم صفاء وصدقا لتدخل فيمن حياهم النبي ﷺ بأمر ربه ولتكون عاقبتك فى الدنيا والآخرة كعاقبة سليمان وداود وأمثالهما

﴿ تفسير الكلمات فى هذه الآيات ﴾

قال تعالى (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) أمر الله رسوله ﷺ أن يحمد الله شكرا له على نعمه التي يسديها لكل مصطفى من نبيّ ومؤمن وتلك النعم علوم وهداية ونصر وأن يحيي هؤلاء الذين اصطفاهم (آلله خير أما يشركون) إلزام لهم وتهكم بهم وتسفيه لرأيهم (أمّن) بل أمّن (خلق السموات والأرض وأنزل لكم) لأجلكم (حدائق ذات بهجة) بساتين ذات حسن يبتهج بها من رآها (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) أي انكم لا تقدرون أن تنبتوا شجرها (بل هم قوم يعدلون) عن الحق الذى هو التوحيد (أمّن جعل الأرض) بدل من خلق السموات والأرض وكذا ما بعده (قرارا) دحاها وسوّاها للاستقرار عليها (خلالها) ظرف أي وسطها وهو المفعول الثاني والأوّل ـ أنهارا ـ و ـ بين البحرين حاجزا ـ مثل ذلك (رواسي) جبالا ثوابت تمنعها من الاضطراب لأن الجبال متصلة بالطبقة الصوّانية نابتة منها وهذه الطبقة لو اقتلع جزء منها لاضطربت النار وخرجت من باطن الأرض فكانت براكين فاهتزت وخربت بعد الاضطراب الكثير (البحرين) الملح والعذب (حاجزا) مانعا أن يختلطا (لا يعلمون) التوحيد (أمّن يجيب المضطر) المكروب المجهود المضرور بالحاجة المحوجة من مرض أو نازلة من نوازل الدهر فهي اذا نزلت بأحد بادر الى الالتجاء والتضرّع الى الله (ويكشف السوء) الضرّ إذ لا يقدر على تغيير حال من فقر ومرض وضيق الى غنى وصحة وسعة إلا الله القادر (خلفاء الأرض) بأن ورّثكم سكناها (قليلا ما تذكرون) أي تذكرون تذكرا قليلا (يهديكم) يرشدكم (بين يدى رحمته) قدّام المطر (أمّن يبدؤا الخلق) نطفا فى الأرحام (ثم يعيده) بعد الموت (ومن يرزقكم من السماء) بالمطر (والأرض) بالنبات (برهانكم) حجتكم (إن كنتم صادقين) فى أن مع الله آلهة شتى (قل) يا محمد لأهل مكة (لا يعلم من فى السموات) من الملائكة (والأرض) من الخلق (الغيب إلا الله) نزلت فى المشركين حين سألوا رسول الله ﷺ عن وقت الساعة ، والمعنى أن الله هو الذى يعلم الغيب وحده (أيان يبعثون) متى ينشرون وأيان أصلها أيّ وآن (ادّارك) تكامل وانتهى واستحكم * يقال أدركت الفاكهة تكاملت نضجا وأصله تدارك فأدغمت التاء فى الدال وزيدت ألف الوصل ليمكن التكلم بها (عمون) جمع عم وهو أعمى القلب * وقيل ادّارك بمعنى اضمحلّ كما يقال تدارك بنو فلان اذا تتابعوا فى الهلاك أي اضمحل علمهم فى الآخرة . انتهى تفسير بعض الكلمات والله أعلم

﴿ لطيفة ﴾

اعلم أن هذه المذكورات التي عددناها (١٧) هي التي تفهم المسلم كيف يحمد الله . اذ حمد الله انما يكون على نعمة والنعمة ما لم يدرسها الانسان لا يفهم معناها واذا لم يفهمها فلا حمد له كما شرحناه فى سورة الفاتحة . ألم يعلم المسلمون أن هذه هي التي يحمد عليها . إن الحمد ثناء بجميل لأجل جميل اختياري ، فاذا لم يعرف الانسان المحمود عليه فلا حمد له والله أمر نبينا ﷺ أن يحمد الله وذلك الحمد يكون فى العبادة وفى العلم ، أما فى العبادة . فالمسلم يقرأ الفاتحة ويحمد الله فيها على أنه مربى العالم كله وهو يرحمه ، وكذلك نرى المسلم يقول ﴿ التحيات لله ﴾ فالمسلم يحمد الله ويقول التحيات له ، ويقول المسلم أيضا فى الرفع والاعتدال ﴿ ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شئ بعد ﴾ هذا حمد المسلم فى العبادة ، فانظر أثر العبادة ، إن أثر العبادة يظهر فى العلم ، انظر أيها الذكى ، ان الحمد فى الصلاة على تربية العالمين وملء السموات والأرض وما بينهما وملء كل شئ بعد ذلك ، انظر أليس هذا هو ما فى هذه السورة ، ألم يذكر الله هنا بعد ذلك الحمد المحمود عليه ، ألم يذكر السماء والأرض والمطر والنبات والأنهار والبحار والهداية فى البرّ والبحر

وارسال الرياح ، انظر . إن الله لم يذكر فى هذا علم الحيوان لأنه تقدّم فى قصة سليمان وذكر الانسان فى قوله ـ ويجعلكم خلفاء الأرض ـ فاذن المحمود عليه هنا جميع هذه العوالم وهى المذكورة فى قول المؤمن ﴿ ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض الخ ﴾ فانظر كيف أمر الله النبى ﷺ أن يقول لنا ـ الحمد لله ـ ثم ذكر المحمود عليه على سبيل العلم لا على سبيل العبادة ، فالعبادة مجرّد تذكرة ، وأما هنا فهو علم فاذا قال ـ الحمد لله رب العالمين ـ وقال ﴿ الحمد لله ملء السموات وملء الأرض ﴾ فنتيجة ذلك أن يدرس هذه العوالم بقدر امكانه وعلى قدر فهمه فيها يكون ارتقاؤه الى الله تعالى . هذا مقصود الحمد هنا وهو الدراسة والعلم فلا حمد إلا بمعرفة المحمود عليه والمحمود عليه هو هذه المذكورات وهذه المذكورات هى عجائب السموات والأرض وما بينهما من نمل وهدهد وجنّ وملائكة ومطر ونبات وبرّ وبحر وجبل الخ هذا هو الحمد ، أما السلام فى قوله ـ وسلام على عباده الذين اصطفى ـ فاعلم أن ذلك هو الدرجة الثانية وهى ترجع الى الأخلاق والفضيلة والانسان ما دام مبعدا عن حبّ الناس جاهلا بالجامعة الانسانية فهو بعيد من ربه ، فالانسان سعادته ﴿ بأمرين * الأمر الأوّل ﴾ العلم وقد علم فى الحمد ﴿ الثانى ﴾ فى الحب العام والحب العام أشار له بقوله ـ وسلام على عباده الذين اصطفى ـ أتدرى أيها الذكى أين هذا فى ديننا ، ابحث عنه تجده فى التشهد ، تجد المسلم يقول ﴿ السلام عليك أيها النبىّ ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ يقول المسلم مخاطبا النبى ﷺ السلام عليك يحييه اجلالا ويبشره بشرى على بشرى بالسلامة كما تحييه الملائكة وهذه التحية من بواعث السرور والمودّات ، يسلم المؤمن على النبى وعلى نفسه وعلى كل عبد صالح وهذا عين قوله تعالى ـ وسلام على عباده الذين اصطفى ـ فليفكر المؤمن وقت الصلاة فى هذا المعنى وليقل ﴿ السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ إن التفكر فى هذا المعنى يحدث ألفة بينه وبين الأرواح الشريفة التى ارتقت الى عالم الصفاء والنور حتى اذا مات أحسّ بالألفة الجامعة بينه وبينهم فلا ينفر منهم ولا يأنف . هذا هو المقصود من هذا السلام

وليفكر فيمن اصطفاهم الله بالعلم والحكمة وليأخذ بأحسن ما عملوا به كما قال تعالى ـ فبهداهم اقتده ـ والاهتداء بهداهم إحكام للرابطة بين المرء وبين الصالحين فهناك ﴿ رابطتان ﴾ رابطة بالتسليم فى العبادة ورابطة بالقدوة الحسنة فى العلم كقصة سليمان هنا إذ يتبحر الانسان فى العلوم ويخوض فى بواطنها من علم طبيعة وعلم أرواح ويزيد فى الاخلاص لله والتسليم له فلا يغترّ بما أعطى بل يقول ـ ليبلونى أأشكر أم أكفر ـ الخ فمن اقتدى بعالم أو بنبىّ فى خصلة فقد عظمه وحياه وهو أيضا فى كل صلاة يسلم عليه . وبهذا فهمنا ـ قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ـ وصار الملخص أن نتبحر فى العلوم ليتمّ حمدنا لله وأن نقتدى بالأنبياء ليكون ذلك رابطة تجمعنا بهم وهذه رابطة أوكد من رابطة التحية كما قال ﷺ ﴿ أنت مع من أحببت ﴾ وكما قال تعالى ـ أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا * ذلك الفضل من الله ـ

واعلم أن الذين اصطفاهم الله أشبه بآباء للناس ، وكما أن الله عزوجل منزّه عن المادّة مربى العالمين مسعدهم ليرقيهم من حال الى حال ، فكذلك هؤلاء الصالحون يسيرون على السنن الذى سنه وان كانوا فى هذه الأجسام فهم وان شاركوا الناس فى أمور الحياة لا يريدون بها إلا القوّة على المنافع العامّة للأمم ، وكلما كان الانسان أزهد فى المادّة وأحب للعلم وأكثر مساعدة وحبا للناس كان أقرب الى الله ، وكلما نزل عن ذلك كان أبعد عنه ، إن الله أعطانا دروسا شتى فى الحياة ، قلل الشهوة البدنية زمن الكبر ، وأكثر من المصائب فى المنازل وفى المدن وفى علاقات الأمم بعضها ببعض وفى الأجسام ، كل ذلك ليفهم الناس أن هناك حياة أرقى من هذه وكأنه يقول أيها الناس إن هذه الحياة ليست أعظم حياة ، إن ربكم قادر وليست قدرته واقفة عند هذا الحدّ ، إن هناك حياة أوسع من هذه الحياة وأعلى منها ، وعلى مقدار اخلاصكم فى أعمالكم وخاوص

نفوسكم من علائق هذه الحياة تتصلون بعالم أرقى والعالم الأرقى يكون فيه عباده الذين اصطفى كسليمان انه لم تفتنه زخارف الدنيا ، ان الملك وطاعة الملوك لم تؤثر فى نفسه . انه يذكر ربه فى وادى النمل كما يذكره وهو على عرش بلقيس ويفوض الأمر له وذلك هو عين التفويض وباب الحب فاقتدوا به وبالانبياء لتكونوا مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا

﴿ جوهرة فى قوله تعالى ـ أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ـ الخ وفيها « لطيفتان » اللطيفة الأولى « فى شرح هذه العجائب « اللطيفة الثانية » فى بهجة الحدائق ﴾

﴿ اللطيفة الأولى فى شرح هذه العجائب وفيها خمس مطالب ﴾

(١) فى قوله ـ حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ـ

(٢) وفى قوله ـ أمن جعل الأرض قرارا ـ

(٣) ـ وجعل خلالها أنهارا ـ

(٤) ـ وجعل لها رواسى ـ الخ

(٥) وفى قوله ـ امن يجيب المضطر اذا دعاه ـ الخ

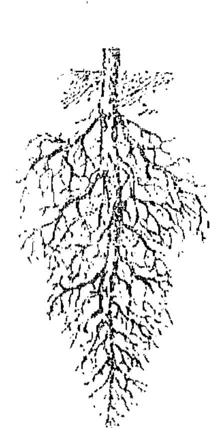
﴿ المطلب الأول فى الحدائق ذات البهجة الخ ﴾

يعيش الانسان فى هذه الأرض وأكثره فى غفلة محجوب عن جماله وبهائه وحسنه ، إن العالم فى نظر أكثر هذا الانسان حجب وراءها حجب مسدولة بل هو مظلم قاتم لالذة فيه ولاجمال إلااللذة الحيوانية ، فالناس يعيشون مسحورين بما أعطوا من حواس وبما نالت تلك الحواس من اللذات الحقيرة وينظرون الى الهواء والى الماء والى المعادن كالحديد والكبريت والبوتاسيوم والصوديوم والجير والمغنيسيا والفوسفور والسلكا (الرمل) والكلور وغيرها نظرهم الى أمور جامدة فاترة خامدة لاتحرك من هممهم ولاتبعث من نشاطهم اللهم إلا علماء الصناعات المتعلقات بهذه الكائنات والاعلماء الكيمياء ومن نحا نحوهم ورجال الصناعات والعلوم الجزئية كلهم نظرهم جزئى وبحثهم محصور فى دوائر ضيقة ، ولكن من حسن الحظ أن هذا الانسان خلقت فيه طائفة عقولهم أوسع ونظرهم أعلى وحكمتهم أشرف ونورهم أبهى وأجلى وأجل وأجمل إذ ينظرون بهيئة تندرج تحتها كل العلوم ، تلك الطائفة هم خلفاء الله فى أرضه ، هم الذين جعلوا فى الأرض أوصياء على هذا الانسان المسكين المحبوس فى الأرض المغمور فى حمأتها الممنوع عن الجمال ، فهؤلاء يقولون نعم العالم الذى نحن فيه فى ظاهره جماد جاف وعند البحث ننظر فنرى هذا الهواء وهذا الماء فيهما عناصر الاكسوجين والادروجين والاوزوت ويصحب هذه الثلاثة الكربون ، فالماء فيه العنصران الأولان والماء فيه العنصر الأول والثالث والكربون أى الفحم معروف وهذه الأربعة تجتمع ويخلق منها كل نبات وكل حيوان مع اضافة مقدار قليل من العناصر التسع المتقدمة التى أولها الحديد وآخرها الكلور . من هذه العناصر أو أكثرها يكون النبات ويكون الحيوان . إذن هذا الهواء وهذا الماء وقليل من الكبريت وقليل من الفوسفور الخ هو نفسه هذا الانسان وهذا الحيوان وهذا النبات ، فما هو إلاأن يأخذ الانسان حب القمح أوحب الشعير أوالذرة أوالبرسيم أوالخردل أواللوبيا أوالخشخاش أوالجزر ويزرعها فى أرض صالحة ويتعهدها بالطرق المعروفة فانه يرى بعد أيام أن النبيتة التى كانت فى داخل تلك الحبوب أخذت تنمو وأخذنا نلاحظ أن هناك

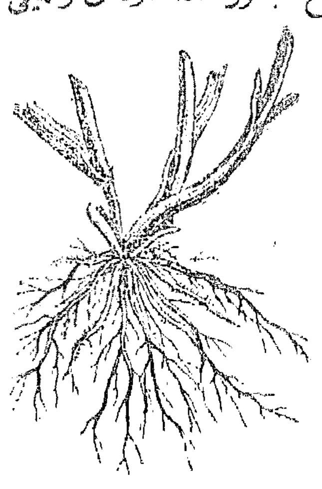
(١) جذرا وهو المنغرس فى الأرض وله فروع ويعرف بالمجموع الجذرى

(٢) وساقا وهو الجزء الذى يرتفع فى الهواء ويتفرع فيه وأن من الحب الذى زرعناه ماهو ذوفلقتين مثل اللوبيا والفول ، ومنه ماهو ذوفلقة واحدة مثل القمح والشعير

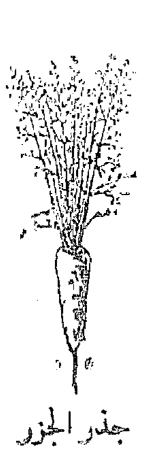
(٣) وأن المجموعات الجذرية إما وتدية ، واما ليفية ، واما درنية ، فالوتدية هي التي يستمر الجذر الأصلي في النموّ مع بقائه أكبر من فروعه وذلك مثل جذور البرسيم والخردل والخشخاش ، والليفية تكون قليلة النموّ وجذيراتها كثيرة مثل جذر القمح والشعير والذرة ، وأغلب النباتات ذات الفلقة الواحدة ، والدرنية تكون منتفخة ممتلئة بالموادّ الادخارية التي يتغـذى بها النبات في المستقبل مثـل الجزر والبطاطا والفجل واللفت والبنجر وهكذا ، وهذه صور أنواع الجذور الثلاثة الوتدي والليفي والدرني (انظر شكل ٣٦ و ٣٧ و ٣٨)



(شكل ٣٦ ـ جذر وتدي)



(شكل ٣٧ ـ جذر ليفي)



جذر الجزر

(شكل ٣٨ ـ جذر درني)

(٤) وأن الجذر لا يحمل أوراقا وله قلنسوة تصون تحته وله منطقة نامية بالقرب من طرفه وله منطقة ماصة وهي منطقة الشعيرات الجذرية وله منطقة مثبتة خالية من تلك الشعيرات وليست ماصة وهو متفرّع الى جذيرات صغيرة وهو متجه رأسيا من أعلى الى أسفل ويسمونه الانحناء الأرضي ويؤثر على هذا الاتجاه عوامل أخرى مثل الرطوبة والضوء ونحوهما

(٥) وأن الساق تحمل أوراقا وبراعم (وهي المجموع المكوّن من قمة الساق ومن الأوراق الصـغيرة التي تحميه) وليس لها شعيرات ماصة كما للجذور وليس لهـا قلنسوة ونموّها طرفيّ ودون الطرفي وتتجه رأسيا من أسفل الى أعلى وتحمل الأوراق وتعرضها للهواء وتوصل العصارات من الجذر الى الأوراق ومن هذه الى الأعضاء الأخرى ، وقد تؤدّي وظائف الأوراق وتقوم مقامها وتمتلئ بالموادّ المدّخرة في بعض النبات كالقصب والتين الشوكي والبطاطس ، ومتى نما النبات ترى له أزهارا تنشأ عليه ويطلق على مجموعها اسم (الفرخ الزهري) ثم تذبل الزهرة وتستحيل الى ثمرة

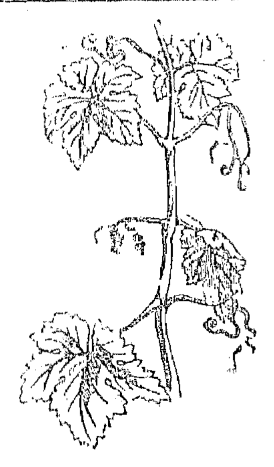
(٦) وأن الأجزاء الرئيسية للنباتات الزهرية هي الجذر والساق والورقة والبرعم والزهرة والبزرة ، ثم ما الذي تراه من العجائب في الجذر وفي الساق ، أما الجذر فانظر ماذا جرى فيـه ، لقد رأيت أيها الذكي بعينك نظامه في باطن الأرض فهو إما مثل الوتد واما مثل الليف واما مثل الدرن ، ثم انظر ماذا حصل ؟ حصل كل العجب وأيّ عجب بعد أن نرى ساقا وورقا وبرعمـا وزهرا وثمرا . كل ذلك حاصل بسبب الجذور الممتدّة المتفرّعة في الأرض ، ماذا فعلت تلك الجذور يا ترى ؟ هذه الجذور فيها فتحات شعرية ، تلك الفتحات الشعرية تمتص المواد من الأرض . أيّ المواد تمتصها . تمتص ما فيها مما ذكرناه من العناصر وهي الاكسوجين والادروجين والاوزوت والكبريت والحديد والفوسفور الخ وكيف تمتصها . تمتصها بمقادير خاصة فمقاديرها في القطن غـير مقاديرها في الفول غير مقاديرها في الورد جميل الرائحة غير مقاديرها في العنب (انظر ما تقدّم في سورة البقرة واقرأ الجدول المذكور عند مسألة ابراهيم والطير) والعجب لاختـلاف المقادير التي يتناولها النبات هناك وبها تختلف السوق والأوراق والطعوم والروائح والأغذية والفواكه . فياليت شعري أين الحكمة التي تعلمتها تلك الفتحات الشعرية

حتى امتصت ما يليق بنباتها طعما ولونا وقدرا . ثم إن النباتات تبلغ مئات الالوف عدا وقد اختلفت اختلافا مدهشا عظيما فكيف اختلفت الفتحات الشعرية فيها اختلافا بمقدار اختلاف ظواهرها . ثم إن الكبريت والحديد والفوسفور والسليكا والاكسوجين وماشابهها هي هي نفس الكمثرى التي نأكلها والورد الذي نشمه والزيت الذي نستعمله . إذن نحن لم نستعمل شيأ إلا تلك المواد التي نشاهدها من ماء ومن هواء ومن معادن أرضية ولكن هـذا السحر الحلال الذي ظهر في الأعمال التي ظهرت في حب القمح وفي حب الذرة وفي نوى التمر والمشمش هو الذي أرانا هـذه العجائب . لا ثمر ولا بر ولا ذرة ولا ورد إلا أجزاء هوائية ومائية ومعدنية تقدم ذكرها اختلف تفاعلها فاختلفت أفاعيلها فصدق الامام الغزالي إذ يقول ﴿ إن المشعوذ البارع لن يفعل مثل ما نراه في الطبيعة ولكن الناس لاعتيادهم على مشاهدة هذه العجائب أنسوا بها فلم يروا فيها غرابة ولا عجبا ﴾ ومن عجب أيضا أن المادة المسماة (الكلوروفيل) هي التي تجعل للنبات لون الخضرة وخاصة أجزاء النبات التي تحتوي على الكلوروفيل . انها متى كانت معرضة للضوء تمتص (غاز الكربونيك) من الهواء وتحلله الى كربون واكسوجين فتحفظ الكربون وتطرد الاكسوجين . وتعرف هـذه الظاهرة (بالتمثيل الكلوروفيلي) إذن هـذه الخضرة تفعل في النبات فعل التنفس في الحيوان فالحيوان يبقي الاكسوجين ويطرد الكربون بالتنفس والنبات بالمادة التي أحدثت له الخضرة طرد الاكسوجين وأبقى الكربون بعكس الحيوان

ولما كان النبات الذي يعد بمئات الالوف مختلف النتائج والثمرات اختلفت طرق امتصاصه من الأرض بالشعيرات الجذرية كما تقدم واختلفت طرق تصرف المادة الخضراء في هيئة تنفسه . فاعجب لاختلافين اختلاف الفتحات الشعرية في الجذور الأرضية واختلاف الخضرة في الأوراق الهوائية . الخضرة واحدة ولكنها تختلف اختلافا بالقوة والضعف . وبهذا الاختلاف يختلف فعلها التنفسي في الهواء وتكون الثمرات والأشكال على مقتضى الاختلافين ويرجع كل هـذا الى هواء وماء وكربون وحديد وفوسفور وكبريت مما تقدم ذكره . فجمال الأزهار وبهجة الثمار وابتسام الورد وبهجة البساتين . هذه كلها هي نفس الماء ونفس الهواء ونفس الفحم ونفس الكبريت . فياليت شعري من أين جاء للهواء وللفحم أن يعقل أن الجذر لابد أن يشتمل على قسم يثبت في الأرض وعلى قسم يموفيها وعلى قسم آخر يمتص الغذاء في الأرض والغذاء لابد أن يكون مناسبا للفاكهة وللحب ولمطالب الحيوان ولمطالب الانسان الغذائية والدوائية والفاكهة . حارت العقول يارب فيما نراه وما ألفناه . هـذا هو قوله تعالى ـ ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ـ هذا هو تفسير هذه الآية أي فكيف نبت هذا الشجر وماهذا الشجر إلا مواد نراها ولكننا لا نقدر أن نصنع هذه الأعاجيب منها . فنحن أمام هذا النظام أشبه بجميع الناس أمام الخطباء والشعراء إذ يعرفون الكلمات والحروف والمعاني ولكنهم لا يقدرون أن ينظموا أشعارا كامرئ القيس ولا نثرا مثل عبد الحميد الكاتب . فالله يقول لنا ـ هاؤم اقرؤا كتابيه ـ هاهو ذا النبات وهكذا الحيوان ، هذه كلها من المواد التي ترونها فهل تقدرون على هذا النظام . كلا ثم . كلا

(٧) ثم إن الساق إما أن تكون قائمة ، واما أن تكون زاحفة ، واما أن تكون متسلقة ، فالأولى كالأشجار المعروفة وكالقمح والذرة ، والثانية كالخيار والقرع والشليك . وهذه لما كانت فروعها يجب أن تكون كثيرة الماء ضعفت فامتدت على الأرض وحملت الأرض عنها ثمارها ، فترى البطيخ والقرع وأمثالها على الأرض لضعف تلك السوق المائية عن حمله . والثالثة تتسلق السياج وجذوع الأشجار الأخرى كاللبلاب الذي يلتف حول الأجسام التي يتسلقها وبعضها كالكرمة والبازلاء يتثبت بتلك الأجسام بواسطة (محاليق) وهي خيوط رفيعة تلتف حول الأجسام التي تصادفها ، ومحاليق الكرمة غصون محورة ولذلك نراها قد تحمل براعم . أما محاليق البازلاء فهي أوراق محورة . ثم ان غصون السوق الهوائية قد تتحول الى أشواك للدفاع عن النبات كما في البرتقال (انظر شكل ٣٨)

شكل



(شكل ٣٩ — صورة محاليق الكرمة)

فانظر لغصن انقلب تارة الى محلاق لرفع شجرته وتارة الى شوك ليحفظ النبات ثم الورق انقلب الى محلاق ليرفع شجرته أيضا

(٨) ثم انظر الى عجائب العلم والحساب والهندسة فى النبات (أذكرك بما تقدم فى سورة الحجر عند قوله تعالى فيها — وأنبتنا فيها من كل شئ موزون — فتأمل شكل ١ وشكل ٢ وشكل ٣ وشكل ٤ فى (سورة الحجر) وتأمل رعاك الله نظام أوراق النباتات المختلفة وكيف كانت محسوبة بحساب عجيب فتراها على الأغصان بينها مساحات متساوية تكون دائرة تامة

فانظر الى هذا الحساب هناك والى هذه الدقة فى الهندسة والحساب البديع واقرأ بقية شرح الحساب هناك ثم ارجع الى أول المقال فأول المقال انه ليس عندنا شئ إلا هذا الماء وهذا الهواء وهذا الحديد ثم انظر هذه التنوعات فى الجذور وفى السوق وفى الأوراق وفى الأزهار وفى النتائج وفى حساب الأوراق على الساق ونظامها وأعدادها ودوائرها . هذا معنى — ما كان لكم أن تنبتوا شجرها — وكيف نثبت شجرها ونحن اذا لاحظنا نظام الجذر لا نلاحظ نظام الساق ولا الزهر ولا الفاكهة ولا حساب الأوراق . فهذا كله حاصل ولا يختل عمل بسبب مزاحمة الآخر له . هذه الملاحظات الثمانية التى ذكرتها لك أيها الذكى فى الحدائق والأشجار وسائر النبات متى تأملتها وجدتها شرحا لعلم الفلسفة القديمة والحديثة . وقبل أن أذكر آراء الفلاسفة أقدم القول فى الحدائق فأقول

اعلم أن الحدائق ذات البهجة على ﴿ قسمين ﴾ حدائق فى البر وهى معروفة وحدائق فى البحار عرفها الناس فى أيامنا هذه وذلك باختراع آلة وهى عبارة عن غرفة يمكن الغوص بها على أعماق بعيدة فى الماء وتتصل بالسفينة بواسطة أنبوبة تحمل الهواء ، ومن مزاياها أن حركتها يمينا وشمالا لا تتنافى مع حركة السفينة وسيرها ، وهى تتسع لرجلين أحدهما يتولى إنارتها وانزالها واصعادها والآخر للقيام بتصوير المناظر ثم هى مزودة بنظارة يبلغ قطرها مترين وسمكها سنتيمترات كثيرة بحيث يمتد منها البصر على مساحة واسعة . ذلك الى أنها تستخدم لعكس الأشعة وتسهيل استكشاف المناظر . وقد استطاع هذا المخترع وهو (المستر وليام سن) المشهور باستكشافاته البحرية أن يرتاد فى غرفته هذه مياه جزائر البوليننيز وأن يشاهد من عجائبها ما أثار دهشة العلماء . فما ذكره انه رأى من النباتات المتباينة الألوان مايشبه أجمل الحدائق فوق اليابسة وأن هذه الحدائق تسكنها حيوانات مختلفة الأنواع . فمنها حيوانات رخوة وذوات أصداف لم تكن معروفة حتى الآن وهى تتطاحن وتتنازع أكثر من تطاحن حيوانات اليابسة وتنازعها . وأغرب ماذكره المستر (وليام سن) أن من هذه الحيوانات مايشبه النبات فى شكله ولكنها حيوانات ضارية إذ تنقض على الأسماك التى ليست من نوعها فتفترسها

ثم كان من أثر مشاهداته أن كشف لنا ظاهرة عجيبة وهى أن الأسماك الكبيرة كالنوع الذى يسمونه وحش البحر أوكلب البحر ليست على ضخامة جسمها أشد الأسماك فتكا وأكثرها خطرا فيأتيها عدو لسمك صغير له أسنان حادّة ينهشها به ثم ينفث فى جسمها مادة سامة تقتلها لساعتها . وشاهد المستر (وليام سن) معركة بين فصائل مختلفة من السمك تنوعت فيها الأسلحة والآلات فكان من هذه الآلات المركبة فى جسم الأسماك مايشبه السيف ، ومنها ما يقرب شكله من المنشار ، أما أضعف هذه الأسماك فهو ما كان يحمل فى جسمه شوكة يطعن بها خصمه انتهى من مجلة الجديد

﴿ تطبيق المذاهب الفلسفية فى جميع الأمم على نظام النبات ﴾

قام فى اليونان (تاليس) بأكثر من خمسة قرون قبل الميلاد فقال أصل العالم الماء ، لماذا ؟ لأنه رأيت الماء داخلا فى النبات وفى الحيوان

(٢) ثم قام بعده (أنكسيمانس) فقال . كلا . أصل العالم الهواء

(٣) ثم قام أنكسيمندر فقال أنا لا أعتبر إلا المادة العامة . فأما الماء والهواء فما هما إلا فرعان ومثله (ديموقراطيس) إذ رجع الى الجزء الذى لايتجزأ وقد أخذ به علماء الأشعرية من أئمة الاسلامية

(٤) ثم قام فيثاغورس وقال لا أيها الناس كلا . ثم كلا . مالنا وللماء والهواء والمادة . أصل هذا العالم انما هو العدد والحساب لأنى رأيته منظما

(٥) فقال أنكساغورس . كلا . أيها الناس هل يكون الحساب بلا حاسب والنظام بلا منظم ، هناك عقل يعقل هذا العالم

(٦) ثم جاء سقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس فقالوا بإله منظم للعالم

هذا ملخص مذاهب اليونان وتبعهم الرومان وقامت أوروبا فلم يخرج مفكروهم عن هذه الآراء فأما أهل الهند فانى رأيت فى كتاب ﴿راجا يوقا﴾ أن قوما منهم أشبه بتاليس ومن معه لايرون للعالم صانعا وهم السنخ وقوم مثل أنكساغورس لايرون له عالما به ، وآخرون يشبهون أفلاطون ومن معه ، فاليوجيون يقولون انه عالم بما لانهاية له ومعلم لكل عالم فى العوالم كلها ، والذين يتبعون كتاب الفيدا يقولون هو عالم وصانع العالم كله جزئيه وكليه مستدلين بالنظام الموسيقى

وبناء على ذلك أصبحت عقول أهل الغرب وأهل الشرق ترجع الى ماتراه الآن فى هذا النبات . فأهل السنخ فى الهند وتاليس ومن معه فى اليونان لم ينظروا إلا الى ما أمامهم كما ينظر العامى فى هذا النبات ولايفكر إلا فى المادة وحدها ، فأما اليوجيون فى الهند وأتباع الفيدا وهو الكتاب المقدّس عندهم فانهم لاحظوا ماهو أعلى من حيث نظام الأوراق والأزهار وحسابها كما لاحظها أفلاطون وسقراط وشرحاها شرحا جيدا كما نقلته عنهما فى رسالتى التى سميتها ﴿مرآة الفلسفة﴾ فقالوا بأن للعالم إلها نظمه وهو حكيم ومبدع إذن مسألة النبات التى شرحتها هنا قد شرحت أدوار الفلسفة فى الشرق والغرب وقد أصبح ماكان من الفلسفة عسر الفهم (عويصا على العقل مشتتا للفكر موجبا للالحاد للجهل الفاشى واصعوبة الكتب) مشاهدا بالبصر سهل الفهم شارحا للصدر قريبا من العقل يفهمه المتوسطون . أما أنا فانى أحمد الله عزوجل إذ وقفت على هذه المذاهب واختصرتها هنا وطبقتها على النبات واستبان بهذا أن الناس فى مشاهدة هذا العالم أشبه بالعميان الست الذين شاهدوا الفيل وكل حكم عليه بما وقع تحت حسه فاقرأه فى سورة المؤمنون عند قوله تعالى — كل حزب بما لديهم فرحون — ومن أدرك ماكتبته الآن ووقف على تفصيله فى غير هذا المكان فانه لامحالة ينظر لاختلاف مذاهب الفلاسفة فى الغرب والشرق فى عصرنا نظر البصير الى الفيل وقد سمع العميان الست يدرسونه ولكل رأى فيه وهو من آرائهم يسخر وقد عرف أن كلا منهم قال بعض الحقيقة أما هو فقد وقف عليها وهو من الموقنين . انتهى الكلام على «المطلب الأوّل» فى قوله تعالى هنا — وأنزل لكم من

السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ـ

﴿ المطلب الثانى فى قوله تعالى ـ أمّن جعل الأرض قرارا ـ ﴾

أقول ، لقد تقدّم رسم القارّات كلها فى (سورة النور) فارجع اليها هناك وانظرها مع الحدائق البهجة والنبات والحيوان

﴿ المطلب الثالث والرابع فى قوله تعالى ـ وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسى ـ ﴾

فالمطلب الأوّل هو النبات ولما كان النبات لابد له من قرار أتبعه بالمطلب الثانى ثم أتبعه بما كان سبب انباته فذكر الأنهار والأنهار لاتكون إلا بالسحاب والمطر والثلج الذى يكون فى الجوّ تارة وتارة يقع على الجبل فينزل الماء فى داخله ويخزن فيه فتنبع منه العيون ويمدّ الأنهار فى الأوقات المختلفات ، فانظر فى (سورة النور) وتأمّل هذه المطالب هناك فانك تجد فى تفسير قوله تعالى ـ ألم تر أن الله يزجى سحابا ـ الخ صورة السحاب الذى ليس بمركوم والسحاب المركوم والسحاب الذى يخرج منه الودق ، وهكذا ترى الثلج الذى هو كالجبال فى الجوّ الذى يخلق البرد فيه وهو معرّض لوصول الهواء الحارّ اليه فيرجع مطرا وهكذا جبال الثلج التى تحفظ فوق الجبال مثل جبال الألب المرسومة هناك وهكذا الثلج الذى يكون فوق الجبل ويرى نازلا منه فى النهر كنهر الرون الذى يصبّ فى البحر الأبيض المتوسط كما يصب فيه النيل الخارج من خط الاستواء من البحيرة المسماة بحيرة فكتوريا ، فهذه الثلوج وهذه الجبال تراها مرسومة فى تفسير تلك الآية فلا حاجة لاعادتها هنا

وأما قوله تعالى ـ وجعل بين البحرين حاجزا ـ فانظره فى سورة الفرقان عند قوله تعالى ـ مرج البحرين ـ الخ اهـ

﴿ المطلب الخامس فى قوله تعالى ـ أمّن يجيب المضطر اذا دعاه ـ ﴾

وهذا أمر لا يعرف إلا بالوجدان ولكل حيوان ولكل انسان فى الأرض شؤون تخصه لا يعرفها غيره والله أمدّه بامداد خاص وأنقذه من خطر هو أدرى به وحده ولكل ذى نفس مع ربه سرّ لا يدركه سواهما . ويظهر لك فى مثالنا انك تراه نوّع غصن الكرمة فجعله محلاقا ، وقد تقدّم رسمه ونوّع ورقة البازلاء فكانت كذلك كما تقدّم ، ونوّع غصن البرتقال فصار شوكا لحفظ النبات ، فهو قد راعى مايحتاجه البرتقال من الحفظ وما تحتاجه البازلاء والكرمة من المحاليق لترتفع بها على غيرها فأمدّها فهو إذن يحافظ على الجزء كما يحافظ على الكل ويراقب الورقة الصغيرة ويفعل فيها ماتقتضيه المصلحة . فهذا نظير إجابة المضطر اذا دعاه . هذا مافتح الله به فى هذه الآيات كتبته ليلة الاثنين ١٥ ابريل سنة ١٩٢٩

﴿ البهجة فى حدائق ذات بهجة ﴾

أكتب هذا صباح يوم الخميس (٦ يونيه سنة ١٩٢٩) إذ كنت متوجها لزيارة بعض الأصحاب فى شارع الصليبه الموصل من ضريح السيدة زينب الى القلعه ، فبينما أنا أسير إذ رأيت أمرا غريبا ، رأيت منظرا جميلا وحديقة بهجة فى الجهة الشرقية لجامع ابن طولون ، ذلك المسجد الذى أسس منذ نحو مائة وألف سنة فوق (جبل يشكر) ولقد كنت قبل اليوم أرى هذا المسجد حوله مبان قذرة وبيوت ضئيلة كأنها الأكواخ مشهدها يقبض النفوس ويجلب البؤس وهذا القبض والبؤس بسبب تلك القاذورات والحيوانات الذرّية والرطوبات المنتشرة التى تكون سببا فى المرض وفساد الصحة وضعف الأجسام والنفوس والأخلاق ولقد مضت لى شهور وشهور لم أمر من هذا الشارع . إن حكومتنا المصرية لما لها من الاتصال برجال الغرب أرادت أن تجاريهم فى تحسين القاهرة وتجميلها فاشترت تلك البيوت الحقيرة وغيرها وهدمتها وصنعت فى محلها هذه الحديقة فاستوقفت نظرى ولم أشأ أن أندفع فى المسير حتى أتأمل هذه الحديقة . المسجد فوق الجبل والشارع منحط عنه بما يزيد على ١٢ مترا ، فبناء عليه جعل هذا المنحدر الذى هدّمت البيوت المبنية فوقه حديقة

طريقة مكونة من ﴿سبع قطع﴾ متجاورات ﴿القطعة الأولى﴾ جهة الشارع فى أسفل المنحدر بيضاوية الشكل يحيط بها سور من الحديد قد زرعت حشائش تكون طول السنة مخضرة ويسمونها (قازو) وفى وسطها روضة طريقة صغيرة مزروعة أشجارا أوراقها طويلة أزهارها كبيرة حمرة يسمونها (كنه) أوسنبل وهذه الروضة الصغيرة أيضا بيضاوية الشكل كمدار الكواكب كلها فانها بيضاوية وتحيط بها أشجار السرو الجميل وكل هذه انما اختيرت لأنها مخضرة طول العمر لايتحات ورقها ولايطمع الناس فى أكل ثمرها فكأن الاثمار يضيع رونق بعض الأشجار وينهك قواها فلاتبقى على رونقها طول السنة

هذه هى القطعة الأولى والقطع الست الباقية كلها مستطيلات الشكل تحيط ببعض سورها شجر يسمى (تويّه) أخذوا هذا الاسم من اللغات الافرنجية التى جلبوا هذه الأشجار منها • هذه هى الحديقة التى رأيتها وأنا الآن أراك أيها الذكى تقول لى ، لقد وصفت حديقة لاقيمة لها وفى الدنيا حدائق جميلة بهجة وهذه بالنسبة لها أثر بعد عين أوعدم بالنسبة للوجود . فأقول أنا لم أكتب هذا المقال لأسمعك هذا الوصف • كلا • بل إنى أريد أن أذكر ماخطر بنفسى حين رأيت هذه الحديقة ، تذكرت أن هذا المكان كنت أسكن منذ ٢٠ سنة بالقرب منه وما كان له هذا الرونق فتغيرت الحال فقلت فى نفسى هذه أجسامنا التى نعيش بها نرى الله يقلبها من حال الى حال ثم يهدمها ويحدث غيرها ، فاذا رأينا الأرض الملاصقة لمسجد ابن طولون لما هدمت بيوتها ظهر لها رونق جديد هكذا فلتكن أجسامنا بعد أن تهدم تظهر أرواحنا بمنظر جميل شارح للصدور وهذا الخاطر ليس هو المقصود الأوّل من هذا المقال بل المقصد الأهم من هذا هو تذكير المسلمين بقوله تعالى ـ حدائق ذات بهجة ـ

ماهى البهجة هنا ؟ يظنّ الجهلاء وصغار العلماء أن البهجة فى مناظر الحدائق وظواهرها مع ان خضراء الدمن أى تلك الحشائش التى تنبت فى الأماكن المستقذرة تكون ذات بهجة أيضا • كلا • إن المدن اذا ازدحمت بالسكان وتراكمت فيها الأقذار ضاقت الأنفاس فيها وتعذر على الناس القيام بأهم شؤنهم لما يتخلل شوارعهم وأزقتهم من المزابل والأتربة والقمامات والقاذورات فتنبعث منها الروائح الكريهة وتكثر الجراثيم وتضعف الأبدان ولايبقى فى المدن إلا أناس قويت أجسامهم فتحملت هذه المهلكات فعاشت ، والأمم مادامت جاهلة لم يظهر فيها مفكرون ترضى بهذه الحال وتعتقد أنه لامفرّ منها وأن هذه هى الحال العامّة وليس هناك خير منها فيجوس الوباء خلال الديار فيجرف الأجيال جيلا بعد جيل والناس لايعقلون . فأما اذا تخللت الحدائق المدن كهذه الحدائق هنالك يتجدّد الهواء وسط المدينة فكأن المدينة بهذا تنفست بعد أن كانت لاتتنفس لها • وبيانه أن النبات بينه وبين الحيوان اشتراك فعلىّ فى الحياة ، فالانسان والحيوان يخرج الكربون (الفحم) من أنفاسهما ويأخذه الهواء ويوصله الى الأشجار ، ومعلوم أن أوراقها أشبه بالرئة فتأخذ من الهواء المادة الفحمية الآتية من أنفاس الانسان والحيوان وتعطى الهواء مادة الحياة التى يسمونها الاكسوجين وتقول أيها الهواء خذ مادة الحياة هذه وسلمها بسلام الى اخوتى واخوانى الانسان والحيوان فيحمل النسيم تلك التحية ويسير الى أن يوصل تلك المادة وهى (الاكسوجين) الى الانسان والحيوان فيتنفسان بها أى يجذبانها من الهواء ويدخلانها فى المادة الدموية فتنظفها وتعطيها قوّة الحياة فيكون الدم شريانيا بعد أن كان وريديا • فأنا اذ وقفت أمام هذه الروضة الصغيرة كنت كأنى أسمع تلك الأوراق والأشجار والأزهار تخاطبنى بهذه المعانى وتقول قل للمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، لماذا كانت مساكنكم فى مصر ومراكش والجزائر وتونس والعراق وغيرها أقل رونقا وبهجة وتنبعث منها الروائح الكريهة ؟ أجهلتم العلوم ونبذتم العلماء أم لم تفهموا قول الله تعالى ـ فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ـ فهذه البهجة التى تظهر فى رونق الأشجار والأوراق تنبعث منها لنفوسكم بهجة وحياة فتكون هناك سعادة القلوب وانتعاش المدن وقلة الوباء وارتقاء الأمم

فها أناذا أكتب هذا للمسلمين وأقول قد بلغت اللهم فاشهد . فلما كتبت هذا حضر صديق العالم فقال هذا كلام حسن ولكن مامعنى قولك « قد بلغت اللهم فاشهد » هل أنت بلغت دينا ، وهل الحدائق ذات البهجة يجب أن تتخلل المدن الاسلامية حتى تقول ألاهل بلغت اللهم فاشهد . هذه قالها النبي ﷺ في حجة الوداع ولكن قالها في أمور هامة وهو حفظ الأنفس والأموال والرفق بالعبيد و بالنساء . أما هذا الذى تقوله فلاهو فى العير ولافى النفير وانما أنت رجل رأيت حديقة فى مكان كنت تسكن قريبامنه وكان مكانا مزدحما بالسكان قذرا فأصبح مكانا جميلا فأثر فى خيالك . هذا أوّل الأمر وهذا آخره . قلت ياصاح اسمع . ألست ترى بعد هذا البيان أن فيه حفظ الأنفس وصحتها . قال بلى . قلت ومتى صحت الأنفس كثرت الأموال . قال بلى . قلت أليس من هذه الأنفس النساء والعبيد . قال بلى . قلت أومصدّق أنت بالقضايا العلمية التى ذكرتها لك قال نعم . قلت إذن فقد الصحة وحصول الوباء المتكرّر فى البلدان يميت نساء وعبيدا وأطفالا ورجالا ، ولكن هذا الموت ليس بالسلاح المعروف وانما هو بسلاح آخر أرسله الله لأهل الأرض لجهلهم فيحصد الأرواح حصدا أفلاتذكر أن هذه المباحث فروض كفايات . قال بلى . قلت وتركها إثم على الأمة كلها . قال بلى . قلت ولذلك يعم المرض ولايخص وكذلك الوباء . كل ذلك عقاب على ترك فرض الكفايات . قال نعم . قلت فماذا تريد بعد هذا البيان ، أليس فى ترك هذا الاصلاح هلاك الأنفس التى حذرمنها ﷺ قال بلى . قلت إذن وصلنا للمقصود ودخل هذا الموضوع فى نفس الحديث المذكور وصار الإثم عاما بمثلى و بمثلك فاذا لم نقنع الناس اقناعا تاما فانهم لايعملون ، فالمهم ماقلت وفهمه الناس ، أفلايحق لى أن أقول ﴿ قد بلغت اللهم فاشهد ﴾ قال لقد أقنعتنى بحسن بيانك ﴿ إن من البيان لسحرا ﴾ فقلت الحمد لله رب العالمين

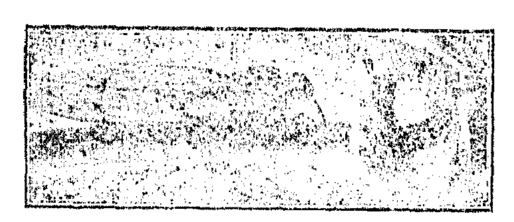
﴿ اللطيفة الثانية فى بهجة الحدائق ﴾

هذه الآيات باب نلج منه لندخل أبواب الحدائق الغناء والحقول الخضراء والبساتين البهجة المدهامات وهذه ذكرى لما كان ديدنى أيام شبابى . ومشربى فى أوّل حياتى ولوعى بالأشجار والأزهار والزروع والأعشاب أجلس على حافة الأنهار وعلى شطوطها وفى المزارع وتحت الأشجار وأسمع تغريد طيورها وغوير أعشابها ورنين حشراتها ، وأرى مستقرّها ومستودعها ، وكم كنت أطرب لمرآى جمالها وبديع نظامها وتفنن أوراقها وبدائع أغصانها وترنح فروعها وبهجة حسنها . ولقد كان يخيل الىّ انها مراقص فاتنات ومغان مرنحات ذات معان مبهجات ، وكأنما تغريد أطيارها وغوير أعشابها ورنين حشراتها وهى تردّد فى الجوّ أفانين ألحانها وعجائب نغماتها وبدائع هزجها ورملها جماعات من الموسيقيين الفنيين يضربون على دفوفهم ويغنون على أعوادهم وقد برعوا فى فنونهم وانتظموا فى صفوفهم فأبهجوا السامعين

هذه كانت حالى أيام الشباب لاسيما اذا جنّ الليل وأرخى سدوله ونظرت الراقصات الحسان والناعسات الطرف المضيآت دياجى الظلمات الباسمات الثغور الشارحات الصدور الداعيات الى جمالهنّ أجل العقول وأكبر النفوس أن هلموا الىّ واقبلوا علىّ . إن ابتسام الزهر وافترار الثغر وبهجة الورد واعتدال القد وحمرة الخد كلهنّ مشتقات من سماتى وبهجة أنوارى ومحاسن إصدارى وايرادى فلاتقصدوا إلا الىّ ولاتوّلوا إلا علىّ وارفعوا النفوس الى العلا وأنتم مبتهجون

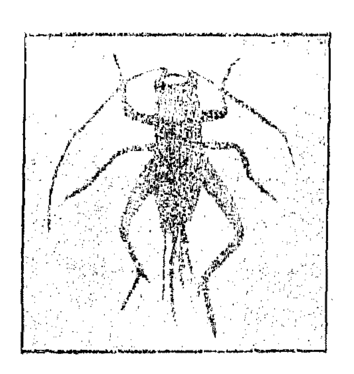
هذه كانت قصة خيالى فى مبدأ حياتى فى الرياض المشتبكات والحقول الخضرات ، فهل كان يجيش بقلبى أو يمرّ بخاطرى ماظهرالآن وبهر من علم الحشرات وغنائها وأن تلك الحدائق والحقول كان فيها تلك المعانى حقيقة لامجازا وحسا لاخيالا ، وهل كنت أعلم إذ ذاك أن من أنواع الحشرات مابلغ التعاون بينها مبلغا عظيما وأصبحت حضارتها أبلغ فى الحقيقة من حضارة الانسان . إن هنالك نظاما يفوق الوصف فى تلك المخلوقات قد قرأته فى سور كثيرة لاسيما فى هذه السورة ، مثل أن العلماء راقبوا النمل فوجدوا الواحدة منه تصل شوارعها

بشوارب الثانية فيحصل هناك ضجة كبيرة فى تلك الجماعات ، انها متعاونات ، انها متحدات ، إن بينها تخاطبا بطريق (التلغراف الذى لاسلك له) كيف لا وقد أدهش العلماء أن رأوا جماعات منها تقطع الأميال فى الليل البهيم لتنقذ حشرة وقعت أسيرة ، فمن أخبرها وأى واسطة للتبليغ غير ذلك . يظن العلماء أن لها لغات لكن لا نسمعها وقد أثبتوا أن لها مغانى وآلات طرب بقسميها وهما ذوات النفخ كالمزمار وذوات النقر كالطبل . مثاله (السيكادا) وهى نوع من الذباب الكبير فان له طبلا ينقر عليه كطبل الانسان وهذه صورته (شكل ٤٠)



(شكل ٤٠ ـ رسم ذباب كبير له طبلة يحدث بها صوت الموسيقى)

وهكذا هناك حشرة تفرغ جذع شجر الهليون أو غيره فتجعله كالطبلة فيسمع لذلك صوت مستمر . وهذه صورة الجدجد وغناؤه معلوم (شكل ٤١)

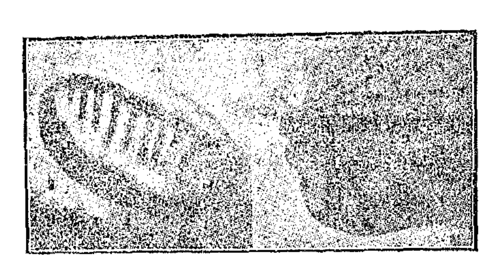


(شكل ٤١ ـ صورة الجدجد « الصرصور »)

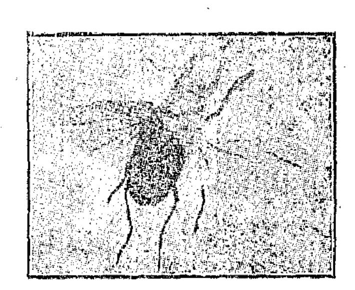
وهناك الخنفساء التى تعزف بطريق خاص بها وتشد عضلات الرجلين المقدمين والرجلين المؤخرين فيظهر بينهما غشاء رقيق مشدود فتعزف عليه ويظهر لها صوت جميل مثل (الناى) أليس هذا هو عين قول الله تعالى ـ ومامن دابة فى الأرض ولاطائر يطير بجناحيه إلاأمم أمثالكم ـ أليست الخنفساء القبيحة المنظر التعسة لها مالنا من أنواع الموسيقى والغناء والألحان ، فها هى ذه المماثلة لم تقتصر على حال دون حال بل وصلت الى الزينة وهى نوع من الموسيقى التى كنت أتخيلها فى الحقول وماهى بخيال بل كان الوجدان يقتطف ويختطف ذلك الفرح وتلك البهجة من بين الأعشاب ويلقيها الى نفسى فأتخيل النغمات وان كنت لاأسمعها وأستطرف تلك المعانى وان كنت لا أدركها

﴿ مغانى النمل ﴾

وهل كان يدور بخلد أحد من أهل العلم قبل الآن أن للنمل آلات موسيقية وانها تحتك بأجسامها فى أوراق الأشجار فتحدث صوتا فى بعض الغابات يسمعونه على بعد ٢٠ قدما و بين كل نملة وأخرى مسافة معلومة فتحدث هناك نغمة خاصة ويكون البدء وتكون النهاية فى وقت واحد ، وهذا جهاز التنفس فى الحشرات والغشاء الرقيق الذى يحدث الصوت (انظر شكل ٤٢ وشكل ٤٣ فى الصفحة التالية)



(شكل ٤٢ ــ جهاز التنفس فى الحشرات والغشاء الرقيق الذى يحدث الصوت)



(شكل ٤٣ ــ رسم الخنفساء الوغلية وهى طائرة)

إن أجنحة الحشرات تتحرك بسرعة تفوق الوصف بل تصل الى (٣٥٠) مرة فى الثانية فى الحشرة المسماة بالزجاجة الزرقاء ، وليست موسيقى الحشرات كلها بالنقر أوالاحتكاك . كلا . بل منها ماله جهاز تنفسى كجهاز الانسان

يقول علماء الحشرات إنه مامن نوع من أنواع الحشرات إلا وله نغمات خاصة به ، واذن قوة الانسان لن تقدرأن تدرك ذلك وقد قطعوا الأمل أن يدركوا ذلك بآلات لأنهم يقولون ﴿ إن الانسان أدق نحو مليون مرة من أشد الآلات العلمية إحساسا ﴾

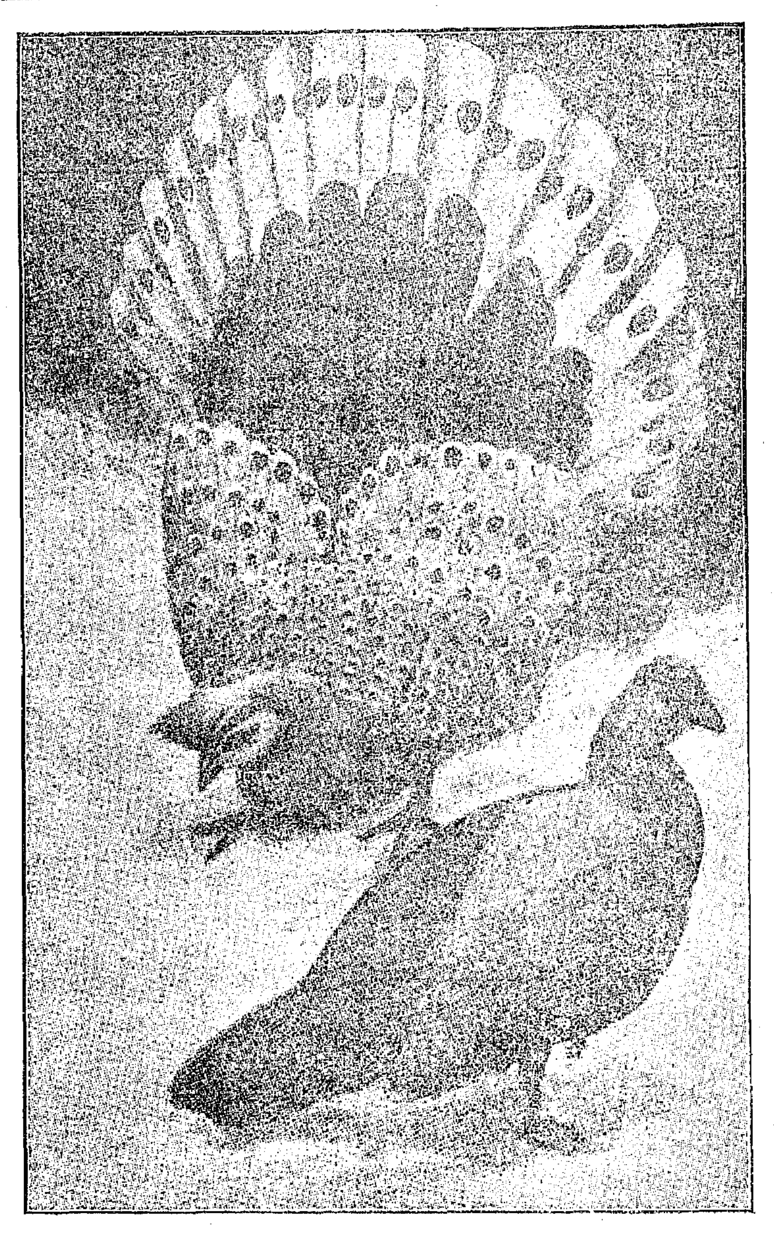
بهذا نفهم قوله تعالى ــ حدائق ذات بهجة ــ وقوله تعالى ــ وفى الأرض آيات للموقنين * وفى أنفسكم أفلا تبصرون ــ أفلست أنا أيها الذكى على حق اذا قلت وأنا فى تلك الحقول أيام الشباب ، ان النجوم الباسمة الثغر ليلا تقول هلموا الىّ لأن أرضنا فيها معان بديعة عجيبة قد استبهمت علينا فشوّقتنا الى المعرفة العامة فى الأرض وغيرها وبالمعرفة تكون السعادة ، ومتى طربنا من هذه الأرض أدركنا جمالا أرقى ومحاسن أبهى والسلام اه

وأقول أيضا هل كان يخيل الىّ وأنا فى حال الشباب جالسا فى الحقول كما قدّمت آنفا أن هناك شجرة تسمى « شجرة السائح » نقلا عن مجلة الجديد وهاهى ذه (انظر شكل ٤٤ فى الصفحة التالية) ...



(شكل ٤٤ ـ شجرة السائح فى حديقة النباتات فى (جورجتون) عاصمة غيانا البريطانية وهى تحتوى دائما على كمية كبيرة من المياه النقية الصالحة للشرب فاذا ثقب أحد الفروع يتسرب الماء من الفتحة بقوة وكل فرع به مخزن مستقل من الماء)

أم كان يخيل الى أن هناك عواطف للحب بين أنواع الحيوان والطير كما ترى من مغازلة الطاووس لأنثاه (شكل ٤٥ فى الصفحة التالية) فلقد جاء فى مجلة الجديد أيضا مانصه



(شكل ٤٥ ـ رسم مغازلة الطاووس لأنثاه)

﴿ مغازلات الحيوانات والطيور وهدايا العشاق ﴾

تقدّم الاستاذ (جوليان سوريل هكسلي) بجامعة أكسفورد الى الجمعية العلمية الانكليزية بأبحاث هامّة أثبت فيها أن كل الطرق والاجراآت التى يتذرّع فى عملها الذكور والاناث من بنى الانسان لاستمالة القلوب موجود مايماثلها من كل وجه بين الحيوانات والطيور فانه يكون بين الجنسين فيها المغازلات والغناء والرقص وتقديم الهدايا الى آخر مايصير بين المحب والحبيب وليس ذلك قاصرا على الأنواع العليا . فالاستاذ هكسلى يثبت أن بعض الحشرات تتعطر بروائح الثمار والأزهار كى تكون محبوبة ، ومن المعروف أن كثيرا من الطيور والحيوانات حتى الأنواع الزاحفة منها تعرف أغانى الحب وتكثر منها لاستمالة القلوب

﴿ حب العنكبوت المبصر ﴾

ويرى الاستاذ (هكسلى) أن لكل نوع من الحيوان طرقه الخاصة به حسبما يتفق مع تكوينه فالعنكبوت مثلا ﴿ قسمان ﴾ قسم يتجوّل ويصطاد فريسته ، وقسم يتخذ بيوتا من النسيج الدقيق الذى يغزله ، ويرى

أن العنكبوت الأخير لايبصر فالعاشق منه طريقة غير التي يتبعها العاشق من النوع الأول ، فالعنكبوت المتجول الذى أبصر عنكبونة من نوعه أخذ يدنو منها بأرشق حركة ثم اذا صار أمامها يأخذ فى الرقص حولها بكل مهارة ودقة حتى اذا وجد انه أثار ميلها اليه أتى بجسمه أثناء رقصه فوق جسمها وقد تستبقه هى باحتضانه فيرقصان معا نحو مائة دورة قبل اتصالهما العنيف الجنونى

﴿ حب العنكبوت الأعمى ﴾

وأما العنكبوت الأعمى وهو الذى يتخذ البيوت الخيطية فانه يعبر عن عواطفه فى الحب بطريقة أخرى غير الرقص لأنه لاتراه حبيبته حيث يدنو من بيت معشوقته بكل مهارة كأنما هو روميو تحت شرفة جوليت فلا يحطم لها خيوط البيت ولكنه يهز أحد الخيوط برشاقة و ينقر عليه بخفة و بطريقة خاصة تفهم منها العنكبونة أن الطارق هو روميو لاذبابة وهذه الاشارة الأولية لابد منها والا فان المعشوقة العمياء ربما حسبته فريسة وأكلته وقد يجىء العنكبوت حاملا الى حبيبته فريسة من اللحم المختار ملفوفة فى خيوط من الحرير على سبيل الاهداء فان تقديم الهدايا ليس خاصا بالانسان بل هو غريزى فى بعض أنواع الحيوانات والطيور . ويوجد نوع من الذباب يصنع الذكر منه (باقة) من الأزهار الدقيقة و يقدمها للأنثى ليشعرها بحبه ، وذلك بأن يخرج إفرازا يصنعه على شكل فقاقيع صغيرة ويجمع قطعا من أوراق الأزهار و يلصقها عليها فاذا صنع باقته كذلك وضعها على رجله وقدمها لحبيبته

﴿ حب الفراش ﴾

ومن البديهى أن تأنق الطبيعة فى زخرفة الفراش بأبهج الألوان الجذابة لم يحصل عبثا فلابد من أن تطورات الانتخاب الطبيعى لاختيار النوع الأمثل كانت على أشد حرارة بين هذه الحشرات ، وهل معنى ذلك الااشتداد العواطف الحارة بين الذكور منها والاناث . على أن أنواع الفراش لاتقنع باستمالة العشيقات بهيج الألوان فتجمع الى ذلك التعطر بأريج الأزهار كما هو مشاهد عند العلماء الذين يشمون عند دراسة أنواع الفراش ماتحمله أجسامها من الروائح العطرية المختلفة

﴿ غناء الحشرات ﴾

وليس الانسان وحده الذى يرسل زفرات فؤاده بالألحان والأنغام فان أقل الحشرات تعبر عن وجدانها وتستميل عشيقاتها بالغناء ، ومنه ما تسمعه أذن الانسان كما فى الجدجد والناموس وغيره ، وقد يكون اهم سبب له اشعار الاناث بوجود الذكور أى الاعلان عن أنفسها

﴿ دموع التمساح ﴾

وقد يضرب المثل بدموع التمساح دلالة على أنه بعيد عن التأثر بالعواطف الرقيقة ولكن علماء التاريخ الطبيعى الذين درسوا حياته فى مواطنه الطبيعية يرون أنه شديد التأثر بميوله وعواطفه الجنسية الى درجة الجنون فهو يثور ثورة يكاد ينفجر منها اذا أغضبته الأنثى

﴿ الحب بين الطيور ﴾

و يقرر العلماء أن حياة الطيور تكاد تكون موقوفة على مناورات الحب والاستمتاع به ولكل نوع منها إجراآت وطرق عجيبة لايجاد الاتصال بين الذكور والاناث ، وذهب بعض العلماء الى أن أرقى مثل للزواج يوجد بين بعض أنواع الطيور حيث يجعل الذكر كل أعماله لاسعاد الأنثى وهى راقدة على بيضها فى العش دون أن يتألم من أية مشقة فى إعالتها واعالة أفراخها الصغار ، ويرى الدكتور (لودلو) العالم الأمريكى أن تغريد الطيور مكون من ألفاظ غزلية وسواها حسبما تشعر به من الانفعالات والميول الجنسية نحو بعضها فهو فى الحقيقة لغة عواطف الطير . ويرى الاستاذ (هكسلى) أنه من الخطأ البين حتى بين رجال العلم أن تجعل كل الانفعالات

النفسية حقا مقررا للانسان وحده وتترجم ظواهرهذه الانفعالات فى الحيوان والطير من هذه الناحية وحدها فى حين أن الحقيقة والأمر الطبيعى أن تعتبر هذه الانفعالات من غرائز الكائنات الحية وأن الانسان المتسلسل منها محتفظ بنصيبه منها مثل أى كائن حى . وصفوة القول أن الصفات الحسية والعواطف المختلفة التى استأثر بها النوع البشرى حيوانية قبل أن تكون انسانية ولم تبلغ درجتها الحالية إلا بعد أن تطوّرت فيه وفى أسلافه من أقدم العصور حتى هذا العهد اهـ من مجلة الجديد

﴿ بهجة الابصار فى أوراق الأشجار ﴾

لما كتبت هذا واطلع بعض العلماء عليه أخذ يحادثنى قائلا ، لقد ظهرلى جمال العلم والحكمة فى شجرة البرتقال وشجرة الكرم والتنوّع فيهما ، ولعمر الله لقد أنعشنى وأبهج قلبى أن أرى المحلاق فى شجرة الكرم وأرى الشوكة فى شجرة البرتقال وأن لهما مزية ظاهرة مع ان أكثر هذا النوع الانسانى لايعرفون من الشوك إلا انه خلق لمجرّد الايذاء وأن هذا المحلاق وجد اتفاقا ، فهذا القول يفتح لنا مجالا للتبصر والبهجة هذا من العجب العجاب ، فهل تتوسع لنا فى هذا الموضوع حتى اذا تفيأنا ظلال الحدائق الغناء شرحت صدورنا بأوراقها وأزهارها وتباين أشكالها وتفنن أثمارها . ونقول

وعلى تفنن واصفيه بحسنه * يفنى الزمان وفيه مالم يوصف

ونرى فى الزهر والنبات مايراه علماء البديع فى تعليم المبتدئين قول الشاعر يصف مجاهدا قتل فى الحرب

تردى ثياب الموت حمرا فما أتى * لها الليل إلا وهى من سندس خضر

وهم فرحون طربون طربا لفظيا فى ذكر الحمر والخضر وما يزاولونه مما يسمونه الجناس فى قوله تعالى ـ ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة ـ من اتفاق لفظ الساعة فى الموضعين واختلاف المعنيين وهكذا مما هو معروف مشهور . فقلت سل مابدا لك فى أنواع الزهر والورق . فقال لقد ابهم علىّ السر فيما يأتى (١) ورقة القصب والذرة والقمح (٢) وورقة البازلاء وورقة الورد (٣) وورقة الحناء (٤) وورقة المشمش مثلا (٥) وورقات الفجل والخروع (٦) وورقات العدس والترمس . هذه الورقات مختلفات اختلافا بينا ، فهل تشرحها لى شرحا يشرح صدرى شرح الله صدرك كما انشرحت وطربت لمعرفة السرّ فى شوكة البرتقال ومحلاق العنب . فقلت أذكر لك ما أعلمه فى هذا المقام على مقتضى أصول علماء النبات

اعلم أن الله عزّ وجل قد أبدع فى نظام هذه النباتات ابداعا لاحدّ له ، ومابداع الناس فى تركيب كلامهم ولاتزويقهم لصنوف عباراتهم إلا قبسة من أنوار الجمال الأعلى ولكن أنى يستوى السابق والضليع

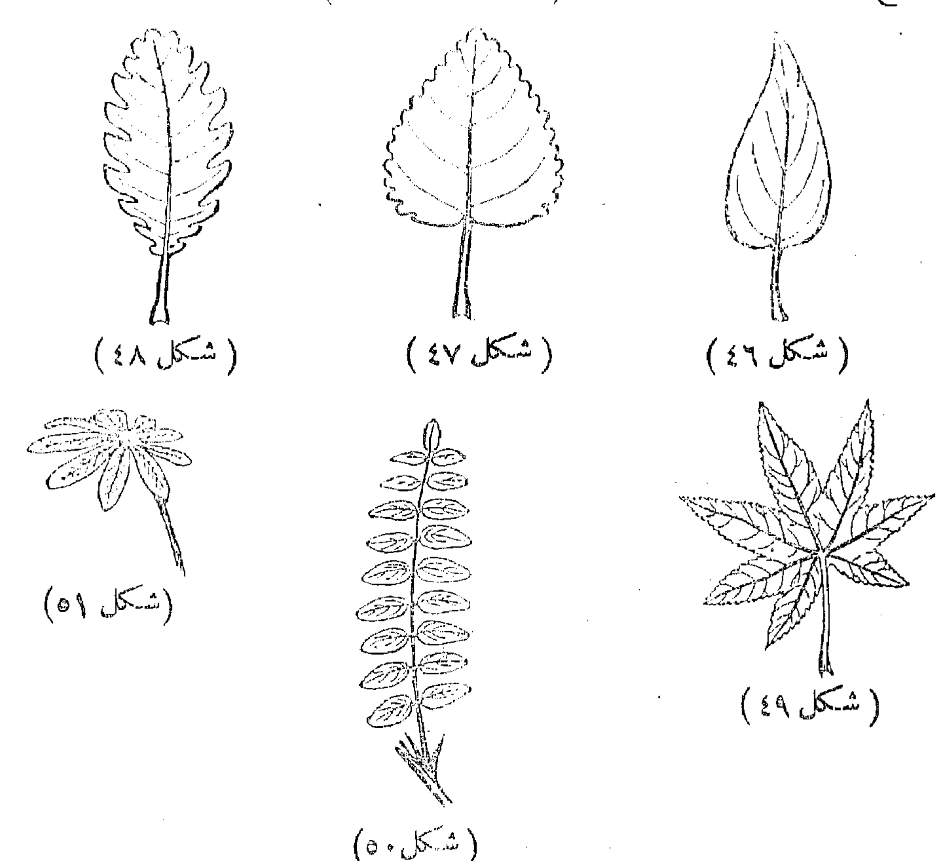
* ليس التكحل فى العينين كالكحل * ففى الطبيعة التى أبرزها الله لنا من الجمال مايبهر الابصار ـ ولكنّ أكثر الناس لايعلمون ـ إن الابداع عام فى أوراق النباتات وفى أزهارها وفى أثمارها والابداع فى الأوراق ﴿ نوعان * النوع الأوّل ﴾ فى نفس تكوين الأوراق ﴿ النوع الثانى ﴾ فى نسبة بعضها الى بعض

﴿ الكلام على النوع الأوّل وهو تكوين الأوراق ﴾

اعلم أن الله عزّ وجل أرسل لنا من لدنه ﴿ نورين ﴾ نورا حسيا ونورا معنويا عقليا وضرب النور الحسى مثلا للنور العقلى ، فكما اننا نرى الشمس واحدة وقد عمّ نورها الآفاق وأشرقت بها الأقطار ولم تذر نباتا ولا حيوانا ولاصغيرا ولا كبيرا إلا نشرت عليه ملاءة من أنوارها وهى واحدة هكذا نرى انه هو واحد وقد بعث من لدنه نورا عقليا وحكمة قدسية هندست خلق الأوراق والأزهار بحكمة واتقان بحيث يراعى فى ذلك أن يظهر جميع الممكنات ، فكل ممكن فى الوجود يبرزه ﴿ وبعبارة أوضح ﴾ انه كما نوّع منافع الأشجار والزروع نوّع ظواهرها ، فهذه التى ذكرتها فيها الحبوب كالقمح والذرة والبازلاء والعدس وفيها الفاكهة كالقصب والمشمش وفيها الخضراوات كالفجل وفيها الدواء كالخروع وفيها الزينة كالروائح العطرة فى الورد والأصباغ الجميلة فى الحناء

ولاجرم أن مانحتاجـه إما ضرورى كالحبوب ، وإما كمالى كالفاكهة والخضر ، وإما دواء كالخروع ، وإما زينة كالحناء والورد . فهذه التى ذكرتها قد جمعت نموذج ما نحتاج اليه فى هذه الحياة الدنيا ، فهذا التنوع الموافق لحاجاتنا بالحكمة والتدبير يقابله تنوع فى ظواهر الأشكال بحيث يشمل كل ما يمكن حصوله فى العقل

إن عقولنا لاتتخيل فى الورق إلا أحـد هذه الصور ، أن تكون حافتها مستوية لا أسنان فيها أوأن تـكون فيها أسنان صغيرة أوأن تـكون الأسنان كبيرة لاتبلغ نهاية الورقة أن تـكون الأسنان بالغة نهاية الورقة فهذه الأنواع الأربعة كلها وجدت فى هذه الأوراق التى ذكرتها ، فمثال الأول ورقة الحناء (انظر شكل ٤٦) ومثال الثانى ورقة المشمش (انظر شكل ٤٧) ومثال الثالث ورق الفجل والخروع (انظر شكل ٤٨ و ٤٩) ومثال الرابع ورق العدس وورق الترمس (انظر شكل ٥٠ و ٥١)



(شكل ٤٦) (شكل ٤٧) (شكل ٤٨)

(شكل ٤٩) (شكل ٥٠) (شكل ٥١)

ومن العجب أن النبات ذا الفلقة الواحـدة كالقمح غالبا نرى ورقته لها عروق متوازية . وأما النبات ذو الفلقتين كالعدس والترمس فان ورقه غالبا يكون مشبها هيئة الريش كورقة العدس أومشبها راحة الكف كورقة الترمس . ثم ان هذه الأوراق كلها لها أعناق وتلك الأعناق انما خلقت لها لترفعها عن الأغصان حتى تلاقى ضوء الشمس وتمتع بالهواء ، ولولا هذه الأعناق لبقيت جاثمة على أغصانها ، فهذه الأعناق الرافعة لها انما خلقت لهذه الحكمة ولولاها لم تخلق ، ولذلك ترى ورق القرطم لاعنق له بل الورقة حينئذ يسميها علماء النبات جالسة لجلوسها على مستقرها إذ لاحاجة الى انفصالها عنـه لأنها متمتعة بالهواء وبالضوء بلاحاجة الى مايرفعها . ثم إن هذا العنق الذى يرفع الورقة ربما احتاج الى مايحفظه . ومعلوم أنه لابد منه للورقة والورقة نافعة للشجرة لأن الورقة أشبه بالرئة فى الحيوان بها يكون مايشبه التنفس فيه فهى بما فيها من المادة الخضراء (الكلوروفيل) تنقل غاز الكربونيك من الهواء فتحلله وتأخـذ الكربون (الفحم) وتطلق الاكسوجين فى الجوّ فيذهب للحيوان . إذن هذه الأوراق لابد منها لحياة الشجرة ولذلك اقتضت العناية أن يرفعها ذلك

العنق فتقابل الهواء والنور ليتم فعلها فتأخذ من الهواء الغاز و بغير النور لا تقدر على عملية التنفس ، وقد جاء في كلام علماء الفقه ﴿ مالايتم الواجب إلا به فهو واجب ﴾ فاذا وجب وجود هـذا العنق ليتم عمـل الورقة واحتاج الى مايحفظه فليصنع له ماصنعه الناس فى حفظ رقابهم من حوادث الجوّ . إن الناس يضعون على رقابهم أربطة فى بلادنا وفى أكثر بلاد العالم لتقيهم الحرّ والبرد ورقابنا لابد لنا منها فنحفظها كما ان رقاب الأوراق لابد منها لها ، لذلك اقتضت الحكمة الخفية أن عنق ورقة البازلاء وعنق ورقة الورد يخلق لهما مايسميه علماء النبات (أذنين) وهما إما كبيرتان كما فى البازلاء (انظر شكل ٥٢) واما صغيرتان كما فى الورد وترى الحماية لعنق ورقة السنط بالسلاء ، ثم إن العنق إما محيط بالساق كما فى القمح والقصب والذرة فهو أشبه بالغمد واما غير محيط به بل لاضخامة فيه كالكتان فهذا جواب ماسألت عنه . إذن ظواهر هذه الأشجار قد أخذت الأشكال التى يتصوّرها العقل و بواطنها تنوّعت الى مانحتاج اليه فى حياتنا ، فالظواهر والبواطن فى النبات توجب علينا دراستها لتحيا أجسامنا وترقى عقولنا . انتهى الكلام على النوع الأوّل فى نفس تكوين الأوراق صباح يوم الجمعة ١٦ ابريل سنة ١٩٢٩



(شكل ٥٢)

﴿ النوع الثانى نسبة الأوراق بعضها الى بعض ﴾

وهذا تقدم شرحه مع رسم بعض الصور فى (سورة الحجر) عند قوله تعالى ــ وأنبتنا فيها من كل شئ موزون ــ فلانعيده . وأما الكلام على الأزهار فقد تقدم أيضا فى أوّل سورة الشعراء وفى أوّل سورة الحجر وفى سورة الأنعام فليراجع

﴿ ذكرى الجمال والحكمة ومخاطبة المؤلف لصانع العالم بمناسبة عجائب الأوراق المرسومة فيما سبق ﴾

فى هذا اليوم (الأحد ٢١ ابريل سنة ١٩٢٩) بعد كتابة ماتقدم أخذت نفسى تحدّثنى كأنى أخاطب صانع العالم قائلا ﴿ يا الله إنى وجدتك لم تذر صغيرة ولا كبيرة فى هـذا العالم إلا دبرتها ونظمتها ، أضأت شمسك وأنرت قمرك ونجومك وأرسلت أشعتها على الأرض ولم يغادر هذا النور المحسوس صـغيرة ولا كبيرة إلا أضاءها هذه شمسك الجميلة لم يكفها ارسال النور على السيارات حولها وعلى الأرض بل شمل نفعها الذرات والحشرات كما شمل الأنعام والانسان ، ووجدتك أنت حبوت بالتدبير الممالك الصغيرة والكبيرة الحيوانية والنباتية من حيث عمومها ولم تذر حشرة ولاحيوانا ذرّيا إلا أكملت خلقه ولا نباتا صغيرا ولا كبيرا إلا أحكمته ، ويزيدنى دهشا أن أرى بعينى ورقة الورد وورقة البازلاء وورقة السنط محميات محفوظات مكفولات فى كنفك ، فأعطيت

الأولى حافظا لها يقيها ، والثانية حافظا لها أقوى ، والثالثة أعنتها بشوكة تقيها العاديات ، حكم لايفطن لها الناس يمرّون عليها وهم عنها غافلون ، من ذا الذى كان يظن أن الحكمة والعناية تصل الى ورقة السنط الضعيفة وأختيها ، من ذا الذى كان يعقل أن هذه الزوائد والروافد على البازلاء والورد وضعت لمنفعة

اللهم انه لولا الحجاب المسدول بيننا و بينك لظهر نورك البديع فأحرق الأجسام والقلوب والأفئدة ، هذه النفوس الأرضية قبسة من نورك وقد حجبتها فى المواد الطينية فهى الآن فى غفلة ولولا الغفلة لم تعش طرفة عين ولم يستقرّ لها قرار ، إنى لأحس فى نفسى بأن فى هذه الأرض أناسا منا نحن قد اطلعوا على الحقائق فرأوك فى كل ورقة وشجرة وزهرة وحجر ومدر وكوكب فعاشوا فى النعيم الذى لانعيم يوازنه ولاسعادة تضارعه وهؤلاء لوتزينت لهم الحور العين وأغدقت عليهم سائر النعم وملكوا الجنات والولدان لم يأبهوا بها ولم يطربوا لها بل يرون نورك الذى بهرهم أعظم سعادة وجمال وأن احتجابه عنهم أشدّ العذاب

أقول هذا موقنا به ، وهذه الطائفة التى تصوّرتها تصبح اليوم فى نعيم وان كانت فى هذه الدار لاتشتاق الى حال أرقى مما وصلت اليه لأنها ترى رب الدار وتقول « الجار قبل الدار » ولايروقها إلا وجهك . إن فى الارض أناسا تمت سعادتهم قبل دخول الجنان ـ رضى الله عنهم ورضوا عنه ـ

أقول هذا لما شاهدته فى هذه العوالم ولما عرفته أثناء هذا التفسير من ابداعك فى صنعك ورأفتك بكل ضعيف وكفالتك للذرات والحشرات وصغيرات الأوراق والأزهار وإلهامك لكل حىّ مايصلحه والآن فهمت قولك ـ إن كل نفس لما عليها حافظ ـ وقولك ـ مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها ـ وقولك فى قصة قارون ـ إذ قال له قومه لاتفرح ـ الخ وقولك ـ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ـ وقولك ـ وأحسن كما أحسن الله اليك ولاتبغ الفساد فى الأرض إن الله لايحب المفسدين ـ وقولك ـ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علوّا فى الأرض ولافسادا ـ الخ فأنت لاتحب الفرحين ، وأنت لاتحب المفسدين ، ولاتحب الذين يريدون علوّا فى الأرض وتأمرنا بالاحسان للناس كما أحسنت الينا ، وذلك كله تجلى لى فى هذه الورقات وابداعك فيها ، أنت راعيت أضعف الورق فى السنط وفى الورد وفى البازلاء ، فهكذا أنت تراعى كل انسان من باب أولى و يصيبه الخير والشرّ فلم الفرح ولم الحزن اذا لم يكن هناك عمل إلا عملك أنت ولافرح إلا بما يعمله الانسان مستقلا ولا عمل له فى الحقيقة والمفسد فى الأرض خالف منهجك الذى رأيناه فى رعايتك هذه الورقات والعلوّ على الناس خلاف سنتك فأنت تحفظ هذه الورقة كما تحفظ الشمس والقمر والانسان وضوء شمسك لايتكبر على الخنفساء مثلا ويختص بالانسان ، فعلى الناس أن يقتدوا بك فى عملك . وهذه الزروع والأشجار قد تركت للناس ثمارها فأحسنت لهم كما انك أحسنت اليها ، أفلايجب علىّ أن أنشر بين الناس هذا الكتاب وغيره اقتداء بعملك وسيرا على منهجك إنك أنت الحكيم العليم

أيها الذكى هذا هو الذى قرأته فى هذه الورقات فاقرأه معى وأحسن كما أحسن الله اليك ، واعلم أن الله عزّ وجل لايكره منا إلا حب العلوّ وحب الفساد . أما نفس العلوّ فهو أمر واجب كأن يكون الانسان حاكما اوأستاذا واليد العليا خير من اليد السفلى . ومعلوم أن المعطى خير من الآخذ ولكن لايرى أن له فضلا فى ذلك بل يعلم انه لله ، واذا قهرنا أعداءنا وجب أن لايكون ذلك لمجرّد الانتقام بل يكون ذلك لاصلاح اهل الأرض كما كان ذلك دأب الصحابة فى محاربة الأمم فلم يكن انتقاما بل كان عملا يراد به الاصلاح كما ان الله يزيل نبات الصيف و يجعل محله نبات الشتاء للاصلاح لا للافساد فى الأرض . هكذا فلتكن أعمال الناس . هذا ماتذكرت عند نظر هذه الأوراق المرسومات والحمد لله رب العالمين

﴿ سعادة مؤلف التفسير وسعادة قرائه ﴾

هذه هى السعادة التى كنت أنشدها بين الحقول والأشجار وعلى شواطئ الأنهار وأناشب وفتى . كنت

أنشد الحقيقة والحقيقة هي نفس السعادة ، ماهي الحقيقة التي كنت أنشدها ؟ كنت أريد أن أعرف ماوصل اليه عقل هذا الانسان في معرفة هذا الوجود . فهاأناذا اليوم أعلن أن ورقة السنط وورقة البازلاء وورقة الورد وآلافا أمثالها في الأرض والسماء قدأعطت نفسي الايقان الذي أيقنه أفلاطون وأرسطاطاليس وقبلهماسقراط من أمة اليونان . والايقان الذي أيقنه مؤلف كتاب الفيدا بالهند . والايقان الذي أيقنه (كانت الألماني) وسبنسر الانجليزي ومئات غيرهم . هاهم أولاء كلهم قد وصلوا الى نقطة واحدة هي ماذكرته الآن في هذه الوريقات . أيقن أفلاطون . بماذا أيقن ؟ أيقن بمبدع للعالم لأجل هذا النظام و بعده أرسطاطاليس وقبله سقراط . وتغلغل مذهب أفلاطون في عقول المفكرين من أمم النصارى والمتصوفين من أمم الاسلام وفي أمم غيرهم وتقابل هذا المذهب مع مذهب الفيدا في الهند ومع آراء أمم أوروبا الحالية أي العقول الراقية هناك ومع وحي جميع الأنبياء . إذن أنا الآن أعلن اني أكتب متفقا مع أكبر العقول في الأمم قديما وحديثا ولهذا الاجمال تفصيل في رسالتي المسماة ﴿ مرآة الفلسفة ﴾ وسأكتبها في هذا التفسير إن شاء الله تعالى اه ههنا نرجع للتفسير اللفظي يقول الله تعالى ـ وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون الخ ـ ههنا ذكر الله أقوال الكفار والرد عليهم في أمر الآخرة

(١) يقول الكافرون كيف نخرج نحن وآباؤنا بعد أن أصبحت أجسادنا ترابا وكيف يصير التراب أجسادا

(٢) إن هذه المواعيد قد سمعها آباؤنا من قبلنا وماهي إلا أحاديث الأقدمين يتحدثون بها في سمرهم ومحاوراتهم وليس لها حقيقة

(٣) أمر الله نبيه ﷺ أن يأمرهم بالنظر في الأمم التي كذبت فقد كذبوا فلما كذبوا أهلكوا

(٤) وكما أمرهم بذلك أمره ﷺ ألا يحزن ولا يضيق صدره من مكرهم

(٥) ذكر الله إنهم يستبطؤن العذاب الذي وعدهم به . ذلك انه أمرهم بالاعتبار بالأمم السالفة فكأنهم قالوا وأين العذاب الواقع بنا كما وقع بهم ؟ فأجاب قائلا عسى أن يكون تبعكم ولحقكم بعض ماتستعجلون منه كيوم بدر وكالمصائب التي تحل بالناس في أموالهم وأولادهم وفي مدنهم وفي منازلهم كما قال تعالى ـ فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا ـ والعذاب على قدر الاحساس ومادام الانسان غافلا يظن أن هذه الحياة هي كل شئ فليعلم انه يعذب بكل حادث حل به لتعلقه بهذا العالم وارتباطه به ، فبقدر الارتباط يكون العذاب فيحزن لفقد المال والولد ولكل طارئ يطرق لغفلته فهذا هوقوله تعالى ـ قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون ـ

(٦) ذكر أن الله ذوفضل على الناس فانه غمرهم في النعمة وهم لايشكرونها

(٧) ذكر انه يعلم مايسرون وما يعلنون ويعلم ما غاب في السموات والأرض

(٨) والقرآن أيضا من عامه تعالى فهو يقص على بني اسرائيل أكثر مايختلفون فيه وهو هدى ورحمة للمؤمنين ، و بعد ذلك خاطبه ﷺ بقوله ـ إن ربك يقضي بينهم بحكمه ـ الخ

﴿ تفسير بعض الكلمات في هذه الآيات ﴾

(من قوله ـ وقال الذين كفروا ـ الى قوله ـ وانه لهدى ورحمة للمؤمنين ـ)

قال تعالى (وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون) من قبورنا أحياء والعامل في اذا مادل عليه ـ أئنا لمخرجون ـ وهونخرج وتكرير الهمزة للمبالغة في الانكار والمراد بالاخراج الاخراج من الأجداث وهذه الجملة تبيان لعمهم وازدياد ضلالهم وجهالتهم (لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل) من قبل وعد محمد ﷺ (إن هذا إلا أساطير الأولين) أحاديثهم وأكاذيبهم التي كتبوها (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) هذا تهديد لهم على التكذيب وتخويفهم بأن ينزل بهم مانزل بالمكذبين قبلهم

(ولاتحزن عليهم) على تكذيبهم (ولاتكن فى ضيق) فى حرج صدر (مما يمكرون) من مكرهم فان الله
يعصمك من الناس (ويقولون متى هذا الوعد) العذاب الموعود (ردف لكم) تبعكم ولحقكم واللام مزيدة
للتأكيد (بعض الذى تستعجلون) حلوله وهو ماتقدم من عذاب النفوس والمعاملات وازعاج الأمم . كل ذلك
يكون قاسيا على النفوس مادامت مغرمة بالدنيا ، فاذا كانت نزاعة الى الشرف والفضيلة والعلم وحب الله خف
عنها ماتجده فى الدنيا وزال عنها فى الآخرة (وان ربك لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لايشكرون)
واعلم انه لاشكر للنعمة إلا بعد ادراكها وفهمها ، ومتى فهم النعمة شكر الله بقلبه واعتقاده وقام بالعمل بطاعته
وأثنى على الله بلسانه ، وكيف يشكر نعمة هو يجهلها ، فالحمد لله فيما تقدم والشكر له هنا يوجبان درس هذه
العوالم المذكورة فيما تقدم ، ولتعلم أن الامام الغزالى ألف بابا من أبواب الإحياء فى شكر الله تعالى وذكر فيه
درس العلوم ومتى فهمت هذه السورة ومقاصدها عرفت أن شكر المسلم لن يكون الابدراسة هذه العلوم والعوالم
وعجائبها وهؤلاء الكافرون لجهلهم بالله قصروا علمهم على هذه الحياة وأنكروا سواها . ولو انهم درسوا هذا الوجود
لعرفوا انه لم يخلق سدى وأن هذه الحياة لو لم تكن هناك حياة بعدها لكان ذلك نقصا فى الخلق أو الحكمة فما
الحكمة فى خلق الناس وموتهم بلافائدة لهم . إن ذلك نقص مشين فى خلق العالم وفى الحكمة . فالوقوف
عند الحياة الدنيا اخلال بالعلم وبالشكر لله وجهل به وكفى بالجهل كفرا بنعمة الله وعدم شكره (وان ربك
ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون) أى ماتخفيه صدورهم وما تعلنه من عداوتهم له فيجازيهم (ومامن
غائبة فى السماء والأرض إلا فى كتاب مبين) أى خافية فيهما . وغائبة وخافية من الصفات الغالبة والتاء فيهما للمبالغة
كما فى راوية (إن هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل) يبين لهم (أكثر الذى هم فيه يختلفون) من أمر الدين
وقد كان بنو اسرائيل يختلفون فى التشبيه والتنزيه وأحوال الجنة والنار وعزير والمسيح (وانه لهدى ورحمة
للمؤمنين) فانهم المنتفعون به (إن ربك يقضى بينهم) بين بنى اسرائيل (بحكمه) بما يحكم به وهو الحق أو
بحكمته (وهو العزيز) فلايرد قضاؤه (العليم) بأحوالهم فلايخفى عليه شئ منها (فتوكل على الله) فثق بالله
ولاتبال بعدائهم (إنك على الحق المبين) وصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله ونصره فلا ناصر لك سواه .
أما هم فلاطمع فى مشايعتهم ومعاضدتهم لأنهم كالموتى وكالصم وكالعمى (إنك لاتسمع الموتى) لأنهم لاينتفعون
باستماعهم مايتلى عليهم (ولاتسمع الصم الدعاء) دعوتك الى الحق والهدى (إذا ولوا مدبرين) معرضين ولاجرم
أن الأصم اذا ولى مدبرا قطع الطمع فى اسماعه برفع صوت أونحوه (وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم) الى
الهدى حيث الهداية لاتحصل إلا بالبصر (إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا) إلا من يصدق بالقرآن انه من الله
(فهم مسلمون) مخلصون من أسلم وجهه لله (واذا وقع القول عليهم) أى اذا وجبت الحجة عليهم أواذا لم يرج
صلاحهم بالطرق المعروفة فى آخر الزمان (أخرجنا لهم دابة من الأرض) * وقد ورد فى صحيح مسلم أن رسول
الله ﷺ قال « بادروا بالأعمال قبل ست طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال والدابة وخويصة أحدكم
وأمر العامة » وورد فيه أيضا « ان أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس
ضحى وأيتهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريبا » ولم يرد فى الصحيح على ما أعلم ماذكر من
صفاتها من أن معها خاتم سليمان وعصا موسى فتجلو وجه المؤمن وتخطم أنف الكافر بالخاتم حتى ان أهل الحق
ليجتمعون فتقول لهذا يامؤمن وتقول لهذا ياكافر وأن اسمها الجساسة وطولها ستون ذراعا لايدركها طالب
ولايفوتها هارب ، ولها أربع قوائم وزغب وريش وجناحان ، ويقال لها رأس ثور وعين خنزير وأذن فيل
وقرن ايل وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخاصرة هرة وذنب كبش وخف بعير الخ وانها تخرج من الصفا
فكل ذلك لم أره فى الصحيح وانما نعرف من صفاتها ماورد فى الصحيح كما تقدم فانه لم يذكر إلا زمن مجيئها
ولم يرد فى القرآن إلا قوله تعالى (تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لايوقنون) تكلمهم من الكلام بأن

الناس الخ وعلى قراءة كسر أن يكون المعنى تكلمهم قائلة ان الناس كانوا بآيات ربنا الخ ، ثم ذكر قيام الساعة فقال (ويوم نحشر من كل أمة فوجا) أى واذكر يوم نجمع من كل أمة من الأمم زمرة (ممن يكذب بآياتنا) من للتبيين ومن الأولى للتبعيض (فهم يوزعون) يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقون الى موضع الحساب والمراد بذلك كثرة عددهم وكذا الفوج عبارة عن الجماعة الكثيرة (حتى اذا جاؤا) حضروا موقف الحساب (قال أكذبتم بآياتى ولم تحيطوا بها علما) الواو للحال أى أكذبتم بها بادئ الرأى من غير فكر ولا نظر يؤدى الى احاطة العلم بكنهها لتعلموا أبالتصديق أم التكذيب هى جديرة (أماذا كنتم تعملون) أى أى شئ كنتم تعملون بعد ذلك وهذه الجملة تبكيت لهم إذ لاعمل لهم غير التكذيب (ووقع القول عليهم بما ظلموا) حل بهم العذاب الموعود وهو دخولهم النار بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله (فهم لاينطقون) باعتذار لشغلهم بالعذاب (ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا) أصله ليبصروا فيه فبولغ فيه فجعل الابصار حالا من نفس النهار ، يقول الله ألم يبصروا تعاقب الليل والنهار وكيف جعلنا الظلمة والنور متعاقبين فى أوقات محددة ، أليس ذلك دليلا على عظم قدرتنا ووجودنا ، أوليس نوم الناس فى الظلمة واستيقاظهم فى النور مما يدل على أن لهم حالا بعد الموت مخالفة وذلك بالحياة ، أليس الموت كالنوم ليلا والبعث كاليقظة نهارا ، أوليس تسهيل المصالح باليقظة دليلا على عناية تامة بهم ، يوم يبعثون فيعطى كل مايليق له كما يفعل ذلك بعد اليقظة تماما (إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون) لدلالتها على الامور الثلاثة المتقدمة وحدانية و بعث وعناية بالمصالح بعد البعث كما يفعل فى اليقظة (ويوم ينفخ فى الصور) قيل هو جمع صورة * ويقال الصور القرن فهو تمثيل لانبعاث الموتى بانبعاث الجيش اذا نفخ فى البوق ، يقول الله واذكر يوم ينفخ فى الصور (ففزع) من الهول وعبر بالماضى لتحقق وقوعه (من فى السموات ومن فى الأرض) ماتوا أى يلقى عليهم الفزع الى أن يموتوا (إلا من شاء الله) أن لايفزع بأن يثبت قلبه * ورد فى حديث البخارى ومسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال « ينفخ فى الصور فيصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من رفع رأسه فاذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدرى أكان ممن استثنى الله عز وجل أم رفع رأسه قبلى » وهناك أقوال فيمن استثناهم الله كالملائكة الأربعة وكالشهداء والحور والخزنة والعلم عند الله ولانثق إلا بما يجىء فى الصحيح (وكل أتوه) جاءوه بعد النفخة الثانية (داخرين) صاغرين (وترى الجبال تحسبها جامدة) قائمة واقفة (وهى تمر مر السحاب) تسير سير السحاب حتى تقع على الأرض فتسوى بها وذلك لأن الأجرام الكبار اذا تحركت فى سمت واحد لاتكاد تبين حركتها (صنع الله) مصدر مؤكد لنفسه وهو مضمون الجملة المتقدمة (الذى أتقن كل شئ) أى أحكم خلقه وسواه (إنه خبير بما تفعلون) عليم ببواطن الأفعال وظواهرها وهو المجازى عليها (من جاء بالحسنة فله خير منها) من عشرة الى سبعمائة ومافوق ذلك (وهم من فزع يومئذ آمنون) أى من خوف عذاب يوم القيامة وان كان الرعب المتقدم عند مشاهدة الأهوال لابد منه مع أن المحسن آمن من وصول ضرره اليه (ومن جاء بالسيئة) بالشرك (فكبت وجوههم فى النار) أى أبدانهم أى كبوا وطرحوا جميعهم فى النار (هل تجزون إلا ماكنتم تعملون) فى الدنيا من الشرك أى تقول لهم الخزنة ذلك (انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها الله) بعد أن ذكر المبدأ والمعاد وشرح الدول والممالك والقيامة والفزع والثواب والعقاب وهذا تمام الدعوة ، أمر أن يستغرق فى العبادة وتخصيص مكة بالاضافة لتشريفها وحرمتها (وله كل شئ) خلقا وملكا (وأمرت أن أكون من المسلمين) المنقادين أو الثابتين على ملة الاسلام (وأن أتلوا القرآن) وأن أواظب على تلاوته لتنكشف لى حقائقه فى تلاوته شيأ فشيأ (فمن اهتدى) باتباعه إياى (فانما يهتدى لنفسه) فان منافعه عائدة اليه (ومن ضل) بمخالفتى (فقل إنما أنا من المنذرين) ولايضرنى ضلاله وماعلى الرسول إلا البلاغ (وقل الحمد لله) على نعمة النبوة والعلم والتوفيق للعمل (سيريكم

آياته) فى هذه الدنيا من الوقائع التى أخبر بها القرآن كنصر النبى ﷺ وكظهور عجائب الكون وغرائب علم الأرواح والكشف الحديث فى العلوم التى أدهش العقول (فتعرفونها) فتعرفون انها آيات الله ، ولقد عرف كثير من الناس فى أوروبا وفى الشرق ربهم واليوم الآخر بقراءة علم الأرواح أو باستحضارها و بالاطلاع على عجائب العلم الحديث وظهور حقائق مدهشة (وما ربك بغافل عما تعملون) فان الله عالم به غير غافل عنه فالغفلة والسهو لايجوزان عليه انتهى التفسير اللفظى

﴿ لطائف هذا القسم ﴾

(١) فى قوله تعالى ـ أخرجنا لهم دابة من الأرض ـ

(٢) وفى قوله تعالى ـ وترى الجبال تحسبها جامدة ـ الخ

(٣) وفى قوله تعالى ـ وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها ـ

(٤) وفى أن فى هذه السورة شكرين لسليمان عليه السلام وحمدين لنبينا ﷺ وما سر ذلك

(٥) وفى تلخيص كتاب الشكر اجمالا للامام الغزالى فى الاحياء وتذكير المسلمين بهذه العلوم

﴿ اللطيفة الأولى من كتاب الارواح بالحرف ﴾

ومما يدهش العقلاء أن القرآن ربما أشار بطرف خفى الى حادثة ظهور الأرواح فى هذا الزمان فى آية ـ واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لايوقنون ـ . يقول الله تعالى ـ واذا وقع القول عليهم ـ أى شارف الوقوع وهو قرب قيام الساعة وحقت كلمة العذاب على نوع الانسان بجهلوا المعنويات وعكفوا على الماديات وكذبوا الديانات وشكوا فى الآيات وأصبحوا لاشرف لهم فى حكوماتهم ولأفرادهم ومرنوا على الكذب والنفاق وازدادوا بالعلم عمى و بالفلسفة ظلما أخرجنا لهم من الأرض من يطرق الموائد ويحركها و يمسك الأقلام فى أيديهم ويكتب ويتراءى لهم فى أشكال وأزياء مختلفة ووجوه نورية فتراه أبصارهم تارة ويسمعون كلامه وطورا يبصرون أشكالا وتارة يقرؤن خطوطا وآونة يسمعون صريرا وصوتا شديدا كالرعد القاصف وقد يحسون ببرودة تمر عليهم ثم تتحرك الأيدى بالكتابة فكان فى عمله أشبه بمن يدب على الأرض من الانسان فى تعقله وعمله وبما يجرى فوقها من الدواب فى حركاتها وأعمالها الأخرى ، فهذا يشير له معنى قوله ـ أخرجنا لهم دابة من الأرض ـ وهذه الدابة تبين للناس حقائق وتدرس لهم حكمة وتريهم انهم غافلون جاهلون ضالون فيجاس أمامها أكبر الضالين وأعظم الفاسقين وأشد الغافلين ومن يدعى انه ملك مقاليد العلم و برع فى الحكمة المادية فيخر ساجدا لربه خاضعا لخالقه موقنا أن روحه ستبقى بعد موته ، فهذا معنى ـ تكلمهم ـ الخ وقرأ ابن مسعود ـ تكلمهم بأن الناس كانوا بآياتنا لايوقنون ـ وهذا هو الحاصل الآن بعينه وهذه معجزة للقرآن وحكمة ثابتة للفرقان فان الآلاف المؤلفة من البشر اليوم فى أنحاء العالم يوقنون اذا تحققوا مذهب الأرواح وليس الايمان بكاف بل اليقين هو أكمل الايمان فتعجب من الآية وانظر كيف كان هذا مظهرها وهى مسألة ظهور الأرواح فالقرآن يشير اليها

قال شير محمد ، ياسيدى إن تفسيرك هذا يخالف ما جاء عن سيد البشر وكيف نترك قول النبى ونسمع مقالك ، أوليس النبى ﷺ أعلم بالكتاب منك . قلت وكيف ذلك . قال ، قال الفخر الرازى إن لهذه الدابة أربع قوائم وزغبا وريشا وجناحين * وعن ابن جريج فى وصفها رأس ثور وعين خنزير وأذن فيل وقرن أيل وصدر أسد ولون نمر وخاصرة بقر وذنب كبش وخف بعير وانها تخرج من المسجد الحرام أوتخرج من الصفا وقيل تخرج باليمن ثم تخرج من بين الركن حذاء دار بنى مخزوم . فقلت ياشير محمد اعلم أنه لا دلالة فى الآية على ماروى وقد قال الرازى نفسه فان صح الخبر فيه عن رسول الله قبل والا لم يلتفت اليه وهو يريد أن الخبر غير صحيح . أقول ولقد بحثت فى كتب الصحاح فلم أعثر على هذا الوصف للدابة ، على أنه لوصح فرضا

لدل على انها مخالفة لكل حيوان . فقال ولكن كيف تقصرها على مسألة الأرواح وأنى لك هذا . فقلت ياشيرمحمد أنا لم أقل ان هذا هوالمعنى ولكن أقول انه رمز له واشارة ، فالآية باقية على ظاهرمعناها ترمز الى ماذكرنا ، فالدابة باقية على المعنى الأصلى نكل علمها الى الله تعالى وتكون رمزا لهذا وهذا قسم من أقسام الكناية فى علم البيان فاللفظ على حاله يشير لما اقترب منه كما أوضحه الامام الغزالى فى تفسيرقوله ﷺ « إن الملائكة لاتدخل بيتا فيه كلب ولاصورة » فقد جعلهما على حالهما ورمز بهما الى الشهوة والغضب فافهم ، فاذا فهمت هذا فقد « قطعت جهيزة قول كل خطيب » وقطع لسان كل معترض بمدك فقد سدت فى وجهه أبواب الجدال - وكفى الله المؤمنين القتال - انتهت اللطيفة الأولى

﴿ اللطيفة الثانية فى قوله تعالى - وترى الجبال تحسبها جامدة - الخ ﴾

لأبين لك فى هذه اللطيفة عجيبة من عجائب القرآن وهى ان هذه الآية بديعة الوضع محكمة الصنع فان التفسير المتقدّم يناسب المتقدّمين من الأمة الاسلامية ، واذا فسرت بأن الأرض دائرة حول الشمس والجبال بالطبع سائرة معها ونراها الآن جامدة وهى فى الحقيقة جارية جريا سريعا جدا فان ذلك يناسب قوله - صنع الله الذى أتقن كل شئ - فهذا هو الاتقان والا فالقيامة تخريب للعالم والاتقان يناسب هذا التفسير

﴿ حكاية ﴾

قد ذكرت فى سورة البقرة أن سيدة روسية تسمى (المدام ليبيديف) قد جاءت الى مصر وأقول الآن ان وزير المعارف إذ ذاك قال لها لما سألته عمن يدرس معها علم التصوّف ان الشيخ طنطاوى له إلمام بهذا العلم ثم انى لما اجتمعت معها فى المنزل الذى نزلت به أخذت أدرس معها هذا العلم فى الرسالة القشيرية نحو تسع سنين وهى كانت بعد الفهم تترجه الى اللغة الفرنسية ، واستمررنا فى الكتاب وفيه حكايات كثيرة عن الصالحين فقرأنا حكاية عن الجنيد رحمه الله تعالى ، ذلك انه كان فى مجلس ذكر وهناك قوّال ينشد فطرب التلاميذ طربا شديدا والشيخ ساكن لايتحرّك فقال له أحد التلاميذ ياسيدى أليس لك حاجة فى السماع فقال - وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمرّ مرّ السحاب - فقالت مامناسبة هذه الآية فى الحكاية . فقلت إن للآية ﴿ معنيين ﴾ معنى يليق بالأمم الاسلامية التى قبلنا ، ومعنى يليق بأيامنا والقرآن يحتمل المعنيين ولكن الثانى أقرب . فقالت ماهما المعنيان . قلت أما المعنى الأوّل فان الجبال يوم القيامة تمرّ مرّ السحاب لأجل أن تصل الى الأرض فتسوّى بها ولعظم حجمها يراها الانسان كأنها جامدة غير متحركة وهذا يناسب مساق الآية ، وأما المعنى الثانى فهو أن الأرض تجرى سريعا والجبال ماهى إلا من أجزائها فهى جارية تمرهى والأرض حول الشمس كما يمر السحاب حول الأرض والدليل عليه قوله - صنع الله الذى أتقن كل شئ - فعبر بلفظ أتقن لا بلفظ خرب كل شئ لأن القيامة تخريب لا اتقان للصنع وفرق بين الصنع والتخريب وكأن الله أتى بالآية على هذا الشكل لتكون موافقة للعصور الأولى من حيث مساقها ولهذه العصور من حيث نهايتها ويكون فهم الناس هوالذى يخطئ ويصيب والحقائق باقية على حالها ، وأما الشيخ الجنيد فلم يرد هذا ولاذاك بل قال انه فى سكونه أشبه بالجبل الذى هو متحرك ويظنّ الناس انه ساكن يريد انه يرى ظاهره ساكنا ولكن قلبه متحرّك فى مشارق الأرض ومغاربها ويجول فى المعانى العلية البديعة ، فلما سمعت هذا القول فرحت فرحا شديدا وقالت تعس الفرنجة يقولون ليس فى القرآن لطائف ولانكت بديعة ، وها أنا ذا أنقل لك المحاورة التى جاءت فى كتابى ﴿ جواهر العلوم ﴾ الذى هو أوّل ما ألفته من الكتب العلمية فقد جاء فيه مانصه لانه فيه زيادة فائدة

قال تعالى - ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين * وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمرّ مرّ السحاب صنع الله الذى أتقن كل شئ -

معلوم مما قدّمنا فى المجالس السابقة والمذاكرات أن علماء الهيئة ﴿ قسمان ﴾ المتقدّمون وهم يوافقون

مايظهر للنظر العام من ثبوت الأرض ودوران الشمس والمتأخرون تخالف هيئتهم ما يعرفه العامة فيحكمون بدوران الأرض حول الشمس وهذا المقام قد أوضحناه سابقا بما لامزيد عليه وقدمنا أن هذه كلها دائرة على الظن وأن الثانى أقرب الى الظن من الأول وأن القرآن لم ينزل لتحقيق مثل هذه المسائل لأنه جاء لما هو أجل من هذا إذ هذه الأشياء أقرب شبها الى الصنائع وقلنا ان اشكالها على نوع الانسان دعا الى نمو الأفكار فهو المقصود إذ هو فى عالم التربية ثم نقول الآن العجب كل العجب من وضع الآية التى نحن بصددها وضعا متقنا على حسب ماقدمنا و بيانه أن قوله ـ و يوم ينفخ فى الصور ـ الى قوله ـ داخرين ـ أى صاغرين مسوقة ليوم القيامة ثم قوله بعدها ـ وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب ـ حملها العلماء على يوم القيامة ـ و يوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة ـ واشدة عظمتها ترى كأنها واقفة ، ولاريب أن هذا التفسير يناسب من علقت فى ذهنه الهيئة القديمة من أيام نقل الفلسفة اليونانية الى الآن فناسب ما قبل الآية وصدرها أول الأمة ، واذا نظر الى قوله بعدها ـ صنع الله الذى أتقن كل شئ ـ نجد أن خراب الأرض ينافى الاتقان وانما الاتقان يناسب سير الأرض وجبالها ثم يراها الانسان مع شدة حركتها ساكنة لاتتحرك فهذا هو الاتقان العجيب وانما لم يقل وترى الأرض لأنها على هذا الرأى لاترى إلا متحركة مع خروج الانسان بالمرة عنها وهذا مستحيل فى الدنيا ، أما الجبال فرؤيتها ممكنة ثم انظر كيف تسير الأرض بتلك الحركة العجيبة حول نفسها وحول الشمس ونحن نراها ساكنة لم يحس أحد بحركتها من آدم الى الآن ، فهذا هو الاتقان وهذه هى الحكمة وهذا هو الوضع العجيب الذى جمع بين الحركة والسكون ، ففيه تنبيه على أن العالم كله فى حركة مستمرة مع انه يرى فى سكون بل الانسان يرى ساكنا مع انه لايقف فكره لحظة لافى اليقظة ولافى المنام إذ قوته المخيلة لاتقف حركتها لحظة ولاتقف إلا بالموت وهكذا الأمة فى حركة مستمرة إما الى صعود واما الى هبوط واما الى استمرار ، فالصعود باختراع الجديد والهبوط بهدم سور المدنية الحقة والاستمرار فى الامور الدنيوية على ماعودهم الآباء بلافكر جديد ، فالعالم كالعالم وكالانسان والأمة كل فى حركة مستمرة ويرى فى الظاهر كأنه ساكن دائم السكون ولم نذكر هذا على انه تفسير للآية ولكن لمناسبة العالم بعضه بعضا وانما نحن فى ذكر الجبال وانها على الأرض وترى انها ساكنة مع انها على الهيئة الجديدة سائرة دائما معها وهذا هو غاية الاتقان ويحق لنا أن نقول ـ صنع الله الذى أتقن كل شئ ـ بعد ماذكر هذا ماخطر ببالى الآن ، وانى لأعجب من هذا الوضع المتقن فى الآيات وكيف ناسب صدرها صدر هذه الأمة وعجزها متأخريها أى العصريين المعاصرين للأوروباويين فلم تصادم الآية مذهب السابقين وأشارت لمذهب المتأخرين[1] ولعمرى هذه هى الحكمة العجيبة جعل نظام كلامه كنظام ملكه ، فما أتقن الفعل وما أحسن القول ، سياستان متشابهتان ـ ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ـ وعندى أن هذا وأمثاله هو الاعجاز والحكم لا التأكيد بان ولا الجناس والطباق ولاغيرهما ، ألا فليتق الله العلماء وليبينوا للناس مانزل اليهم ولعلهم يتفكرون . ومن عجيب الاتقان نفس هذه الآية فكفى باتقانها واحكامها برهانا ساطعا ومعجزة لمن درس العلوم وذاق لذة

(١) فيكون ملخص المعنى سيقوم من فى السموات ومن فى الأرض فزعين إلامن شاء الله وهم جميعا صاغرون ، ولاريب أن السموات والأرض أكبر ممن فيهما واليه الرمز بقوله ـ لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ـ واذا كانت السموات والأرض أطاعتا حتى قال فيهما ـ قالتا أتينا طائعين ـ فكيف لا يأتيه كل من فيهما صاغرين أذلاء ، أولايرون أن الأرض التى هم عليها ومافوقها من الجبال منقادة له مسخرة فى هذه الحياة الدنيا لا يمكنها الاستقرار لحظة من الزمان ـ فترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب فاذا كانت الأرض التى خلقها أعظم من خلقكم أنتم فى الحياة الدنيا خاضعة له مع جبالها وأنتم عليها فكيف بكم أنتم وحدكم فلابد من إتيانكم صاغرين يوم القيامة * أطرق كرا إن النعام فى القرى *

المعارف ، ولعمرى لايعقل هـذا إلا العالمون ، فتأمل كيف ناسب مراعاة مذهب المتقدمين سابق الكلام ومذهب المتأخرين لاحقه ، وكيف ثم كيف قال بعد أربع آيات فى آخر السورة ـ وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها ـ اه

﴿ اللطيفة الثالثة فى قوله تعالى ـ وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها ـ ﴾

لأذكرلك ما كتبته فى « جواهرالعلوم » تحت عنوان ﴿ إن القرآن والسنة يتجدد إعجازهما كلما تمادى الزمان ﴾ والذى أعلمه من ذلك

(١) قوله تعالى ـ ويخلق مالاتعلمون ـ بعد قوله تعالى ـ والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ـ إذ لم يقل ـ ويخلق مالاتعلمون ـ فى القرآن كله إلا بعد ذكر مايركب فى هذه الآية وحدها اشارة الى ماسيحدثه فى المستقبل من مدهشات مايركب ويسير بالرسائل من البخار والكهرباء والسفن الحربية والبالون والتلغراف بالاسلاك أوبه وكل هـذه إما حاملة رسالة أو وقرا وهى تختص بالدواب عادة ، وقال أيضا ـ وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون * وخلقنا لهم من مثله ما يركبون ـ وقد وضح هذا فى سورة النحل ايضاحا تاما

(٢) ـ ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولوشاء لجعله ساكنا ـ وقد سكن الظل بواسطة الفوتغرافيـة

(٣) الموازنة فى ذكر ـ وكل فى فلك يسبحون ـ بعدذكر الشمس والقمر والأرض وجعلها بعدالشمس والقمر وذلك لاجماع الأمم على حركتهما ، وأما الأرض فذكرت ايناسا لمن يعتقد سكونها لوجود الفصل بالشمس والقمر ولمن يعتقد دورانها بدخولها فى ـ يسبحون ـ

(٤) ذكر السفن فى قوله تعالى ـ وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون ـ بعدالكواكب والأرض اشارة الى أن الجميع من واد واحد ، فالسفن فى البحر كالشمس والقمر والأرض فى الأثير وهى المادة المالئة للفضاء ، وكأن الكواكب كلها والأرض سفن فى بحر الأثير ـ فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أوكرها قالتا أتينا طائعين ـ

(٥) ـ اقتربت الساعة وانشق القمر ـ أولم يروا أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها ـ اشارة الى ماقيل أن القمر انفصل من الأرض فنقصت وانشق هو منها

(٦) ـ أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما ـ قالوا ان الشمس والأرض كانتا شيأ واحدا فانفصلتا

(٧) مادة العالم الأثير وهومالئ للكون لم يعرف إلا بالعقل لدقته عن الحواس ـ ثم استوى الى السماء وهى دخان ـ

(٨) ـ ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون ـ اكتشف أن حواس الانسان وأعضاءه كلها تراب صارنباتا وحيوانا ودخل فى الجسم فصارهو نفس الانسان

(٩) ـ بل هم فى لبس من خلق جديد ـ قد اكتشف أن جسم الانسان يتجدد فى كل مدة نحو ثلاث سنين فتذهب مادته ويؤتى بدلها بالمواد النباتية والحيوانية والمعدنية فتصير بشرا سويا منتشرا ـ ثم اذا أنتم بشر تنتشرون ـ

(١٠) ـ حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ـ قد كشف أن الخنزير منشأ الدودة الوحيدة [1] وقد

---

(١) وفى الخنزير ديدان لاتؤثرفيها الحرارة فى درجة من درجاتها . ولقد أخبرنى أستاذنا الشيخ حمزه فتح الله عن دولة الغازى مختار باشا أن جماعة ماتوا بعد أن أكلوا فبحث الأطباء عن سبب موتهم فاذا هم أكلوا لحم الخنزير فأماتتهم مكروباته وهو بلامين من هذه القاعدة ، وفى مقدمة (ميزان الجواهر) فوائد فى هذا أيضا فاقرأها هناك إن شئت

تقدم رسمها والكلام عليها فى هذا التفسير

(١١) كراهة أكل لحم بعض البقر لأنه منشأ السل

(١٢) وجوب غسل أثر الكلاب سبعا فقد كشف انه سم ومثله الهر كما فى بعض أحاديث الجامع الصغير

(١٣) المستنقعات منشأ المكروبات القتالة للانسان وقوله عليه الصلاة والسلام « لايبولن أحدكم فى الماء الدائم ولايغتسل فيه » فبالأول يزيد ضرره وبالثانى يصيب المغتسل الضرر بالمكروب

(١٤) ورد فى السنة أن الطاعون من وخز الجن وقد ظهر انه حقا من الحيوانات المكروبية التى هى قسم من أقسام الجن فى الحديث الذى فى كتابنا « ميزان الجواهر » نقلا عن الإحياء حيث قال فيه وصنف كالهواء

(١٥) الأمر بكثرة الاغتسال والوضوء وهذا أعظم داع لعدم الدعاوى وامتلاء السجون كما قاله العلامة (بنتام الانجليزى) مشرعهم الشهير الذى درس علوم الأمم كلها وقال « من راظب على اعمال الدين الاسلامى لم يصدر منه ذنب ولاجريمة » فالنظافة من محاسنه كما استحسن أيضا منع الخمر منعا باتا فى جميع الكرة الأرضية وعده من محاسن هذا الدين واليه الاشارة بقوله تعالى ـ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ـ

(١٦) ظهور الازدواج فى جميع النبات ـ ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين ـ وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ـ

(١٧) ـ وأرسلنا الرياح لواقح ـ قد علم مما قدمناه أن الريح هى الملقحة لأكثر النبات

(١٨) ظهور الجدرى فى أصحاب الفيل بالمكروب الذى دل عليه قوله تعالى ـ وأرسل عليهم طيرا أبابيل ـ أى متتابعة مجتمعة ـ ترميهم بحجارة من سجيل ـ أى من الطين الذى يتماسك على سطح المستنقعات

(١٩) ظهر أن كل شئ له مقدار محدود بالتحليل الكيماوى ـ وكل شئ عنده بمقدار ـ

(٢٠) ـ ويوم ينفخ فى الصور ـ الخ تقدم قبل هذا

(٢١) اعلم أن الأرض متزنة بالجبال ولولاها لاضطربت فى سيرها لأن الجبال والطبقة الصوانيـة تحفظ الكرة النارية أن تتصاعد فتختل الأرض ـ وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم ـ

(٢٢) قوله تعالى ـ حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج ـ قد تقدم فى سورة الكهف

(٢٣) قوله تعالى ـ ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ـ ومعلوم فى الاصول أن الذين اسم عام لايخص من نزلت الآية بسببهم وظهر فى كل زمان لاسيما هذا الزمان أن كثيرا منهم يدخلون بسرعة فى الاسلام بخلاف اليهود باجماع فلاسفة الأمتين ، وفى أمريكا العجب العجاب وكذلك فى أوروبا ، وسيأتى الزمان المستقبل بأعجب من هذا فى الاعجاز وقال تعالى لعيسى ـ وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ـ

(٢٤) تشتت اليهود فى أقطار العالم وعذبهم الفرنساويون فى الجزائر وغيرها وطردهم الروس وهم مبغضون فى كل دولة ـ واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب إن ربك لسريع العقاب ـ

(٢٥) ـ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ـ قد أجمع علماء اليونان والعرب وأوروبا أن علم النفس إنما يكون بعد الرياضيات والطبيعيات ، وهاك آخر ماوصل اليه البحث الى وقتنا هذا من ترتيب العلوم بحيث ان المتأخر لايفهم إلا بعد المتقدم (ا) العلوم الرياضية (ب) العلوم الفلكية (ج) العلوم الطبيعية (د) علم الكيمياء (ه) علم وظائف الأعضاء (و) علم النفس والمنطق (ز) علم الاقتصاد السياسى (ح) علم تكوين الشعوب (ط) علم تمييز الجمال (ى) علم ما وراء الطبيعة ويدخله العقائد ومعرفة الخالق والروح ، وأما علم النفس فانما هو ظواهرها لاحقيقتها (ك) علم الأخلاق (ل) علم الحقوق

(م) العلوم السياسية ، فأنت أيها الذكى ترى من هذا أن علم الروح فى المرتبة العاشرة مع العلم الإلهى المعبر عنه بما وراء الطبيعة أوالفلسفة الأولى أوالعلم الأعلى والمخاطب بهذا هم يهود جزيرة العرب ولا ريب انهم أبعد الناس عن هذه العلوم فلايمكنهم فهم الرياضيات العليا فضلا عن الروح فلذلك قال ـ وماأوتيتم من العلم إلا قليلا ـ أى ولايفهم الروح إلا من درس علوما كثيرة ، وما اعجب قوله ـ من أمر ربى ـ إذ علم الروح وعلم الالوهية فى الدرجة العاشرة

(٢٦) قال عليه الصلاة والسلام ﴿صنفان من أمتى فى النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤسهنّ كأسنمة البخت لايدخلن الجنة ولايرحن ريحها وان ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا﴾ أخرجه مسلم ، قوله كاسيات عاريات أى يسترن بعض أجسامهنّ ويكشفن بعضها أو يلبسن ثيابا رقيقة تصف ماتحتها فهنّ كاسيات ظاهرا عاريات حقيقة ، وقوله مائلات أى زائغات عن طاعة الله فلايحفظن فروجهنّ ، وقوله مميلات أى مميلات الرجال الى الفتنة ، وقوله كأسنمة البخت أى يكبرنها من المقانع والخمر والعمائم أو بصلة الشعر كأسنمة البخت انتهى من تيسير الوصول لجامع الاصول . وقد ظهرت تلك السياط بعد النبوّة بأزمان وهو الكرباج . أقول فأما النساء الموصوفات بذلك فقد رأيتهنّ فى زماننا

(٢٧) ورد أن الذباب فيه داء وقد ظهر هذا بالاستكشاف

(٢٨) قال تعالى ـ ولهنّ مثل الذى عليهنّ بالمعروف وللرجال عليهنّ درجة والله عزيز حكيم ـ قد قارن علماء أوروبا بين النساء المتعلمات و بينهنّ حين لم يتعلمن فاستنتجوا أن المرأة كلما قدمها التعليم لتلحق الرجل أخوتها الحكمة الإلهية فى القوّة والادراك والجسم فصارت على الثلث منه فى مجموع قواها ، فكلما قدمن التعليم أخرتهنّ الحكمة على مقدار ذلك لتبقى درجة الزيادة محفوظة بين الرجال والنساء والا لاختل النظام بتساوى الدرجتين ولذلك قال بعدها ـ والله عزيز ـ أى غالب حكيم فيما صنع (اقرأ المرأة المسلمة لصديقنا محمد أفندى فريد وجدى فقد ذكر هذا وانه قامت قيامة فلاسفتهم الآن ينذرون قومهم الخطر

(٢٩) إن الفونغراف داخل فى عموم ـ قالوا أنطقنا الذى أنطق كل شئ ـ

(٣٠) قوله تعالى ـ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم ـ أما آيات الآفاق فهى جميع ما استكشف فى العلوم الحديثة فى الأرض والسماء بعد أن كانت منحصرة فى كواكب معدودة من السيارات وهى (٧) مع جهل الثوابت وعناصر محدودة فقد كشفت كواكب سيارة أخرى وعرف كثير من الثوابت وهكذا العناصر بعد أن كانت (٤) وصلت الى نحو (٧٠) وأما آيات الأنفس فان للانسان جسما وروحا ، أما الجسم فاظهرته أشعة رنتجن التى هى عبارة عن أضواء شرر الكهرباء المنحصرة فى آلات تسلط على الجسم فتكشف الأعضاء من الداخل وتظهر الدورة الدموية من وراء الجلد واللحم والقلب والعروق كأن هذه أجسام شفافة لاتحجب ماوراءها مما يدهش العقل ويحار فيه فكر الالبيب مصداقا لقوله فى هذه الاية ـ وفى أنفسهم ـ ومعلوم أن فى للظرفية أى الآيات المظروفة فى نفوس النوع البشرى والمراد بها هنا مايشمل الجسم . وأما الروح فقد ظهرت عجائبها بالتنويم المغناطيسى الذى تناقلته الافرنج عن الهنود . انتهى ما أردته من كتابى ﴿جواهر العلوم﴾

﴿اللطيفة الرابعة . إن فى هذه السورة حمدين وشكرين﴾

اعلم أن سليمان عليه السلام شكر الله مرّتين فى هذه السورة ، شكر دخل فى ضمن الدعاء إذ قال ـ رب أوزعنى أن أشكر نعمتك ـ الخ وشكر دخل ضمن قوله ـ هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ـ معلوم أن الله يستجيب دعاء الأنبياء فى الأولى ، فأما فى الثانية فان الأنبياء أقرب الناس الى الشكر اذا أنعم الله عليهم بنعمة ، فاعجب كيف كان له ﴿شكران * أحدهما﴾ على نعمة العلم ﴿والثانى﴾ على نعمة الملك فأما سيدنا محمد ﷺ فانه أمر من الله أن يحمده وأن يسلم على الأنبياء وكل مصطفى بعد أن ذكر نعمة

سليمان بالعلم والملك ، ولما انتهت السورة أمر أن يحمده تعالى على أن أمته ستنال العلم والعرفان وأن الله يطلعها على عجائب هذه الدنيا ، هما حمدان وأنت تعلم أن النبي ﷺ يبعثه ربه مقاما محمودا والمقام المحمود مقام يحمد القائم فيه ويحمده كل من عرفه فهو مطلق فى كل مقام يتضمن كرامته وليس خاصا بمقام الشفاعة بل هو مقام أعم منه ولذلك قيل أيضا ﴿ انه مقام يعطى فيه لواء الحمد ﴾ فهذا المقام أعم وعليه نقول انه ﷺ لما أمر أن يحمد الله ويحيى الأنبياء فى هذه السورة وأمر أن يحمد الله على أن الله يعرفنا آياته بعده دل ذلك على أن هذا أيضا مقام حمد يحمده فيه العالم على رقى أمته لأنها ستعرف هذه العوالم ــ سيريكم آياته ــ وستكون لها القدح المعلى فى العلوم الكونية وتعرف علم الأرواح كما تقدم فى قصة سليمان والعلوم الطبيعية من حيوان ونبات الى آخر ما تقدم فى هذه السورة وعلم الفلك أيضا كما عرفت وستصبح أعلم الأمم وأحسنها نظاما

إن الحمد لا يكون إلا بعد معرفة المحمود عليه والمحمود عليه هو النعم والنعم جسمية وروحية وغيرهما وجميع العلوم نعم فمن جهل شيأ فانه لا يحمد الله عليه وكيف يحمد على مالم يعرفه . إن الحمد نوع من الشكر والشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح ، فمن قال الحمد لله فهو شاكر على نعمه ويكون هذا الحمد على مقدار ماعرف من النعم الواصلة من الله الى عباده وهذا المعنى هو الموافق لقوله تعالى ــ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ــ وظهور رحمته للعالمين أن يكون المسلمون أرقى الأمم فى جميع فروع العلوم كما يقتضيه القرآن على مقتضى ما بينا فى هذا التفسير ويصبح المسلمون أقوى أهل الأرض علما وعقلا وحكمة وعدلا ويكونون رحماء بأهل الأرض آباء لهم . هذا هو المقام الذى يحمد فيه رسول الله ﷺ فى الدنيا . فأما حمده فى الآخرة فمعلوم . فاذا رأينا سليمان ﷺ أوتى حكمة وعلما وملكا وحسن سياسة فليكن أتباعه ﷺ قائمين مقام سليمان فى ذلك وفى غيره من عموم العلم والحكمة وليكونوا معلمين لكل الأمم مهذبين لهم

إن النبي ﷺ كما تقدم أمر أن يحمد الله فهو له مقام محمود يحمد فيه ربه ويحمده كل من عرفه وأيضا له الشفاعة ، ولاجرم أن هذين يستلزمان أن ترتقى الأمة الاسلامية وتكون نورا لأهل الأرض فى مستقبل الزمان ، ألاترى أن الشفاعة تكون على مقتضى ماوصل للناس من علم وكذا الحمد يكون على مقتضى نعم وأهم النعم العلم . إذن يكون لواء الحمد ومقام الشفاعة يرجعان لشئ واحد لأنه اذا حمد الله على نعمه وحمده الناس عليها فلاحمد إلا عن علم واذا شفع للناس فالشفاعة على حسب مقتضى العلم والعلم فيهما يتبعه العمل إذن ينتج من ذلك أن هذه الأمة ستكون أمة علم أرقى من سائر الأمم فتكون محمودة لعلمها وعملها وحامدة لأن الحمد على نعمة العلم والعمل . انتهت اللطيفة الرابعة

﴿ اللطيفة الخامسة ﴾

قال الله لسيدنا محمد ﷺ ــ فبهداهم اقتده ــ وقد شكر سليمان عليه السلام على نعم العلم والملك فلنبحث فى الشكر وقد أمرنا الله بالشكر فلنبحث فيه لما له من العلاقة بهذه السورة وبرقى الاسلام فى المستقبل .
واعلم أن الشكر مطلوب قال تعالى ــ واشكروا لى ولا تكفرون ــ وقال ــ وسنجزى الشاكرين ــ وقال ــ وقليل من عبادى الشكور ــ وقد جعل الله الشكر مفتاح أهل الجنة وهو ــ وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده ــ الخ ولا نطيل بذلك فالآيات والأحاديث كثيرة

ولألخص لك بعض كلام الامام الغزالى فى هذا المقام لتعرف أن أمة الاسلام الآن لم تقم بالشكر ولما لم تقم بالشكر دخلها الفرنجة واحتلوا ديارنا ، فهل يعلم المسلمون أن العلوم الطبيعية والرياضية والفلكية والعمل بها هو شكر الله ، هل يعلم المسلمون ذلك ؟ هل يعلم المسلمون أن ما ذكر فى هذه السورة من عجائب النمل والهدهد وعجائب العفاريت والملائكة والعجائب التى عددناها كالأنهار والجبال والبحار والسماء والأرض والحدائق والأشجار ، هل يعلمون أن علم ذلك واستعماله وقبوله من خالقه هو الشكر . إن المسلمين لو علموا ذلك لكانوا

نبغوا فى هـذه العلوم ولـكن قام رجال صغار العقول صرفوهم عنها ، هل يعلم المسلمون ذلك ؟ فواحسرتا على أمّة قتلها رجال سموا أنفسهم قادة وماهم بعالمين

يقول الامام الغزالى ﴿ لابدللشكرمن علم وحال وعمل ، فالعلم هوالأصل والحال هوالفرح الحاصل بالانعام والعمل القيام بما هومقصود المنعم ومحبوبه ويكون العمل بالقلب واللسان والجوارح ﴾ وفى مقام العلم أخـذ يشرح نعم الله عزوجل فى النفس وفى البدن وفى المال وفى الأصحاب وجعل كل واحد من هذه أربعة أقسام فهى (١٦) ولاحاجة الى تفصيلها ولـكن نقول اذا نظرنا الى صحة البـدن وحده عرفنا أنه لابد له من طعام والطعام لايناله الانسان إلا بالنبات والنبات لايتم إلا بالمطر و بالأرض و بالبذر و بالشمس و بالهواء

ثم إن الانسان لايتعاطى الغـذاء إلا اذا أعطى أعضاء باطنة وظاهرة ، فالظاهرة للجلب والباطنة للهضم وغيره ، ولابد من الحواس الظاهرة والباطنة ، فههنا علوم التشريح وعلوم النفس وعلوم النبات وعلوم الحيوان وعلوم الـكواكب لما علمت أن الحرارة منبعثة من الشمس الى الأرض فصح بدنك ، إن جميع العلوم لابد منها فى معرفة نعمة الله تعالى . فمتى عرف الانسان هذه العلوم التى هى مرتبطة ارتباطا لاانفـكاك له فقدعرف النعمة ومعرفة النعمة ليست شكرالله بل هى ركن واحد من أركان الشكر ﴿ الركن الثانى ﴾ الفرح بالمنعم لا بالنعمة ولا بالانعام ، فاذا رأيت جمال الله فى السموات والأرض وأدركت بعض العلوم أحسست بسرور ، ولـكن يجب أن يكون السرور بمن خلق هذا الجمال ﴿ الركن الثالث ﴾ العمل بموجب هذا الفرح وهـذا العمل انما يكون بالقلب واللسان والجوارح ، فأما بقلبه فيقصدالخير لجميع الناس ، وأما بلسانه فليكن شاكرا لله به دائما ، وأما بالجوارح فليصرفها كلها فى فعل الخير ، فالعين مثلا لاتنظر الى محرم بل تنظر نظر اعتبار

أنا لا أطيل عليك ماذكره الامام الغزالى فانى لوذكرته وشرحته لاحتاج الى مجلد ولـكن الذى يهمنا فى هذه السورة أن تنظر أيها الذكى ، انظر واعجب من أمة الاسلام ، انظر كيف يقول سليمان عليه السلام ــ ليبلونى أأشكر أم أكفر ــ ويقول ــ رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والدىّ ــ ولما بحثنا عن الشكر وجدنا مبدأه العلم بالنعمة ، ولما بحثنا عن العلم بالنعمة وجدناه دراسة هـذه العلوم المذكورة فى هذه السورة وفى غـيرها علوم الحيوان من طير وحشرات وغـيرها وعلوم النبات وعلوم الكواكب وعلوم التشريح والطب وغـيرها ، يارب عجبا لأمة هذا دينها وهؤلاء علماؤها . ألهذا الحد يجهل المسلمون . ألهذا الحدّ ينامون . يذكر الله الشكر و يقول عالم الاسلام الشكر بعلم والعلم شمل سائر العلوم التى فازت بها أوروبا علينا وغلبتنا والمسلمون نائمون ، ألم يقرأ أحـد منهم كتب السابقين ، ألم يقرؤا القرآن ، أيها القارىء الذكى بالله أيقظ هذه الأمة واخبرها أن الله أمرنا بالشكر وأن الشكر مبدؤه العلم بسائر العلوم التى جاءت فى هذه السورة من الأرض والسماء والأنهار والبحار والجبال والحيوان وكل ما أمكن معرفته والمسلم اذا لم يعرف هذا وهو قادر فهو غـير شاكر ومتى عرف فانه يفرح بالمنعم نفسه لامحالة ومتى فرح به وجب عليه أن يحب الناس كلهم و يشكرالله بلسانه ويعمل الخير لسائر الناس فالشكر علم تام واخلاص عام وعمل نافع بجميع الجوارح

المسلمون غـير شاكرين ما لم يفتحوا مدارس ابتدائية ومدارس ثانوية ويذيعوا تعاليم جميع الأمم من فلك وطبيعة وكيمياء وحيوان ونبات وانسان وطبقات الأرض ، هـذا التعليم لابد منه لسائر الطبقة المتوسطة أما الطبقة العليا فهم المختصون بعلوم خاصة كالطب والهندسة وغيرهما ، كيف جاز للمسلمين أن يناموا أجيالا وأجيالا كيف يجهلون شكر النعـمة ، كيف تركوا علم النبات وعلم الحيوان وعلم التشريح وعلم النفس وعلم الفلك ، كيف تركوها والله أمرهم بالشكر والشكر علم وحال وعمل ، شكر سليمان وشكر ﷺ فهذا هو شكرهما لقد نظر رسول الله ﷺ الى السماء وقرأ قوله تعالى ــ ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ــ ثم قال ﷺ ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته ، ومعناه أن يقرأها و يترك التأمل و يقتصر ون فهم ملكوت

السموات على أن يعرف لون السماء وضوء الكواكب وذلك مما تعرفه البهائم أيضا ، فمن قنع منه بمعرفة ذلك فهو الذى مسح بها سبلته ، فلله فى ملكوت السموات والآفاق والأنفس والحيوانات عجائب يطلب معرفتها المحبون لله تعالى فان من أحب عالما فانه لايزال مشغوفا بطلب تصانيفه ليزداد بمزيد الوقوف على عجائب علمه حبا له فكذلك الأمر فى عجائب صنع الله تعالى فان العالم كله من تصنيفه بل تصنيف المصنفين من تصنيفه الذى صنفه بواسطة قلوب عباده ، فان تعجب من تصنيف فلاتعجب من المصنف بل من الذى سخر المصنف لتصنيفه بما أنعم عليه من هدايته وتسديده وتعريفه اه

فبهذا عرفت معنى الشكر المذكور فى قول سليمان عليه السلام وأن ملخصه معرفة جميع العلوم والفرح بالنعم واضمار الخير للناس قاطبة وانطلاق اللسان بالشكر والجوارح بالاعمال الصالحة . وأمر الله للنبى ﷺ بالحمد على أن الله سيريتا آياته اشارة الى أن هذه العلوم ستذاع فى الأمة الاسلامية وهو اخبار بما سيقع لامحالة من سعادة هذه الأمة ورقيها حتى أمر نبيه أن يحمد الله على معرفتنا ومعرفتنا لابد أن تشمل كل العلوم ونظام المدن المذكور فى هذه السورة ومعرفة العوالم الروحية من ملك وجن باتساع علم تحضير الأرواح وفهم العوالم كلها وانتظام عمالكنا كما نظم ملك سليمان والافلماذا قال له بعد تلك القصص ــ قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ــ ذلك اشارة الى أننا سننسج على منوالهم ونحفظ مدننا ونرقى علومنا ونشكر ربنا حتى حمد الله نبينا على معرفتنا والمعرفة يتبعها العمل والحمد لله رب العالمين

﴿ جوهرة فى مقال عام فى قوله تعالى ــ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم ــ الخ ﴾

هذا المقال قد وعدت به فيما تقدم ، ووعدت أيضا بأن أكتب هنا فى تفسير هذه الآية ﴿ رسالة مرآة الفلاسفة ﴾ ولكن وجدت المقام لايسع هاتين الرسالتين فسأجعل الرسالة الأولى فى سورة فاطر عند قوله تعالى ــ مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ــ وأجعل ﴿ مرآة الفلاسفة ﴾ فى سورة القتال عند قوله تعالى ــ فاعلم أنه لااله إلا الله ــ الخ والعلم بذلك للأنبياء وهبى ولكنه لنا كسبى ، ومرآة الفلاسفة فيها ملخص آراء الأمم قديما وحديثا وبها يفهم المفكرون قوله تعالى ــ كل شئ هالك إلا وجهه ــ وقوله تعالى ــ وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها ــ وملخص الرسالة أن الوجود الحقيقى الكامل هو الله وماسواه هالك ، وهذا الذى سميناه هالكا له نوع من الوجود بحيث يكون كله آيات دالة على جمال الله تعالى وهذه الآيات تتجدد وقتا فوقتا ، ولاجرم أن ﴿ رسالة مرآة الفلاسفة ﴾ فيها ملخص أصول الحكمة العامة فى هذه الدنيا بحيث يطلع الأذكياء قراء هذا التفسير على ما استبان من نظام هذه العوالم بطريق العقل

(١) فمن نظريات جعلت مقدمة للرسالة بحيث تبين أن النفوس الانسانية ليست من عوالم الأرض بأدلة عقلية وانها باقية بالبراهين الحسية التى توافق عقول جميع الأمم فهى أشبه بمقدمات علم الهندسة التى تقبلها جميع العقول وتكون لها نتائج فيها اليقين الذى لاشك فيه ، وهذه الأدلة والحمد لله لم تكن إلا فى هذه الرسالة ليعلم المسلمون قوله تعالى ــ وقل الحمد لله سيريكم آياته ــ الخ فهذه البراهين من آيات الله المتجددة فى زماننا فليفرح بذلك عقلاء الأمم مقدما

(٢) ومن آراء لأقدم الفلاسفة وكيف كانوا فى بحثهم متدرجين من ماديين ودهريين وسوفسطائيين وعلماء إلهيين من طاليس ومن بعده الى فيثاغورس الذى يقول ﴿ أصل العالم العدد ﴾ الى أنبذوقليس الذى يقول ﴿ أصل العالم المحبة والعداوة ﴾ الى إنكساغورس الذى يقول ﴿ للعالم إله ولكنه تركه كما يترك الانسان الساعة تجرى وحدها ﴾ الى سقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس الذين يقولون باله صانع للعالم منظم له مصلح لصغيره وكبيره الى من بعد هؤلاء من المشائين والرواقيين وعلماء الاسكندرية ثم انتقال العلم من الاسكندرية الى أمم الاسلام أيام الفارابى ومن بعده ثم انتقال العلم الى أمم أوروبا ، وكيف ترى هناك أن علماء أوروبا

الجاليين يقولون بأوفى حجة وأجلى بيان ﴿ انهم فى معرفة الله والنفس ومبدأ العالم لم يصلوا الى عشر معشار سقراط وأفلاطون ونحوهما وأن المذاهب المنتشرة اليوم فى أوروبا لم تخرج عن كونها تكرارا للمذاهب اليونانيين فمن زعم أن العالم مادى ولا إله له فذلك هو عين مذهب طاليس قبل الميلاد بأكثر من خمسة قرون ، ومن زعم أن الحقائق لاتعرف وهو شاك فهو أشبه بالسوفسطائية بأقسامهم الثلاثة التى ستراها وهم (العندية والعنادية واللاادرية) واذا رأيت قوما من أوروبا نبغوا فى ذلك وأدركوا بعض سر التكوين مثل الفيلسوف (كنت) الألمانى الذى تتبعه اليوم الأمم الألمانية ، وتتبعهم فى قراءة كتبه أمة ايطاليا فاعلم أن هذا المذهب عينه هو مذهب سقراط وأفلاطون الذى ستقرأ فيه الحكمة البديعة بحيث انك حين تطلع على ما نقلته عنهما بنصه وفصه مما لم تنقله أسلافنا بنصه تدهش إذ ترى أن القرآن حقا وصدقا نفس آراء هؤلاء الفلاسفة الذين خلقهم الله قبل أن ينزل القرآن ، أما أنا فانى اعترانى الدهش وازداد تعجبى من صنع الحكيم العليم الذى أنزل حكمة على قلوب عباده قبل نزول القرآن بنحو (٩) قرون وجعلها أشبه بتفسير للقرآن المنزل على عبد من عباده فى جزيرة قاحلة ، وستقرأ فى الرسالة المذكورة كيف جاء حب الله على لسان الفلسفة وكيف يكون ازدراء هذا الوجود المتغير الناقص وكيف يجب علينا فى هذا الوجود أن ننظم دوله فلاننفر الدنيا الناقصة ولكن ننظمها ونتجه أثناء تنظيمها الى مبدعها . كل ذلك ستراه فى ﴿ مرآة الفلسفة ﴾ وستعجب أنت كما عجبت أنا من تفانى هؤلاء الفلاسفة فى حب الله والاخلاص له وهذا هو لب القرآن . أوليس هذا هو معنى قوله تعالى ـ فاعلم أنه لاإله إلا الله ـ وقوله تعالى ـ وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها ـ ومتى قرأت هذه الرسالة أيها الذكى ستقول كما قلت سواء بسواء ، لقد رأينا آياتك يا الله فى هذه العوالم كما رأيناها ظهرت على قلوب الحكماء من الأمم اذ تجلت قبل نزول القرآن وخبئت فى الكتب وظهرت اليوم فوجدناها مفسرة للقرآن مجلية للحقيقة موضحة لحقيقة العقل والنفس بل فوق ذلك ترى ما كان من الخلاف بين أفلاطون وأرسطاطاليس من قول الثانى للأول ﴿ ان تعاليمك الفلسفية لم يظهر فيها المناسبة والارتباط بين عالم المثال الذى تخيلته وبين هذه العوالم المشاهدة إذ انك اعتبرت أن العلم لايبنى إلا على أمر ثابت ولاثبات لعالم المادة من سموات وأرضين والثابت فى نظرك هو عالم المثال ، وقد قلت ان مايظهر للناس فى الأرض والسماء انما هو على مقتضى عالم المثال وهو على صورته أو نسخة من نسخه ﴾ فهذان العالمان المادى والمعنوى لم نعرف المناسبة بينهما

ثم قال (أرسطاطاليس) بعد ذلك ﴿ أنا أرى أن العلم لايحتاج إلا الى المادة والصورة والمادة لاتوجد إلا بهذه الصور التى نراها فى الأرض والسماء الخ ﴾

وقد جاء المشاؤن بعد (أرسطاطاليس) أيضا وفندوا رأيه واعترضوا عليه وقالوا له ﴿ اننا لم نعرف المناسبة بين المادة والصورة وبين الله الذى صنع العالم وأنت برهنت على وجوده ، وأنت لم تبين المناسبة بينهما كما لم يبين أستاذك المناسبة بين عالم المثال وعالم المادة ﴾

هنالك أخذت الأمم بعدهم تقرأ هذه الآراء وتبين اتحادها تارة واختلافها تارة أخرى ، فهذه المجادلات التى ستراها فى الرسالة المذكورة ولخصتها هنا لا يكون لها أثر بعد المقدمات والحجج التى ستراها بمقتضى ماظهر للناس اليوم فى العالم من العلوم فى ﴿ رسالة مرآة الفلسفة ﴾ إذ ترى أن البراهين اليقينية التى ذكرتها فى أولها لايرد عليها ماورد على أفلاطون وأرسطاطاليس ، وستقرأ هناك أن خالق العالم يتضح بما يراه الانسان فى نفسه من العوالم العقلية ، وسترى شرح ذلك وتعلم أن هذا هو قوله تعالى ـ فاعلم أنه لا إله إلا الله ـ فهذا هو العلم بانفراد الله بالالوهية لأنه أتى بملخص عقول الأمم قديما وحديثا وهذا يفهمنا قوله تعالى ـ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ـ وقوله تعالى ـ وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها ـ فهذه الرسالة ظهر فيها كيف كان علم النفس هو المفتاح الذى به فتح ما أغلق على الناس أيام سقراط وأفلاطون ومن

بعدهما و به زال الاشكال الذى ورد على طريقتيهما فى تبيان أصل العالم وصلة العالم المادى بالعالم العقلى وصلتهما بخالقهما ، فهذا الاشكال كله ستراه قد حل فى هــذه الرسالة . ومن أعجب العجب انها لم تظهر للناس إلا فى تفسير القرآن عنــد آية ــ فاعلم أنه لا إله إلا الله ــ وقد انطبقت على هاتين الآيتين اللتين ختمت بهما هاتان السورتان الدالتان على أن المادة باطلة وأن العوالم المشاهــدة آيات الله والله سيريها لنا ، وهاتان أولاء قد رأيناها فى كلام العلماء والحكماء وفى العوالم المشاهدة ، ومن أهم الآيات التى أراها الله لنا ايفاء لعهده تقسيم العلوم ، وهذه سنختم بها ﴿ رسالة مرآة الفلسفة ﴾ بحيث يطلع الأذكياء من المسلمين على آثار عقول الأمم البائدة وماتركته لنا من العلوم الرياضية والطبيعية والإلهية وتهذيب الأفراد وتدبير المنزل وتدبير المدينة والأخير هو علم السياسة وهناك تقسم هذه العلوم الى (١٧) علما ولهذه العلوم فروع تبلغ أصولها مع تلك الفروع نحو (٦٠) علما وصناعة ، وهناك ترى أن الصناعات كالطب وكالزراعة وأمثالها وهكذا النجارة والحدادة ماهى إلا فروع لتلك العلوم . هذه هى الآيات التى وعد الله أن يريها لنا وهى آيات العلوم الحكمية المنقولة عن الأمم الخالية الموافقة للقرآن حقا وصدقا وآيات هى أقسام العلوم ومايناسبها من الصناعات التى لابد منها للأمم . هذه هى ﴿ رسالة مرآة الفلسفة ﴾ التى وعدت بها فيما تقدم والتى ستطلع عليها أيها الذكى فى (سورة القتال) عند قوله تعالى ــ فاعلم أنه لا إله إلا الله ــ وقد تضمنت ايضاح الآية فى آخر هذه السورة ونظيرها آية ــ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم ــ والاية التى فى آخر سورة القصص وهى ــ كل شئ هالك إلا وجهه ــ

أما المقال العام الذى وعدت أن أكتبه هنا فيما تقدم وسأذكره فى سورة فاطر عند قوله تعالى ــ مايفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ــ لأن الحال اقتضت ذلك فهاك ملخصه ايفاء بما وعدت ومقدمة لذكرها هناك فهى

(١) أوّلا ان اشراق العوالم التى تحيط بنا على ﴿قسمين﴾ اشراق ظاهر واشراق باطن ، فالأوّل ماتدركه الحواس والثانى ماتدركه العقول ، وهذا الأخير مراتب وراء مراتب ولن نصل لمرتبة إلا بعد وصولنا الى مرتبة قبلها والحد فى الآية تابع لاستكناه الحقائق وظهور المعلومات فلا تكون المعرفة اللاحقة إلا بعد السابقة

(٢) المسلمون فى القرون المتأخرة نظروا العوالم الظاهرة فلم يزيدوا فى معرفتها عن العامة مع انهم يقرؤن فى القرآن قصة سليمان إذ سخرت له الريح وهذه القصة تدلهم أن هناك منافع غير التى عرفها العامة فى هذه المخلوقات المحيطة بنا

(٣) مثــل ان الهواء مركب من نيتروجين وأوزوت واكسوجين ومن مواد أخرى وهذه المادة وهى النيتروجين أو الاوزوت وجدت مركبة مع مواد أخرى فى جزيرة (شيلى) فجعلها الناس سمادا لأن النيتروجين من مركبات السماد المعروف من الدواب فى القرى و بلاد الفلاحين فى مزابلهم

(٤) وقد استخدم العالم الألمانى (فرتزهابر) الكهرباء فى استخراج النيتروجين من الهواء بدل الاتكال على مايستحضره الناس من (جزيرة شيلى) وعلى مايأخذونه من سماد الحيوان وصنع فى الهواء بالكهرباء ما يصنعه الناس فى الماء من تبريده وجعله ثلجا فالناس جميعا يجدون طريقة لجعل الماء السائل جسما صلبا وهو الثلج هكذا العالم (فرتزهابر) جعل النيتروجين بالكهرباء جسما صلبا بعد أن كان جسما غازيا كالبخار فى الهواء ، فالبخار يكون سائلا ثم صلبا وهكذا الغاز الذى هو جزء من الهواء يرجع سائلا فصلبا ويكون سمادا وهو المطلوب وذلك بواسطة (الفرن الكهربائى) الآتى شرحه فى سورة فاطر فى المقالة العامّة هناك

(٥) كان عند الألمان مصانع كبيرة زمن الحرب يستخرج بها النيتروجين من الهواء فبه تكون المواد المهلكة ثم حوّل هذا كله بعد الحرب الى سماد

(٦) المسلمون يأكلون الملح ولا يعلم أكثرهم أن علماء أوروبا استخرجوا بالكهرباء من محلوله فى ماء

البحار مواد مثل الكلور والصودا الكاويه والهيدروجين ، والكلور المذكور المستخرج من الملح ينفع فى تطهير ماء الشرب من الجراثيم فيمنع انتشار الحمى التيفودية وينفع فى جعل الورق أبيض ، وينفع فى احداث التخدير للمريض عند العملية الجراحية ، ويكون سما للأعداء فى الحرب إذ يرسل فى الهواء ، ويكون فى المفرقعات القاتلات للأعداء ، ويكون قاتلا للحشرات ، إذن ملح الطعام يأكله المسلم ولايعلم أنه أصبح مطهرا لشرابنا قاتلا للحيوانات الذرّية التى تفتك بالناس فى الوباء مبيضا لورقنا مزيلا لآلام جرحانا مهلكا لأعدائنا

(٧) إن المسلمين الذين جهلوا هذه العلوم التى عرفتها الأمم فى الأرض يعاقبون فى الدنيا والآخرة لأنها فروض كفايات ، فاذا أمر الله بقطع يد السارق لأجل ربع دينار أفليس معناه انه يحافظ على المال النافع لنا ، واذا أمر بقتل القاتل فمعناه انه يحافظ على نفوسنا ، إذن هذه العلوم تحفظ أنفسنا وتحفظ أموالنا فكيف يسوغ للمسلمين تركها

(٨) وهناك فوائد كثيرة للكلور وغيره من عناصر الملح وصلت الى (١٢) فائدة كلها نافعة فى الحياة فكيف يجهلها المسلمون وهى فرض كفاية

(٩) وهناك معدن يسمى (الالومنيوم) وله فوائد عظيمة ستذكر لامحل لاطالة الكلام عليها هنا مثل انه اذا خلط مع القصدير استعمل بدل النحاس ، ومثل انه يجعل صفائح للتفضيض ، ومثل انه يركب مع النحاس فيكون شبيها بالذهب ، فكيف يترك معرفة هذا المسلمون وهومن فروض الكفايات

(١٠) إنى أنذر الأمم الاسلامية بأنهم اذا أهملوا العمل بما فى كتابى هذا فان هذا القرن يكون آخر قرونهم فى الأرض

(١١) أفلاينظرون كيف اخترع (المستر بالى) زجاجا سماه (زجاج بلاس) وهو زجاج لاينكسر ومنه تدخل الأشعة فوق البنفسجية من الشمس لتنفعنا فى الصحة بخلاف زجاجنا المعروف وهومصنوع من موادّ أرخص من المواد التى صنع منها زجاجنا ، وسيصنع من هذا الزجاج ألواح بهيئة قشر السلحفاة وأقلام لن تنكسر وهكذا

(١٢) فياأيها المسلمون ، عليكم أن تجدّوا فى الأعمال حتى تلحقوا الأمم ثم تكون هناك أجيال بعدنا اسلامية متحدة مع الأمم فى رقى أهل الأرض . انتهى الكلام على ملخص المقال العام الذى سيكتب فى سورة فاطر كما لخصت قبل ذلك ﴿ مرآة الفلاسفة ﴾ التى ستكتب فى سورة القتال عند قوله تعالى ــ فاعلم أنه لاإله إلا الله ــ اه

﴿ جوهرة فى بعض سرّ الطاء والسين فى قوله تعالى ــ قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ــ ﴾

ههنا السين فى ــ وسلام ــ والصاد والطاء فى ــ اصطفى ــ والحرفان الأخيران من واد واحد لأنهما من حروف الاطباق وهى الصاد والضاد والطاء والظاء ، فسلام مبتدأ بالسين واصطفى مبتدأ بحرفين من واد واحد وهما الصاد والطاء المذكورة فى ــ طس ــ فى أوّل السورة ولاعبرة بالهمزة لأنهازائدة للتوصل للنطق بالساكن وهذا تذكرة بالسلام للمصطفين وفتح باب لفهم ماسأسمعه لك

إن الانسان على الأرض دائما فى اضطراب مادام جاهلا بنظام هذا العالم وما مبدؤه ومامبدعه ومانهايته ونهاية الأرواح وأكثره يشك فى مستقبل هذه النفوس الانسانية ويسمع بالزلزلة وبالوباء وبالحروب وبفتك الحيوانات الذرّية فى الانسان ، ويرى هذا العالم كله اختلاطا واختباطا ولانظام فيه ولا أمان غاية الأمر أن المؤمنين بالديانات يسلمون تسليما ولايفكرون والمفكرون منهم يقعون فى هذه المآزق فاذا فكروا فى هذا نشأت لهم وساوس وأحسوا بالألم النفسى وزايلهم السلام والأمان فنفوسهم فى وحشة وان ظهروا مستأنسين وقلوبهم فى غم وان كانوا فى ظاهرأمرهم فرحين ، وهؤلاء متى عرفوا الحقائق واطمأنت نفوسهم اليها وركنوا

لما أحسوا بالسلامة والامان وأيقنوا بأن من يسوسهم فى الدارين رحمن رحيم لايجرى عليهم إلا ماهو خير لهم عاجلا أوآجلا ويرون الموت والمرض والفقر وأشباهها أعراضا زائلة كما يعترى الأرض قحول وقحط فاذا نزل عليها الماء اهتزت وربت ، فهؤلاء هم المصطفون الأخيار الذين تسلم نفوسهم من تلك المهالك فى هذه الحياة وغيرها ، وهؤلاء هم الذين قال الله فيهم ـ لايحزنهم الفزع الأكبر ـ الخ وقال فيهم ـ الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ـ الخ وقال فيهم ـ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ـ والقرآن يفسر بعضه بعضا ، فهذه الجملة جاءت فيها السين والطاء المصاحبة للصاد والسين والطاء ذكرتا فى أول السورة لتوقظا للآيات الأخرى . ولما ذكر السلام والاصطفاء أعقبه بالدروس التى يدرسها أولئك المصطفون فذكر السموات والأرض والمطر والحدائق والأشجار والأنهار والجبال والبحار والبرازخ بينها واجابة دعاء المضطر والهداية فى البر والبحر وارسال الرياح ، فهذه الطائفة التى أفعمت عقولها بهذه العلوم والحكم تكون مصطفاة وأنفسها تعيش فى سلام وتموت فى سلام كما قال تعالى فى عيسى عليه السلام ـ وسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا ـ وهذا السلام هوالذى يقوله المسلم فى التشهد فيسلم على نبيه وعلى نفسه وعلى الصالحين من الأمم ، ومثل هذه النفوس المصطفيات هي التى اذا صلت وقرأت ـ اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غيرالمغضوب عليهم ـ لاتفهم معنى الغضب كالذى تفهمه فى غضب الناس لأن غضب الناس انفعال ورحمتهم انفعال ولكن غضب الله ورحمته لا انفعال فيهما بل الله منزه عن ذلك وانما هذه شؤن النظام والتدبير والاحكام فى الخلق سميت رحمة فى حال وغضبا فى حال بحسب مراتب الموجودات لاغير ويفهمون ذلك من تسبيحهم فى حال الركوع والسجود فالمسلم يقول ﴿ سبحان ربى العظيم ﴾ ويقول ﴿ سبحان ربى الأعلى ﴾ ويفهم من ذلك المصطفون انه منزه عن الغضب الانفعالى وعن الرحمة الانفعالية عند قراءتهما الفاتحة (ففيها ذكر الرحمة وفيها ذكر الغضب وفيها تقديم الرحمة على الغضب للاشارة الى قوله تعالى ـ ورحمتى وسعت كل شئ ـ والى ماورد فى الحديث ﴿ ان الرحمة سبقت الغضب ﴾ لأن هذا نقص فى العباد والله كامل محكم التدبير منظم الشؤن ، وهذه الطائفة حين تعرف هذا توقن بأن نفس الصلاة فيها رموز وعلوم وحكم وكلما ارتقى الانسان فيها زاد علما كما قال تعالى ـ وقل رب زدنى علما ـ

فالمسلم وهو يقرأ الفاتحة يفهم معنى الرحمة والغضب اجمالا فاذا ركع وسجد فهم أن الله منزه عن صفات العباد بالتسبيح . ومن أعجب العجب أن يقول فى هذه الآية ـ وقل الحمد لله وسلام ـ الخ ثم يقول فى آخر السورة ـ وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها ـ فههنا أمره بالحمد وجعله مصحوبا بالسلام وأردفه بالدروس التى يتلقاها المصطفون وفى آخر السورة أمره بالحمد وأتبعه بنفس الدروس اجمالا وهى انه سيريهم آياته وانهم يعرفونها . ولاجرم أن الدروس التى جاءت فى هذه الآيات هنا بعض الدروس المجملة فى آخر السورة

الله أكبر . تبين هنا أن السلام بعد الحمد ولاحمد إلا على نعمة والنعمة مذكورة فى هذه الآيات هنا مفصلة وفى آخر السورة مجملة وهذا قوله تعالى فى سورة أخرى ـ دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام * وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ـ واعلم أن الحمد مصحوب بالسلام المتبوع بالآلاء والنعم فيما نحن بصدده وبعده الحمد الذى فى آخر السورة وقد بيناهما الآن كأنهما تطبيق أونتيجة لما جاء فى قصة سليمان فى أول السورة إذ حمد الله هو وداود على نعمة العلم وأن الله فضلهما على كثير من عباده المؤمنين ، فهما حمدا الله على نعمة العلم وههنا أمر النبي ﷺ أن يحمد الله مرتين وذكر بعد الحمد المعلومات فاعجب لأسرار القرآن ، فتبين أن السلام يذكر مع الحمد والحمد لا يكون إلا على علم بالمحمود عليه حتى يذعن القلب ويفرح بالمنعم . إذن فليعلم المسلمون أن ديننا دين حمد ولامعنى للحمد إلا على نعمة ولاتعرف النعمة إلا بالتعليم ، فليتعلم المسلمون كل علم وليزيدوا على الأمم والافليرحلوا من هذه الارض لأنهم لاأمان لهم فى الدنيا لأنهم بجهلهم

نواميس الوجود لايقدرون على مقاومة الأمم وهكذا يكون عقلاؤهم مضطربى الآراء فى الوجود وفى الأنفس الانسانية ونهاية هذه الدنيا . هذا مافتح الله به يوم الجمعة ٣١ مايو سنة ١٩٢٩

﴿ المستنبطات التى وجدت بين سنة ١٧٠٠ وسنة ١٨٠٠ ترجع الى الأدوات والآلات الميكانيكية ﴾
(فأما مستنبطات العصر الحاضر فأكثرها كهربائى أوكيمائى أوكيمائى معدنى)

كتب كاتب أمريكى فى مقتطف اكتوبر سنة ١٩٢٨ يقول مانصه

(١) فى الولايات المتحدة خمسة ملايين آلة لاسلكية مستقبلة

(٢) ألفت فيها شركات لنقل الصور الفوتوغرافية بالتلغراف السلكى واللاسلكى

(٣) وقرب الوقت الذى تتقن فيه اذاعة الصور المتحركة كما تذاع الخطب والأغانى والقصص وتستقبل

(٤) وقرب الوقت الذى يمكن فيه توزيع القوى الكهربائية فتلتقطها البواخر فى عرض اليم والطيارات محلقة فى الفضاء

(٥) والأشعة التى فوق البنفسجيه قد كمن فى أمواجها فوائد صحية جزيلة ، وقد ألفت شركات لتوزعها بعد اتقان آلاتها فتضاء بها المصابيح فى الدور والمكاتب والمعامل والمدارس فتعطى الناس قوى حيوية جديدة

(٦) وسيسمد الناس زرعهم من الأسمدة المستكنة فى الهواء بسبب الكيمياء

(٧) وسيصنعون جوارب حريرية وأدها مختلفة من الأشجار

(٨) والمادّة التى تصبغ بها السيارات تصنع منها الجوارب الحريرية والمفرقعات والجلد الصناعى وهكذا

(٩) ثبت أن (معدن الكروم) اذا أضيف الى الصلب صار الصلب قاسيا جدا لايصدأ فاستعماله يوفر على الناس ملايين يخسرونها بسبب الصدأ

(١٠) والنفط يستخرج الآن من الفحم الحجرى ومن القار بأسلوب كيماوى ، وذلك فى ألمانيا بأسلوب (برجيوس)

(١١) وقطران الفحم الحجرى يستخرج منه الآن أصباغ عجيبة تفوق التصوّر ، فهذه ملابس السيدات الزاهية الألوان تصبغ بأصباغ تستقطر من الفحم الحجرى وفى المستقبل عجائب أكثر فى هذه الألوان

(١٢) « مستقبل الطيران » — إن الطيران سيوصل الناس الى أخصب بقاع الدنيا والى حراج غبياء لايقيم الناس لها وزنا وستزيدهم ثروات طائلة بسبب الطيران

(١٣) النور الآن متحد مع الحرارة فنحو ٩٦ فى المائة من القوّة يذهب فى الحرارة و٤ فى المائة يعطى ضوأ وسيتمكن الناس من قلب الوضع فتكون ٩٦ للضوء و٤ للحرارة واذن تنار المنازل بجزء من عشرين جزأ مما نستعمله الآن من الكهرباء ويتم ذلك بعد مائة سنة ، وفى ذلك الوقت تتولد الكهربائية من ضوء الشمس رأسا لامن الفحم الحجرى ولامن الماء المنحدر أومن قوّة المد والجزر أومن حرارة باطن الأرض

(١٤) فى كثير من البلاد ينابيع حارة ، ففى هذه الأماكن ستصير هناك مدن عظيمة لأن حرارة باطن الأرض تستخدم حينئذ لتوليد الكهرباء والكهرباء هى سرّ الصناعة الحديثة

(١٥) وفوق هذا وذاك قوّة الشمس ولايعوزها إلا آلة تمتص الحرارة ولاتشعها ولم يوفق الناس الى الآن لاختراع آلة تمتص الحرارة ولاتشعها ومتى وفق الناس لها أصبحت هذه مصدرا هائلا للقوّة الهائلة الرخيصة الثمن

(١٦) إن المستنبطين الى الآن لم يعكفوا على استخدام المد والجزر فى توليد القوى بجدّ وعزيمة

(١٧) قد استحدث الناس آلة لاستحداث أصناف جديدة من النبات والخضراوات والأثمار والأزهار والاستاذ (بربنك) أكبر مستنبط فى هذا الميدان كما ان (اديصن) أكبر مستنبط فى الكهربائية

(١٨) استنبط (بربنك) مئات من الأنواع الجديدة من الأثمار والأزهار وأدخل فيها صفات لم تعرف من

قبل مثل البرقوق (خوخ) لاقشرة قاسية لفواته ، ومثل التين الشوكى الذى لاشوك فى أغصانه ، وعنده أن الاستنباط هنا يفوق مااستنبطه (اديسن) و (ماركونى) و (بل) و (فورد) وغيرهم

(١٩) وسيبتدع الناس وسائل تغير الجوّ فتجعله صالحا لأحوال زرعهم بادارة زرّ كهربائى ولامانع يمنع علماء الزراعة من أن تكون أثمار الفراوله حجمها كحجم البطاطس وحجم الكرز والبرقوق (الخوخ) والتفاح كحجم رؤس الكرنب

(٢٠) وعند المهندسين الآن آلة لاسلكية تبعث فى الفضاء أمواجا صوتية خاصة فتفجر مقدارا من الديناميت على بعد (٢٠) ميلا أو (٣٠) بشرط أن يكون فى الديناميت آلة تقبل هذه الأصوات ، وأمثال هذا الجهاز يستعمل فى البحث عن المعادن بحيث تكون الأرض التى لامعادن فيها لاتعوق الأصوات المذكورة فتصل فى الوقت المعين لها وان أبطأت دل ذلك على رواسب المعادن التى أخرت هذه الأصوات

(٢١) وسيفوز الانسان بالطعام المركب تركيبا كيماويا . قال وفى السنة الماضية أدب أحد أصدقائى مأدبة لجهور من معارفه وجميع طعامها مرتبة فى العمل الكيماوى مثل (الاوردوفر) و (اللبن والقشده) و (اللحوم) و (الخضراوات المختلفة) و (الشوربه) وهكذا الأثمار والمشاوجات وأصناف الحلوى ولم يكن للفلاح ولا للبستانى أثر فى هذه المأدبة

(٢٢) إن فى الجوهر الفرد قوّة هائلة مدّخرة . ويقال إن الهيدروجين فى الماء الذى يملأ ملعقة شاى واحدة يولد مائة ألف كيلو من الكهربائية وتساوى قوّتها ١٣٣ ألف حصان فاذا أطلقت هذه القوّة واستخدمت استغنى الناس عن الفحم استغناء تاما وحينئذ نقطر القوّة اللازمة لادارة معمل كبير كما نقطر القطرة فى العين

(٢٣) إن الغدد فى الأجسام لها علاقة بالحياة و بالصحة و بالعواطف والصفات الأدبية كالشجاعة والمضاء ولابد أن يصلوا الى إطالة الحياة وربما يكون الرجل فى نشاطه الجسدى وعقله الذكى حينما يبلغ المائة من العمر انتهى ماأردته من مجلة المقتطف وبه تمّ تفسير سورة النمل والحمد لله رب العالمين

﴿ تمّ بحمد الله وحسن توفيقه الجزء الثالث عشر من كتاب الجواهر فى تفسير القرآن الكريم ويليه الجزء الرابع عشر * وأوّله تفسير سورة القصص ﴾



(الخطأ والصواب)

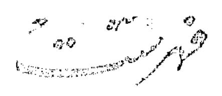
غلبنا التصحيح ففاتنا سقط وأشياء أخرى يدركها القارئ بالتنبيه وهذا جدول مما عثرنا عليه من ذلك

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١٠	٢٢	البـكن	البان
١٧	٢٤	وليدل	وثانيا ليدل
٢٦	١٧	اكتشفها	كشفها
٢٨	٢٢	هز	فهز

جاء بعض غلط فى كتاب « المختار فى كشف الأسرار » فى النسخة التى نقل المؤلف منها فتركناها بحالها من صفحة (٣٢) الى صفحة (٣٦)

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٣٧	٢٦	أخرجها	فأخرجها
٤١	٢٠	سقط	لم يسقط
٤٩	٤	حصون	حصن
٤٩	١٢	بين	قيل
٥٠	٦	مشابه	مشابها
٥٢	٢٧	مرتبط	مرتبطان
٥٧	٦	استمريت	استمررت
٥٨	٢٠	صد	سد
٧٧	٥	أيها الأغنياء	أيها الفقراء
٧٧	١٥	قسم	قسما
٧٩	٢٦	ليستخرج	ليتخرج
٩٠	٣	انخفست	انخسفت
٩٥	٣٤	وهذا	فهذا
١٠٧	٧	منسانه	منسأته
١٠٧	١٣	سألت	سئلت
١٠٧	١٣	وتم	وتم
١٠٧	٣٣	اتقوا	اتقوا
١١٠	١٢	المشمس	الشمس
١١١	٦	وما آتيها	وما آتيا
١١١	٢٠	لعمرك	لعمرك
١١١	٢٢	نوحى	توحى
١١٣	٦	ازدان	ازدانت
١٢٣	١١	فمجموع	بجماعات
١٢٧	٢٩	المطلوب	المطلوب وهناك
١٢٧	٢٩	وهو	فهو
١٣٠	٣٠	ينال	أن ينال
١٣٧	٣	ودخلها	وداخلها
١٣٧	١٧	ضروب	دروب
١٤٦	١٥	فى ما	ما
١٥٨	١٦	للقوم	
١٦٠	٧	كناشا	كناش
١٧٥	١٠	من	مع
١٨٣	٦	وفترت	وكثرت
١٨٩	١٩	أوالرؤساء	والرؤساء
١٩٣	٤	نها	نهيا
١٩٣	٦	والجايه	والجبايه
١٩٦	٢٢	غيره	غيرهم
١٩٧	١٩	١٨٢٩	١٩٢٩
١٩٧	٣٣	الغرض	الغرض أحسن
٢٠٨	١٢	الله الله	الله
٢١١	٦	ليحذو	ليحذوا
٢١١	١٦	طريقة	طريق
٢١٥	١٨	ثمره	ثمره
٢١٥	٣٤	يتناطها	يتناولها
٢١٨	٣٠	لايرون	يرون
٢٢٣	١٤	طربا	طرنا
٢٣٣	٦	حديرة	جديرة
٢٣٩	١٧	قدمن	قدمهن

(تمت)



الجزء الثالث عشر

من كتاب الجواهر فى تفسير القرآن الكريم

صحيفة

صحيفة

صحيفة

في زمن الملك نيقا عشقت زوجته رجلا وأهدت هدايا وخلا بها في بستان زوجها فلما علم الساحر بذلك صنع صورة تمساح من الشمع وسحره فألقى الخادم على الزاني بزوجة الساحر صورة التمساح الشمعية حين أتى ليغتسل فالتقم التمساح الزاني وغاص به في ماء البركة ثم طلب الملك من الكاهن أن يريه تجربة فأطلعه على هذا الرجل فغضب فأخبره الخبر فأمره بارجاع الزاني في بطن التمساح واحراق المرأة * وقص ابنه الثاني خبر الفلاح المصري الساحر الذي عاش (١١٠) ويرد رأس الانسان بعد قطعه فهو يحيي الموتى ويخضع له الأسد ويعرف حساب (ابت) وفيه سر المعبود (توت) فأرسل لاحضاره فقطعوا رأس أوزة وفرّق بينها وبين الجثة وبالعزيمة رجعت الرأس الى الجسد وصاحت الاوزة * ثم قص ابنه الثالث قصة الملك (سنفرو) إذ ركب في سفينة بالبركة يجذف بها (٢٠) فتاة بمجاذيف من خشب الأبنوس المحلى بالذهب وهن صفان بغاية الجمال والحلي والحلل ولكل صف قائدة فوقع فص (حجر الدهنج) من قرط إحدى القائدتين فقرأ الساحر العزيمة فانفلق الماء وظهر الحجر ورجع اليها ثم رجع الماء لحالته

٣٦ تقديس كتب السحر وأكابر السحرة عند قدماء المصريين . وبيان أن الفراعنة كانوا يجلون السحرة وهم يفسرون لهم الأحلام ولاينبغ الساحر إلا بعد المران الطويل وحسن السيرة ومقاومة الشهوات والتمسك بالطهارة والعفاف وترك أكل اللحم والسمك والاعتكاف في الخلوة واذن كانوا يأتون بالامور الخارقة للعادة ويخبرون ببعض المغيبات هكذا جاء في ﴿أدب الدنيا والدين﴾ عند قدماء المصريين

٣٧ جمال العلم وبهجة الحكمة في كتابين اطلع عليهما المؤلف ، فأولهما كتاب ﴿السحر الحلال﴾ وفيه فوائد (١) مثل جعل رأس عجل مطبوخ يصيح على المائدة كأنه حي بواسطة الضفدعة إذ توضع في الرأس المطبوخة (٢) ومثل عمل برق في حجرة بالعرق مع الكافور (٣) ومثل احداث قوس قزح بنفخ الماء (٤) ومثل جعل الورق غير قابل للاحتراق بغمسه بماء الشب (٥) ومثل تكييف شراب حتى يضيء في الظلام وذلك بادخال الفوسفور في القنينة (٦) وحفظ الزهر حتى يظهر في غير أوانه (٧) وغليان حامض التريك بدون نار (٨) وتغيير لون الماء (٩) وتغيير هيئة جماعة في مكان (١٠) وتغيير لون طائر أو تويج زهرة (١١) وجعل صينية القهوة تدور من نفسها ظاهرا على الجلاس (١٢) وكيفية وضع شيء في العين واخراجه من الفم كما يفعل المشعوذون (١٣) وتحويل نصل سكين من الفولاذ الى نحاس أصفر (١٤) وكيف يكون الفولاذ كأنه سائل (١٥) كيفية اصطناع الجليد من الماء في فصل الصيف (١٦) سر خاص في عدد ٣٧ فانه يضرب في ٣ و ٦ و ٩ الخ فيخرج حاصل الضرب هكذا ١١١ و ٢٢٢ و ٣٣٣ وهكذا (١٧) طريقة للكتابة بحبر يظهر ويخفى (١٨) طريقة لأجل الكتابة بالاحبر (١٩) كيفية منديل يدل على المطر أو منديل غير قابل للاحتراق ، وكيفية مسك النار ، وكيف تطير البيضة ، وبيان عمل الحبر السري ، والحبر الذي ينظر ليلا فقط ، وكيف ينزع الحبر من الثياب ، وكيف يكون اهلاك البراغيث والصراصير وطرد النمل ، وكيف يكون ضوء الفوسفور . هذا هو ملخص كتاب ﴿السحر الحلال﴾

٣٢ والكتاب الثاني هو ﴿المختار في كشف الأسرار﴾ وفيه كشف أسرار من ادعى النبوة مثل اسحق الأخرس الذي قام بأصفهان أيام السفاح وملك البصرة وعمان ثم قتل وهذا كان ذكيا وتعلم العلوم ثم ادّعى الخرس ونزل بأصفهان الخ

٣٣ ومثل (سنان) وهو من الاسماعيلية وقد حكم بسياط وتحيل على الناس بأن تظاهر بأنه قتل رجلا ثم أحضر الناس في مجلسه وأظهر رأس هذا الرجل وهو لايزال حيا وحولها دم وهو محجوب في الأرض جميعه إلا رقبته فاستنطقه فأخذ يقول أنت المقرب لله الخ ثم لما قام الناس قتله لئلا يفشي سره فهذه وأمثالها

صحيفة

صحيفة

التفسير اللفظي

٤٥ جوهرة فى قوله تعالى ــ وإذا مرضت فهو يشفين ــ أصل الطب لايعدو ﴿ ثلاثة أحوال ﴾ التجربة الإلهام المصادفة والاتفاق ، وحكاية المرأة التى احتبس حيضها فأكلت الراسن فشفيت ، وحكاية الرجل الذى . وضع الكبد على ورق نبات فسالت فأرشد الناس اليها فقتلها الملك ليمنع الضرر بنزف الدم بيان النبات الذى يشمه الناس فيكون الرعاف ﴿ الحال الثانية ﴾ الإلهام بالرؤيا الصادقة

٤٦ رؤيا جالينوس إذ أمر بفصد العرق الضارب ففصده فشفى وهكذا الرجل الذى انتفخ لسانه فأمر فى الرؤيا أن يمسك عصارة الخس فى فمه فبرأ ، ورؤيا الرجل الذى كان فى مثانته حجر عظيم فأمر فى المنام بتعاطى رماد طائر ففعل ذلك فخرج الحجر مفتتا ، و بعض خلفاء المغرب رأى النبى ﷺ يأمره بالأكل والادهان بزيت الزيتون ففعل فشفى ومنه رؤيا عبدالملك بن زهر إذ أمر أن يكتحل بشراب الورد ففعل فشفيت عينه

٤٧ ﴿ الحال الثالثة ﴾ الاتفاق والمصادفة وأن ذلك أفاد أن كل سم لحيوان يمنع ضرره نفس لحمه ، وأيضا هذا اللحم يشفى كل مرض مزمن كلحم الحيات إذ تشفى البرص والجذام . وهناك ﴿ حال رابعة ﴾ مثل مسألة الخطاف اذا أصيب فراخه بالبرقان يحضر حجرا أبيض فى عشه فيأخذه الناس للبرقان ، وهكذا العقاب يحضر حجرا يعرف بالقلقل لأنثاه يسهل على أنثاه بيضها ، ونبات الرازيانج تمرّه الحيات على عيونها اذا أظلمت بسبب اختفائها فى الشتاء فانتفع الناس بذلك والطائر (ايبس) علم الناس الحقن

٤٨ البازى يتداوى بأكل كبد طائر معلوم ، والسنانير تأكل الحشيش فاذا أمرضها أكلت الخوص فشفيت بالتقيؤ ، واذا نالها أذى بالسموم عمدت الى السيرج ، والدفلى تضرّ بالبهائم فترعى حشيشة أخرى فتشفى . والمعزى البرّية رميت بالنبل فأكلت نباتا خاصا فتساقطت الرماح عنها والقلق يأتى بحشيشة خاصة فى عشه يشمها أعداؤه فتعمى . وليبت القنافذ منافذ يسدّها اذا هبت الرياح . والحبارى قاتلت الأفعى وكلما انهزمت تناولت من نبات خاص فتشفى فلما قلع النبات مات الحبارى . ابن عرس يستظهر فى قتال الحية بأكل السذاب . والسنبل تأكله الكلاب اذا دوّدت بطونها . والصقر يداوى جرح القلق

٤٩ مخطوطات هيروغليفية منقولة عن البردى تاريخها ١٥٥٠ (ق.م) وهى بذور خاصة تنبت فى الوجه القبلى تداوى التهاب القرنية مع عقاقير أخرى فيها (شكل ٦) الصورة الفوتوغرافية وترجمتها بالعربية وعندهم ﴿ قسمان ﴾ أطباء وصيادلة مثل مافى وقتنا الحاضر

٥٠ آية ــ الذى خلقنى فهو يهدين ــ فيها ستة أحوال الخالق الهداية الخ

٥١ الهداية على ﴿ قسمين ﴾ فطرية كالعطش وتعليمية تبتدئ فى الحيوان كالغراب يعلم صغاره الطيران خارج عشه وكالانسان يعلم الصناعات الخ

٥٢ الهداية التعليمية فى الطب ﴿ نوعان ﴾ حفظ الصحة ومداواة المرض . حفظ الصحة (نوعان) نوع يختص بالطعام والشراب والهواء . ونوع متمم له كالنظافة واستعمال الصابون النقى وهذه (١٢) نوعا مثل غسل الأنف وتنظيف الأذن والعين الخ

٥٣ السواك وعجائب النبوّة وأن النبى ﷺ أمر بالسواك عند كل وضوء و بيان ايضاحه فى كتب الفقه

٥٤ بيان مصداق النبوّة فى العلم الحديث وأن الرمد ومرض الجهاز الهضمى والفم والحنجرة والمعدة وسرطان الفم واللسان ونوازل المعدة المزمنة وتقيح الأعور والتهابات المعلقة الدودية والانيميا الخبيثة ومرض القلب والروماتزم والحول وارتفاع درجة الحرارة والضعف و بعض الأمراض العقلية والتدرن الرئوى (السل) كل هذه تحصل بسبب مرض الأسنان أوعدم نظافتها والسواك يمنع ذلك إذن هذه معجزة لنبينا ﷺ

صحيفة

صحيفة

صحيفة

ذكر الله الجراد والضفادع والدم الخ وقال انها آيات مفصلات وهكذا جعل الشمس والقمر آيات فلابد من دراسة ذلك كله ، هكذا فعلت الأمم . هذه المزعجات موقظات للأفراد ليعملوا و يفكروا وكل أمة كثر ازعاجها ارتقت كأمة اليابان كثيرة البراكين ، أما مصر فهى فى أمن فلذلك تأخر ارتقاؤها عن اليابان

١٢٢ قصة بلقيس تذكرة للعرب وتقريع لهم ولأهل اليمن خصوصا لأنهم ورثوا بلادا مدنيتها فى جاهليتها أرقى من مدنيتها فى الاسلام

سرّ من أسرار النبوّة قد ظهر فى الطاء والسين وأن النمل له شبه بالانسان فى حربه وأسراه الخ

١٢٣ أكبر الجماعات فى الكائنات الحية جماعات النمل (٥٠٠) مليون وأقلّ منها أهل الهند وأهل الصين والمملكة الانجليزية . هذه السورة يستفاد منها اقتران سياسة الانسان بسياسة النمل والانسان أرقى من النمل عقلا ولم يزد عنه عملا فيها

١٢٤ ﴿ القسم الثانى ﴾ — ولقد آتينا داود وسليمان علما — الى — وأسلمت مع سليمان لله ربّ العالمين — مكتوب مشكلا . التفسير اللفظى لهذا القسم

١٢٧ عجائب النمل . الأروقة والدهاليز والمنعطفات والتعاون بين الجماعات . قياس نظام الأمة على نظام النمل . دقة النمل فى عمله وحرصه . موازنة بين شرائع النمل والأمم المتمدينة . حكاية عن النمل الذى جعل له مايشبه القنطرة فى البركة وصعد على الشجر . يقطع النمل حبة القمح نصفين وحبة الكزبرة أربع قطع

١٢٩ مساكن النمل لها أعمدة و بهوات وحجر صغيرات ولها بيوت فوق الأرض من أوراق الأشجار الخ ومنها بيوت ترتفع (١٥) قدما ولها سراديب تحت الأرض . أحواله المعيشية وزراعاته وتربية ماشيته وحربه وأسراه وطرقه الزراعية و بقره الذى يشرب لبنه وأطاّره والبيض والعناية به وانقلاب البيض دودا وغزله حريرا كدودة القز ونسجه ونومه فى برزخه أياما وملاحظة الأمّهات للأبناء والمساعدة فى فى الخروج من الأربطة وغسل العيون والوجوه وازالة التراب عنها

١٣٠ حكاية عن نملة قورنت فى عملها بانسان

١٣١ الجمهوريات فى الحيوانات من كلام اللورد أفبرى إذ ذكر الفيل والقيطس والغربان ونحوها ثم فضل عليها كلها النحل فى نظامها ثم جعل النمل أفضل من النحل وذكر ملكاته وأن النملات تستمطر الرحمات من الملكة . النملات يعرفن نمل قريتهن و ينبذن سواه . السادة لايأكلون إلا بخدمة العبيد

١٣٣ حرب بين قبيلتين من النمل ، وكيف تصطف الصفوف ، وكيف يرسلون الكشافة ، وكيف يجعلون خنادق ومتاريس الخ

١٣٥ مساهرة من كتاب ﴿ علم الدين ﴾ على النمل . النمل وأسراه ولا يكون الأسر إلا ليلا بعد الغزو . النمل بعضه لايرضى بالرّق والأرقاء عليهم جميع الأعمال وهذا يجعل السادة ضعافا فتدور عليهم الدائرة

١٣٧ ارتفاع المساكن النملية تبلغ عشرين قدما والشكل هرمى فهى أشبه بكفر من الكفور ولا يمكن كسرها ولو بنى الانسان كما يبنى النمل لارتفعت مساكننا قدر قامتنا (٥٠٠) مرة وقدر هرم الجيزة (٤) مرات أو أكثر . من النمل من له سراديب تحت الأرض فيأكل الخشب فى منازل الناس و يسقط البيوت . وكم أتلف النمل من بلاد عامرة حتى هاجر أهلها ، وقد فرّ أهل محل من محلات بغداد من النمل و بعض بلاد فرنسا سنة ١٧٨٠ م خربت بسبب نوعين من النمل

١٣٨ متفرّقات عن النمل ، النمل يعرف عدد بيضه ، النمل يفعل مع صغاره ما تفعله الأمم الراقية فى التغذية والرياضة ، النمل أقوى من الانسان (٣٠٠٠) مرة ، النمل فلاح ، بقر النمل ، النمل جراح ، للنمل مقبرة

صحيفة

المثلية تراعي هنا . إن دراستها واجبة كدراسة الأمم حولنا . نحن لانعيش إلا بقراءة هذه العلوم وجهلنا بها معناه موتنا (اقرأ ماتقدّم فى سورة يوسف) لقد ظهرانه بموت أبى قردان وأمثاله ماتت زرع بلادنا ، ولما حافظ الناس على الطيور فى بلادنا بعد ما كتبت عن ذلك فى الجرائد ارتقت الزراعة ، هكذا جهل المسلمين بالأمم حولهم أيام قطب أرسلان وأيام دخول الفرنسيس مصرأورثهم النكال

١٦٦ صورة الهدهد (شكل ٣٢) صورة أبى قردان (شكل ٣٣) صورة الكروان (شكل ٣٤) وهذا من سرّ الطاء والسين وبهذه الطيورحياتنا و بموتها موتنا والمسلمون لايعلمون

١٦٨ صورة الزقزاق البلدى (شكل ٣٥) كل ذلك من الطيور الآكلات الدود التى أنا أقول بتحريم صيدها بالبرهان لأن موتها موت لنا والمسلمون يجب أن يتعلموا

١٦٩ الكلام على الهدهد تفصيلا وعلى فنّ الطيران فى عصرنا الحاضر وأن الهواء أخف من الماء (٨٠٠) مرة والبخار أخف من الماء (١٧٢٨) مرة واقاعدة (أرشميدس) السلطان الأعظم هنا والكلام على عوم السمك وغوصه بهذه القاعدة ومنفاخه الهوائى وحفظه تارة ونفخه تارة أخرى والكلام على الوزن النوعى وأن البالون جاء على هذه القاعدة ، أما طيران الطير فى الهواء فعلى قاعدة أخرى ولم يقدرالانسان على تقليد الطير بل أخذ يتخيل الطيران كالطير فى الشعر والخيال لاغير وفى قصة حسن البصرى ، وفى القرن السادس عشر حاول رجل إيطالى الطيران وألمانى فى السابع عشر وآخر فى الثامن عشر ثم درس الطيور وحركاتها (بورلى) فى القرن الثامن عشر و يئس من الطيران ولكن (البليانتال) قال « متى قدر الانسان أن يصعد فى الجوّ بقوّة رافعة وأخذ يحوم فتح له باب الطيران » فنجح فى ذلك الشابان الأمريكيان سنة ١٩٠٥ واشترت الولايات المتحدة طيارتهما ثم احتفل بهما سنة ١٩٢٨ بمضى ٢٥ سنة على تجربتهما . فمن سنة ١٩٠٣ ابتدأ عصر جديد للطيران ، وفى سنة ١٩٣٦ يكون الطيران شائعا

١٧١ جوهرة فى قوله تعالى ــ الله لا إله إلا هورب العظيم ــ وجوابى على سؤال سائل فى معنى ــ ربّ العرش العظيم ــ و ــ ربّ العرش الكريم ــ وأن عظمة الملك لاتقتضى الكرم ، فكم من ملك عظم ملكه ولكنه لايقدر أن يواسى كل ضعيف ومسكين بل اتساع الملك يقعده عن ذلك ولكنا نرى الله لايشغله تدبيرالانسان عن تدبيرحشرة أبى دقيق والزنابير بل هو بكل شئ بصير فهذا هو الكرم ومثل هذا الكلام فى ــ فتعالى الله الملك الحق ــ لأن ملك أهل الأرض مجازى ، فالله مع كل مخلوق كالشمس مع كل نسمة ومن هذا نقول لابد من بقاء الأنفس بعد الموت وهذا قوله ــ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا ــ الخ

١٧٢ قول بلقيس ــ ما كنت قاطعة أمرا ــ الخ هذه الآية تدل على ما كان عند العرب من أمر الشورى فى الوثنية وقد نسيها المسلمون كما ظهر من حادثة على بن الحسين الذى أبى أن يجيز لوفد الهند السفر الى مكة وأن تحكم البلاد بالشورى

١٧٣ قوله تعالى ــ فما آتانى الله خير مما آتاكم ــ هذه الآية تدل على أن نعمة العلم هى كل شئ جوهرة فى قوله تعالى ــ إن الملوك اذا دخلوا قرية ــ الخ مع قوله ــ فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ــ و بيان أصل هذا الانسان فى الأرض فهومن عناصر محرقة مثل البوتاسا والبوتاسيوم والمعادن فيها قوّة تحكم العناصر والنبات له نفس تضبطها والحيوان كثير الاختلاف ، والنفس حوّلت تلك الأحوال الى عواطف والانسان حوّلها الى عواطف أعلى ، ثم آراء الفلاسفة كالفارابى وأفلاطون ، ثم ماحال الأمم

المغلوبة

صحيفة

المادية والغالبة ، الانسان فى هذه الأعمال لم يرتق عن الحيوان

١٧٤ تفصيل هذا الاجمال بشرح أمثال الصودا والجير والمغنيسيا والسليكا والكلور وأوكسيد الحديد و بيان أن الانسان اذا استحضر أمامه من كل واحد من هذه قطعة فقد أحضر كل نبات وحيوان ، إذن كل نبات وكل حيوان ترجع كلها الى هذه المواد المحرقة وغيرها و بعض هذه القطع التى أمامك قد دخلت بمقادير مختلفة فى البارود عند فرنسا وألمانيا وانكلترا مثل ملح البارود والكبريت والفحم فهذه بعينها دخلت فى النبات ، النباتات إذن فيها مواد محرقة كالبارود

١٧٧ فما الذى حفظ تلك المواد حتى صارت بهيئة جميلة فى النبات ؟ الذى فعل ذلك أمر آخر آت من عالم آخر نسميه نفسا نباتية ، ثم هذا كله داخل فى عالم الحيوان لأن الحيوان مبنى جسمه من النبات ، إذن هذه المواد المحرقة التى ضبطها النبات دخلت فى الحيوان ومنه الانسان ، ولاجرم أن لهذا الانسان أمرا من عالم غير عالمنا ضبط هذه العناصر المحرقة فانقلبت صفاتها فيه الى عواطف وأخلاق وآراء بعد أن كانت بارودا قبلا ثم أغذية وسموما وأدوية ، وعلى مقتضى هذه العناصر المركبة وتنظيم النفس لها تكون سياسة الأمم التى نحن بصدد الكلام عليها فى الآية ، ومن الناس من قالوا انما الحياة لذات ومن قالوا هى الكرامة ومن قالوا هى الغالبة ومن قالوا هو مدنى بالطبع والمدينة فاضلة وفاسقة والفاسقة تظلم الأمم بالعصبية أو اللغة أو الوطن أو الدين أو المصاهرة أو الاستعباد أو بالملك الجامع ، هذه هى آراء المدينة الفاضلة للفارابى وليس من هذا الفسوق اجتماع المسلمين الدينى فى العصور الأولى لأنه نظام عام ، العالم الأرضى كأنه جهنم صغرى لأن الغالبة والظلم انما جاآ عن أصل العناصر النارية ولولا تهذيب النفس النورية العلوية لهذه العناصر وتكميلها لما حصل اجتماع لأهل الأرض ، فالظلم فى الأمم هو عين مانراه فى الكبريت والفوسفور والعدل هو عين مانراه فى النظام السماوى من حيث انتظام حركات الشمس والقمر وغيرهما ونفوسنا فى الأرض تشبه تلك النفوس المدبرات للكواكب فهى نظمت هذه الأجسام الانسانية وكلما زادت نظاما زادت قربا من تلك العوالم العليا و يشهد لذلك التشهد ﴿ السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ وخير أحوال أهل الأرض أن يكون السلام بينهم جميعا كالسلام بين الكواكب فى نظامها

١٨١ آراء أفلاطون فى سياسة الانسان ، يرى مشاركة النساء للرجال فى الحرب والوظائف وليس يعرف الموجود الحقيقى إلا الفيلسوف وعلى الحكام أن يتمرنوا على العلم والعمل والصبر ، وهنا حكاية المغارة التى تخيلها وأن فيها قوما لم يروا النور ثم رأوه تدريجا يمثل تعلم العلوم وانه بالتدريج وأن هذه السموات والأرضين ليس وجودها حقيقيا بل الموجود الحقيقى عالم المثال — والله من ورائهم محيط — ثم بيان حكومة الأشراف والحكومة العسكرية وحكومة الأغنياء وحكومة الجمهورية وحكومة الفرد المطلق وأن كل واحدة أخس مما قبلها ، و بيان بعض نصائح للأمم مثل الحجر على الشعراء والمصورين الذين يثيرون الشهوات فى الشعب

١٨٥ التعاليم الاسلامية ، ماذا أصاب أممنا الاسلامية من الأهوال السياسية ، و بيان أن هذه التعاليم الفلسفية التى ذكرناها قد أنزلها الله على قلوب الأمم قبل نزول القرآن ليفهم المسلم معنى كون القرآن ذكرا فهو قد ذكر الانسان بالعلوم التى كانت مخبوءة فى كتب الأمم من قبل نزوله و به نفهم معنى — بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم — والعجب كل العجب أن آراء أفلاطون فى تدهور المدينة فى درجاتها السابقة هى بعينها التى جاء بمعناها حديث البخارى ﴿ إن أخوف ما أخاف عليكم الخ ﴾ إذ جعل التهافت على اللذات مهلكا للأمم وهذا هو الذى بكاه رسول الله ﷺ وصاحباه وقت أن

صحيفة

حلت الغنائم يوم بدر هذا عجب عجاب

فلسفة قديمة ثم ينزل وحى وتكون هى شرحا له وهذا أعظم معجزة

١٨٧ الكلام على تخريب الفاتحين للممالك وكيف يجازون بزوال ملكهم من ابن خلدون مصداقا للآية . خلافة بنى أمية . ثم خلافة بنى العباس ، ثم قيام بنى هاشم بالثورات مثل آل الحسن وآل الحسين ، عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بالأندلس ، خروج المهدى محمد بن عبد الله (النفس الزكية) وفرار أخيه ادريس بن عبد الله الى المغرب الأقصى واجارة البربر له ثم انقراض الدولة بعد حين وقام على أنقاضها العبيديون ثم ملك نفس البرابرة ورجع العرب الى الشرق

١٨٨ سر ارتقاء العرب ثم انحلال دولتهم ، العالم كله جسم واحد ، لما أخذت دولة الرومان فى الانحلال أيقظ الله أمة بدوية فى الصحراء بنبى أرسله وأحل له الغنائم وجعلهم خلفاء الأرض فلما جعلوا الملك وسيلة لاصلاح الأمم بقيت دولتهم ولما جعلوه لشهواتهم وصاروا ملوكا لاخلفاء أزال الله ملكهم ولم يزل إلا بعد ما مكن الاسلام فى الأرض وهو عدل يجعل لكل أمة دولة يستخرج مواهبها ثم يوقظ أمة أخرى

١٨٩ نبذة من أسباب ذهاب دولة العرب مصداقا للآيات والأحاديث ، زواج أمرائهم بالأجانب فى الأندلس عبد العزيز بن موسى بن نصير تزوج بأرملة لزريق ملك القوط ، محمد بن عبد الله تزوج باسبانية تسمى (ماريه) وابنها عبد الرحمن الناصر وهكذا غيرهم بالاندلس ، وهكذا فشا الزواج والتسرى بالاسبانيات من القوط وغيرهم وهكذا سرى فى العامة كما سرى فى الأمراء ، وهكذا هذا التلقيح أثر فى البربر فرقق أخلاقهم ولذلك انحلت الأمة وانقسمت الى (٢٠) دولة

١٩٠ كيف يحصل الفساد والخراب فى الأمم المغلوبة على أمرها ، و بيان أن من عوائق الملك حصول المذلة للقبيل وانقيادهم لسواهم

١٩١ بيان أن بنى اسرائيل لما أنسوا بالذل فى مصر لم يجدوا من أنفسهم قدرة على دخول أريحاء بالشأم فكان من الحكمة أن يبقوا فى القفر بجهة سيناء (٤٠) سنة حتى يفنى هذا الجيل ويخرج جيل عزيز الجانب حر

١٩٢ بيان أن الأمة اذا صارت فى ملك غيرها أسرع اليها الفناء ، وأن الانسان خلق سيدا فاذا ذل هلك والحيوانات المفترسة لاتتناسل اذا حبست فى أقفاصها ، و بيان أن أمة العرب (اذا تركت دينها) وغلبت أمة أسرع اليها الفساد وأنهم لايبالون إلا بالجباية و يتركون الناس فوضى

١٩٣ بيان أنهم أبعد الأمم عن السياسة (اذا تركوا الدين) وذكر ماقاله رستم لما جمع عمر المسلمين للصلاة وقوله ﴿ عمر يعلم الكلاب الآداب ﴾

١٩٤ الظلم مؤذن بخراب العمران وأن الأمم الظالمة تقع فى سوء أعمالها وأن من عوائق الملك حصول الترف والنعيم ذلك لأن الجيل الذى يتكل على غيره فى أموره يصبح عاجزا وهذا كله موافق للأحاديث والآيات

١٩٥ بيان أن الأمم العربية لما اضمحلت خلق الله أمما أخرى لعمارة أرضه منهم دولة انكلترا وأول ظهورهم كان سنة ٥٥ (ق ٠ م) ودولة الفرنسيس وابتداء ملكهم سنة ٤٢٠ (ب٠م) ودولة هولانده واستقلوا سنة ٩٨٧ هجرية

١٩٦ استعمار الفرنجة لبلاد الاسلام وهل يدوم

١٩٧ تلخيص ماتقدم . حفلة جامعة لعلماء الشرق وأوروبا دعى لها المؤلف يوم ٢٤ ابريل سنة ١٩٢٩ من أحمد زكى باشا وظهر فى هذه الحفلة كيف أصبح أبناء العرب فى هذا الزمان يرجون علماء أوروبا أن

يكونوا

صحيفة

يكونوا واسطة فى أن أوروبا تعاملنا معاملة الاخوان لا معاملة الأذلاء وذلك بالامتيازات الأجنبية فى مصر التى زالت من جميع الأرض إلا من مصر ، فلينظر سادة الأمم قديما كيف ذلوا لها حديثا وذلك بالأسباب المتقدمة

١٩٨ رأى المؤلف فى اسعاد هذه الأمم الاسلامية فى المستقبل وذلك أن يكون الاجتماع بالعلم والدين بعد أن فشل الاجتماع بالعصبية ، فليعم التعليم بلاد الاسلام

٢٠٠ عبرة تاريخية فى آية — إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها — أوّل افساد الجماعات يكون باللصوصية ثم تقوى فتصير جهرا كما حصل من السلطان سليم الذى خرب مصر ، فالذى حارب الصليبيون المسلمين فما عذر السلطان سليم المسلم ، ذلك الذى أخذ رجال الصناعة من مصر وأهلكهم كما قيل وهم نحو ألفين فصارت البلاد زراعية ضعيفة لا يهمها سوى المال حتى ان بها اليوم ٦٠ وزيرا كل منهم يتناول ١٥٠٠ جنيه فى العام ، كل ذلك من تأسيس الترك — والله غالب على أمره ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون —

٢٠١ ﴿ اللطيفة الثالثة ﴾ فى نقل عرش بلقيس ونحوه ، هنا نحو ٢١ سؤالا ألقيت للأرواح فى نحو هذا المقام والاجابة عليها بأجوبة جميلة بديعة لا تصدر إلا عن أهل الحكمة العالية مثل السؤال عن السيال العام هل هو عنصر الأشياء والاجابة عليه بأن كل مافى الكون مركب منه ، ومثل السؤال عن المناسبة بينه و بين السيال الكهربائى والاجابة عليه بأن ذلك مركب منه ، وهكذا الكلام على الأرواح وتحريكها للجماد بذلك السيال العام والسيال الخاص فى الوسيط الخ ومثل تفصيل الأرواح الكلام على تلك الزهور البديعة التى حضرت فى المجلس بواسطة الآنسة (نيشول) والحجرة مقفلة زمن الشتاء وكيف حضرت وهل هى من أرضنا أم من أرض أخرى والاجابة بأنه لا يمكن أن يحضر من غير أرضنا وهكذا

٢٠٦ ﴿ القسم الثالث ﴾ — ولقد أرسلنا الى ثمود — الى — فساء مطر المنذرين — كتب مشكلا وتفسيره اللفظى

٢٠٨ جوهرة فى قوله تعالى أيضا — إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها — مع قوله — فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا —

﴿ لطيفة ﴾ فى رأى فيلسوف الصين (كونفوسيوس) فى دولية العالم وفى مدح (كبتن كننج) فى شعره لأمراء الشرق قديما وحديثا مع انه رجل انجليزى وأن النوع الانسانى فيه عواطف يمكن انماؤها للمحبة العامة

٢٠٩ ﴿ القسم الرابع ﴾ — قل الحمد لله وسلام على عباده — الى آخر السورة قد كتب مشكلا

٢١٠ تفسيره اللفظى

٢١٢ لطيفة فى الموازنة بين هذه المذكورات السبع عشرة التى أوّلها خلق السموات والأرض وآخرها تكامل علمهم فى الآخرة بالحجج وهم عمى عنها و بين الحمد فى الفاتحة والتحيات لله والسلام على النبى ﷺ والصالحين والحمد ملء السموات والأرض

٢١٤ جوهرة فى قوله تعالى — أمّن خلق السموات والأرض — الى قوله — أن تنبتوا شجرها — والكلام على المطلب الأوّل فى الحدائق ذات البهجة وأن الناس يعيشون مسحورين بحواسهم إذ يرون الماء والهواء والمعادن كالحديد والكبريت ونحوها اذا هى جوامد ولكن هذه الجوامد هى أعينها الشعير والقمح والخشخاش والجزر وهى أنفسها الجذر والساق وللجذر تسع صفات وللساق بضع صفات وكل منهما متجه الى جهة ما فأحدهما للأعلى والآخر للأسفل ولكل منهما عمل ، والنتيجة منافع ذات بال للحيوان والانسان وهذه المنافع تابعة للمواد المنتقاة الممتصة بتلك الجذور مقدّرة بمقدار المنافع على حسب

صحيفة

والسنط محميات بما يقيها عاديات الدهر واعتقاده أنه لولا الحجاب المسدول على عقولنا وانا لم نشاهد صانع العالم لذابت هذه النفوس من بهجة الجمال ولكن من الحكمة هذا الحجاب . سعادة مؤلف التفسير وسعادة قرائه إذ يقول إن هذه هى السعادة التى كان ينشدها لما كان فتى إذ كان يحب أن يقف على ماوصل اليه عقل الانسان من المباحث وهذا هو اليقين الذى أيقنه المؤلف بمشاهدة أمثال ورقة السنط والبازلاء الخ كايقان أفلاطون الخ من أمة اليونان وايقان (كنت) الألمانى و (سبنسر) الانجليزى والنقطة للجميع واحدة وأن هذه الآراء سيتم شرحها فى ﴿رسالة مرآة الفلسفة﴾ وذلك من حيث العلم لاغير

صحيفة

(تمت)

